

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِي

مُحَظَّاتُ الْأَشْرَفِي

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن حمزة قاتر الأشرفي

عفا الله عنه

صفحات الفهارس

الجزء ① 370

الجزء ② 684

الجزء ③ 992

الكتاب كامل في ملف واحد

دار الأيمان
الإسكندرية

دار القيمة
الإسكندرية

الكتب المدمجة

دمج وفهرسة الكتب ذات الأجزاء المتعددة

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِي

مِنْ خَطِّ الْمَلِكِ الْبَرِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر ج ١

المؤلف: الشيخ فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٢٠٨٩٩

نوع الطباعة: ٢ لون

عدد الصفحات: ٣٧٢ صفحة

القياس: ٢٤ X ١٧

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

محمفوظة
جميع الحقوق
للناشر

٢٠٢٠

الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٤٦٤٩٦ - ٥٤٥٧٧٦٩

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٢٢٢٠٠٢ - ٥٤٥٧٧٦٩

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ فِي

حِطِّ الْأَمَلِ بِرَأْسِهِ

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن حمزة قاتر الحاشري

عفا الله عنه

دار الأمان
الإسكندرية

دار القيمة
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ^(١).

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولها بين يدي كلامه، وفي خطبته، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها أصحابه رضي الله عنهم في شأنهم كله، وقد زهد فيها كثير من خطباء هذا الزمان، وقد أشرت لتخريجها في كتابي «تحفة الخطيب» حاشية (ص ٦)، وللشيخ الألباني رحمته الله رسالة مفردة ماتعة في تخريجها، اسمها «خطبة الحاجة» قال رحمته الله في خاتمتها ما نصه: «قد تبين لنا من مجموعة الأحاديث المتقدمة أن هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح، أو خطبة جمعة، أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما يظن».

وبعد، فقد يسر الله لي والله الحمد كتابة شيء من الخطب لتلقى من قبل بعض الطلاب في القرى، فكانت تنال استحسان الناس وارتياحهم، فرأيت من المصلحة القيام بتهديبها وتشذيبها، والزيادة عليها، وإخراجها في كتاب، سميته «الصحيح من الأثر في خطب المنبر» لتعم به الفائدة.

وقد حرصت بتوفيق الله ﷺ أن أحشو سمع المستمع وقلبه بنصوص الوحيين الشريفيين، فهذا - لعمرى - هو الغيث المبارك.

قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [قن: ٩]

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(١) من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت القرآن، ومثله معه».

وقد يظن من اعتاد الخطب التي تزخر بالسجع والترصيعات البيانية - أن البلاغة لا توجد في غيرها، وليس كذلك، ومن ظن أن البلاغة في غير كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ فما عرف البلاغة، وإنما عرف صداها.

قال الله ﷻ: ﴿قُرْءًا أَنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ أَلْعَلَّهُمْ يَنْفَوْنَ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٨٤٨).

وقال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢٣) [الزمر: ٢٣].

ولقد أودع الله ﷻ معاني كتابه في قوالب لفظية عربية، وزينه بروعة الفصاحة، وكساه حلة البلاغة وجلال الإعجاز، فدهشت به العرب جميعا إذ سمعته، حتى قال قائلهم^(١): «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة^(٢)، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق^(٣) أسفله، وإنه ليعلو، ولا يعلو عليه، وإنه ليحطم ما تحته^(٤)».

وخر بعضهم سجدا تعظيما عندما سمع يتلى، وانجذبت إليه صناديد الكفر والعناد، فكانوا يستمعون إليه تلهذا وإعجابا، بل انقادت إليه قلوب العرب والعجم عندما كشف الستار عن جماله، وحاكى العقول؛ لذلك خالطت محبته بشاشة القلوب، حتى إن نفرا من الجن انقادوا إليه عندما سمعوه يتلى، ورأوا إعجازه، وأيقنوا بسلطانه.

قال الله ﷻ على لسانهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) [الجن: ١]^(٥).

(١) هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

(٢) الطلاوة مثلثة: الحسن والسحر.

(٣) مغدق: كثير.

(٤) هذه القصة أخرجها الحاكم في «المستدرک» من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/٥٠٧)، وأخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» عن عبد الرزاق -أيضا- كما أخرجها من طريق آخر (٢/١٩٨-٢٠٥).

(٥) انظر كتابي «فن الحوار» (ص ٢٢-٢٣).

وبعث الله ﷺ نبيه بجدوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصاراً، وفاق العرب في فصاحته وبلاغته، هو القائل كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أعطيت جوامع الكلم».

وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلنا هداة مهتدين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) رواه مسلم (٥٢٣).

أركان الإسلام

الخطبة الأولى: ١- الشهادتان: أ شهادة أن لا إله إلا الله

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ ؕ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن الركن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادة «أن لا إله إلا الله»، وشهادة «أن محمداً رسول الله».

فشهادة «أن لا إله إلا الله» معناها: توحيد المعبود، وشهادة «أن محمداً رسول الله» معناها: توحيد المتبوع.

وسوف أتحدث في هذه الخطبة عن شهادة «أن لا إله إلا الله».

-أيها الناس-، إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي أصل الإسلام وأساسه، فهي الكلمة الفاصلة بين الشرك والتوحيد، بين الحق والباطل، ومعنى كلمة «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله.

وتشمل هذه الكلمة العظيمة على ركنين:

الركن الأول: النفي

الركن الثاني: الإثبات.

فالنفي هو قولنا: «لا إله»

والإثبات هو قولنا: «إلا الله».

ف«لا إله»: نفي جميع ما يعبد من دون الله.

و«إلا الله»: إثبات جميع أنواع العبادة لله رب العالمين وحده لا شريك له في عبادته، كما لا شريك له في ملكه وربوبيته.

وقد جاء معنى هذه الكلمة في آيات كثيرة من كتاب الله، فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

فقوله ﷻ: «أن اعبدوا الله» هو معنى: «إلا الله».

وقوله تعالى: «واجتنبوا الطاغون» هو معنى «لا إله».

والطاغوت --أيها الناس--: هو كل معبود أو متبوع من دون الله.

ومن فوائد هذه الآية أن الله ﷻ أخبر أنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا بعث الله فيهم رسولا، وكلهم متفقون على كلمة التوحيد «إله إلا الله».

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]

ومما يدل على أن شهادة «أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله» ركن من أركان الإسلام ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأ، محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

ونظراً لأهمية هذا الركن العظيم؛ فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقتال من لم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أ، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار، فسمع

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) رواه مسلم (٣٨٢).

رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر. فقال رسول الله ﷺ: «على افطرة» ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «خرجت من النار». فنظروا، فإذا هو راعي معزى».

وفضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أكثر من أن تحصر.

فمنها أن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ فهو معصوم الدم، والمال، والعرض إلا بحقه.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة».

ومنها أنها سبب للفوز والفلاح:

أخرج ابن خزيمة في «صحيحه» بسند صحيح، صححه الوادعي في «الصحيح المسند»^(٢) من حديث طارق المحاربي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ مر في سوق ذالمجاز، وعليه حلة حمراء، وهو يقول: «يا-أيها الناس-، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها أثقل شيء في الميزان:

فقد أخرج الترمذي في «سننه»، وابن ماجه بسند صحيح، صححه الوادعي في «الصحيح المسند»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)

(٢) «صحيح ابن خزيمة» (١٥٩)، وصححه الوادعي في «الصحيح المسند» (٣٨١ / ١).

يقول: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فيشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتتكر من هذا شيئا؟، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب. فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! يقال: فإن لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

ومن فضائلها أنه تفتح لها أبواب السماء:

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الوادعي في «الصحيح المسند»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبداً: لا إله إلا الله -قط- مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى عرش الرحمن، ما اجتنب الكبائر».

ومن فضائلها أنها سبب في الخروج من النار بعد دخوله فيها:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي قتادة قال: حدثنا أسن بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم (ومعاذ رديفه على الرحل) قال: «يا معاذ بن جبل» قال: لبيك -يا رسول الله-

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الوادعي في «الصحيح المسند» (٥٣٥/١).

(٢) أخرجه الترمذي بسند حسن (٣٥٩٠)، وأخرجه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٣٣٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

وسعديك. قال: «يا معاذ» قال: لبيك وسعديك -ثلاثا- قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار». قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟! قال: «إذا يتكلموا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثما (أي تخرجا وخوفا من الإثم في كتم العلم).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال -وهو في الموت-: ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه، إلا حديثا واحدا، وسوف أحدثكم اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار».

ومن فضائل كلمة التوحيدي «لا إله إلا الله» أنها سبب في دخول الجنة:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

(١) أخرجه مسلم (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتته وقد استيقظ، فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق». قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى، وإن سرق». قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى، وإن سرق، على رغم أنفسي أبي ذر».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها سبب لنيل شفاعته المصطفى صلى الله عليه وسلم:

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه أو نفسه».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها أعظم سبب لمغفرة الذنوب، وتكثير الأجور:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عن مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

(١) رواه البخاري (٥٨٢٧) ومسلم (٩٤).

(٢) رواه البخاري (٩٩).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أن ذكر «لا إله إلا الله»، خير من الدنيا وما فيها:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: شروط «لا إله إلا الله»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين:

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن معنى كلمة التوحيد، وشيء من فضائلها، والآن حديثي معكم عن شروطها.

-أيها الناس-، لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ثمانية شروط ذكرها أهل العلم، وهي كلها مأخوذة من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وسوف أذكرها بأدلتها، فأعيروني أسماعكم.

الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً:

والمراد بالعلم هنا العلم المنافي للجهل بالمعنى الذي دلت عليه، ولذلك قال الله

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]

وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

إذ لا بد من علم، أما أن يقولها الشخص، وهو لا يدري، فإنه لا يكون بذلك ناجياً، ولا يكون بذلك مسلماً، ولو أن شخصاً أعجمياً كافراً نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً سمع رجلاً يقول: «لا إله إلا الله» بالعربية، فقالها لم يكن بذلك مسلماً، حتى يعلم معناها، ويعتقد ويعمل بمقتضاها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) [الزُخْرُف: ٨٦] فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بقول: إلا من شهد بالحق: يعنى ب«لا إله إلا الله». وهم يعلمون، أي: يعلمون ما دلت عليه^(١).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

والجهل بمعناها -أيها الناس- هو الذي أوقع كثير من الناس في الشرك، حيث جهلوا معنى «لا إله إلا الله»، فجهلونا معنى الإله، وأن الإله هو المعبود، وجهلوا مدلول النفي، ومدلول الإثبات، بعكس المشركين السابقين حيث كانوا يعرفون معناها؛ لأنهم أهل الفصاحة والبلاغة، فرفضوها لما قالها لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا له: ﴿أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

-أيها الناس-، هؤلاء المشركون عرفوا معناها، فيا لله! كم من أناس في زماننا جهلوا معناها، فعبدوا القبور، وعكفوا عليها، ونذروا لأهلها، وذبحوا لهم، ودعوهم من دون الله، فإننا لله، وإنا إليه راجعون!.

الشرط الثاني: اليقين:

أي أن يقولها الشخص بيقين، فيتيقن من قلبه بها، ويعتقد صحة ما يقوله. وضد اليقين الشك والريب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الخُرَات: ١٥].

(١) انظر رسالة بعنوان «فاعلم أنه لا إله إلا الله» لبشر البشر (ص ٣٤، ٣٥).

(٢) تقدم تخريجه.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة». فمن قالها وهو شاك في صحتها كان بذلك كافرا.

الشرط الثالث: القبول:

والقبول ينافي الرد، فلا يرد شيئا من معانيها، وقد كان زعماء المشركين يعرفون معنى «لا إله إلا الله»، ويعرفون صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك استكبروا عن قبول الحق والهدى.

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وفي «صحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحق الإسلام، وحسابه على الله عز وجل».

الشرط الرابع: الانقياد والاستسلام:

أي ينقاد لها، ويستسلم ويدعن.

قال الله سبحان الله: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب:

فأما من قالها كاذبا، فإنها لا تنفعه.

(١) رواه مسلم (٢٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت: ٣].

وقد أخبر الله ﷻ أن المنافقين كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولكنهم في باطن الأمر يكذبون. فقال ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] [المنافقون: ١].

الشرط السادس: الإخلاص:

أن يقولها بإخلاص، و ضد الإخلاص الشرك، قال الله ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣].

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد سئل رسول الله ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه».

الشرط السابع: المحبة:

فيقولها المسلم محبا لها.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [١٦٥] [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

المراء لا ي حبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

الشرط الثامن: الكفر بالطواغيت:

وهي المعبودات من دون الله، فمن قال: لا إله إلا الله، ثم عبد غير الله بدعاء، أو ذبح، أو نذر فهو مشرك بالله ﷻ الشرك الأكبر.

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

[البقرة: ٢٦٥]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث طارق بن أشيم قال: قال رسول الله ﷺ: «من

قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

(١) رواه مسلم (٢٣).

الخطبة الأولى: ب- شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعين، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن شهادة «أن محمدا رسول الله» والحديث عن هذه الكلمة العظيمة ذو شجون.

-أيها الناس-، **إن معنى هذه الكلمة العظيمة هو:** الاعتقاد الجازم بأن محمدا رسول الله ﷺ مرسل من ربه، فنصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر ونترك ما نهى عنه وزجر، ونعبد الله بما شرع.

وقرنت شهادة «أن محمدا رسول الله» بشهادة «أن لا إله إلا الله» لحكم عظيمة، ومعان جلية تدل عليها، ومنها:

الأمر الأول: وجوب محبته ﷺ

ومحبته صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، فلا يكون المرء مؤمناً إلا بها، ولا يائماً لمن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

ومن أعظم من فسر هذه الآية القاضي عياض في كتابه الماتع «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم» (١).

قال رحمته الله: «فكفى بهذا حضا وتنبیها ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرهما، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرع الله من كان حاله، وأهله، وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فِيهَا﴾ (التوبة: ٢٤)، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن أضل، ولم يهده الله».

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين».

وفي «صحيح البخاري» (٣) من حديث عبد الله بن هاشم قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب غلي من كل

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (١٨).

(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) رواه البخاري (٦٦٣٢).

شيء إلا من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أي: الآن عرفت، فنطقت بما يجب»^(١).

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم - أيها الناس - هي موافقة لمراد الله في محبته لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه له، فقد أقسم بحياته، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].
كما أثنى عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
واتخذ صلى الله عليه وسلم خليلا.

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صلى الله عليه وسلم صاحبه خليلا».

ألا يا محب المصطفى زد صباية ❀❀❀ وضمخ لسان الذكر منك بطييه
ولا تعبأن بالمبطلين؛ فإنها ❀❀❀ علامة حب الله حب حبيبه

الأمر الثاني: طاعته صلى الله عليه وسلم

وهذا الأمر - أيها الناس - من أعظم لوازم محبته والإيمان به.

(١) «الفتح» (٥٣٦/١١).

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣).

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]

وجاء أمر الله ﷻ في وجوب طاعة الرسول ﷺ، فقال ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

وأمر ﷻ بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

ومن اعتقد -أيها الناس- أن أحداً يسعه الخروج عن طاعة الرسول ﷺ، أو

الوصول إلى الله من غير سلوك طريقته فقد كفر.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٦٤﴾ [النساء: ٦٤]

فتبين من ذلك -أيها الناس- أن طاعة الرسول ﷺ هي دليل محبته، وكلما ازداد

الحب زادت الطاعات؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصي الإله، وأنت تزعم حبه ❀❀❀ ذاك لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ❀❀❀ إن المحب لمن أحب مطيع

الأمر الثالث: تصديقه في كل ما أخبر:

وهذا الأمر - أيها الناس - أصل من أصول الإيمان بعصمة النبي ﷺ من الكذب والبهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]

وبهذا يعلم - أيها الناس - أنه من رد شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ وكذبه فيه فهو كافر، سواء كان رده اتباعاً للهوى، أو لشيعة منسوخة.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند صحيح، صححه الألباني لشواهد^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، قالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟!

قال: أو قال ذلك؟ قال: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي الصديق».

(١) رواه مسلم (١٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٦٢)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني لشواهد في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما راع في غنمه، عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ بينما رجل يسوق بقرة، قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا، لكنني خلقت للحرث» قال الناس: سبحان الله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أومن بذلك، وأبو بكر، وعمر».

الأمر الرابع التحاكم إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا الأمر -أيها الناس- أصل من أصول الإيمان، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي (الصحيحين)^(٢) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر. فأبى عليهم.

فاختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك».

فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟! فتلون وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «يا زبير، اسق، ثم احبس الماء، حتى يرجع إلى الجدر» فقال الزبير: والله،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٣).

(٢) رواه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧)، واللفظ له.

إني لأُستغفر الله هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: الاتباع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن معنى شهادة «أن محمدا رسول الله» فذكرت أربعة أمور، وهي:

وجوب محبته، وطاعته، وتصديقه في كل ما أخبر، والتحاكم إلى سنته.

وفيما يأتي الحديث عن الأمر الخامس، وهو: وجوب اتباعه:

واتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد ركائز دين الإسلام، بل إن الإسلام يقوم على أصليين أساسيين، هما:

الإخلاص والمتابعة.

فالإخلاص وإفراد الله بالعبادة هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأن لا إله إلا الله، والاتباع والتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأن محمدا رسول الله.

فتبين -أيها الناس- أنه لا يتحقق إسلام عبد، ولا يقبل منه قول، ولا عمل، ولا اعتقاد إلا إذا حقق هذين الأصلين (الإخلاص والاتباع)، وأتى بمقتضاها.

قال الله سبحان الله وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

[الكهف: ١١٠]

قال شراح الطحاوية: «فهما توحيدان، لا نجاه للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول»^(١).

ويعرف الاتباع -أيها الناس- بأنه: الاقتداء والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، والتروك بعمل مثل عمله، على الوجه الذي عمله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه عمله.

والاتباع -أيها الناس- هو دليل محبة الله، ويدل على ذلك قول الله سبحان الله: ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مما ينبغي التفتن له أن الله سبحان الله قال في كتابه:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبوا الله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ﴾ فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يوجب

محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله؛ فإن هذا الباب تكثر فيه

الدعاوى والاشتباه»^(٢).

ويقول ابن كثير: «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على

الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي،

والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله»^(٣).

(١) «شرح الطحاوية» (١/٢٢٨).

(٢) «الفتاوى لابن تيمية» (١/٢٢٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/٣٥٨).

وقال العلامة ابن القيم: «قال: «يجبكم الله» إشارة إلى دليل المحبة، وثمرتها وفائدها، فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول، وفائدها وثمرتها: محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، محتبه لكم منتفية»^(١).

ويقول: «وثباتها - أي محبة الله - في القلب إنما يكون بمتابعة الرسول في أعماله، وأقواله، وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانه يكون نقصانها»^(٢).

- أيها الناس -، إن حب الله ليس كلمات تقال، ولا قصصا تروى، فكذلك محبة رسول الله ﷺ ليست دعوة باللسان، ولا هيأما بالوجدان وكفى، بل لا بد أن يصاحب ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ والسير على هداة، فالمحبة ليست ترانيم تغنى، ولا قصائد تنشد، ولا كلمات تقال، ولكنها الاقتداء والتأسي به ﷺ ظاهرا وباطنا، فإن الطرق إلى الله كلها مسدودة إلا طريقة رسول الله ﷺ.

قال الجنيد بن محمد: «الطرق إلى الله ﷻ كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كثيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].^(٤)

(١) «مدارج السالكين» (٢٢/٣).

(٢) المرجع السابق (٣٧/٣).

(٣) انظر «دراسات تربوية في الأحاديث النبوية» لمحمد لقمان الأعظمي (ص ٢٨، ٢٩).

(٤) «الحلية» لأبي نعيم (١٠/٢٥٧)، و«تلييس إبليس» لابن الجوزي (ص ١٩).

اللهم إنا نسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا.

اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك.

الخطبة الأولى: من معجزات النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الله ﷻ أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات؛ ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، فأعطى الله ﷻ كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به، لم يعطها غيره، تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، وأهل زمانه.

فالغالب على زمان موسى عليه السلام السحر، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار.

والغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب، فجاءهم من الآيات البينات بما لا قبل لهم به، ولا سبيل لأحد عليه، وهو شفاء الأمراض المستعصية:

كالأكمة، والأبرص، بل وإحياء الموتى بإذن الله.

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد بعث في زمان الفصحاء والبلغاء، وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله تعالى فتحداهم ودعاهم أن يعارضوه، ويأتوا بمثله، وليستعينوا بمن شاءوا، وهيهات!

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) [الإسراء: ٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَفَقَلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤) [الطور: ٣٣، ٣٤].

-أيها الناس-، لقد كان ادعاء هؤلاء الفصحاء أن القرآن محض افتراء، فتحداهم الله أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، فتقاصر معهم إلى عشر سور منه، ثم أعاد التحدي إلى سورة واحدة، فعجزوا أن يأتوا بآية واحدة!

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَّادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) [هود: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَّادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) [يونس: ٣٨].

وكما أعاد الله تعالى التحدي في سورة يونس وهي مكية أعاد التحدي في سورة البقرة وهي مدنية، وأخبر تعالى أن عجزهم عن الإتيان بسورة مثله مستمر إلى يوم القيامة، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَّادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ

اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «بين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدا كما قال تعالى: «إِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا» أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحد ثان، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا في الحال، ولا في المآل، ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته، ولا الإتيان بمثله، ولو كان من تقول من عند نفسه، لخاف أن يعارض فيفتضح، ويعود عليه نقيض ما قصد من متابعة الناس له.

ومعلوم لكل ذي لب أن محمدا صلوات الله عليه وآله وسلم من أعقل خلق الله، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق في نفس الأمر، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته، وهكذا وقع؛ فإنه من لدن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم، وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره، ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدا؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه: لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فأنى يشبهه كلام المخلوقين كلام الخالق؟! ^(١).

أيها الناس، إن المعجزات لنبينا صلوات الله عليه وآله وسلم كثيرة، لكن أجلها وأعظمها القرآن الكريم، وفيه الكفاية لمن أراد الله له الهداية إلى الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا

(١) «البداية والنهاية» (٦/٦٥، ٦٦).

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
[العنكبوت: ٥١].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

والمعنى: أن المعجزات التي أوتيتها الأنبياء قد انتهت بانتهاء وقتها، أما معجزة القرآن فباقية مستمرة إلى يوم القيامة.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن سياقه والتتام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب أهل البلاغة من العرب نظما ونثرا، حتى حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار عما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي، وبعضها بعده.

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٨٧)، ومسلم (١٥٢).

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها، وعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه: كتمني اليهود الموت، ومنها الروعة التي تحصل لسامعيه، وفيها أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه، ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة. ومنها أنه آية باقية ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها^(١).

أيها الناس، ومن معجزات النبي ﷺ معجزة الإسراء والمعراج، والحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ذو شجون، بل يحتاج إلى خطبة كاملة، ولكن شهرتها تغني عن سردها، فهي صحيحة، رواها الإمام مسلم^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه)، فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت، اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء - وفيه - ثم هب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال - قال: - فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلى ما أوحى».

-أيها الناس-، هذه معجزة الإسراء والمعراج التي أيد الله بها نبينا محمدا ﷺ، اضطررت لاختصارها لشهرتها؛ ولأن في سردها ما تحتاج إلى خطبة كاملة.

(١) انظر «فتح الباري» (٨/٦٢٣، ٦٢٤)، وقد لخص الحافظ ذلك من كلام عياض وغيره.

(٢) رواه مسلم (١٦٢).

ومن معجزات النبي ﷺ رفع بيت المقدس؛ حتى يراه وهو بمكة:

ففي صحيح مسلم ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي (أي عن الإسراء والمعراج) فسألتنني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها؛ فكربت كربة ما كربت مثلها قط - قال: - فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به».

ومن معجزات النبي ﷺ انشقاق القمر:

ففي الصحيحين ^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما». وقد ذكر الله ﻻ ﻳﺤﻴﻞ ﻻﻟﻠﻪ هذه المعجزة في كتابه العزيز فقال ﻻ ﻳﺤﻴﻞ ﻻﻟﻠﻪ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ۗ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۗ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ ۗ﴾ [القمر: ١، ٤]

-أيها الناس-، إنه مع عظم هذه المعجزة، فإن أهل مكة استمروا على كفرهم وإعراضهم، وقالوا: سحرنا محمد، لكن العقلاء منهم قالوا: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين، فأخبرهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك.

ومن معجزات النبي ﷺ تكثيره الماء، ونبعه من بين أمابعه الشريفة

(١) رواه مسلم (١٧٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بين يديه ركوة (أي: إناء صغير من جلد يشرب منه الماء) فتوضأ، فجهش الناس نحوه (أي: فزعوا إليه من شدة العطش) فقال: «ما لكم؟!» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ، ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمسة عشرة مائة».

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه تكثيره الطعام والشراب:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خصما (أي: جوعا)، فانكفأت (أي: رجعت) إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خصما شديدا. فأخرجت لي جرابا في صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن (أي: آفة البيت) فذبحتها وطحنت (أي: الشعير) ففرغت إلى فراغي، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله، فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن معه. قال: فجئت فساررته، فقلت: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك. فصاح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وقال: «يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع لكم سورا (أي: ضيافة) فحيهلا بكم».

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجنتكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقدم الناس (أي: يتقدمهم)، حتى جئت امرأتي فقالت:

(١)

(٢)

بك وبك (قال أهل العلم: أي ذمته ودعت عليه، ومعناه: بك تلحق الفضيحة، ويتعلق
الذم. وقيل: معناه: جرى هذا برأيك، وسوء نظرك؛ إذ كيف تدعو أهل الخندق كلهم
إلى صاع من شعير وبهيمة* وهي الصغيرة من أولاد الضأن-؟!).

فقلت: قد فعلت الذي قلت لي (أي: أنه أخبر النبي ﷺ بما عند من طعام، وهو
أعلم بالمصحلة). فأخرجت له عجيتنا، فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق
فيها وبارك، ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها»
(أي: اغرفي من الطعام وهو في مكانه) وهم ألف، فأقسم بالله، لأكلوا حتى تركوه
وانحرفوا (أي شبعوا وانصرفوا)، وإن برمتنا لتغط كما هي (أي: تغلي ويسمع غليانها)
وإن عجيتنا -أو كما قال الضحاك- لتخبز كما هو! (يعني: العجين).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: من معجزات النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه
أجمعين، والتابعين لهم بإحسان على يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق بيان شيء من معجزات نبينا ﷺ، وفيما يأتي ذكر
بعضها.

فمن ذلك تسليم الحجر عليه ﷺ

ففي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»^(١).

قال الإمام النووي رحمته الله معلقا على هذا الحديث: «فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجاره: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام بحضرته صلى الله عليه وسلم

ففي (صحيح البخاري)^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نعد الآيات بكرة، وأنتم تعدونها تحويفا، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله». فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل».

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إخباره بأمر وقع بعيدا عنه وقت وقوعها:

ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً».

(١) رواه مسلم (٢٢٧٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٦/١٥، ٣٧).

(٣) رواه البخاري (٣٥٧٩).

(٤) رواه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نعى زيدا، وجعفرًا، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب -أي قتل وذلك يوم مؤتة-، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب -وعينه تذر فان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، ح تى فتح الله عليهم».

ومن معجزاته ﷺ إخباره عن أمور لم تكن حدثت، فحدثت بعد ذلك:

فأخبر ﷺ أن كسرى سيهلك، ولن يكون هناك كسرى بعده، وكذلك قيصر، فوقع الأمر كما أخبر ﷺ.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع إليه:

ففي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة -أو نخلة-، فقالت امرأة من الأنصار -أو رجل-: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شئتم». فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه،

(١) رواه البخاري (٤٢٦٢).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٩).

(٣) رواه البخاري (٣٥٨٤).

تتن أنين الصبي الذي يسكن. قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها».

-أيها الناس-، لا شك أن معجزات النبي ﷺ أكثر من أن تتضمنها خطبة، بل أكبر من أن تتضمنها كتاب، ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بكتب دلائل النبوة، وخاصة كتاب «دلائل النبوة» لمحدث اليمن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ، فهو كتاب مفيد في بابه.

-أيها الناس-، إن شأن المؤمن أمام هذه المعجزات أنه يزداد إيمانا مع إيمانه، ولا يسعه إلا التصديق، وإذا ازداد المؤمن معرفة بالمعجزات، فإنما يكون ذلك طلبا لزيادة الطمأنينة لقلبه، كما قال الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتَّؤْمِنٌ ط قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي الْمَوْتَىٰ [البقرة: ٢٦٠]

-أيها الناس-، إنه متى عرف المؤمن شيئا من الآيات البيّنات، والمعجزات الباهرات، ازداد إيمانا إلى إيمانه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤]

وذكر الله حال الكفار حيال المعجزات، فقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ [الحجر: ١٤]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأعراف: ١٣٢]

اللهم زدنا معرفة بمعجزات نبيك عليه الصلاة والسلام، وزدنا بها طمأنينة لقلوبنا،
وإيماننا إلى إيماننا، يا رب العالمين.

الخطبة الأولى: خصائص النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن خصائص النبي ﷺ، والخصائص -أيها الناس- هي ما اختص الله ﷻ نبيه به، وفضله به على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك سائر البشر.

ومعرفتها تجعلنا نزداد إيمان ومحبة وتبجيلاً لنبينا ﷺ.

ومما اختص به نبينا ﷺ من خصائص في الدنيا:

أن الله ﷻ أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين ليؤمنن به، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أمهم.

فقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

وفي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «المشكاة»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب، أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه للنبي صلى الله عليه وسلم فغضب، فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني» ومعنى متهوكون: أي متحIRON.

ومن خصائصه أن رسالته رسالة عامة:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشافعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

ومن خصائصه أن الله ﷻ ختم به النبوة:

(١) رواه الإمام أحمد (٣/٣٨٧)، وحسن الألباني لشواهدة في «الإرواء» (١٥٨٩)، وانظر «المشكاة» (١/٦٣).

(٢) رواه البخاري - واللفظ له - انظر «الفتح» (١/٥٥٣)، ومسلم (٥٢١).

قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

ومن خصائصه أن الله ﷻ أرسله رحمة للعالمين:

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴾

قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]: «لجميع الخلق: للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، وللكافر بتأخير العذاب»^(٢).

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادعل على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعانا، وإ، ما بعثت رحمة».

ومن خصائصه أن الله ﷻ أقسم بحياته:

ولم يقسم بحياة أحد من البشر غيره، وهذا يدل على شرف حياته عند المقسم بها،

قال الله ﷻ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

(١) رواه مسلم (٥٢٣).

(٢) انظر «الشفاء» للقاضي عياض (١/٥٧).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى خاطبه بالنبوة والرسالة زيادة في التشريف دون سائر الأنبياء والمرسلين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن منادته باسمه: بل يخاطبونه: يا رسول الله، يا نبي الله:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أوتي جوامع الكلم، واختتم له الحديث اختتاماً، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن مفاتيح خزائن الأرض بيده، وهي ما سهل الله سبحانه وتعالى له ولأمته من بعده:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عقبه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً، فصلى على أهل أحد صلته على الميت، ثم اصنصرف على المنبر، فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

عليكم، وإني -والله- لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني -والله- ما أخفا عليكم أن تركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١]

قال ابن كثير رحمته الله: «هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره: غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وهذا فيه تشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم» (١).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن معجزة كل نبي تصرمت وانقرضت، ومعجزاته محفوظة بحفظ الله:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ٩].

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم معجزة الإسراء والمعراج:

فقد أسري به صلى الله عليه وسلم ببدنه وروحه يقظة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس - في جنح الليل، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى، ثم إلى حيث شاء الله سبحان الله، ورجع مكة من ليلته.

قال الله سبحان الله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]

-أيها الناس-، تلك بعض خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا.

وقد اختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصائص في الآخرة، ولم يعطاها غيره من الأنبياء عليهم السلام:

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٨).

مما يدل على منزلته وعظيم قدره عند ربه ﷺ، ومن ذلك الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، والحوض، والكوثر، واللواء، وغير ذلك.

فمن خصائصه ﷺ **في الآخرة:**

أن الله ﷻ يعطيه الوسيلة والفضيلة، وهي أعلى درجة في الجنة، لا ينلها إلا عبد واحد من عباد الله، وهو رسولنا ﷺ.

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت عليه شفاعتي يوم القيامة».

ومن خصائصه ﷺ **في الآخرة المقام المحمود:**

ومن ذلك المقام المحمود -أيها الناس- الذي يقومه ﷺ فيحمده الخالق ﷻ والخلائق من بعده.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ فَتَهَجَدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧١)

[الإسراء: ٧٩]

والمراد بالمقام المحمود -أيها الناس-: هو الشفاعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المقام المحمود: مقام الشفاعة»^(٢)

قال ابن بطلان رحمته الله: «والجمهور على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وبالغ الواحد فنقل فيه الإجماع»^(١).

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) رواه ابن جرير انظر «التفسير» (٩٧/١٥)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥٨/٣).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في الآخرة أن الله سبحان الله أعطاه دعوة مستجابة:

فجعلها للمذنبين من أمته لكونهم أحوج إليها من الطائعين، وهذا من كمال شفقتة على أمته، ورأفته بهم.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً».

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: خصائص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، قادم الحديث حول ما اختص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

والآن حديثي معكم حول ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون أمته، وقد شاركه في بعضها إخوانه الأنبياء.

فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته الوصال في الصيام:

(١) «فتح الباري» (١١ / ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لست كأحد منكم؛ إني أطعم وأسقى».

قال النووي: «قال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرمت على الأمة»^(٢).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته الزواج من غير ولي ولا شهود:

لقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمته في هذين الحكمين، فأباح الله تعالى له الزواج بغير ولي ولا شهود تشريفاً وتكريماً لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم.

قال العلماء: «إنما اعتبر الولي في نكاح الأمة للمحافظة على الكفاءة، وهو صلى الله عليه وسلم فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود لأمن الجحود، وهو صلى الله عليه وسلم لا يجحد»^(٣).

وبرهان هذا الحكم في حقه ما جاء في «صحيح البخاري»^(٤) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات».

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته الجمع بين أكثر من أربعة نسوة:

قال الشافعي رحمته الله: «دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة».

(١) رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٢).

(٢) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/٢١٢).

(٣) انظر «موسوعة نضرة النعيم» (١/٥٠٨).

(٤) رواه البخاري (٧٤٢٠).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء»^(١).

ومن خصائمه أن أزواجه أمهات المؤمنين إكراما وإجلالا لعبدته ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

قال الله سبحان الله: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]

ومن خصائمه دون أمته أن رؤيته في المنام حق: صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

فمن رآه في المنام كان كمن رآه في اليقظة.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه: «من

رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي».

قال العلماء: إن هذه الرؤيا مشروطة بأن يراه الرائي على صورته التي كان عليها في

الحياة الدنيا، والتي جاءت مفصلة في الأحاديث.

قال الحافظ ابن كثير: «واتفق على أن من نقل عنه حديثا في المنام أنه لا يعمل به لعدم

الضبط في رواية الرائي؛ فإن المنام محل تضعف فيه الروح وضبطها»^(٣).

ومن خصائمه دون أمته أنه من استهان به، أو سبه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

وقد أجمعت الأمة على قتل منتقمه وسابه:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا ﴿٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(١) انظر (تفسير ابن كثير) (١/ ٤٦٠).

(٢) رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٣) انظر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (٢٩٨، ٢٩٩).

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]

فكل من استهان برسول الله ﷺ، أو سبه، أو عابه، أو أحق به نقصا في نفسه، أو له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له فإنه يقتل كفرا^(١).

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعمى كانت له أم ولد، تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول (وهو سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه) فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس، فقال: «أنشد الله رجلا فعل ما فعل، لي عليه حق إلا قام» فقام الأعمى يتخطى الناس، وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة، جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول، فوضعت في بطنها، واتكأت ع ليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر».

وقد أجمعت الأمة -أيها الناس- على قتل من ﷻ النبي ﷺ أو انتقصه بأي وجه من الوجوه:

- (١) انظر «نصرة النعيم» (١/٥١٢). وهذا الكتاب استفدت منه في هذه الخطبة، وأنصح باقتنائه فهو كتاب مفيد للخطيب والواعظ، بل من أحسن ما ألف في هذا الباب.
- (٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٢٦١)، وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (٣٦٦٦).

قال ابن المنذر رحمته الله: «أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقتل»^(١)

وقال محمد بن سحنون رحمته الله: «أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنتقص له كافر، والعيد جار عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأمة القتل»^(٢).

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا.

اللهم إنا نسألك كل خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك.

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/٤٧٤).

(٢) المرجع السابق (٢/٤٧٦).

الخطبة الأولى: حب النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، - أيها الناس -، إن الله ﷻ وهب نبينا محمداً ﷺ من الخصال الحميدة، والصفات العلية، والأخلاق المرضية مما كان داعياً لكل مسلم أن يجله ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه، فحقه علينا محبته، وطاعته واتباعه، وتوقيره واحترامه من غير غلو ولا تفريط.

فحب النبي ﷺ من الإيمان:

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث عبد الله بن هاشم رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: «فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي». فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الآن يا عمر».

يقول العلامة العيني رحمته الله في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الآن يا عمر»: «أي: الآن كمل إيمانك»^(٢).

-أيها الناس-، إنه يجب أن تكون محبتنا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فوق محبة الوالد والولد، بل فوق محبة الأهل، والمال، والناس أجمعين.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فو الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من أهله، وماله، والناس أجمعين».

(١) رواه البخاري (٣٦٩٤).

(٢) «عمدة القارئ» (١٦٩/٢٣).

(٣) رواه البخاري (١٤).

(٤) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩).

- أيها الناس-، إنه ليلبغ التشريف لمن قصد المحبة مبلغه كما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رأني بأهله وماله».

ألا يا محب المصطفى زد صبابة ❀❀❀ وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

ولا تعبأن بالمبطلين؛ فإنها ❀❀❀ علامة حب الله حب حبيبه

- أيها الناس-، إن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست دعوى باللسان، ولا هيأما بالوجدان، وليست ترانيم تغنى، ولا قصائد تنشد.

فمحبتة صلى الله عليه وسلم تكون في اتباعه، والسير على هداه، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه هي المحبة الحقيقية:

وإلى ذلك أرشدنا الله سبحانه وتعالى فقال سبحانه وتعالى لنبينأ أن يوجه الخطاب إلى أمتة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١]

- أيها الناس-، لا يختلف اثنان في أن المحب لمن يحب مطيع، فكذلك من أحب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يحرص على اتباعه، ويسارع إلى تنفيذ أوامره، ويبادر إلى اجتناب نواهيه، فالعمل طوع المحبة الصادقة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ ﴿[آل عمران: ٣١] .

وقد قسم العلامة ابن القيم المحبين إلى أقسام ثلاثة:

(١) البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٨٣٢)، واللفظ له.

كما في كتابه «روضة المحبين»^(١): منهم من يريد من المحبوب، ومنهم من يريد المحبوب، ومنهم من يريد مراد المحبوب مع إرادته للمحسوب، وهذا أعلى أقسام المحبين.

تعصي الإله، وأنت تظهر حبه ❀❀❀ ذاك لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ❀❀❀ إن المحب لمن أحب مطيع

-أيها الناس-، كم من مواقف رائعة للصحابة البررة المحبين الصادقين لنبيهم صلى الله عليه وسلم، تؤكد أنهم فهموا الحب الحقيقي في طاعة نبيهم في كل ما أمر، والانتفاء عما نهى عنه وزجر، وبذلك كمل إيمانهم.

-أيها الناس-، أذكر بعضاً من امثال المحابة صلى الله عليه وسلم لأوامره صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه:

روى البخاري في «صحيحه»^(٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]

فوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثم خرج، فمر على قوم من الأنصار، فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قد وجه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر».

(١) روضة المحبين (ص ٢٧٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٢٥٢).

الله أكبر، ما أسرع تأسيهم بالحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم! إنهم لم ينتظروا حتى ترفع رءوسهم من الركوع، بل بادروا بالتوجه إلى حيث توجه نبيهم وهم ركوع!.

ومن مبادرة الصحابة إلى طاعة الحبيب صلى الله عليه وسلم

ما روى البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة رضي الله عنه وكان خمرهم يومئذ الضيخ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها. فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة».

وفي هذا يقول الحافظ ابن جدر كما في «الفتح»^(٢): «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراققتها، حتى جرت في الأزقة من كثرتها».

-أيها الناس-، إن الحب الصادق يولد الاستسلام المطلق، والانقياد الكامل، فالصحابه رضوان الله عليهم لم يحتجوا لعصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعادة والتعود، كما يفعله كثير من مسلمي زماننا، بل إنهم لم يراجعوا نبيهم بعد خبر الرجل، إن هؤلاء الصادقين في حبههم لينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

ومن الأدلة الدالة على حبهم لنبيهم أنهم لم يقفوا عند امثال أمره، واجتنبوا نواهيه:

(١) رواه البخاري (٢٤٦٤).

(٢) «فتح الباري» (٣٩/١٠).

بل كانوا يتابعون أفعاله، ويلاحظون تصرفاته بحب وتقدير وشوق حرصا على الاقتداء به، فإذا وجدوه يفعل شيئا سارعا إلى فعله، وإذا رأوه ترك شيئا بادروا إلى الابتعاد عنه.

ومن الشواهد الرائعة الدالة على ذلك:

ما رواه الإمام أبو داود^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعها عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما حملكم على إلقاء نعالكم؟!» قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن جبريل عليه السلام أتاني، فأخبرني أن فيها قدرا».

وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليُنظر، فإن رأى في نعليه قدرا أو أذى فليمسحه، وليصل فيهما».

كيف انطوت أيامهم، وهم الألى ❀❀ نشروا الهدى، وعلوا مكان هجروا الديار، فأين أزمع ركبهم ❀❀ من يهتدي للقوم، أو من يقتدي؟ يا قلب، حسبك لن تلم بطيفهم ❀❀ إلى على مصباح وجه محمد

أيها الناس، إنه كما عرف المحابة الحب العاق، كان هذا الحب أيضا من المؤمنات العادقات:

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٦٠٥).

ومن الشواهد الدالة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود^(١) عن عبد الله بعمرو رضي الله عنه قال: «إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال: «أعطين زكاة هذا؟». قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» قال: فخلعتها فألقتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله».

ومن ذلك التصاق النساء بالجدار تنفيذا لأمره صلى الله عليه وسلم لهن بالمشي في حافات الطريق.

فقد روى الإمام أبو داود^(٢) بسند حسن من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد، فاختلف رجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق (أي تركبن حقها: وهو وسطها)، عليكن بحافات الطريق».

فكانت المرأة تلتصق بلا جدار، حتى إن ثوبها يتعلق بالدار من لصوقها به».

-أيها الناس-، إن الناظر في سيرة الصحابيات ليتعلم أن المسارعة في امتثال أمر نبيهن كان هو السائد فيهن.

يا مدعي حب طه، لا تخالفه ❀❀ الخلف يحرم في دنيا المحبينا
أراك تأخذ شيئاً من شريعته ❀❀ وترك البعض تدوينا وتهوينا
خذها جميعاً تجد خيراً تفوز به ❀❀ أو فاطرحها، وخذ رجس الشياطينا

(١) «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٩٢).

-أيها الناس-، إن أهل المحبة الذي يعني الطاعة والانقياد والتسليم لا يشك مسلم في فرضيته:

كما قال ربنا ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: حكم الاحتفال بالمولد

الحمد لله الذي أتم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد، -أيها الناس-، لا شك أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما تكون بتعظيمه وطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيته.

وليس حبته محبته صلى الله عليه وآله وسلم بالبدي والخرافات والمعاصي، والاحتفال بذكر المولد من هذا القبيل المذموم، فهو معصية لله؛ لأن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال عروة بن مسعود القرشي كما في «صحيح البخاري»^(١): «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله، إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون إليه النظر تعظيما له».

ومع هذا العظيم وهذه المحبة ما جعلوا يوم مولده عيدا واحتفالا، ولو كان مشروعا ما تركوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي اقتضاء الصراط المستقيم عن المولد: «لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه».

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٣١).

وقال أيضا: «لو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف صلى الله عليه وسلم أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له، وهم على الخير أحرص».

وقال الفاكهاني في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد»: «لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، والمتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اتعنى بها الأكالون».

-أيها الناس-، القاعدة الشرعية هي رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله؛ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

والرد إلى الله: هو الرجوع إلى كتاب الله الكريم، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: هو الرجوع إلى سنته بعد وفاته، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع، فأين في الكتاب والسنة ما يدل على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي؟!!

وقد ثبت في «الصحيحين»^(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي: مردود عليه.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»^(٢) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، ونسنة

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، والترمذي (٢٦٧٦).

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة».

فبين لنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث بمن نقندي بهم عند الاختلاف، كما بين أن ما خالف السنة من الأقوال والأفعال بدعة، وكل بدعة ضلالة.

-أيها الناس-، إن إحداث هذه الموالد يفهم منه أن الله تعالى لم يكمل الدين لهذه الأمة، وهذا خطر عظيم، فأين هذا من قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

بل ويفهم من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسالة، ولم يبلغ البلاغ المبين.

كيف ذلك والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك طريقا يوصل إلى الجنة، ويباعد عن النار إلا بينه للأمة كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رجلا من المشركين قال له: «قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء حتى الخراءة!» فقال: «أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل مثلثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم».

(١) رواه مسلم () .

(٢) رواه مسلم (٢٦٢) .

-أيها الناس-، لا شك أن العواطف هي التي حدت بأولئك الجهلة إلى أن يتدعوا ولا يتبعوا، ولكن كيف نجمع بين حب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مع مخالفة أمره في النهي عن الإحداث في الدين، والضدان لا يجتمعان؟!!

وقد جعل الله ميزان محبته ودليلها اتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فقال سبحان الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

اللهم إنا نسألك حب نبيك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والعمل الذي يبلغنا حبه من غير ابتداء، وأن تجعل حبه أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا.

الخطبة الأولى: النبي ﷺ كأنك تراه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صورته، فهم في غاية الكمال في خلقهم وخلقهم.

وكان نبينا ﷺ في قمة الكمال والجمال في خلقه وخلقته، فكان أجمل الناس، وأحسن الناس، لم يصفه واصف قط إلا شبهه بالقمر ليلة البدر.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في (مختصر الشمائل المحمدية) للترمذي^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان (أي: مضيئة مقمرة)، فجعلت أنظر إليه، وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي إسحاق قال: سئل البراء بن عازب: «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟» قال: «لا، بل مثل القمر».

قال الحافظ رحمته الله: «كأن السائل أراد أن مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء فقال: «بل مثل القمر» أي: في التدوير، ويحتمل أ، يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال، فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين في التدوير واللمعان»^(٣).

-أيها الناس-، إن شاء الله أصف لكم الحبيب صلى الله عليه وسلم وكأنه مائل أمامكم، وكأنكم ترونه.

-أيها الناس-، فمن ناحية لون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أزهر اللون: وهو الأبيض المستنير الناصع البياض.

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٨١٢)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص ٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/٦٦٢).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربعة من القوم: ليس بالطويل، ولا بالقصير، أزهر اللون: ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عن الجريري عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما على وجه الأرض رجل رآه غيري» قال: فقلت له: «فكيف رأيتَه؟». قال: «كان أبيض مليحا مقصدا».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض مشوبا بياضه بحمرة».

وأخرج الترمذي في كتابه «الشمال المحمدية» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض، صيغ من فضة».

ومما جاء في وصف وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أحسن الناس وجها، فكان وجهه كالقمر والشمس مستديرا، عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العينين حمرة، أشكل العين، أسود الحدقة أدعج، أكحل العينين، دقيق الحاجبين ساهما، أزج، أقرن

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) مسلم (٢٣٤٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٣٨)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٤٩٧).

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمال» (ص ٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٩٥).

أبلج، وساع الجيين، أغر، أجلى، كأنه يتلألاً، وكأن العرق في وجهه كاللؤلؤ، وكان أسيل الخدين سهلها، أقى الأنف - والقنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه - ضليح الفم، حسن الثغر، براق الثنايا، إذا حضك كاد يتلألاً.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير».

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، صححه أحمد شاکر في «ترتيب المسند»^(٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرباً بحمرة». ومعنى أهدب الأشفار أي: شعر أشفار عينيه كثير مستطيل.

والأشفار: جمع شفر - بالضم ويفتح -، والشفر: طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر، وهو الهدب.

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضليح الفم، أشكل العين، منهوس العقبين». قال: قلت لسماك: «ما ضليح الفم؟». قال: «عظيم الفم». قلت: «ما أشكل العين؟». قال: (طويل شق العين). قال: قلت: «ما منهوس العقب؟». قال: «قليل لحم العقب».

ومما جاء في وصف رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفة لحيته:

- (١) أخرجه أبو داود (١٩٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٧٥٨).
- (٢) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).
- (٣) رواه أحمد في «مسنده» (٨٩/١)، وقال عنه أحمد شاکر: إسنده صحيح، انظر «ترتيب المسند» (٨١، ٨٠/٢).

أنه كان كما أخبر واصفوه عظيم الرأس، ذا لحية عظيمة حسنة، كثير الشعر سوداء، كادت تملأ نحره، إذا تكلم في نفسه عرف ذلك من خلفه باضطرابها لعظمتها.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية»^(١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطويل، ولا بالقصير، شن الكفين والقدمين (أي: غليظ الأصابع والراحة)، ضخم الرأس، ضخم الكراديس (أي: رءوس العظام)، طويل المسربة (أي أنه طويل الشعر الذي يبدأ من الصدر، وينتهي بالسرة)، إذا مشى تكفأً تكفؤاً، كأنها ينحط من صلب، لم أر قبله -ولا بعده- مثله صلى الله عليه وآله وسلم».

ومعنى قوله: «إذا مشى تكفأً» أي: يتمايل إلى قدام، وقيل: أن يرفع القدم من الأرض، ثم يضعها، ولا يمسح قدمه على الأرض كمشي المتبختر. ومعنى قوله: «كأنها ينحط من صلب» أي يرفع رجله من قوة وجلادة، ولا أشبه أن يتكفأً بمعنى صب الشيء دفعة، قاله المباركفوري رحمته الله^(٢).

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير شعر اللحية».

(١) رواه مسلم (٢٣٣٩).

(٢) «تحفة الأحوذى» للمباركفوري (٤٤٣/٥).

(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي معمر قال: قلت لخباب بن الأرت: «أكان النبي ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟» قال: «نعم». قال: قلت: «بأي شيء كنتم تعلمون قراءته؟». قال: «باضطراب لحيته».

ومما جاء في صفة شعر رسول الله ﷺ أنه كان:

رَجَلُ الشعر حسنه، فلم يكن شعره شديد الجعودة، ولا شديد السبوطه، بل بين ذلك، شديد السواد، يبلغ إلى أنصاف أذنيه، وتارة شحمة أذنه، وتارة بين أذنيه وعاتقه، وتارة يضرب منكبيه، وكان أول أمره قد سدل ناصيته بين عينيه، ثم فرقه بعد ذلك، فجعله فرقتين، وكان ربهما جعله غدائر أربعة -أي: صفائر- يخرج الأذن اليميني من بين غديرتين يكتنفانها، ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، وتخرج الأذنان بياضهما من بين تلك الغدائر، كأنها توقد الكواكب الدرية من سواد شعره^(٢).

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ رَجَلُ الشعر: ليس بالسبط، ولا بالجعد القطط».

ومعنى رَجَلُ الشعر: أي الذي ليس شديد الجعودة، ولا شديد السبوطه، بل بينهما.

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه».

(١) رواه البخاري (٧٦١).

(٢) انظر «نصرة النعيم» (١/٤٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٤) رواه مسلم (٢٣٣٨).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه (أي: إلى معلق القرط منها) عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم».

وفي لفظ البخاري: «له شعر يبلغ شحمة أذنيه إلى منكبيه».

وفي «الصحيحين»^(٢) أيضا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قل: «ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، شعره يضرب منكبيه». ولفظ البخاري: «إن جمته لتضرب قريبا من منكبيه».

واللثة: هي الشعر الذي ألم بالمنكبين (أي: قاربهما)، قاله ابن الأثير^(٣).

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم (أي: إرساله على الجبين، واتخاذها كالقصة)، وكان المشركون يفرقون رءوسهم (أي: يجعلونه فرقتين من وسطه)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته (والناصية: هي شعر مقدم الرأس)، ثم فرق بعد».

(١) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٥٩٠١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/٢٣٣).

(٤) رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

وأخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع
المحمدية»^(١) من حديث أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قال: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
(أي: يوم فتح مكة)، وله أربع غدائر وفي رواية: صفائر».

وفي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع
المحمدية»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أغتسل أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء
واحد، وكان له شعر فوق الوفرة، ودون الجمرة».

ومما جاء في وصف منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين.

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعيد ما بين المنكبين».

**ومما جاء في وصف فراعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان شبح الذراعين أي طويلهما، وقيل:
عريضهما.**

ففي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان شبح الذراعين».

**ومما جاء في وصف كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان فخم اليدي، وبسط الكفين، والبسط:
هو الزيادة في السعة:**

-
- (١) رواه أبو داود في «سننه» (٤١٩١)، وصححه الألباني في «مختصر الشرائع المحمدية» (ص ٣٥).
(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٧٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشرائع المحمدية»
(ص ٣٥).
(٣) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٤) رواه الإمام أحمد (٢/٢٨٨).

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين والقدمين، حسن الوجه، لم أر بعده ولا قبله، مثله وكان بسط الكفين».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ (أي: في الصفاء الوياض)، إذا مشي تكفأ، ولا مست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومما جاء في وصف الساقين والقدمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دقيق الساقين، وكان في ساقيه حموشة (أي: دقة)، وكان فخم القدمين، قليل لحم العقبيين:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهوب الأبطح في قبة، وكان بالهاجرة -وفيه- وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى وبيص ساقيه». قال ابن الأثير رحمته الله: (الوبيص: البريق).

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند صحيح^(٤) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تبيها، وكان في ساقيه حموشة».

وفي «صحيح البخاري»^(٥) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم المقدمين».

(١) رواه البخاري (٥٩٠٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم (٥٠٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٤٥).

(٥) رواه البخاري (٥٩٠٧).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهوس العقبين»: أي قليل لحم العقبين، والعقب: هو مؤخر القدم. وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: بعض صفة النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الحديث عن صفة الحبيب صلى الله عليه وسلم ذو شجون، وقد سبق بيان بعض تلك الصفات، وفيما يأتي ذكر بعضها ليكتمل العقد إن شاء الله.

ومما جاء في وصف شيب رسولا الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في رأسه ولحيته قليل من الشيب، وكان أكثر شيب رأسه في فودي رأسه -والفودان: حرفا الفرق-، وأكثر شيب لحيته في عنفته فوق الذقن -والعنفة: الشعيرات التي بين الشفة السفلى والذقن. وكان شيبه كأنه خيوط الفضة، يتلأأ بين ظهري سواد الشعر الذي معه.

وإذا مس ذلك الشيب الصفرة - وكثيرا ما يفعل ذلك، صار كأنه خيوط الذهب، يتلأأ بين ظهري سواد الشعر.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء». قال ربيعة: «فرايت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر، فسألت، فقيل: من الطيب».

(١) رواه مسلم (٢٣٣٩).

وفي «الصحيحين»^(٢) عن محمد بن سيرين قال: سألت أنس بن مالك: أخضب رسول الله ﷺ - (أي: استعمل الخضاب: وهو ما يختضب به من حناء، وكتم، ونحوه). قال: «إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً».

في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ قد شمت (أي: ابتداء الشيب فيه) مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا ادهن ومشط لم يتبين، وإذا شعث رأسه تبين».

والشعث: هو بعد أن بعد العهد بالغسل، وتسريح الشعر، قاله ابن الأثير.

ومما جاء في وصف خاتم النبوة:

أنه كان على كتفه اليسرى مثل بيضة الحمامة، وهي بيضتها المعروفة.

ففي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في ناس من أصحابه، فدرت من خلفه، فعرف الذي أريد، فألقى الرداء عن ظهره، فرأيت موضع الخاتم على كتفيه مثل الجمع (أي: مثل جمع الكف: وهو هيئته بعد جمع الأصابع). كأنها ثاليل، فرجعت حتى استقبلته، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله. فقال: «ولك».

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

(٤) رواه مسلم (٢٣٤٦).

فقال القوم: أستغفر لك رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، ولكم. ثم تلا هذه الآية:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كان وجه رسول الله ﷺ مثل الشمس والقمر مستديرا، ورأس الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع»^(٢) من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا زيد، ادن مني؛ فامسح ظهري». فمسحت ظهره، فوقعت أصابعي على الخاتم، قلت: وما الخاتم؟ قال: «شعرات مجتمعات».

ومما جاء في لباس رسول الله ﷺ

أنه كان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب البياض.

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع» للترمذي^(٣) م حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ يلبسه القميص».

(١) رواه مسلم (٢٣٤٤).

(٢) رواه أحمد في «مسند» (٧٧ / ٥)، و صححه الألباني في «مختصر الشرائع» (ص ٣١).

(٣) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، و صححه الألباني في «مختصر الشرائع» (ص ٤٦).

وأخرج أبو داود -أيضا- بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم بالبياض من الثياب، ليلبسها؛ ياؤكم، وكفنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم».

ومما جاء في وصف عمامته صلى الله عليه وآله وسلم.

أنه كان يلبس العمامة، يسدها بين كتفيه، ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صحح الألبان في «مختصر الشمائل»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه».

ومما جاء في وصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أن له قبلان، والقبلان: السير الذي فيه الشسع، الذي يكون بين إصبعي الرجل. ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما قبلان».

-أيها الناس-، تلك صفة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان لها أثرها العظيم في الدعوة والاستجابة لها، فكم من رجل دخل الإسلام بمجرد رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدة نور وجهه، فهذا عبد الله بن سلام حبر اليهود وأعلمهم قبل إسلامه يقول كما عند الترمذي بسند

(١) رواه أبو داود (٤٠٦١)، وصححه الألبان في «مختصر الشمائل» (ص ٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٧٣٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص ٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٨٤٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص ٥٣).

حسن صحيح^(١): «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه (ومعنى انجفل: أي أسرع)، وقيل: قدم رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تأملت وجهه، واستثبته (أي تحققت)، عرفت أنه ليس بوجه كذاب».

هذا ونسأل الله أن يزعمها شكر نعمته، وأن يفقنا لأداء حقه، وحق نبيه ﷺ.

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٣٤)، والدارمي (١٤٦٠٨)، والحاكم (١٣/٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الخطبة الأولى: الصلاة على النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن من أعظم نعم الله على عباده أن بعث فيهم رسوله محمداً ﷺ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وللنبي ﷺ عليها حقوق كثيرة، منها الصلاة والسلام عليه ﷺ، فلا صلاة واسلام عليه من أجل العبادات، وأفضل الطاعات التي نتقرب بها إلى الله ﷻ.

وللعامة واسلام على رسول الله ﷺ ففائل كثيرة:

فمنها: أنها امثال لأمر الله ﷻ القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب: ٥٦]

ومنها: أن الله ﷻ يصلي على من صلى عليه: ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشرة».

وروى النسائي بإسناد صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢)، من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن رسول الله ﷺ قال: «من ذكرت عنده فليصل علي، ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرة».

وفي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عامر بن ربيعة **رضي الله عنه** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة، ما دام يصلي علي فليقل العبد من ذلك أون ليكثر».

ومنها: أن الصلاة والسلام عليه ترفع الدرجات، وتحط السيئات:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث أبي طلحة الأنصاري **رضي الله عنه** قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس، يرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيب النفس، يرى في وجهك البشر!. قال: «أجل، أتاني آت من عند ربي **ﷻ** فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة،

(١) رواه مسلم (٤٠٨).

(٢) رواه النسائي (ص ٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

(٣) «المسند» (٣/٤٤٥)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٤) «المسند» (٤/٢٩)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٧).

كت الله له بها عشر حسنات، ومحأ عنه عشر سئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه
مثله»

وروى الإمام أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه» واللفظ له بسند صحيح،
صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: «من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه
عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات».

ومنها: أن اهلاة والسلام عليه كفاية الهموم، ومغفرة الذنوب:

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، ÷ والترمذي في «سننه» بسند حسن صحيح كما قال
الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢): من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت:
يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت».
قال: قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك» قالت: النصف؟
قال: «ما شئت، فإن زدت خير لك». قال: قلت: ثلثين؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو
خير لك».

قال: أجعل لك صلاتي كلها. قال: «إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك».

قال المنذري رحمته الله قوله: «أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟» معناه: أكثر
الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك^(١).

(١) «المسند» (١٠٢/٣)، وانظر (صحيح الجامع) (٦٢٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣٦/٥)، والترمذي (٢٤٥٧)، وانظر (صحيح الترغيب والترهيب) (١٦٧٠).

ومنها: أن الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم سبب لنيل شفاعته:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

ومنها: أنها سبب لعرض اسم المهدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد أخرج الديلمي في «مسند الفردوس» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا الصلاة علي؛ فإن الله وكل بي ملكا عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد، إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة».

وروى البزار بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ملكا أعطاه سمع العباد، فليس من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها، وإني سألت ربي ألا يصلي علي عبد صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها».

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/٥٠١).

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) الديلمي في «مسند الفردوس» (١/٩٣)، وانظر (صحيح الجامع) (١٢١٨).

(٤) رواه البزار (٣٠٦)، «صحيح الجامع» (٢١٧٦).

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض، يبلغونني عن أمتي السلام».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طهارة من لغو المجلس:

ففي «مسند الإمام أحمد صحيح»^(٢)، صححه الألباني في «صحيح الجامع» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما قعد قوم مقعدا، لا يذكرون الله عز وجل، ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للشواب».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب في إجابة الدعاء:

فقد أخرج ابن مخلد في «المنتقى» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كل دعاء محجوب، حتى يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسو الله سبب لانتفاء البخل عن الشخص:

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن^(٤) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البخيل من ذكرت عنده، فلم يصل علي».

ومنها: أنها سبب للوقاية من النار:

ففي «صحيح ابن حبان» بسند صحيح لغيره^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر، فقال: «أمين، أمين». قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر

(١) «المسند» (٣٨٧/١)، وانظر «صحيح الجامع» (٢١٧٠).

(٢) «المسند» (٤٦٣/٢)، وانظر «صحيح الجامع» (٧٥٠٠).

(٣) رواه ابن مخلد في «المنتقى» (٧٦/١)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٢٩٩).

(٤) رواه الترمذي (١٤٥٦).

قلت: آمين، آمين، آمين؟. قال: «إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، ولم يغفر له، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يبرهما، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين ومن ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين».

-أيها الناس-، تلك بعض فضائل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لكن كيف نصلي عليه؟

-أيها الناس-، لكي تكون أعمالنا مقبولة عند الله؛ لا بد من تحقيق أمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر:
الأول: إخلاص العمل لله.

والثاني: أن يكون هذا العمل موافقا لما جاء به رسول الله ﷺ.

وها هو رسول الله ﷺ يعلمنا كيف نصلي عليه:

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟. فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد، وأزواجه، وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وأزواجه، وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(١) رواه ابن حبان (٢٣٨٦)، وحسن الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٩).

وفي «صحيح البخاري»^(١) -أيضا- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك، فكيف نصلي عليك؟. قال: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي. فقال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم. قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي مسعود قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم».

أستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٦٣٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).

(٣) رواه مسلم (٤/١٢٣) مع شرح النووي.

الخطبة الثانية: الصلاة على النبي ﷺ

الحمد لله حق حمده، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق الحديث عن فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، مع ذكر كيفية الصلاة عليه ﷺ كما شرع الله على لسان نبيه، لا ما أحدثه الناس من الصلوات التي ليس لها ذكر صحيح عن رسول الله ﷺ.

-أيها الناس-، حديثي معكم الآن حول مواطن تشرع فيها الصلاة على رسول الله ﷺ فمنها: في آخر التشهد:

قد أجمع المسلمو على مشروعيته، وهي واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم. لما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد رضي الله عنه: قد أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم».

وفي «مسند الإمام أحمد»^(٢) بسند حسن من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال

(١) بتقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد (٦/١٨).

النبي ﷺ: «عجل هذا». ثم دعاه، فقال له -أو لغيره-: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله، والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء».

ومن مواطن الصلاة عليه في صلاة الجنائز بعد التكبير الثانية:

فقد أخرج إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه «فضل الصلاة على النبي ﷺ»، وصححه الألباني في تعليقه على الكتاب^(١) عن سعيد بن المسيب أنه قال: «إن السنة في صلاة الجنائز أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي ﷺ، ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة، ثم يسلم في نفسه».

ومن مواطن الصلاة على رسول الله ﷺ بعد الأذان:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة، حلت له الشفاعة».

ومن مواطن الصلاة عليه عند الدعاء:

فقد أخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند صحيح^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر، وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء

(١) «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص ٧٩) بتحقيق الألباني.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) رواه الإمام الترمذي في «سننه» (٥٩٣)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال محقق

«جامع الأصول» (٤/١٥٦): حسن.

على الله تعالى، ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سل تعطه، سل تعطه».

ومن مواطن الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه:

فقد أخرج ابن خزيمة بسند صحيح^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: الله افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقل: اللهم، أجرني من الشيطان الرجيم».

ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره

فقد روى النسائي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ذكرت عنده فليصل علي؛ فإنه من صلى علي مرة، صلى الله عليه عشرة».

ومن مواطن الصلاة عليه عند طرفي النهار:

فقد أخرج الهثمي في «مجمع الزوائد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي حين يصبح وحين يمسي عشرة، أدركته شفاعتي يوم القيامة».

ومن مواطن الصلاة عليه يوم الجمعة وليلتها:

(١) أخرجه ابن خزيمة (٤٥٢).

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

(٣) «مجمع الزوائد» (١٠/١٢٠)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٣).

فقد أخرج أبو داود بسند صحيح، صحهه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفي قبض، وفي النفخة، وفيه الصعقة؛ فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي». قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك وقد أرمت (أي: بليت)؟! فقال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء».

وروى البيهقي في «سننه» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا الصلاة علي في يوم الجمعة؛ فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت عليه صلاته».

وروى الحاكم في «مستدرکه» بسند صحيح، صحهه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا الصلاة علي في يوم الجمعة؛ فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته».

-أيها الناس-، تلك جملة مواطن تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

وليست تلك المواطن هي التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقط، كلابل تشرع الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره وقد تقدم الدليل على ذلك وتشرع الصلاة عليه في كل زمان ومكان عدا الأماكن التي لا يشرع فيها ذكر الله: كالحمام.

(١) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٤).

(٢) رواه البيهقي (٢٤٩/٣)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢٢٠).

(٣) رواه الحاكم (٤٢١/٢)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٦).

فقد أخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسند حسن^(١) ٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإي صلاتكم معروضة، تبلغني حيث كنتم».

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الخطبة الأولى: أهمية الصلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، - أيها الناس -، حديثي معكم اليوم عن أهمية الصلاة، فهي أفضل الأعمال بعد الشهادتين، بل إنها حية القلوب، وبرهان على شكر المحسن والاعتراف بالجميل، وهي (أي الصلاة) واجبة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على كل مسلم بالغ عاقل.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

والأدلة من الكتاب والسنة في فرضية الصلاة كثيرة.

وقد نقل الإمام ابن قدامة في كتابه «المغني»^(٣) إجماع الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (٥٠/١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «المغني لابن قدامة (٦/٣).

وأما أهمية الصلاة -أيها الناس- فإن ذلك لا يكاد يحصر:

فمنها أن الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وإذا سقط العمود سقط ما بني عليه:

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»^(١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد».

ومما يدل على أهميتها أيها الناس أنها أول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فملاح عمله وفساده بملاح ملاته وفسادها:

فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر علمه، وإن فسدت فسد سائر عمله».

وفي رواية: «أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن صلحت فقد أفلح [وفي رواية: وأنجح]، وإن فسدت فقد خاب وخسر».

ومما يدل على أهميتها أنها آخر ما يفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتنقضن عرى

(١) «المسند» (٥/٢٣١)، و«سنن الترمذي» (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢/١٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/٤٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/٣٤٦).

(٣) «المسند» (٥/٢٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٢٩).

الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة».

-أيها الناس-، تلك بعض الأدلة التي تدل على أهمية الصلاة، وأما فضائلها فأكثر من أن تحصر:

فمن فضائلها أنها تغسل خطايا بني آدم:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا». والدرن: هو الوسخ.

قال الإمام ابن العربي رحمته الله: «وجه التمثيل أن المرء يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثوبه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب، حتى لا تبقي له ذنبا إلا أسقطته وكفرته، والله أعلم»^(٢).

ومن فضائلها أنها تكفر السيئات:

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنب الكبائر».

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٢) «حاشية صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٦٣).

(٣) رواه مسلم (٢٣٣).

ومن فضائلها أنها أفضل الأعمال بعد الشهادتين:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

قال: «حثني بهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو استزدته لزداني».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن أفضل الأعمال؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة». قال: ثم مه؟ قال: «ثم الصلاة». قال: ثم مه؟ قال: «ثم الصلاة». قال: ثم مه؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

ومن فضائلها أنها سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار:

(١) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧)

(٢) أخرجه أحمد في «مسند» (١٣٢/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١٣٠/١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٩).

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث حنظلة الكاتب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس: ركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وعلم أنهن، من عند الله دخل الجنة أو قال: وجبت له الجنة، أو قال: حرم على النار».

ومنها أنها سبب لرفع الدرجات:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث مطرف قال: قعدت إلى نفر من قريش، فجاء رجل، فجعل يصلي ويركع، ويسجد ولا يقعد، فقلت: والله، ما أرى هذا يدري ينصرف على شفع، أو على وتر؟. فقالوا: ألا تقوم فتقول له؟ قال: فقلت: يا عبد الله، ما أراك تدري تنصرف على شفع، أو على وتر!.

قال: ولكن الله يدري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «من سجد سجدة، كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له درجة». فقلت: من أنت؟ فقال: أبو ذر. فرجعت إلى أصحابي، فقلت: جزاكم الله من جلساء شر!، أمرتموني أن أعلم رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه!

وأخرج الإمام الترمذي بسن صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٣) من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨١).

(٢) رواه أحمد (٥/١٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٦).

يقول: «ما من عبد يسجد لله سجدة إلا كتب له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة؛ فاستكثروا من السجود».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: «كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاري، فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبت عنده، فلا أزال أسمع يقول: «سبحان الله، سبحان الله، سبحان ربي» حتى أمل، أو تغلبنى عيني فأنام، فقال يوماً: «يا ربيعة، سلني فأعطيك». فقلت: أنظرني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة، فقلت: يا رسول الله، أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «من أمرك بهذا؟». قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه؛ فأحببت أن تدعو الله لي قال: «إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود».

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء».

ومن فضائلها أنها سبب للنجاة من النار:

- (١) أخرجه أحمد (٤/ ٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٨).
- (٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١).

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يبعث مناد عند كل صلاة فيقول: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتمون على أنفسكم، فيقومون، فتسقط خطاياهم من أعينهم، ويصلون، فيغفر لهم ما بينهما، ثم توقدون فيما بين ذلك، فإذا كان عند الصلاة الأولى نادى: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون فيتطهرون، ويصلون الظهر، فيغفر لهم ما بينهما، فإذا حضرت العصر، فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك، فإذا حضرت العتمة فمثل ذلك، فينامون وقد غفر لهم، فمدلج في خير، ومدلج في شر».

-أيها الناس-، تلك بعض فضائل الصلاة، فحافظوا عليها؛ فإنها آخر وصية أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»^(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم». حتى جعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في صدره، وما يفيض بها لسانه. وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: حكم تارك الصلاة

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٩/٣) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٠/٦)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٣٨/٧).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن بعض أهمية الصلاة، ومع ذكر شيء من فضائلها، والآن حديثي معكم عن حكم تاركها.

-أيها الناس-، لا شك أن ترك الصلاة المفروضة كفر، فمن تركها جاحدا لوجوبها كفر كفرا أكبر بإجماع أهل العلم، ولو صلى^(١)، أما من ترك الصلاة بالكلية ومعتقد وجوبها ولا يجحدها فإنه يكفر، والصحيح من أقوال أهل العلم أن كفره أكبر، يخرج مشن الإسلام لأدلة منها:

أولا: الأدلة من الكتاب العزيز:

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٤٢) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فوجه الدلالة من الآين: أنه سبحانه أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحكمه، ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين، فقال: (يوم يكشف عن ساق) وأنهم يدعون إلى السجود لربهم تبارك وتعالى، فيحال بينهم وبينه، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا، وهذا يدل على أنهم مع الكفار

(١) انظر «تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بأركان الإسلام» لسماحة الشيخ ابن باز (ص ٧٣).

والمناققين، الذين تبقى ظهورهم - إذا سجد المسلمون - كميامن من البقر، ولو كانوا من المسلمين، لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين»^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا

﴿٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن القيم رحمه الله: «ووجه الدلالة أن الله سبحانه جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة، واتبع الشهوات، ولو كان من عصاة المسلمين، لكانوا في الطبقة العليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو أسفلها، فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفار»^(٢).

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١].

قال ابن القيم رحمه الله: «فلما كان الإسلام تصديق الخبر، والانتقاد للأمر، جعل سبحانه له ضدين: عدم التصديق، وعدم الصلاة، وقابل التصديق بالتكذيب، والصلاة بالتولي، فقال: (ولكن كذب وتولى) فكما أن المكذب كافر، فالتولي عن الصلاة كافر، فكما يزول الإسلام بالتكذيب، يزول بالتولي عن الصلاة»^(٣).

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١].

قال المروزي رحمه الله: «فبين أن علامة أن يكون من المشركين ترك الصلاة»^(٤).

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص ٥٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٧-٥٨).

(٣) المرجع السابق (ص ٥٨).

(٤) «الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٢/١٠٠٥، ١٠٠٦).

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

قال ابن القيم رحمه الله: «فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعدوا، لم يكونوا إخوة للمؤمنين، فلا يكونوا مؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الخجرات: ١٠]»^(١).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين الرجل، وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وأخرج الإمام النسائي، والترمذي، وابن ماجه^(٣) بسند صحيح، عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

وهذا الحديث -أيها الناس- وما قبله ظاهر الدلالة جدا على كفر تارك الصلاة.

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يسمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار».

ووجه الدلالة: أن عدم الأذان دليل على عدم الصلاة، وأن عدم الصلاة دليل على أن القرية مشركة بالله ﷻ، ظاهر هذا في الإغارة على المشركين.

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص ٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) أخرجه النسائي (٤٦٣)، والترمذي (٢٦٢٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الألباني

في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠)، ومسلم (٣٨٢).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عبادة بن الصامت قال: «دعانا النبي ﷺ، فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء، فتعرفون، وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا».

ووجه الدلالة: أن حديث عبادة حرم منازعة ولاية الأمور، إلا إذا أتوا بكفر بواحا، فيه بينة وبرهان من عند الله سبحان الله على أنه كفر بواحا. وفي حديث أم سلمة حرم النبي ﷺ مقاتلة الأمراء، إلا إذا تركوا الصلاة لقوله: «لا، وما صلوا»، فدل مجموع الحديثين على أن تارك الصلاة وقع في الكفر البواحا، الذي قامت الأدلة على أنه كفر صريح، وهذا من أقوى الأدلة، والله أعلم.

ثالثا: إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة:

وقد حكى إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة غير واحد من أهل العلم. فقد أخرج الترمذي في «سننه»^(٣) عن عبد الله بن شقيق رضي الله عنه قال: «كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة».

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢١).

-أيها الناس-، ذكرت لكم القول الراجح من أقوال أهل العلم.

وأما من قال بعدم كفر تارك الصلاة فقله إنما يلتقي مع القول الراجح في أن تركها من أعظم الأسباب الموصلة إلى الكفر، فقد قال الإمام ابن الخراط وهو ممن يرجح عدم كفر تارك الصلاة: «واعلم رحمك الله أن ترك الصلاة وإن لم يكن كفرا كما قال أولئك رضوان الله عليهم فإنه أعظم الأسباب الموصلة إلى الكفر، الداعية إلى شؤم العاقبة، وسوء الخاتمة»^(١).

وأخيرا أسأل الله العظيم الحليم العليم، أن يفقهنا في الدين، ويجعلنا هداة مهتدين.

(١) «الصلاة والتهجد» لابن الخراط (ص ٩٦).

الخطبة الأولى: صلاة الجماعة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس- حديثي معكم اليوم حول صلاة الجماعة في المساجد، التي هي أفضل البقاع وأطهرها على وجه الأرض.

قال الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ

﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [٣٧] لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦، ٣٨]

-أيها الناس-، إن صلاة الجماعة فرض عين، وهذا هو المنصوص عن أئمة السلف وعلماء الحديث، لكنها ليست بشرط لصحة الصلاة، فلو تركها المسلم بدون عذر يأتهم، وصلاته صحيحة.

والأدلة على وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]

ووجه الدلالة -أيها الناس-: أن الله ﷻ أمرهم بالصلاة مع الجماعة، ثم أعاد الأمر ثانية في حق الطائفة الثانية بقوله: (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وفي هذا دليل على أن الجماعة فرض على الأعيان، إذ لم يسقطها سبحانه عن الطائفة الثانية بفعل الأولى، وهذا في حال الحرب والخوف، فكيف بحال السلم والأمن؟!

لا شك أنه أولى وأكد، ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة مع الجماعة، لكان المصافون للعدو، المهددون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة مع الجماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز التخلف عن ذلك^(١).

ومن الأدلة أيضا قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]

فهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

(١) انظر «وجوب الصلاة مع الجماعة» لمحمد الحربي (ص ١٣، ١٤).

قال العلامة ابن باز رحمته الله: «وهذه الآية نص في وجوب الصلاة مع الجماعة، والمشاركة للمصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط، لم تظهر مناسبة واضحة في ختم الآية بقوله سبحانه: (واركعوا مع الراكعين) لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية»^(١).

وقال الله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]

فالأمر يقتضي الوجوب

وقال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [٤٤] خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ

تَرَهَقَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ [القلم: ٤٢].

قال ابن القيم رحمته الله عند هذه الآية: «ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه اقبهم يوم القيامة بأن حال بينهم وبين السجود، لما دعاهم إلى السجود في الجماعة، لا فعلها في بيته وحده، فهكذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإجابة، وقد قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) قال: هو قول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح، وحي هنا اسم فعل أمر، معناه: أقبل وأجب، وهو صريح في أن إجابة هذا الأمر بحضور الجماعة، وأن المتخلف عنها لم يجبه»^(٢).

وأما الأدلة من السنة -أيها الناس- فأكثر من أن تحصر، فمنها:

(١) انظر «ثلاث رسائل في الصلاة» للشيخ ابن باز (ص ١٦).

(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٤٦٠، ٤٧٥).

ما رواه الشيخان في «صحيحهما»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو ممراتين حستين لشهد العشاء».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في «الفتح»: «وأما حديث الباب فظاهر في كونها فرض عين؛ لأنها لو كانت سنة، لم يهدد تاركها بالتحريق المذكور، ولا يمكن أن يقع في حق تاركها فرض الكفاية كمشروعة قتال تاركها فرض الكفاية، وفيه نظر؛ لأن الذي قد يفضي إلى القتل أخص من المقاتلة، ولأن المقاتلة إنما تشترع فيها إذا تملاً الجميع على الترك»^(٢).

وقال الإمام ابن دقيق العيد رحمته الله: «فمن قال بأنها واجبة على الأعيان قد يحتج بهذا الحديث، فإنه إن قيل بأنها كفاية، فقد كان هذا الفرض قائماً بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، وإن قيل إنها سنة فلا يقتل تارك السنن؛ فتعين كونها فرضاً على الأعيان»^(٣).

وقال الإمام ابن المنذر رحمته الله: «وفي اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحرق على قوم تخلفوا عن الصلاة في المساجد أبين البيان على وجوب فرض الجامعة؛ إذ غير جائز أن يتهدد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تخلف عن ندب، وعماً ليس بفرض قال: ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً خرج من المسجد بعدما أذن المؤذن فقال: «أما هذا فقد عصى أبا القاسم» رواه

(١) رواه البخاري (٦٤٤) واللفظ له، ومسلم (٦٥١).

(٢) «فتح الباري» (١٢٥ / ٢).

(٣) «إحكام الأحكام» (١ / ١٦٤).

مسلم في «صحيحه». ولو كان المرء مخيرا في ترك الجماعة وإتيانها لم يجز أن يعصى من تخلف عما لا يجب عليه أن يحضره، وإنما لما أمر الله جل ذكره بالجماعة في حال الخوف، دل على أن ذلك في حال الأمن أوجب، والأخبار المذكورة في أبواب الرخصة لأصحاب الأعذار تدل على فرض الجماعة على من لا عذر له»^(١).

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى، فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجب».

قال الإمام ابن قدامة رحمته الله في «المغني»: «وإذا لم يرخص للأعمى الذي لم يجد قائدا، فغيره أولى»^(٣)

-أيها الناس-، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرخص للأعمى في ترك صلاة الجماعة في المسجد، مع ما أبداه من الأعذار: من كونه كفيف البصر، وليس له قائد يلازمه، ومن كون داره بعيدة، وأن بينه وبين المسجد واديا، ومن أن المدينة كثيرة الهوام والسباع، ورغم هذه الاعتبارات كلها لم يرخص له النبي صلى الله عليه وسلم، بل قال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «فأجب»^(٤).

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٨٦).

(٢) رواه مسلم (٦٥٣).

(٣) «المغني» (٢/١٣٠).

(٤) انظر «صلاة الجماعة» للسدلان (ص ٦٣).

أخرج الإمام أبو داود بسن حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ابن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أناضيرير (أي: أعمى)، شاسع الدار (أي: بعيد الدار)، ولي قائد لا يلايمني (أي: لا يلازمني)، فهل تجدي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «تسمع النداء؟». قال: نعم. قال: «ما أجدل لك رخصة».

قال ابن المنذر رحمته الله: «ذكر حضور الجماعة على العميان وإن بعدت منازلهم عن المسجد يدل ذلك على أن شهود الجماعة فرض لا ندب، وإذا قال لابن أم مكتوم وهو ضيرير «لا أجدل لك رخصة»، فالبصير أولى ألا تكون له رخصة»^(٢).

وقال الإمام الخطابي في «معالم السنن»^(٣): «وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبا لكان أولى من يسعه التخلف عن أهل العذر والضعف، ومن كان في مثل حال ابن أم مكتوم».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فهذا الدليل مبني على مقدمتين: إحداهما: أن هذه الإجابة واجبة.

والثانية: لا تحصل إلا بحضور الجماعة، وهذا هو الذي فهمه أعلم الأمة وأفقههم من الإجابة، وهم الصحابة رضي الله عنهم، فقال ابن المنذر في كتابه «الأوسط»: رويانا

(١) أخرجه أبو داود (١/١٥١)، والنسائي (٢/١٠٩)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب». بسند حسن (٤٢٩).

(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (٤٦١).

(٣) «معالم السنن» (١/١٦٠، ١٦١).

عن ابن مسعود وأبي موسى أنها قالوا: من سمع النداء، ثم لم يجب، فإنه لا تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر^(١).

قال: وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «من سمع النداء، فلم يجب، لم يرد خيرا، ولم يرد به»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لأن تمتلئ أذنا ابن آدم رصاص مذابا خيرا له من أن يسمع النداء، ثم لا يجيبه».

فهذا وغيره يدل أن الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة، وأن المتخلف عنها غير مجيب، فيكون عاصيا^(٣).

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، و«صحيح سنن أبي داود»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سمع النداء، فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر».

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٥) من حديث معدان بن أبي طلحة اليعمری قال: قال لي أبو الدرداء: أين مسكنك؟ فقلت: في قرية دون حمص. فقال أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما

(١) «مجمع الزوائد» (٢/٤٢).

(٢) «سنن البيهقي» (٣٦/٥٧).

(٣) «كتاب الصلاة» (ص ٨٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

(٥) «المستدرک» (٢/٤٧٢)، وحسن الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليك بالجماعة، فإنما يأك الذئب القاصية».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فوجه الاستدلال: أنه أخذ باستحواذ الشيطان عليهم بترك الجماعة، التي شعارها الأذان وإقامة الصلاة، ولو كانت الجماعة ندبا يخير الرجل بين فعلها وتركها لما استحوذ الشيطان على تاركها، وتارك شعارها»^(١)

فدلت هذه النصوص السلافة الذكر من القرآن الكريم والسنة النبوية على وجب صلاة الجماعة، وأنه لا يجوز التخلف عنها إلا لعذر: كالمرض، أو الخوف، وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد، وبه قال الشافعي، وقد أثر عنه أنه قال: «وأما الجماعة فلا أرخص في تركها إلا من عذر» نقل ذلك عنه المزني رحمته الله، ويتبين مما تقدم أن الأئمة الأربعة رحمهم الله اتفقوا على وجب صلاة الجماعة، وأن تاركها بدون عذر آثم، وإن اختلفت عباراتهم، ويشهد لذلك كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كلام لأحد مع كلام الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة عنه.

واستغفر الله.

الخطبة الثانية: فضل صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٤٦١).

أما بعد، - أيها الناس - سبق الحديث معكم في وجوب صلاة الجماعة،

وفيما يأتي بيان فضلها:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح».

والنزل: هو ما يهياً للضيف من كرامة عند قدومه.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحادها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رجل من الأنصار، لا أعلم أحدا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة (أي: لافوته). فقيل له: لو اشترت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء. قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد؛ إي أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث جابر بن عبد الله (خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنقلوا قرب المسجد؟! قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال: «يا

(١) رواه البخاري (١٢٤/٢)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) رواه مسلم (٦٦٦).

(٣) رواه مسلم (٦٦٣).

(٤) رواه مسلم (٦٦٥).

بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أعظم الناس أدرا في الصلاة بعدهم إليها ممشى، فأبعدهم».

وأخرج أبو داود، والترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بشر الشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟». قالوا: بلى يا رسول الله . قال: «إسباغ الوضوء على المكار، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث بان عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ (أي: الواحد) بسبع وعشرين درجة».

وفي «الصحيحين» أيضا^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صلاة الرجل في جماعة تضغف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا؛

(١) رواه البخاري (١١٦/٢)، ومسلم (٦٦٢).

(٢) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥١).

(٤) رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦).

وذلك أنه إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرج إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى، لم تنزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه، ما لم يحدث، تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا ينزال في صلاة، ما انتظر الصلاة).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما قام الليل كله».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ولو يعلمون ما في العتمة (أي: العشاء) والصبح لأتوهما، ولو حبوا».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من توضأ فأصبح الوضوء، ثم مشى إلا صلاة مكتوبة، فصلها مع الإمام غفر له ذنبه».

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى لله

(١) رواه البخاري (١١٢/٢)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) رواه مسلم (٦٥٦).

(٣) رواه البخاري (١١٦/٢)، ومسلم (٤٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ()، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٦).

(٥) الترمذي (٢٤١)، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٩).

أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسن حسن،؛ سنه الألباني في «صحي الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أتاني الليلة ربي (أي: في المنام) (وفي رواية: رأيت ربي في أحسن صورة) فقال لي: يا محمد. قلت: لبيك رب وسعديك. قال: هل تدري فيما يختصم الملائ الأعلی؟ قلت: لا أعلم. فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال: في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض أو قال: ما بين المشرق والمغرب قال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملائ الأعلی؟ قلت: نعم، في الدرجات، والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات (أي: الغدوات الباردات)، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال: يا محمد قلت: لبيك وسعديك. فقال: إذا صليت قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

وأخيراً أسأل الله سُبْحَانَ اللَّهِ أن يفقهنا في الدين، ويستعملنا في طاعته.

(١) رواه الترمذي ()، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٨).

الخطبة الأولى: من أخطاء الناس في الصلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن بعض أخطاء الناس في الصلاة.

-أيها الناس-، الصلاة أمرها عظيم، فهي عمود الدين، وأهم الواجبات بعد التوحيد، بصلاحتها يصلح عمل المسلم كله، ومتى فسدت فسد العمل كله.

فعلينا الانتباه لبعض الأخطاء، وذلك بعرض صلاتنا كلها على الكتاب والسنة الصحيحة، فمن الأخطاء ما تكون سبباً لنقص أجرها، ومن الأخطاء ما تكون سبباً لعدم قبولها، ومن الأخطاء ما تكون سبباً للوزر والإثم.

فمن الأخطاء -أيها الناس- أن يصبى الرجل مسبل الإزار:

وهذا خطأ، قد ورد النهي الشديد عن ذلك.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن النسائي»، و«سنن أبي داود بسند صحيح»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أذهب فتوضأ» فذهب فتوضأ، ثم جاء، فقال: «أذهب فتوضأ».

فقال له رجل: يا رسول الله، مالك أمرته أن يتوضأ؟ ثم سكت عنه، قال: «إنه كان يصلي، وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «ووجه هذا الحديث والله أعلم أن إسبال الإزار معصية، وكل من وقع في معصية فإنه يؤمر بالوضوء؛ فإن الوضوء يطفئ حريق المعصية»^(٢).

وأخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاً، فليس من الله في حل ولا حرام».

أي: لا ينفع للحلال، ولا للحرام، فهو ساق من الأعين، ولا يلتفت إليه، ولا عبرة به، ولا بأفعاله»^(٤).

وقد سبق إلى الذهن أيها الناس أن الإسبال يكون في الإزار فقط، وهذا غلط؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الإسبال يكون في السراويل [أي: البنطلون]، والإزار، والقميص»^(٥).

(١) «المسند» (٤/٦٧)، والنسائي «كتاب الزينة» كما في «تحفة الأشراف» (١١/١٨٨).

(٢) «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم (٦/٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٣٧)، و«صحيحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢/٦٠).

(٤) «انظر فيض القدير» للمناوي (٦/٥٢).

(٥) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٢/١٤٤).

وقال ابن باز رحمته الله في الإسهال بالبنطلون: «الأحاديث الصحيحة المناعة من الإسهال تعمه بمنطوقها، وبمعناها، وبمقاصدها»^(١).

ومن أخطاء الناس في الصلاة تخصيص مكان للصلاة في المسجد:

وهذا العمل منهي عنه، فقد أخرج أحمد في «مسنده»، والدارمي في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه»^(٢) بسند صحيح من حديث عبد الرحمن بن شب قالك «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد، كما يوطن البعير».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «لا ينبغي للرجل أن يتخذ لنفسه مكانا خاصا في المسجد، لا يصلي غلا فيه، كالبعير لا يبرك إلا في مبرك اعتاده»^(٣).

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم الصلاة إلى السترة:

والسترة واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها: ما رواه مسلم^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصل إلا إلى سترة، ولا تدع أحدا يمر بين يديك، فإن أبي فلتقاتله؛ فإن معه القرين». وفي «صحيح البخاري»^(١) عن قرة بن إياس قال: «رأني عمر، وأنا أصلي بين أستطواتين، فأخذ بقفائي، فأدناني إلى سترة، فقال: صل إليها».

(١) «فتاوى ابن باز» (ص ٢١٩).

(٢) «المسند» (٣/٢٤٨، ٤٤٤)، و«سنن الدارمي» (١/٣٠٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦).

(٣) انظر «تهذيب سنن أبي دواد» (١/٤٠٨) لابن القيم.

(٤) أخرجه مسلم (٥٠٦).

قال الحافظ ابن حجر: «أراد عمر بذلك أن تكون صلاته إلى ستره»^(٢).

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «لقد رأيت كبار أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم يتدرون السواري عند المغرب، حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية عند البخاري^(٤) أيضا: «وهم كذلك يصلون الركعتين قبل المغرب».

وطول السترة المجزئة - أيها الناس - طول مخرة الرحل: أي شبران على الصحيح من

أقوال أهل العلم لأدلة، منها:

أخرج الإمام مسلم^(٥) في «صحيحه» من حديث طلحة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصل، ولا يبالي من مر وراء

ذلك».

وأخرج الإمام مسلم^(٦) في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قال: سئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك عن ستره المصلي، فقال: «كمؤخرة الرحل».

وهنا تنبيه مهم: وهو أن حديث اتخاذ الخط ستره ضيفة، وعليه فلا يجزئ الخط عن

الستره.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧/١) مع الفتح).

(٢) «الفتح» (٥٧٧/١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥).

(٥) أخرجه مسلم (٤٩٩).

(٦) أخرجه مسلم (٥٠٠).

وهنا تنبيه آخر: وهو أن المأموم لا تجب عليه السترة، والسترة في صلاة الجماعة من مسئولية الإمام.

ومن أخطاء الناس في الصلاة كثرة الحركة والعبث في الصلاة:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى أقواما يعبثون بأيديهم في الصلاة، ويحركونها من غير حاجة، فقال لهم: «مالي أراكم رافعي أيديكم، كأنها أذنان خيل شمس؟! اسكنوا في الصلاة».

ومعنى شمس: هي التي لا تستقر، بل تضطرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها، ففي هذا الحديث الأمر بالسكون في الصلاة، والخشوع فيها، والإقبال عليها.

ومن أخطاء الناس في الصلاة أكل الثوم والبصل، وكل ما يذوي المصلين قبل الحضور للجماعة، وقد ورد النهي الشديد عن ذلك:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يقربن مسجدنا».

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا -أو قال: فليعتزل مسجدنا-؛ وليقعد في بيته».

وفي رواية عند مسلم^(٤): «من أكل من هذه الشجرة المنتنة، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس».

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٣)، ومسلم (٥٦١).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (٥٦٤).

ففي هذه الأحاديث وغيرها كراهية أكل الثوم والبصل، فيلحق بذلك كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال العلامة ابن باز رحمته الله: «هذا الحديث وما في معناه من الأحاديث الصحيحة يدل على أن كراهة حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحة توجد منه ظاهرة، تؤذي من حوله، سواء كان ذلك من أكل الثوم، أو البصل، أو الكراث، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة: كالدخان، حتى تذهب الرائحة... مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته هو محرم لأضراره الكثيرة، وخبثه المعروف، وهو داخل في قوله سبحانه عن نبيه

صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ويدل على ذلك أيضا قوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ

لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعلم بذلك أنه من المحرمات على الأمة^(١) قال الشيخ مشهور بن حسن حفظه الله: «والأقبح من جميع ما ذكر رائحة الجوارب، التي تنبعث من بعض المصلين، فهي أسوأ رائحة من رائحة الثوم والبصل. وإن من قلة الذوق، ومن مخالفة قوله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله أحق أن يتزين له» أن يأتي المصلي، وثيابه متسخة، فلا ينظفها قبل أن يدخل المسجد، ثم يزاحم الآخرين بهذه الثياب القذرة، التي ربما تنبعث منها الرائحة الكريهة»^(٢).

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم إتمام الصفوف:

(١) «فتاوى ابن باز» (١/ ٨٢).

(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص ٢٠٠).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أل تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول فالأول، ويتراصون في الصفوف».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث بشير بن يسار الأنصاري عن أنس أنه قدم المدين، فقيل له: ما أنكرت منها منذ يوم عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف».

وأخرج أبو داود في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح^(٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس بوجهه فقال: «أقيموا الصفوف - ثلاثاً - والله، لتقيمن صفوفكم، أو ليخالفن الله بين قلوبكم».

قال النعمان: «فرايت الرجل ليصق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركة صحابه، وكعبه بكعبه».

قال الألباني رحمته الله: «وفي هذين الحديثين فوائد هامة:

الأولى: وجوب إقامة الصفوف وتسويتها والتراص فيها للأمر بذلك، والأصل فيه الوجوب»^(٤).

وقد جاء الترهيب من قطع الصف،

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٦٢)، وابن حبان (٣٩٦).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١/٤٠، ٤١).

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولا تذروا فرجات للشيطان، من وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله».

الفرجات: هي المكان الخالي بين الاثنين. والخلل: هو ما يكون بين الاثنين من اتساع عند عدم التراص.

ومن أخطاء الناس في الصلاة القنوت الراتب في صلاة الفجر، وتركه عند النوازل:

وقد اعتمد القائلون بمشروعية القنوت في صلاة الفجر على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقنت في الصبح، حتى فارق الدنيا».

وهذا الحديث -أيها الناس- لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن مداره علي أبي جعفر الرازي، وأبو جعفر الرازي ضعيف الحديث عند أهل العلم، قال عنه المحدث ابن المديني: «كان يخطئ». وقال أبو زرعة: «كان يهيم كثيرا». وقال ابن حبان: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير»^(٢).

أيها النس، هذا الحديث يناقض ما جاء في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس بن مالك أيضا قال كان يدعو على أحياء من أحياء العرب، ثم رتكه».

(١) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).

(٢) انظر «میزان الاعتدال» (٣/٣٢٠)، و«الضعيفة» (١٢٣٨)؟

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٤).

فانظر يا عبد الله إلى قوله في الحديث الصحيح: «ثم تركه»، فعلام نترك الحديث الصحيح، ونعمل بالحديث الذي لم يصح عن رسول الله ﷺ ألبتة؟!
ألا يسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه؟!

ومن أخطاء المهملين -أيها الناس- أن يكبر تكبيرة الإحرام وهو راكع:

وهذا خطأ، فالأصل أن تكبيرة الإحرام تفصل من قيام، ثم يركع بعدها، وإذا جاء المصلي، ووجد الإمام راكعا فإنه يكبر تكبيرة الإحرام قائما، ثم يركع معه بتكبيرة ثانية، وإن اقتصر على تكبيرة الإحرام، أجزأته صلاته.

ومن أخطاء الناس في الصلاة إذا جاء المأموم والإمام ساجدا، فإنه ينتظره حتى يوقم، أو يجلس:

وهذا خطأ، والأصل إذا وجد المسبوق الإمام على أي حال من الصلاة دخل معه؛ لما في «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جئتم إلى الصلاة ونحن ساجدون فاسجدوا، ولا تعدوها شيئا».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: من أخطاء الناس في صلاة الجمعة

(١) رواه أبو داود (٨٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٩٦).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، قدتم الحديث معكم عن بعض أخطاء الناس في الصلاة، وفيما يأتي ذكر بعض أخطاء الناس في صلاة الجمعة.

فمن أخطاء الناس في صلاة الجمعة التهاون عن الحضور للجمعة:

وهذا أمر خطير، ألا يخشى هذا المتخلف من أن يطبع الله على قلبه.

فقد أخرج أبو يعلى في «التلخيص الحبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث محمد بن عبد الرحمن بن زرارة قال: سمعت عمي يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء يوم الجمعة، فلم يأتها، ثم سمعه، فلم يأتها، ثم سمعه، فلم يأتها -طبع الله على قلبه، وجعل قلبه قلب منافق».

أخرج الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه بسند صحيح^(٢) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها، طبع الله على قلبه».

ومن أخطاء الناس في صلاة الجمعة ترك التكبير لصلاة الجمعة:

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود» بسند صحيح^(٣) من حديث أوس بن أوس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر،

(١) رواه أبو يعلى في «التلخيص الحبير» (٥٣/٢)، وحسن الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجه (١١٢٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٤/٤)، وأبو داود في «سننه» (٣٤٥).

ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغ - كان له بكل خطوة أجر سنة: صيامها وقيامها».

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم الكذي يهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طوا صحفهم، ويستمعون الذكر».

ومن أخطاء المهلين في صلاة الجمعة ترك الاغتسال، والتزين والتطيب، والتسوك لصلاة الجمعة، وهذا مخالف لهدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه».

وغسل يوم الجمعة -أيها الناس- واجب على الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الغسلام ابن تيمية رحمته الله: «ويستحب الغسل في ذلك اليوم -أي: الجمعة- وعند جماعة يجب، ودليل وجه أقوى من دليل وجب الوتر»^(٣)

ومن أخطاء الناس في صلاة الجمعة ترك التزين بأحسن ما يجد من الثياب:

(١) البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) رواه مسلم (٨٤٦).

(٣) «زاد المعاد» (١/٣٧٦).

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته؟».

أيها الناس، علينا أن نحذر من اللباس الذي هو من خصائص الكفار:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حينما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ثوبين معصفرين (أي: مصبوغين بالعصفر) قال: «إن هذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسها».

ومن اللباس الذي هو من خصائص الكفار اليوم وشعارهم البنطلون:

قال الإمام الألباني رحمته الله: «والبنطلون فيه مصيبتان:

المصيبة الأولى: هي أن لابسها يتشبه بالكفار؛ فما عرف المسلمون «البنطلون» إلا حينما استعمروا، ثم لما انسحب المستعمرون، تركوا آثارهم السيئة، وتبناها المسلمون بغباوتهم وجهالتهم.

والمصيبة الثانية: هي أن «البنطلون» يحجم العورة، وعورة الرجل من الركبة إلى السرة، والمصلي يفترض عليه أن يكون أبعد ما يكون عن أن يصي الله، وهو له ساجد، فترى إلتيته مجسمتين، بل وترى ما بينها مجسما، فكيف يصلي هذا الإنسان ويقف بين يدي ب العالمين؟!»^(٣).

(١) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٧٧).

(٣) القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص ٢٠، ٢١).

ومن التشبه ما يفعله بعض الناس من التزين بطق اللحية، فهو معصية، ومخالفة للأدلة التي أمرت بإطلاقها، كما أن التزين بحلق اللحية من خصائص الكفار الذي أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جزوا الشوارب، وأرخوا اللحي؛ خالفوا المجوس».

ومن أخطاء الناس في صلاة الجمعة تخطي الرقاب:

ففي «سنن النسائي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبد الله بن بسر: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال: «اجلس؛ فقد آذيت وآنيت»، ومعنى آنيت: أي تأخرت. فهذا الحديث دليل على حرمة تخطي الرقاب يوم الجمعة، وظاهر التقييد بيوم الجمعة أن الحرمة مختصة به^(٣).

ومن أخطاء الناس في الجمعة ترك السنة القبلية:

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح^(٤) من حديث أبي هريرة وجابر قالوا: جاء سليك الغطفاني، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أصليت ركعتين قبل أن تجيء؟». قال: لا. قال: «فصل ركعتين، وتجاوز فيهما».

(١) رواه مسلم (٢٦٠).

(٢) النسائي (٢٠٧١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥).

(٣) «القول المبين» (ص ٣٥٠).

(٤) «سنن ابن ماجه» (١١١٤).

قال أبو شامة: «قال بعض من صنف في عصرنا: قوله: «قبل أن تحيء» يدل على أن هاتين الركعتين سنة للجمعة قبلها، وليستا تحية للمسجد»^(١).

ومن أخطاء الناس في سنة الجمعة البعدية ترك السنة البعدية:

ولعل الأفضل والأكمل صلاتها في البيت، كما كان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يفعل، لما في «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف تطوع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «فكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف، فيصلي ركعتين في بيته».

اللهم إنا نسألك فعل الخير، وترك المنكرات، وحب المساكين.

(١) «زاد المعاد» (١/٤٣٤).

(٢) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٨٨٢).

الخطبة الأولى: ٣. الزكاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن فرضية الزكاة، إحدى فرائض الإسلام، وقواعده العظام.

وهي الكرن الثالث من أركان الإسلام وقد قرنت بالصلاة في اثنين وثانين آية من كتاب الله، وفرضيتها ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

ففي الكتاب العزيز: قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

[التوبة: ١٠٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ نَاتٍ﴾ [البقرة: ١١٠]

وأما الأدلة من السنة فأكثر من أن تحصر، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بين الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر ما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا لآزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث جرير بن عبد الله بالبجلي رضي الله عنه قال: «بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه وذكر حديثه مع هرقل عظيم الروم، فقال له: «بم يأمركم؟» فقال أبو سفيان: «يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة (أي: صلة الرحم)، والعفاف».

وفي «الصحيحين»^(٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، واللفظ له.

(٢) تقديم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٤٠١)، ومسلم (٥٦).

(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ له.

(٥) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم».

أيها الناس، تلك منزلة الزكاة في الإسلام، ومن منها إنكارا وجحودا فهو كافر، خارج عن الإسلام، وقتل كفرا، ومن منها بخلا - مع إقراره بوجوبها - فهو فاسق بامتناعه، ولا يخرج ذلك عن الإسلام، وتؤخذ منه قهرا مع التعزير، ومتى أخذت قهرا فهي مقبولة، وإن قاتل دونها قوتل حتى يخضع لأمر الله، ويؤدي الزكاة، ودليل ذلك قول الله ﷻ:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف نقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله».

فقال أبو بكر: والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله، لو منعوني عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم على منعه.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله صلى الله عليه وآله وسلم قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

(١) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

ومن مقامد الزكاة -أيها الناس- أنها تطهير للمال، وتنميته، ووقايته من الآفات ببركة طاعة الله وتعظيم أمره أنها تطهير للنفس البشرية من رذية البخل والشح والشره والطمع مواساة للفقراء، وسد حاجة المعوزين والبؤساء والمحرومين.

أنها سبب لجمع القلوب المشتتة على الإيمان والإسلام، والانتقال بها من الشكوك وضمف الإيمان إلى الإيمان الراسخ واليقين التام.

أنها سبب لإقامة المصالح العامة، التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها^(١).

وتجب الزكاة -أيها الناس- على من توافرت فيه الشروط الآتية:

الأول: الإسلام.

الثاني: الحرية.

الثالث: من ملك الناصب، وأن يكون هذا النصاب فاضلا عن الحاجات الضرورية؛ لأنه لا غنى للمرء عنها: كالمطعم، والملبس، والمسكن، والمركب، وآلات الحرفة.

الرابع: مرور حول كامل على المال، أي أنواع المال الذي بلغ النصاب إلا في المزروع والشمار، فإنه لا يشترط فيها مرور الحول لقول الله ﷻ: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

[الأنعام: ١٤١]

الخامس: فراغ مال الزكاة من دين يحيط به كله أو معظمه، ولم يكن وراءه من يطالبه

به من الناس^(٢).

(١) «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العمل (ص ٩٨، ٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٠٢).

والأجناس التي تجب فيها الزكاة -أيها الناس- الذهب والفضة:

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من صحاب ذهب، ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أيدت له، في ويوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد».

ونصاب الذهب -أيها الناس- عشرو ديناراً، فإذا بلغ الذهب هذا المقدار، وحال عليه الحول، ففيه ربع العشر يعني نصف دينار، وما زاد على ذلك فبحسابه، بأن يأخذ من هذه الزيادة أيضاً ربع العشر.

وتقدر العشرون مثقالاً من الذهب بخمسة وثمانين جراماً.

وأما نصاب الفضة -أيها الناس- فهو مائتا درهم، وقيمة الزكاة فيها ربع العشر، والزيادة بحسابها.

وتقدر المائتا درهم من الفضة بخمسمائة وخمسة وتسعين جراماً والأفضل -أيها الناس- أن تقدر الأوراق النقدية بنصاب الفضة، وكل ذلك جاز إن شاء الله.

-أيها الناس-، لقد اختلف أهل العلم في حلي المرأة من الذهب أو الفضة، إذا كانت تلبسه أو تعيره، هل تجب فيه الزكاة أو لا؟

(١) رواه مسلم (٩٨٧).

والصواب مع العلماء الذين قالوا بوجوب الزكاة فيها لأدلة، منها:

ما جاء في «سنن أبي داود» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان (أي سواران) غليظتان من ذهب، فقال: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسور الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟». قال: فخلعتها، وفألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هما لله سبحان الله ولرسوله.

وأخرج أبو داود في «سننه» بسند حسن، حسن الألباني في «سنن أبي داود»^(٢) من حديث أم سملة رضي الله عنها قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب (أي خلخال)، فقلت: يا رسول الله، أكنز هو؟. فقال: «ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي، فليس بكنز».

وأخرج أبو داود أيضا في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتحات من ورق، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»

فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله. قال: «أتؤدين زكاتهن؟» قالت: لا أو ما ساء الله قال: «هو حسبك من النار».

أيها المسلمون، هذه الأحاديث تدل على أن هذا الحلي كان للزينة، ومع هذا فقد أمرهن النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج الزكاة، وليس مع المخالفين دليل صحيح يعتمد عليه. وهناك

(١) رواه أبو داود (١٥٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢).

(٢) رواه أبو داود (١٥٦٤)، وحسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٣).

(٣) رواه أبو داود (١٥٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٤).

-أيها الناس - أدلة عامة في وجوب زكاة الذهب والفضة، ولم يفرق بين كونه نقوداً، أو سبائك، أو حلياً، أو أعد للزينة، أو للادخار، أو غير ذلك.

ومتى حال الحول، ولم تجد المرأة مالا تؤدي به زكاتها، وجب عليها أن تبيع من حليها بقدر زكاتها؛ لتؤدي ما عليها، إلا أن يعينها أحد في أداء الزكاة: كزوج أو قريب^(١)

أيها الناس، - لقد ذكر العلامة ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خلاصة الزكاة، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن مما تجب به الزكاة عروض التجار، وهو: ما أعده الإنسان للبيع والاتجار به: من حيوا، وعقار، وأثاث، ومتاع، وأوان، وغير ذلك، كل شيء عندك للتجارة، فهو عروض تجارة، إذا حال عليه الحول، فقومه كم يساوي؟ ثم أخرج ربع العشر قيمته، ومن عروض التجارة أيضا عند الفلاحين: من الإبل، والبقر، والغنم التي يرونها للبيع، فأما العقارات التي أعدها الإنسان له، ولا يريد بيعها، وإنما يريد أن يسكنها أو يؤجرها، فهذه ليس فيها زكاة، ولا زكاة فيما أعده الإنسان لبيته من الأواني، والفرش، ونحوها، ولا فيما أعده الفلاح لحاجة الفلاحة من المكائن، وآلات الحرث، ونحوها.

وخلاصة ذلك:

أن كل شيء تعده لحاجتك، أو للاستغلال سوى الذهب والفضة فلا زكاة فيه، وما أعدته للتجار والتكسب ففيه الزكاة، وأما الديون التي عند الناس، فلا يجب عليك إخراج زكاتها حتى تقبضها، فإذا قبضتها: فإن كان على ملىء، وجب أن تخرج عنه زكاة

(١) انظر «كتاب الزكاة» لعادل يوسف العزازي (ص ٢٤).

كل السنوات الماضية، وإن كان على فقير، لم يجب أن تخرج إلا عن سنة واحدة فقط، وإن أخرجت زكاة الدين قبل قبضه فلا بأس^(١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: زكاة الفطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث حول الزكاة، والآن حديثي معكم حول زكاة الفطر.

وزكاة الفطر -أيها الناس- واجبة على كافر فرد من المسلمين، صغير كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى، حراً كان أو عبداً.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر ما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين».

وشرعت زكاة الفطر -أيها الناس- طهارة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، ومواساة لهم.

(١) انظر «المجموع الثمين في خطب ابن عثيمين» (ص ١٤٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

ففي «سنن أبي داود» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، في صدقة من الصدقات».

وزكاة الفطر أيها النسء لا يشترط لها نصاب:

وإنما اشترط لوجوبها جمهور أهل العلم الإسلام أولاً، وثانياً أن يكون مقدار هذه الزكاة الواجبة فاضلاً عن قوته، وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته، وحاجته الأصلية.

والواجب فيه زكاة الفطر صاع من أقوات البلد:

لما في «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي سعيد الخدري قال: «كنا نتخرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعاً من طعام». وقال أبو سعيد: «وكان طعامنا الشعير، والزبيب، والأقط، والتمر».

فدل هذا الحديث على أن المعتبر طعام أهل البلد المقتات عندهم: كالأرز والذرة، والقمح، وغير ذلك، وإن لم ينص عليها الحديث.

ومقدار الصاع -أيها الناس- أربعة أمداد بكف الرجل المعتدل:

ويقدر بالوزن كيلوان وأربعون جراماً.

وخارج القيمة لم يجزه الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد.

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وحسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٠).

(٢) رواه البخاري (١٥١٠).

وذهب أبو حنيفة إلى جواز إخراج القيمة، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأن النصوص الواردة بأنها من طعام، والزكاة عبادة لا تبرأ الذمة إلا بأدائها على الوجه المأمور به^(١).

وتجب زكاة الفطر بغروب شمس آخر يوم من رمضان:

وآخر وقت الوجوب هو حلول وقت صلاة العيد لحديث ابن عباس السابق: «فمن أداه قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات»^(٢).

ويجوز تقديمها بيوم أو يومين.

لما في «صحيح البخاري»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كانوا يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين».

ومصارف الزكاة -أيها الناس- سواء كانت الزكاة الواجبة أم زكاة الفطر شي ثمانية أصناف:

حصرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

وإيفاح ذلك:

أولاً: الفقير: وهو من لم يكن لديه من المال ما يسد حاجته، وحاجة من يعول.

(١) انظر «كتاب الزكاة» للعزازي (ص ٩٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٥١١).

- ثانيا: المسكين: وهو الذي لا يوجد عنده ما يكفيه للأكل، والشرب، والسكن.
- ثالثا: العاملون عليها: هم الذين يوليههم الإمام أو نائبه عملا من أعمال الزكاة: من جمع، أو حفظ، أو تفريق.
- رابعا: المؤلفة قلوبهم: المؤلفة هو الرجل المسلم يكون ضعيف الإيمان، وتكون له الكلمة النافذة في قومه، فيعطى من الزكاة تأليفا لقلبه.
- خامسا: الرقاب: والمراد من هذا المصرف هو أن يكون المسلم رقيقا، فيشترى من الزكاة ويعتق.
- سادسا: الغارمون: والغارم: هو المدين الذي تحمل دينا في غير معصية الله.
- سابعا: في سبيل الله: والمراد هنا الغزو، فيعطى المتطوعون من الغزاة الذين ليس لهم راتب من الدولة، سواء كانوا أغنياء أم فقراء.
- ثامنا: ابن السبيل: هو المسافر المنقطع عن بلده، وعرض له عارض فقر حال سفره وانقطاعه، فيعطى من الزكاة ما يسد حاجته في غربته، ويوصله إلى بلده، وإن كان غنيا في بلده، وهذا إذا لم يجد من يقرضه في حالته هذه، فإذا وجد من يقرضه، وجب عليه أن يقرض^(١).
- اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

(١) انظر «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص ١١٣، ١١٤).

الخطبة الأولى: ٤- صيام رمضان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، تحديتي معكم اليوم عن صوم رمضان.

وصوم رمضان -أيها الناس- هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وأحد مبانيه العظام، لا يتم إسلام المرء إلا به.

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٨٣] أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [١٨٤] شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ

أَتِيَامٍ أُخْرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٣]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصم رمضان».

-أيها الناس-، لقد أجمع المسلمون كافة على وجوب صيام شهر رمضان، كما قال صاحب «المغني»^(٢)

ومن أنكره جاحدا لوجوبه فهو كافر مرتد، إلا أن يكون جاهلا، أو حديث عهد بالإسلام، فحيثئذ ي علم ويبين له الحق، فإن اصر وكابر فهو كافر، يقتل ردة وكفرا والعياذ بالله! لأنه مكذب للقرآن والأحاديث الصحيحة.

وفضائل يوم شهر رمضان لا تكاد تحصر، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام (أي: له أجر محدود إلا الصوم، فأجره بغير حساب)؛ فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة (أي: يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات)، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «المغني» لابن قدامة (٤/٣٢٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وغدا لقي ربه فرح بصومه».

وفي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الصيام جنة، وحصن حصين من النار».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

ولشهر رمضان من الفضائل ما ليست لغيره من الشهور.

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدفت الشياطين».

وفي هذا الشهر المبارك -أيها الناس- ليلة واحدة خير من ألف شهر، وألف شهر إذا حسبت بالسنين تزيد على ثمانين عاماً، فهذه الليلة تعادل ثمانين عاماً وزيادة أشهر، كلها في طاعة الله، وهذا فضل عظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۗ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ۗ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۗ سَلَّمْنَاهُ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ۗ﴾ [الفجر: ١، ٥]

(١) رواه الإمام أحمد (٤٠٢/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٠).

(٢) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

وقال الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ومعنى: (أنزل فيه القرآن) يعني: ابتداء نزوله، ثم تتابع بعد ذلك، ينزل على رسول الله ﷺ إلى آخر حياته عليه الصلاة والسلام^(١).

-أيها الناس- له شروط:

فيشترط في وجوب الصوم على المسلم أن يكون عاقلاً بالغاً.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل».

وأن يكون المسلم صحيحاً غير مريض، مقيماً غير مسافر، قادراً عليه من غير مشقة بالغة، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس.

ففي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ فذلك نقصان دينها».

وللصيام -أيها الناس- ثلاثة أركان:

الركن الأول الإمساك: وهو الكف عن المفطرات: من أكل، وشرب، وجماع، وغيرها.

(١) «مجالس شهر رمضان» للفوزان (ص ١٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٧٠٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٥١).

الركن الثاني النية: وهي عزم القلب على الصوم امتثالاً لأمر الله ﷺ القائل:

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى».

فإن كان الصوم فرضاً، فالنية تجب بليل قبل الفجر.

لما في «سنن أبي داود» بسند صحيح، صحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث حفصة بنت عمر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

وإن كان الصوم نفلاً، صحت النية ولو بعد طلوع الفجر وارتفاع النهار، بشرط ألا يكون قد طعم شيئاً.

لما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «هل عندكم من شيء؟». قلنا: لا. قال: «فإني صائم».

الركن الثالث الزمان: والزمان -أيها الناس- هو الركن الثالث من أركان الصيام، والمقصود بالزمان هو نهار رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقول الله ﷺ:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

(١) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٥٤)، وصحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٤٣).

(٣) رواه مسلم (١١٥٤).

ويرخص الفطر للمريض والمسافر مع وجوب القضاء، وخاصة المريض الذي يرجى برؤه، فإنه يباح له الفطر، ثم يقضي بعد ذلك ما أفطر من أيام، وغذا استطاع المريض الصيام بلا مشقة صام.

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

وأما المسافر إذا سافر المسلم ماسفة تقصر فيها الصلاة فيباح له الفطر، ويقضي ما أفطره من أيام عند حضوره، فإذا كان الصوم في السفر لا يشق عليه فصام، كان ذلك حسنا، وإن كان يشق عليه فأفطر، كان ذلك حسنا.

لما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمننا الصائم، ومننا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر (أي: لا يعيب عليه)، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام، فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر، فإن ذلك حسن».

-أيها الناس-، اعلّموا علمني الله وإياكم أنه يباح الفطر للمرأة المسلمة إذا كانت حاملا أو مرضعا، إذا خافت كل منهما على نفسها، أو على ولدها فقط، أو على نفسها وولدها.

لما في «سنن أبي داود» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع شطر الصلاة والصوم عن المسافر، وعن المرضع -أو الحبل- الصوم».

(١) رواه مسلم (١١١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٠٨)، وحسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٠٧).

وإذا كان خوف المرأة على الولد فقط، فإنها تزيد -على القضاء- الفدية، والفدية: أن تتصدق عن كل يوم تصومه بمد من طعام.

وهناك -أيها الناس- من يرخص لهم في الفطر، ولا يجب عليهم القضاء، وإنما تجب عليه الفدية فقط، وهم:

الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والمرضى الذي لا يرجى بؤه، ومن في حكم هؤلاء ممن يجهد الصوم، ويشق عليه مشقة شديدة، فهؤلاء جميعا يرخص لهم في الفطر، وأن يطعموا عن كل يوم مسكينا مدا من طعام، ولا قضاء عليهم لقول ابن عباس كما في «صحيح البخاري»^(١) «الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكينا».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية : مبطلات الصيام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث عن الصيام، والآن حديثي معكم عن امبطلات الصيام.

-أيها الناس- هناك ما يبطل الصوم، ويوجب القضاء فقط، وهناك ما يبطله، ويوجب القضاء والكفارة.

فأما ما يبطل الصوم، ويوجب القضاء فقط، فهو ما يأتي:

(١) رواه البخاري (٤٥٠٥).

أولاً: الأكل والشرب عمداً، أما إذا كان ناسياً أو مكرهاً، فلا قضاء عليه.

لما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه؛ فإن، ما أطعمه الله وسقاه».

وهذا من لطف الله وتيسيره على عباده، فقولته: «فليتم صومه» دليل على أن صيامه صحيح.

ثانياً: من أكل، أو شرب، أو جامع ظاناً غروب الشمس، ثم تبين له خلاف ذلك، أي: بقاء النهار.

ثالثاً: ما وصل إلى الجوف بالمبالغة في المضمضة والاستنشاق، إذا بالغ في ذلكذاكر لصومه، وأيضاً إيصال الأغذية إلى الجوف، ومن ذلك الإبر المغذية، التي يحصل بها إنعاش للبدن وتغذيته.

أما إذا طار إلى حلقه غبار أو ذباب، لم يؤثر على صيامه لعدم إمكان التحرز من ذلك.

رابعاً: إنزال المنى في اليقظة باستمنا، أو مباشرة، أو تقييل، أو إدامة نظر، ونحو ذلك باختياره، وأما الإنزال بالاحتلام فإنه لا يفطر؛ لأنه بغير اختيار الصائم.

خامساً: التقيؤ عمداً، والتقيؤ: هو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم متعمداً، أما من غلبه القيء، فقاء بدون اختياره، فلا يفسد صومه.

(١) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

لما في «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه قيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض». ومعنى ذرعه القيء: أي غلبه.

سادسا: نقض ورفض نية الصوم، فمن نوى الفطر وهو صائم بطل صومه، وإن لم يتناول مفطرا، ولهذا قال أهل العلم: إذا غربت الشمس، وليس عند ما تفرط عليه، فتكفيك النية.

سابع: الردة عن الإسلام، إن رجع إليه لقول الله تعالى: ﴿لِيَنفِرَ فِرَقًا شَرِيفًا﴾ [الزمر: ٦٥]

الأمر الثاني - أيها الناس - ما يبطل الصوم. ويوجب القضاء والكفارة:

وهو الجماع العمد من غير إكراه.

لما في «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت، يا رسول الله. قال: «وما أهلكك؟». قال: وقعت على امرأتي في رمضان. فقال: «هل تجد ما تعتق رقبة؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا؟». قال: لا. ثم جلس، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر (والعرق: هو مكيال يسع خمسة عشر صاعا) فقال: «خذ تصدق بهذا» قال: فهل على أفقر منا؟. فوالله، ما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٨٤).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(أي: ما بين أطراف المدينة أفقر منا) فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «أذهب فأطعمه أهلك».

-أيها الناس-، لا بد أن يأتي بالكفارة على الترتيب وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن عجز أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله، كما لا يصح الانتقال من حالة إلى حالة إلا إذا عجز منها.

والإطعام -أيها الناس- يكون لكل مسكين مد من بر، أو شعير، أو تمر بحب الاستطاعة.

وتتعدد الكفارة بتعدد المخالفة، فمن جامع متعمدا في يوم ولم يكفر، ثم جامع في يوم آخر من الشهر فقد ذهب بعض أهل العلم على أن عليه كفارتان، والصواب الاكتفاء بواحدة.

-أيها الناس- هنا تنبيه مهم: وهو هل على المرأة كفارة كالرجل تمام؟

ذهب أهل العلم إلى أنه متى كانت المرأة راضية، فعليها كفارة، وإن كانت مكرهة، فعليها القضاء ولا كفارة عليها^(١).

قال ابن عثيمين رحمته الله: «من جامع في نهار شهر الصوم، فإنه يلزمه القضاء والكفارة، وامرأته مثله إن كانت مطاوعة له، سواء حصل الإنزال أم لم يحصل»^(٢).

اللهم إنا نسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا.

(١) جمهور أهل العلم على أنه يلزمها الكفارة «نيل الأوطار» (ج ٣/ ١٨٩) ط. دار العربي وغير «نيل الأوطار».

(٢) «فقه العبادات» لابن عثيمين (١٩٤).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الخطبة الأولى: ٢- فضل تلاوة القرآن

إن الحمد لله ...

أما بعد:

-أيها الناس-: حديثي معكم اليوم عن فضل تلاوة القرآن العظيم.

أيها لناس: إن هذا القرآن الذي بين أيدينا نتلوه ونسمع ونحفظه هو كلا ربنا ﷻ، تكلم به حقيقة على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، ووصفه ﷻ بأوصاف عظيمة؛ لنعظمه في نفوسنا؛ وتحترمه قلوبنا:

فوصوف ﷻ بأنه موعظة، وشفاء، وهدى:

قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧]

ووصفه بأنه روح تحيا به القلوب، وأنه هدى الله يهدي به من يشاء:

قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّن أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّن عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال الله

ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ

مِّن هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣]

ووصفه بأنه يهدي للطرق المستقيم فقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]

ووصفه أنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم فكل خير وعلم إنما يستفاد منه:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ

﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٦، ٨٠]

وأخبر ﷻ أن هذا القرآن لكمال تأثيره في القلوب والنفوس لو أنزله على جبل لرأته خاشعا متصدعا من خشية الله:

قال الله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِمَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الحشر: ٢١]

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع وهو ع ليه شاق له أجران».

والأجران؛ أحدهما: على التلاوة، والثاني: على مشقتها على القارئ.

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه».

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

وفي «صحيح مسلم» أيضاً^(٢) من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل».

وفي «صحيح مسلم» أيضاً^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» ز

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعاهدوا القرآن؛ فوالذي نفسي بيده هو أشد ثقلنا من الإبل في عقلها».

وفي «الصحيحين»^(٥) أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي».

تلك - أيها الناس - بعض فضائل القرآن.

وقد رتب الله الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن تعلم القرآن وعلمه، وجعلهم خير هذه الأمة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۗ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۗ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

وفي «الصحيحين» من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف».

وتلاوة كتاب الله - أيها الناس - كما قال بعض أهل العلم علم نوعين:

النوع الأول: تلاوة لفظية: وهي قراءته؛ وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها، إما في جميع القرآن وإما في سور أو آيات معينة منه.

النوع الثاني: تلاوة حكمية: وهي تصديق أخباره، وتنفيذ أحكامه بفعل أو امره واجتناب نواهيه، وهذا النوع هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن كما قال ربنا سبحان الله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذُبَّوْا عَائِبَتَهُ وَيَلْتَدَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ولهذا درج السلف الصالح رضي الله عنهم على ذلك يتعلمون القرآن، ويتصدقون به، ويطيعون أحكامه تطبيقاً إيجابياً عن عقيدة راسخة.

قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمته الله: حدثنا الذي كانوا يقرئونا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

وهذا النوع من التلاوة هو الذي عليه مدار السعادة والشقاوة.

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَا يَأْتِنَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَايِتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٣]

فبين الله في هذه الآيات الكريم ثواب المتبعين لهداه الذي أوحاه إلى رسله، وأعظمه هذا القرآن العظيم، وبين عقاب المعرضين عنه، أما ثواب المتبعين له فلا يضلون، ولا يشقون، ونفي الضلال والشقاء عنهم يتضمن كمال الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة: وأما عقاب المعرضين عنه المتكبرين عن العمل به؛ فهو الشقاء والصلال في الدنيا والآخرة، فإن له معيشة ضنكا، فهو في دنياه في هم وقلق نفسي، ليس له عقوبة صحيحة ولا عمل صالح: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

وهو في قبره في ضيق وذنك، قد ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو في حشره أعمى لا يبصر: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧]

فهم كما عموا في الدنيا عن رؤية الحق، وصموا عن سماعه، وأمسكوا عن النطق به: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْ ءَاذَانِنَا وَقَدْ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [فصلت: ٥]

جازاهم الله في الآخرة بمثل ما كانوا عليه في الدنيا، وأضاعهم كما أضاعوا شريعته ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٥، ١٢٦]

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «القرآن حجة لك أو عليك».

-أيها الناس-: علينا أن نجعل القرآن حجة لنا لا علينا؛ وذلك بتلاوته حق تلاوته، والعمل به، وذلك بتصديق أخباره، واتباع أحكامه، فعلا للمأمورات وتركها للمنهيات، ومن كان هذا حاله فإن القرآن يكرمه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة بإذن الله.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواج، وأسهرت ليلك إن كان تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذه؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد وفي درجة الجنة وغرفها فهو صعود ما دام يقرأ هزا أو ترتيلا».

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: آداب تلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث عن فضل تلاوة القرآن العظيم، والآن حديثي معكم عن:

(آداب تلاوته)

وهي كثيرة وسف أقتصر على بعض منها.

فمن آداب تلاوة القرآن الكريم: إخلاص النية لله تعالى فيها؛ لأن تلاوة القرآن عبادة عظيمة، والإخلاص شرط في قبولها، فتلاوة بلا إخلاص رعد بلا مطر.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح أبي داود»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن، قال: «اقرأوا القرآن وابتغوا به من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن نقرأ بقلب حاضر، نتدبر ما نقرأ ونتفهم معانيه، وتخضع عند ذلك قلوبنا، ونستحضر بأن الله ﷻ يخاطبنا في هذا القرآن، فإنه خطاب من الله لنا على لسان رسوله ﷺ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٣٧] (ق: ٣٧)

وعن الحسن رضي الله عنه قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويفندونها بالنهار».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يقرأ على طهارة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يستغيد بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة؛ لقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ ولئلا يصدّه الشيطان عن القراءة أو كمالها.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٩/٦)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٣٠).

وأما البسمة: فإن كان ابتداء قراءته من أثناء السورة فلا يبسمل، وإن كان من أول السورة فليبسمل إلا في سورة «التوبة» فإنه ليس في أولها بسمة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أشكل عليهم حين كتابة المصحف: هل هي سورة مستقلة أو بقية الأنفال؟ ففصلوا بينهما بدون بسمة.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يقرأ بتدبر وخشوع؛ لأن ذلك هو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب. قال الله سبحان الله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقال الله سبحان الله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يحسن القارئ صوته بالقرآن ويترنم به؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «ما أذن الله لشيء (أي: ما استمع لشيء) كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به».

وفي «الصحيحين»^(٢) أيضا من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

ولكن إن كان حول القارئ أحد يتأذى بجهره في قراءته كالنائم والمصلي ونحوهما؛ فإنه لا يجهر جهرا يشوش عليه أو يؤذيه؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خرج على الناس وهم يصلون ويجهرون بالقراءة، فقال كما في «الموطأ» بسند صحيح^(٣) من حديث البياض: أن رسول

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

(٣) صحيح: أخرجه مالك في الموطأ (ص ٩٠) رقم (١٧٤).

الله ﷻ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم فقال: «كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضهم على بعض في القرآن».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يرتل القرآن ترتيلاً؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]

وفي «صحيح البخاري»^(١) معن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مدا ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد (بسم الله)، ويمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم).

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسن صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي»^(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يقطع قراءته آية آية، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

اللهم اجعل القرآن الكريم حجة لنا لا علينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، ووفقنا لتدبر معانيه وتطبيق أحكامه، وحفظ حدوده ورعاية حرمة.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣٠٢/٦) والترمذي (٢٩٢٧) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣١٠٧).

الخطبة الأولى: من أخطاء الصائمين

إن الحمد لله ...

أما بعد: حديثي معكم - أيها الناس - عن أخطاء يقع فيها بعض الصائمين، وهي كثيرة، والقصد من بيان بعض أخطاء الصائمين هو إعانة من وقع في شيء منها على اجتنابها.

فمن أخطاء بعض الصائمين:

التلفظ بالنية عند الإفطار وعند السحور:

والنية أينها الناس محلها القلب، والتلفظ بالنية لم يفعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا الأئمة الأربعة؛ لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام ولا حج.

والعبادة تقدم على الإخلاص في المتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأى عبادة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي مردودة على صاحبها ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ مسلم^(٢): «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

العلاة في رمضان فقط أو من الجمعة إلى الجمعة:

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

وهذا غياة في الشين؛ فإن بعض أهل العلم يذهبون إلى بطلان صيام من يصوم ولا يصلي، وذلك لأن الصلاة عمود الدين، فهي الأساس الذي يقوم عليها البناء، فإذا لم يجد الأساس فالبناء آيل للسقوط لا محالة.

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن حسنه الألباني في «الإرواء»^(١) من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»^(٣) من حديث عبدالله بن بريدة رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

بل قد نقل ابن حزم وغيره من أهل العلم إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة^(٤).

ومن أخطاء بعض العائمين: كثرة النوم في نهار رمضان:

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٣٩/٨).

(٢) رواه مسلم (٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٧٧٠)، وصححه الألباني في «الترغيب» (٢٧٧/١) (٦٤).

(٤) انظر المحلى (٢/٢٤٢)، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٦)، والشرح الممتع لابن عثيمين (٢/٢٨).

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»^(١) م حديث خوات بن جبير رضي الله عنه قال: «نوم أول النهار خرق، وأوسطه خلق، وآخره حمق».

فقوله: (خرق): أي جهل، فإن وقت أول النهار وقت غنيمة، فإنه القسم وحلول البركة في الأعمال والأرزاق.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»^(٢) من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك لأمتي في بكورها».

قال صخر: وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أو النهار، وكان صخر تاجرا، وكان إذا بعث تجارة بعثها أو النهار، فأثري وكثر ماله.

وليس مقصودنا أن النائم لا يرزق، بل إن الله يرزق البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ولكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون في هذا الوقت المبارك.

وقوله: (خلق): أي أن نوم وسط النهار خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو نومة المهاجرة؛ أي قبل صلاة الظهر بساعة، إلا يوم الجمعة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام فيه بعد الظهر.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٤٥٦).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي في «سننه» (١٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٣٦).

وقوله: (نوم وسط النهار): فيه إشارة إلى ما أخرجه أبو نعيم في «الطب» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلوا؛ فإن الشياطين لا تقيل».

وقوله: (حمق) أي: وضع الشيء في غير موضعه.

وأعدل النوم -أيها الناس- كما يقول الإمام ابن القيم رحمته الله: «نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات وهذا أعدل النوم عند الأطباء».

ومن أخطاء بعض المائمين: الإكثار في الأكل والمشرب في رمضان:

وتكلف شراء بعض المأكولات التي لا يأخذها في غير رمضان، وكثرة الأكل يدعو إلى الغفلة، كما أن قلة الأكل توجب رقة القلب، وانكسار النفس، وضعف الهوى فينبغي التوسط في كل شيء؛ فلا يضيق الإنسان على نفسه ولا يفرط في الأكل، وخير الأمور أوسطها، والتوسط أيضا من أعظم أسباب حفظ الصحة؛ فإن الله سبحانه وتعالى جمع الطب كله في نصف آية فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض العلماء: «جمع الله بهذه الكلمات الطب كله»^(٢).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صحح الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه،

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الطب» (٨/١٢)، وحسن الألباني في «الصحيحة» (١٦٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١٨٦/٢).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥).

بحسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعام، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

وقد كان السلف رضي الله عنه ينفرون ممن عرف بكثرة الأكل؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث نافع قال: رأى ابن عمر مسكيا، فجعل يضع بين يديه، ويضع بين يديه، فجعل يأكل كثيرا، قال: لا تدخلن هذا علي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

ومن أخطاء بعض الصائمين: أكل الثوم، والبصل والكرات وكل ما له رائحة مؤذية:

كالفجل والدخان، وذلك عند الفطور وقبل الذهاب إلى المساجد. وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حضور المساجد لمن أكلها. ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أكل الثوم، والبصل، والكرات فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

قال الإمام النووي رحمته الله: قال بعض العلماء: ويلحق بالثوم والبصل ولاكرات كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال القاضي: ويلحق به من أكل فجلا وكان يتجشأ.

وقال ابن الرابط: ويلحق به من به بخر في فيه، أو به جرح له رائحة.

(١) رواه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠).

(٢) رواه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).

قال القاضي: «وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد؛ ممصلى العين والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها، ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها»^(١).

ومن أخطاء المائمين: تتبع الصوت الحسن في المساجد عند القيام وغيره:

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخطى الرجل مسجده إلى غيره من المساجد، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد قاله الألباني في «الصحيحة» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليصل الرجل في المسجد الذي يليه ولا يتبع المساجد».

قال ابن القيم رحمته الله: «وما ذاك إلا لأنه ذريعة لهجر المسجد الذي يليه، وإحاش صدر الإمام، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة، أو يرمى ببدعة، أو يعلن بفجور؛ فلا بأس بتخطيه إلى غيره»^(٢).

ومن أخطاء بعض المائمين الإفطار على سجائر:

وهذا مخالف لهدي نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر على الرطب أو التمر إن تيسر أو الماء، لما في «سنن أبي داود» بسند حسن حسنه الألباني في «الإرواء»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من الماء».

(١) شرح النووي على مسلم (ص ٤٢٠).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٦٠).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٩٢٢).

وهذا مع ما في السجائر من أضرار بالغة للصحة، فنقول لمن ابتلي بالدخان: يا أخي؛ اتق الله في نفسك؛ فإنها أمانة، وهي ملك لخالقها ورازقها، فلا تلهكها بالدخان واجعل قصدك في تركها وجه الله يخلصك الله منها.

ومن أخطاء بعض الصائمين: التخفيف المفرط في صلاة التراويح:

فإذا كان الإمام لا يتم الركون ولا يتم السجود؛ فوجب على الناس أن ينصحوا له بالتي في أحسن للتي هي أقوم، فإن أبي فالصلاة ورائه لا صتح، ولا يصح الاقتداء به، ويجب إعادة الصلاة؛ لما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل يصلي، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه اسلام فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل».

فصلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»-ثلاثا- فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها، فعلمني، قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: فكل من لم يتم ركوعه أو سجوده أو غير ذلك مما هو مأمور فعليه بالإعادة^(٢).

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(٢) الفتوح (١/٣٤٨).

الخطبة الثانية: من أخطاء بعض الصائمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين،

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث معكم عن أخطاء بعض الصائمين، وحديثي معكم
الآن هو تكملة لما سبق، فإن أخطاء بعض الصائمين أكثر من أن تحصر.

فمن أخطاء بعض الصائمين: سوء الخلق:

فبعض الصائمين يكون سيء الخلق؛ بسبب امتناعه عن الأكل والشرب؛ فتراه قاسياً
فظا غليظاً على أهله وعلى الناس الذين يعاملهم ويحتك بهم، وهذا خلاف ما يجب أن
يكون عليه الصائم من حسن الخلق.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «الصيام
جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قالته فليقل:
إني امرؤ صائم».

ومعنى (جنة): أي وقاية وستر. ومعنى (فلا يرفث): المراد هنا الكلام الفاحش،

وهو يطلق على هذا كما يطلق على الجماع. كما قال الله سبحان الله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

ومعنى (فلا يجهل): أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل؛ فإن سبه أحد أو قتاله أو شتمه فلا يرد عليه بالمثل، بل يقول: إني صائم إني صائم.

وفي هذا الحديث الحث على التمسك بالأخلاق الحسنة، فالصائم في عبادة طول يومه، فلا ينبغي أن يشي عبادته وينقص أجرها.

ولعل الدافع لسوء الخلق في رمضان الغضب:

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله^(١): «والغضب وسوء الخلق في رمضان يكثر لضعف الإيمان، فمن الناس من تراه كثير الغضب سيء الخلق مع الناس، ومع أهله، ومع الجيرا، وحجته أنه جوعان، وهذا ينافي آداب الصيام، فالصيام من أعظم العون على محاربة الهوى وقمع الشهوات وتزكية النفوس، فيحبس اللسان عن اللغو والسياب والهديان، ولا يخفى أن سوء الخلق من نزغات الشيطان، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَمَّا

يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وكثرة الغضب لا تدل على القوة ولا على رزانة العقل؛ ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

ومن أخطاء بعض المائمين: الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور:

(١) جامع العلوم والحكم (١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

كل ذلك وغيرها تنقص أجر الصائم لا محالة؛ ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه».

وأخرج التبريزي في «مشكاة المصابيح» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) م حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

ومن أخطاء بعض الصائمين: استغلال شهر رمضان للمسألة:

فمن المعلوم أن شهر رمضان هو شهر الجود والإحسان فعلى أهل الخير أن يتحروا بصدقاتهم المحتاجين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وينظروا للأرامل والأيتام الذين لا عائل لهم.

ومن الخير لهم أن يعطوهم الصدقة يدا بيد إن أمكن ذلك.

وأما الذي ينتقلون من مسجد إلى مسجد فلا يسلم الإمام إلا وهم في القبلة يسألون الناس لأنفسهم ولغيرهم؛ فهؤلاء منهم من يكون محتاجاً ومنهم أصحاب الخيل.

فإلى هؤلاء جميعاً أذكهم بما جاء في «مسند أحمد» بسند صحيح من حديث حبش بن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سأل من غير فقر فكأنها يأكل الجمر»

(١) رواه البخاري (٦٠٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه التبريزي في «المشكاة» (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» من حديث سهل بن حنظلية قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار» قالوا يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «يغذيه أو يعشيه».

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم».

وأسأل الله أن يفقهنا في الدين ولا يجوزنا إلى أحد من خلقه.

الخطبة الأولى: العشر الأواخر من رمضان

إن الحمد لله...

أما بعد: حديثي معكم اليوم -أيها الناس- عن العشر الأواخر من رمضان.

-أيها الناس-؛ إن العشر الأواخر من رمضان فيها من الأجر العظيم والمزايا ما ليس

لغيرها من أيام رمضان ولياليها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخصها بالاجتهاد في العبادات ويجتهد بالعمل فيها أكثر من

غيرها.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجتهد في العشر

الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي عنها قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر

شد متزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.

وفي رواية «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المتزر» ومعنى شد المتزر هو كناية

عن اعتزال النساء ليتفرغ للصلاة والذكر.

والمراد بـ «أحيا الليل»: إحياء غالبه، ويؤيده ما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث

عائشة رضي عنها قال: «ما أعلمه صلى الله عليه وآله وسلم قام ليلة حتى الصباح».

(١) أخرجه مسلم (١١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

ومما يدل على ميزة العشر الأواخر على غيرها أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها واعتكف أصحابه معه وبعده، واعتكف أزواجه من بعده.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم قال: «إني أعتكف العشر الأول أتمس هذه الليلة، ثم أعتكف العشر الأوسط، فليل لي: إنها في العشر الأواخر فمن أحب أن يعتكف فليعتكف».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ ثم اعتكف أزواجه من بعده.

-أيها الناس-؛ تقدم أن النبي ﷺ كان يعتكف في المسجد وخاصة في العشر الأواخر وكذلك اعتكف أصحابه معه ومن بعده، وكذلك نساؤه من بعده.

والاعتكاف: شرعا: هو الإقامة في المسجد بينة التقرب إلى الله ﷻ. وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب: فقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبْسُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

وأما السنة: ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٣) رواه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).

وأما الإجماع: فقد قال ابن المنذر في كتابه «الإجماع»: «وأجمعوا على أن الاعتكاف جائز»^(١).

والاعتكاف - أيها الناس - سنة مستحبة في حق الرجال والنساء سواء، وهو واجب بالندر:

قال النووي رحمته الله: «قد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب»^(٢)

وقال أيضا: الاعتكاف سنة بالإجماع، ولا يجب إلا بالندر بالإجماع»^(٣).

والاعتكاف - أيها الناس - يجوز في سائر أيام السنة، وهو في رمضان أكد، وفي العشر الأخير منه أفضل.

لما في «الصحيحين»^(٤) من حديث عائشة رضي عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها فضربت خباء، فلما رآته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأخبية، فقال: «ما هذا؟» فأخبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألبر ترون بهن؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرين من شوال.

ويبدأ وقت الاعتكاف:

(١) الإجماع (١٣٦).

(٢) شرحه على مسلم (٨ / ٩٥).

(٣) المجموع (٦ / ٥٠١).

(٤) رواه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٢).

من بعد صلاة الفجر؛ لما في «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان، فإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه».

وبوب له النووي حرمه الله «باب: متى يدخل ممن أراد الاعتكاف في معتكفه»^(٢).

أما وقت خروج المعتكف من معتكفه:

فصبيحة يوم العيد؛ لما في «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط، فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا. قال الحافظ: (استدل بهذا على أن مبدأ الاعتكاف من أول النهار).

وللاعتكاف -أيها الناس- شروط:

وشروطه ما ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ففي «سنن أبي داود» بسند حسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٤) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: السنة على المعتكف ألا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج حاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع.

(١) رواه البخاري (٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) شرحه على مسلم (٩٨ / ٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٦٠).

فقولها: (لا يعود مريضاً): أي لا يزوره، ولكن للمعتكف أن يسأل عن المريض؛ لما في «الموطأ» بسند صحيح^(١) حديث عمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا اعتكفت لا تسأل عن المريض إلا وهي تمشي لا تقف.

وقولها: (لا يمس المرأة ولا يباشرها): وذلك لأن الوطء في الاعتكاف محرم بالإجماع؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَبْشُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] وكذلك يحرم على المعتكف أن يقبل زوجته بإجماع العلماء.

قال ابن عبد البر رحمته الله: «أجمع العلماء أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل». وأما إذا وقع المعتكف على امرأته فإن اعتكافه فسد ويستأنف^(٢)

وقولها: «ولا خرج لحاجة إلا لما لا بد منه»: والحاجة التي لا بد منها هي: الطعام والشراب إذا لم يجد من يحضرهما له، وكذلك البول والغائط، وكذلك غسل الجنابة والجمعة، وكذلك إغلاب الزوجة وغيرها.

قال الإمام ابن العربي رحمته الله: (رخص للمعتكف في حاجة الإنسان للضرورة الداعية وبقي سائر أفعال الاعتكاف كلها على أصل المنع).

وقولها: «ولا اعتكاف إلا بصوم»:

قال ابن حجر رحمته الله: «ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطراً قط، ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مع الصوم، فالقول

(١) الموطأ (١/٣١٢).

(٢) التمهيد (٨/٣٢).

الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية^(١)

وقولها رضي الله عنها: «ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع»: قولها إنما هو عام في أي مسجد وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

-أيها الناس-: ذلك بعض هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر، فلا يفوتكم ذلك الخير، بل لعل بعضنا قد لا يدركه رمضان القادم. والموت غيب ولا يدري أحدنا متى الموعد.

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن بعض هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر من رمضان، وحيثي معكم الآن عن ليلة القدر التي شرفها الله على غيرها، ومن على هذه الأمة بجزيل فضلها، وعظيم خيرها، وعظيم بركتها.

ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أنزل فيها:

قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَّمُوهَا حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١]

(١) فتح الباري (٤/٣٢٢).

والقدر: بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء، لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

«ليلة القدر خير من ألف شهر»: يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

«تنزل الملائكة»: عباد من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهاراً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) [الأنبياء: ١٩، ٢٠]

يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بلاخير والبركة والرحمة.

و(الروح): هو جبريل عليه السلام، خصه بالذكر لشرفه وفضله.

(سلام هي): يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثير من يعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها.

(حتى مطلع الفجر): يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر؛ لانتهاء عمل الليل به^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢) ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٤) ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٥) ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦) ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٧) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٨) [الدخان: ٣، ٨]

(١) مجالس شهر رمضان لاب عثيمين (ص ١٢٩).

وصفها الله ﷺ بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بكرتها أن هذا القرآن العظيم أنزل فيها.

ووصفها ﷺ بأنه يفرق كل أمر حكيم؛ يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتابة ما هو كائن من أمر الله ﷺ في تلك السنة من الأرزاق والآجال، والخير والشر، وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة التي ليس فيها خلل ولا نقص ولا شفة ولا باطل، ذلك تقدير العزيز العليم^(١)

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وليلة القدر -أيها الناس- تكون في العشر الأواخر من رمضان ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان».

وتكون في الأوتار من العشر الأواخر بالذات أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، ففي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى».

(١) المرجع السابق (ص ١٢٩).

(٢) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

(٣) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

(٤) رواه البخاري (٢٠٢١).

وهي في السبع الأواخر أجرى: ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أروا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أرى رؤياكم قد تواطأت (يعني اتفقت) في سبع الأواخر، فمن كان متحريرا فليتحررها في السبع الأواخر».

وأرجى ما تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين: ففي «صحيح مسلم»، و«مسند أحمد»، و«سنن أبي داود»^(٢)، من حديث أبي بن كعب، ومعاوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين».

-أيها الناس-: قد ذكر أهل العلم أن ليلة القدر تكون في وتر العشر الأواخر وأنها تنتقل.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل».

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلا، وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين، تبعا لمشيئة الله وحكمته ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «التمسوها في تاسعة تبقى، وفي سابعة تبقى، وفي خامسة تبقى»^(٣).

(١) رواه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).

(٢) رواه مسلم (٧٦٢)، وأحمد (١٣٢ / ٥) عن أبي بن كعب موقوفا، وأبو داود (١٣٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢١).

-أيها الناس-، علينا أن نجتهد في تلك الأيام الفاضلة بالعبادة؛ كالصلاة، وقراءة القرآن، والإكثار من الدعاء ولا سيما الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة؛ ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»^(١).

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٥٠).

الخطبة الأولى: هـ. الحج والعمرة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن الحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، فهو الركن الخامس من أركان الإسلام، فهو ختام الأمر، وتمام الإسلام وكمال الدين.

ومن أنكر فرضية الحج، فهو كافر مرتد عن الإسلام، إلا أن يكون جاهلاً بذلك، كحديث عهد بإسلام، أو ناشئ في بادية بعيدة، لا يعرف من أحكام الإسلام شيئاً، فهذا يعذر بجهله، ويعرف ويبين له الحكم، فإن أصر على إنكاره فهو كافر، وأما من تركه تهاوناً مع اعترافه بفرضيته فهذا لا يكفر، ولكنه على خطر عظيم، وقد قال بعض أهل العلم بكفره.

وأما العمر فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها واجبة، لكن وجوبها أدنى من وجوب الحج^(١).

والحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وكذلك العمرة.

ومن أدلة فرضية الحج -أيها الناس- ما يأتي:

قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

﴿١٧﴾ [آل عمران: ٩٧]

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «-أيها الناس-، قد فرض الله عليكم الحج؛ فحجوا».

فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم».

ثم قال: «ذرني ما تركتكم، إنها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيء فدعوه».

وفضائل الحج -أيها الناس- لا تكاد تحصر، فمنها:

(١) انظر «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص ١٦٤) بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ له.

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

والحج المبرور - أيها الناس - هو الذي لا يرتكب صحابه فيه مصيبة.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

والرفث - أيها الناس - كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة.

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العمرة
إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وفي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قلت: يا رسول الله، ألا
نغزوا أو نجاهد معكم؟ قال: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور» قالت
عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي «صحيح مسلم»^(٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: النبي صلى الله عليه وسلم فقلت:
ابسط يمينك فلا بايعك. فبسط يمينه، فقبضت يدي، فقال: «ما لك يا عمرو؟». قلت:

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).

(٢) رواه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٤) رواه البخاري (١٨٦١).

(٥) رواه مسلم (١٢١).

أردت أن أشرط. قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟!».

وروى الطبراني في «جامعه» بسن حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك، يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة. وأما وقوفك بعرفة، إن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي، جاءوني شعثا غبرا، من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟!»

فلو كان عليك مثل رمل عالج (أي: ما تراكم من الرمل، ودخل بعضه في بعض) أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك.

وأما رميك الجمار، فإنه مدخور لك. وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك».

ومن فضائل الحج -أيها الناس- أنه طريق الفنى، وأمان من الفقر:

ففي «سنن الترمذي» بسن حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنها ينفيان الفقر، والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد، والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة».

(١) رواه الطبراني في «جامعه» (٥٩٣)، وحسن الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٦٥٠).

وفي «سنن الترمذي» بسن صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه».

وللحج أيها الناس - شروط، فونها:

- أولاً: الإسلام، فلا يصح الحج من كافر.
- ثانياً: البلوغ، فلا يجب الحج على الصبي.
- ثالثاً: العقل، فلا يجب الحج على المجنون.
- رابعاً: الحرية، فلا يجب الحج على العبد.

خامساً: الاستطاعة لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

[آل عمران: ٩٧]

وللحج أيها الناس - أربعة أركان، وهي:

- أولاً: الإحرام: وهو نية الدخول في النسك.
- ثانياً: الوقوف بعرفة.
- ثالثاً: طواف الإفاضة.
- رابعاً: السعي بين الصفا والمروة.

ومن ترك شيئاً من هذه الأركان، لم يصح حجه، حتى يأتي به.

وواجبات الحج أيها الناس سبعة، وهي:

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٥)، وصححه الألباني في «صحيحي سنن أبي داود» (٦٥١).

أولاً: الإحرام من الميقات.

ثانياً: الوقوف بعرفة إلى الليل.

ثالثاً: المبيت بمزدلفة ليلة النحر.

رابعاً: البيت بمنى أيام التشريق.

خامساً: رمي الجمار.

سادساً: الحلق أو التقصير.

سابعاً: طواف الوداع.

ومن ترك واجباً من هذه الواجبات، فعليه بدله فدية، يذبحها في مكة، ويوزعها على مساكين الحرم، ولا يأكل منها شيئاً.

وأيام الحج -أيها الناس- نجملها فيما يأتي:

أولاً: يوم الثامن من ذي الحجة، ويسمى يوم التروية.

ويستحب له أن يغتسل، ويتطيب، ويلبس الإحرام، فيحرم بالحج، ويشترط إن كان خائفاً، ويبيت بمنى ليلة التاسع، ويكثر من التلبية، ويقصر الصلاة الرباعية.

ثانياً: اليوم التاسع، ويسمى يوم عرفة.

يسير إليها بعد طلوع الشمس، ويصلي الظهر والعصر جمعاً، وقصراً (جمع تقديم)، ويجتهد في الدعاء وقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ثالثاً: ليلة مزدلفة (ليلة العيد):

يدفع إليها معد مغيب الشمس بسكينة ووقار، ويصلي بها المغرب والعشاء متى وصل جمعا بأذان واحد وإقامتين، قبل حط رحاله، وينام، ولا ينشغل بصلاة سوى الوتر، ويبقى ويصلي الفجر بها، ويقصد المشعر الحرام إن تيسر، ويدعو الله حتى يسفر جدا.

رابعاً: يوم العيد:

يكثر من التلبية، حتى يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، فيقطعها، ويكبر الله مع كل حصاة، ويذبح هدية في هذا اليوم، ويحلق شعره أو يقصره، والحلق أفضل لغير النساء، بل المرأة تقصر قدر أ، ملة من كل ضفيرة، ويطوف يوسعى حسب النسك، ويخلع إحرامه بالتحلل الأول.

خامساً: أيام التشريق:

يرمي الجمرات الثلاث بعد الزوال، يبدأ بالصغرى، ثم الوسطى، ثم العقبة الكبرى بسبع حصيات لك جمرة، يكبر عند كل حصاة، ويسن له بعد الرمي عند الصغرى والوسطى أن يدعو عندها طويلاً حسب اللوحات الإرشادية هناك، رافعا يديه، ويبيت بمنى هناك وجوباً؛ ليختم آخر أعمال الحج بطواف الوداع، وبذلك يتم حجه.

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: العمرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، أيها النس، تقدم الحديث عن الحج، والآن حديثي معكم عن العمرة.

والعمرة -أيها الناس- واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها:

أن الله ﷻ قرن بين الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وأخرج البخاري أيضا معلقا^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إنها لقريبتها في

كتاب الله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وأخرج البخاري أيضا معلقا^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة».

وفي «مسند أحمد» بسن صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»^(٣)، من حديث عائشة

رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟

قال: «عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»

قال ابن خزيمة رحمته الله في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليهن جهاد لا قتال فيه»: «وإعلامه أن الجهاد

الذي عليهن الحج والعمرة بيان أن العمرة واجبة كالحج؛ إذ ظاهر قوله: «عليهن» أنه

واجب، إذ غير جائز أن يقال: على المرء ما هو تطوع غير واجب»^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٩٧/٣ -الفتح)، ووصله الشافعي كما قال ابن حجر.

(٢) رواه البخاري بصيغة الجزم (٥٩٧/٣ -الفتح)، ووصله ابن خزيمة، والدارقطني،

والحاكم، كما قال ابن حجر.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٥/٦)، وقال الألباني في «الإرواء» (١٥١/٤): إسناده

صحيح.

(٤) انظر «صفة العمرة» لأشرف بن عبد المقصود (ص ١٤).

وأخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث الصبي بن معبد قال: «أتيت عمر رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، إني أسلمت، وأنا حريص على الجهاد، وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبين عليّ، فأتيت رجلا من قومي، فقال: اجمعهما واذبح ما استيسر من الهدي، وإني أهلت بهما معا. فقال عمر رضي الله عنه: هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وآله وسلم».

وأخرج البخاري^(٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أتاني الليلة آت من ربي -وهو بالعقيق-: أن صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».

قال النووي رحمته الله (٣): «وهي واجبة على المذهب الصحيح، ولا تجب هي ولا الحج في العمر إلا مرة واحدة».

وفضائل العمرة -أيها الناس- كثيرة، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «العمر إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وفي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»^(١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد».

(١) رواه أبو داود (١٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٥٨٢).

(٢) رواه البخاري (٧٣٤٣).

(٣) «الإيجاز في المناسك» (ص ٤٠).

(٤) تقدم تخريجه.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي».

قال الإمام ابن الأعرابي رحمته الله: «حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها»^(٣).

والمعتمر أيها النس من وفد الله سبحان الله

ففي «سنن ابن ماجه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»^(٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الغازي في سبيل الله عجلت له، والحاج، والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم».

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلننا، وما أنت أعلم به منا، إنك أنت المقدم والمؤخر، لا إله إلا أنت.

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٣) نقله عنه ابن ماجه في «سننه» (٦٨ / ٣).

(٤) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٣٩).

أركان الإيمان

الخطبة الأولى: ١- الإيمان بالله

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلّى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، أيها النس، حديثي معكم حول أصل من اصول الإيمان، بل أصل الأصول، والطريق للوصول، ألا وهو الإيمان بالله.

والإيمان بالله -أيها الناس- يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجود الله.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأول: الإيمان بوجود الله:

وقد دل على وجوده ﷻ الفطرة، والعقل، والشرع، والحس:

أما الفطرة: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه، ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

وأما العقل: فإن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها.

قال الله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] يعني: أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذي خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله ﷻ^(*).

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ

(١) رواه البخاري (١٣٨٥).

(٢) «شرح أصول الإيمان» (ص ١٥، ١٦).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٤).

(*) يجوز في لفظ الجلالة في الجملة السابقة الأمران: النصب والرفع والنصب أحسن فالنصب باعتبار ضمير الفصل (هو) حرفاً أو اسماً مهماً (أي: لا يعلم ولا محل له من الإعراب) فلفظ الجلالة بعده خبر للفعل الناسخ (يكون) والرفع باعتبار ضمير الفصل مبتدأ مبني على الفتح في محل رفع وخبره لفظ الجلالة. والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر لـ (يكون).

وَالْأَرْضَ بَلَّ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ [الطور: ٣٥، ٣٧] وكان جبير يومئذ مشركا، قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي».

وأما أدلة الشرع على وجود الله: ل فإن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك.

وأما أدلة الحس: فذلك واضح من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجود الله ﷻ، ومن ذلك معجزات الأنبياء التي شاهدها الناس، ونقلت إلينا نقلا صحيحا.

الثاني الإيمان بربوبيته ﷻ:

أي أنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خلاق إلا الله، ولا ملك إلا هو، ولا أمر إلا له.

قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وقال الله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]

- أيها الناس -، إن ربوبية الله خلقه على نوعين:

النوع الأول: ربوبية عامة، شاملة لجميع المخلوقات، وهي أن الله ﷻ هو المتفرد بخلقها، ورزقها، وتدبيرها.

النوع الثاني: ربوبية خاصة، وهي خصاصة بأولياء الله وأصفيائه، وهي تربيته لهم بهدايتهم للدين والإيمان.

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: «وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة»

فالعامّة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيريهم بالإيمان، ويفقههم له، ويكلمه لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة^(١).

-أيها الناس-، هنا سؤال يفرض نفسه هو:

هل توحيد الربوبية يكفي العبد في حصول الإسلام؟

الجواب: لا، فهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية؛ لأن الله ﷻ أخبر في كتابه الكريم عن المشركين أنهم

مقرون بهذا التوحيد وحده، قال الله ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [يونس: ٣١]

[يونس: ٣١].

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٣٩).

ومع هذا كله من إقرار المشركين بأن الله هو الخلاق الرازق المدبر، لم ينفعهم ذلك، ولم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة أخرى، وزعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]

فتبين لكم -أيها الناس- أن الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته، ويعرفون ملكه ويعرفون قهره، ولم تدخلهم تلك المعرفة في الإسلام.

-أيها الناس-، لا بد أنكم قد عرفتم توحيد الربوبية، وأنه لا يكفي العبد في حصول الإسلام؛ لأنه لا بد أن يأتي بلازمه، وهو توحيد الألوهية.

وفيا يأتي الحدي عن توحيد الألوهية:

وتوحيد الألوهية -أيها الناس- هو: إفراد الله ﷻ بالعبادة كلها، فلا يعبد غيره، ولا يدعى سواه، ولا يستغاث ولا يستعان إلا به، ولا ينذر ولا ينحر إلا له.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

-أيها الناس-، إن توحيد الألوهية هو الذي أنكره المشركون، واستعظموه؛ لأن من لوازمه بطلان عبادة آلهتهم ووسائطهم.

فهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قوله: لا إله إلا الله؛ ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وفيها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل جنة وأشقياء أهل النار^(١).

وأدلة توحيد الألوهية كثيرة، لا تكاد تحصر، منها:

قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

«ولكل ما اتخذ إلهًا مع الله، يعبد من دونه، فالوهيته باطلة. قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأَنَّ

اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية. قال الله ﷻ في اللات، والعزى، ومناة:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وَمَا [النجم: ٢٣]

وقال الله ﷻ عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ

الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا

مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩]

ولذلك كانت الرسل عليه السلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِوَاهُ﴾

[المؤمنون: ٢٣]. ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله ﷻ،

ويستنصرون بهم، وستغيثون.

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٣٦).

وقد أبطل الله ﷻ اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة، لا تخلق، ولا تجلب نفعا لعبديها، ولا تدفع عنهم ضررا، ولا تملك لهم حياة ولا موتا، ولا يملكون شيئا من السموات، ولا يشاركون فيه.

قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهيرٌ﴾ [٢٢] ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٢٣] ﴿[سبا: ٢٢]﴾
وقال الله ﷻ: ﴿أَيْشُرُّونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [١١١] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]

وغذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحده بالألوهية، كما وحده بالبربوية كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢] (١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: الإيمان بأسماء الله وصفاته

الحمد لله رب العالمين، وأصلي واسلم على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والآن حديثي معكم حول الإيمان بأسمائه وصفاته.

-أيها الناس-، **إن الإيمان بأسماء الله ومفاته**: هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، وسنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، من غير تحريف (أي: تفسير النصوص بالمعاني الباطلة)، ولا تعطيل (أي نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة)، ولا تكييف (أي: أن يعتقد أن صفة الله ﷻ على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف؟)، ولا تمثيل (أي: اعتقاد أن صفات الله ﷻ مثل صفات المخلوقين).

قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (٢١، ٢٣).

قال ابن سعدي رحمته الله في تفسيره هذه الآية: «هذا بيان لعظيم جلاله، وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى: أي له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضاً، لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص، أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدال على أنه له علما محيطا عاما لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وكـ «الرحيم» الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكل شيء.

وكـ «التقدير» الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها «حسنى» أنه لا يدعى إلا بها؛ ولذلك قال: «فادعوه بها».

وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عليّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠)

[الأعراف: ١٨٠]: أي عقوبة وعذاباً على إلحادهم في أسمائهم، وحقيقة الإلحاد؛ الميل بها عما جعلت له: إما بأن يسمى بها من لا يستحقها كتسمية المشركين بها لأهلهم، وإما بنفي

معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أَرَادَهُ اللهُ ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر الملحدون فيها»^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وافعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثلته شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه.

و«وهو السميع» لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

«البصير» يرى ديبب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سيريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأقصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله: «ليس كمثلته شيء»، وعلى المعطلة في قوله: «وهو السميع البصير»^(٢).

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة».

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٣٠٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٧٥٤).

(٣) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٣).

ومعنى أحصاها - أيها الناس - : أي حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدتها.

والجنة - أيها الناس - لا يدخلها إلا المؤمنون، فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصلو الإيمان وقوته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسن بمراتبها الثلاث: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله بها دعاء الشناء والعبادة ودعاء المسألة هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها؛ لأن معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأنواع هي روح الإيمان وأمله وغايته: فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله، ومحبة لربه، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبه لا محالة^(١).

فنسأل الله الذي لا إله إلا هو بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يفقهنا في الدين، ويثبتنا على الحق الممين، ويجعلنا هداة مهتدين.

(١) انظر «مدارج السالكين» (١٧١٣)، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» لابن سعدي (٣٩)، و«بدائع الفوائد» (١/١٦٤)، و«شرح أسماء الله الحسنى» للقطاني (٤، ٥).

الخطبة الأولى: ٢- الإيمان بالملائكة

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به ^(١).

قال الله سبحانه: ﴿ءَامِنَ الرُّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ ءَ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

(١) انظر «عالم الملائكة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد أكثرت النقل عنه في هذه الخطبة.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»

والملائكة -أيها الناس- عالم غيبي، مخلوقون عابدون لله تعالى وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله سبحانه وتعالى من نور.

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

-أيها الناس-، إن من الإيمان بالملائكة الإيمان بما علمنا من صفاتهم،

وفيما يأتي ذكر بعض مفاتهم:

قال الله سبحانه وتعالى في ملائكة النار: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومما جاء في مفة جبريل:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩، ٢١]. والمراد بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذو العرش: رب العزة والجلال.

(١) رواه البخاري (٥٠) و(٤٧٧٧)، ومسلم (٩) و(١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٦).

وروى الإمام أحمد بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح».

ومما جاء في وصف جملة العرش:

روى الإمام أبو داود بسن صحيح، صححه الألباني في «تخريج المشكاة»، و«السلسلة الصحيحة»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رال: «أذن لي أن أتحدث عن أحد حملة العشر، ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وللملائكة أجنحة، كما أخبرنا الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

قال ابن سعدي رحمته الله في قوله تعالى: «أولي أجنحة»: «تطير بها، فتسرع تنفيذ ما أمرت به. «مثنى وثلاث ورباع» أي: منهم من له جناحان، وثلاثة، وأربعة بحسب ما اقتضته حكمته»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (١/٣٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٤).
 (٢) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/١٢١)، و«الصحيحة» (٧٢/١).
 (٣) «تفسير ابن سعدي» (ص ٦٨٤).

ومما جاء في وصف جمالهم أن الله ﷻ خلقهم على صور جميلة كريمة، كما قال تعالى في جبريل: ﴿عَمَّهُ، سَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٥]

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: في قوله تعالى: «ذو مرة»: «أي: قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن»^(١)

وقد استقر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك.

قال الله ﷻ حاكيا عن بعض النسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

ومما جاء في تفاوت الملائكة في الخلق والمقدار:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤].

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث رفاعة بن رافع أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون من شهد بدرا فيكم؟» قال: «خيارنا». قال: «وكذلك من شهد بدرا من الملائكة، هم عندنا خيرا الملائكة».

والملائكة -أيها الناس- لا يوصفون بالذكورة حيث إنه لم يرد نص في ذلك، ولا بالأنوثة، حيث ورد الذم على ذلك كما أنهم لا يأكلون، ولا يشربون.

(١) المرجع السابق (ص ٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٩٩٥).

قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩) [الزخرف: ١٩].

وأخبرنا الله ﷻ أن الملائكة جاءوا إبراهيم في صورة بشر، فقدم لهم الطعام، فلم تمتد أيديهم إليه، فأوجس منهم خيفة، فلما كشفوا عن حقيقتهم، زال خوفه.

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) [الذاريات: ٢٤، ٢٨].

ومما جاء في وصف عدد الملائكة:

الملائكة - أيها الناس - خلق كثير، لا يعلم عددهم إلا الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

[المدثر: ٣١].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢).

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطت السماء، وحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبر إلا وفيها جبهة ملك ساجد، يسبح الله بحمده».

أيها الناس، لقد أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم،

فقد أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ﴾ [مريم: ١٦]

وإبراهيم جاءته الملائكة في صورة بشر، وجاءوا إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه.

وكان جبريل عليه السلام يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة، فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وهو صحابي، كان جيل الصورة، وتارة في صورة أعرابي، وقد شاهده كثير من الصحابة.

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عمر با الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١/١٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠).

(٢) رواه مسلم (٨).

الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبته إلى ركبته...»

وقد أخبر الرسول ﷺ فيما بعد أن السائل جبريل، جاء يعلم الصحابة دينهم.

والملائكة -أيها الناس- مطبوعون على طاعة الله، ليس دليهم القدرة على العميان.

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

وقال الله ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

-أيها الناس-، لقد اختلف العلماء حول أيهما أفضل الملائكة أم صالحو البشر؟

وتحقيق القول: ما ذكره ابن تيمية من أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحياتهم الرحمن، وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمته بإذن ربهم.

والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عما يلبسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الين أكمل من أحوال البشر.

قال ابن القيم رحمه الله: «وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين كل منهم على حقه»^(١).

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: علاقة الملائكة بذرية آدم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق الحديث معكم عن الإيثار بالملائكة، وذكر الصفات الخلقية للملائكة، وما يتعلق بها، والآن حديثي معكم عن علاقة الملائكة بذرية آدم. -أيها الناس-، لا شك أن علاقة الملائكة بذرية آدم علاقة وثيقة، فهم يقومون عليه عند خلقه، ويكلفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة، ويأتونه بالوحي من الله، ويراقبون أعماله وتصرفاته، وينزعون روحه إذا جاء أجله.

فمن أعمالهم حراستهم لابن آدم:

قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(١٠) لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ ﴿[الرعد: ١٠]

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن املعقات من الله: هم الملائكة، جعلهم الله؛ ليحفظوا الإنسان من أمامه، ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله الذي قدر أن يصل إليه خلوا عنه.

ومن أعمالهم أنهم يبلغون وحي الله إلى رسله وأنبيائه:

(١) انظر «الفتاوى» (٣٥٠/١١)، و«لوامع الأنوار البهية» (٣٦٨/٢)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٣٨).

قال الله ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]

ومن أعمالهم حفظ أعمال بني آدم:

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَانِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠، ١٢]

-أيها الناس-، لقد وكل الله ﷻ بكل إنسان ملكين حاضرين، لا يفارقانه، يحصيان عليه أعماله وأقواله. قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ فَسُءِ وَحْنٍ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٦]

وصحاب اليمين يكتب الحسنات، والآخر السيئات،

ففي «معجم الطبراني الكبير» بإسناد حسن^(١)، حسنه الألباني في «صحيح الجامع» من حديث أبي أمام أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم، واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة».

والملائكة -أيها الناس- يحبون المؤمنين:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض».

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٧).

(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

والملائكة تصلي على المؤمنين:

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣) [الأحزاب: ٤٣].

والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس، والاستغفار لهم وتصلي عليهم بعد كل صلاة كما في الحديث: «ما لم يؤذ ما لم يحدث» في «الصحيحين».

وهم أي الملائكة- يستغفرون للمؤمنين، ويحضرون مجالس العلم، ويشهدون جنازة الصالحين، ويبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام:

قال الله ﷻ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) [الشورى: ٥].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧].

ومما يدل على حضورهم مجالس العلم.

ما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، ويتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»
ومما يدل على شهودهم جناز الصالحين، ما روى الطبراني في «جامعه» بإسناد صحيح،
صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله
ﷺ في سعد بن معاذ: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده
سبعون ألفا من الملائكة، ولقد ضم ضمة، ثم فرج عنه».

ومما يدل على أنهم يبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام.

ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه» بسند صحيح، صححه
الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن أمتي السلام».

**أيها الناس - قبل أن أودع مقامي هذا، أحب أن أذكركم أن الملائكة عباد الله، اختارهم
واصطفاهم، ولهم مكانة عند ربهم، ويجب علينا أن نحب جميع الملائكة، فلا نفرق في
ذلك بين ملك وملك؛ لأنهم جميعا عباد الله، عاملون بأمره، تاركون لنهييه.**

ويجب علينا - أيها الناس - أن نعلم أن أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي،
والكفر والشرك، وأن أعظم ما يرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما
يغضبه.

(١) روى الطبراني في «جامعه» (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).

(٢) تقدم تحريجه.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦]

الخطبة الأولى: ٣- الإيمان بكتب الله

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي نَسَاءَ لُونِ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بكتب الله ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به.

والمراد بكت الله الكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله رحمة للخلق، وهداية لهم.

والإيمان بالكتب -أيها الناس- يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، والإنجيل الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم، والزيور الذي أوتيها داود صلى الله عليه وسلم، وأما ما لم نعلم اسمه، فتؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها: كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يحرف أو يبدل من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها. وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]

أي: حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة، إلا ما صح منها، وأقره القرآن^(١)

وأدلة الإيمان بكتب الله -أيها الناس- أكثر من أن تحصر، فمنها:

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ٢، ٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَايَنَا دَاوُدَ رَبُّورًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١٦٤]

(١) انظر «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص ٣٠، ٣١).

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زَيْرِ الْأُولَىٰ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٦]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها، حتى انتصف النهار، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به، حتى صليت العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا، ثم أوتيتم القرآن، فعملتم به، حتى غرب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين.

فقال أهل الكتاب: هؤلاء أقل منا عملا، وأكثر أجرا!؟

قال الله: هل ظلمتكم من حركم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فهو فضلي، أوتيه من أشاء.

وفي «صحيح البخاري» أيضا^(٢) من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خفف على داود عليه السلام القرآن، (أي: القراءة)، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إعلا من عمله يده»

والقرآن الكريم -أيها الناس- أطول الكتب السماوية وأشملها:

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٦٧) و(٧٥٣٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤١٧).

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث وائلة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل».

والكتب السماوية -أيها الناس- كلها أنزلت في شهر رمضان:

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث وائلة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الغنجيل لثلاث عشر مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

-أيها الناس-، كما يجب علينا الإيمان بالكتب السابقة، فإنه يجب علينا ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم.

ففي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَأَمْنَا بِالَّذِي نُنزِلُ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ

إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «تخريج الترغيب» (٢/٢١٧)، و«الصحيححة» (١٥٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٩).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسن الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٧)، و«الصحيححة» (١٥٧٥).

(٣) صحيح البخاري (٧٣٦٢).

-أيها الناس-، نحن لا نصدق أهل الكتاب؛ لأنهم حرفوا وبدلوا، ولا نكذبهم؛ حتى لا يخبرونا بحق فنكذبهم، أو يبطل فنصدقهم.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب، أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه للنبي صلى الله عليه وسلم، فغضب، فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو يبطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى عليه السلام كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني». ومعنى متهوكون: أي متحIRON.

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم، أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب؟! وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنا قليلا.

أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن (مسألتهم)؟!، ولا - والله - ما رأينا منهم رجلا - قط - يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٥).

أما بعد،

-أيها الناس-، سبق الحديث معكم حول الإيمان بكتب الله، وأن نزولها من عند الله حقا، وأنه لا يجوز أن نصدق أهل الكتاب أو نكذبهم؛ لئلا نكذبهم بحق، أو نصدقهم باطل، ولأن الله ﷻ أخبرنا عن أهل الكتاب أنهم غيروا وبدلوا في كتب الله، فقال الل ﷻ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

والآن حديثي معكم -أيها الناس- عن القرآن الكريم:

كتاب الله الذي أنزله على خير خلقه محمد ﷺ، كما أنزل غيره من الكتب على من سبق من الرسل، فالقرآن الكريم -أيها الناس- سنخ بأحكامه سائر الأحكام في الكتب السماوية السابقة، كما ختم برسالة صاحبه كل رسالة سابقة.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي حاكما عليه، ومشملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة.

والقرآن الكريم -أيها الناس- هو الكتاب الوحيد الذي ضمن الله سلامته من النقص والزيادة، ومن التبديل والتغيير، وبقائه حتى يرفعه إليه.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]

قال بان سعدي رَضِيَ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «إنا نحن نزلنا الذكر» أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، و«وإننا له لحافظون» أي: في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله، أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيه، ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها، والزيادة، والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا

يحرف محرف معنى من معانيه، إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجاحهم^(١).

وفضائل القرآن أكثر من أن تحصر، فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١]

وقال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَتَعَّ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥]

وقال الله ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣]

وقال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٤٢٩).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه».

وفي «صحيح مسلم» أيضاً^(٢) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن، وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه (أي: تتقدمه) سورة البقرة وآل عمران، تحاجن عن صحبهما».

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن، وعلمه».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به (أي: مجيد لفظه على ما ينبغي، بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته) مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتبع فيه، وهو عليه شاق له أجران».

والسفرة الكرام: هم الملائكة الرسل إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

ومعنى البررة: أي المطيعين، فهم عهم في منازلهم في الآخرة. وقوله: «يتتبع فيه»: أي يتردد في قراءته، ويتبلد فيها لسانه.

(١) «صحيح مسلم» (٨٠٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٨٠٥).

(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٤) رواه البخاري (٥٣٢ / ٨)، ومسلم (٧٩٨)، واللفظ له.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد (أي: لا غبطة) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل، وآناء النهار».

والآناء: الساعات.

وأخرج الترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «ألم» حرف، ولكن: الف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وأخرج الترمذي بسند حسن^(٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصحاب القرآن: اقرأ وارتق (أي في درجة الجنة بقدر ما حفظته من آي القرآن) ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحرير: ٨]

(١) رواه مسلم (٨١٧).

(٢) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٧٩١٥).

الخطبة الأولى: ٤- الإيمان برسول الله

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الإيمان لا يتم إيمان المسلم إلا به.

فنحن نؤمن بأن الله ﷻ اصطفى من الناس رسلاً، وأوحى إليهم بشرعه، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة، أرسلهم بالبينات، وأيدهم بالمعجزات، ابتدأهم بنبيه نوح، وختمهم بمحمد ﷺ.

والأدلة على أن الإيمان بالرسل أصل من أطلو الإيمان أكثر من أن تحصر، فمنها: (٢)

(١) انظر «منهاج المسلم» للجزائري (ص ٢٥).

(٢) انظر «الرسل والرسالات» للأشقر، فقد استفدت منه كثيراً.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [٨٤] ﴿٨٤﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١٣٦] ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

ومدح الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ، والمؤمنين الذي تابعوه لإيمانهم، ولعدم تفريقهم بين الرسل.

قال الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وذكر الله ﷻ أن الإيمان ببعض الرسل، والكفر ببعض كفر بهم جميعا؛ لأن الرسل حملة رسالة واحدة، ومرسلهم واحد، ودعاة دين واحد، ودعاة دين واحد، يبشر المتقدم منهم بالتأخر، ويصدق المتأخر المتقدم^(١).

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥٠] ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [١٥١] ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ طَيِّبًا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠] ﴿١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠].

(١) المرجع السابق (ص ٢٤، ٢٥).

وذم الله ﷺ أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل، وكفرهم ببعض، فقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

وأدلة السنة ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في جواب جبريل حيث سأله عن الإيمان، فقال له: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

-أيها الناس-، بعد أن علمنا أن الإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان، علينا أن نعرف شيئاً من صفات الرسل، ووظائفهم، ومهامهم.

فمن صفاتهم -أيها الناس- أنهم بشر مثلنا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، لكن الله اختارهم تكريماً وتفضيلاً.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كُنَّا لِنَأْتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]

ومن صفاتهم أنهم يتعرضون للبلاء، بل إنهم أشد الناس بلاء:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَآيَدْنَاهُ بَرُوجَ الْقُدْسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]

وأخرج الترمذي في «سننه» بسند حسن صحيح، وحسن إسناده الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحدا أشد عليه الوجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومن صفاتهم أيها الناس - أنه ليس لهم من خصائص الألوهية والملائكية شيء:

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا قال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/٢٨٦).
(٢) رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

فهم لا يدعون شيئاً من صفات الله ﷻ، ولكنهم يمثلون الكمال الإنساني؛ لأن الله اختارهم، واصطفاهم لنفسه.

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

ومن صفاتهم الكمال في الخلقة الظاهرة، وفي الأخلاق:

قال ابن حجر رحمه الله: «إن الله الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال، وإن من نسب نبياً إلى نقص في خلق، فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر»^(١).

وأیفا الأنبياء خير الناس نسبا:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾

[الحديد: ٢٦].

ومن صفاتهم الذكورة:

فلم يبعث الله ﷻ رسولا من النساء، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا

نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]

والأنبياء والرسول -أيها الناس- جم غفير:

فقد كثر الأنبياء والرسول في تاريخ البشرية كثرة هائلة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مشكاة المصابيح»^(١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر

(١) «فتح الباري» (٦/٤٣٨).

جما غفيرا» وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا».

وهذا العدد الكبير للأنبياء والرسل -أيها الناس- يدلنا على أن الذين نعرف أسماءهم من الرسل والأنبياء قليل، وأن هناك أعدادا كثيرة لا نعرفها.

قال الله ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

[النساء: ١٦٤]

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم خمسة وعشرين نبيا ورسولا:

فذكر في مواضع متفرقة آدم، وهودا، وشعبيا، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

وقال ﷻ: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]

وقال ﷻ: ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١]

وقال ﷻ: ﴿وَالِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤]

وقال ﷻ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلَىٰ﴾ [الفتح: ٢٩]

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٢٢/٢).

وذكر ﷺ ثمانية عشر نبيا في موضع واحد في سورة الأنعام، فقال ﷺ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣]

ولقد أخبرنا الله ﷻ أنه فضل بعض النبيين على بعض، فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥]

وقال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]

وأفضل الرسل والأنبياء خمسة:

محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل وأفضل أولي العزم محمد ﷺ، وقد ذكرهم الله في كتابه، فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]

ولنعلم أيها الناس - أنه قد جاءت أدلة تنهى عن التفصيل بين الأنبياء:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء».

(١) رواه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤).

قال الطحاوي رحمته الله: «هذه الأحاديث لا تعارض النصوص القرآنية التي تدل على أن الله فضل بعض الأنبياء على بعض، وبعض المرسلين على بعض، وينبغي أن يحمل النهي الذي ورد في الأحاديث على النهي عن التفضيل، إذا كان على وجه الحمية والعصبية والانتقاص، إذا كان هذا التفضيل يؤدي إلى خصومة أو فتنة»^(١) ومما يدل على ما ذهب إليه الطحاوي: ما جاء في «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على العالمين في قسم يقسم به.

فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرجع المسلم عند ذلك يده، فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: «لا تخبروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفتق، فإذا أنا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله». وفي رواية عند البخاري: «لا تفضلوني على الأنبياء». وفي رواية: «لا تخبروني على الأنبياء».

قال ابن حجر عن بعض أهل العلم أنه قال: «الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجالدة أهل الكتاب، وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين، لا يأمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر،

(١) «شرح الطحاوية» (ص ١٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٨) و (٦٥١٧).

فيضي إلى الكفر، فأما إذا كان التمييز مستندا إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان، فلا يدخل في النهي^(١).

وأستغفر الله.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم حول الإيمان بالرسول، مع ذكر شيء من صفاتهم، والآن حديثي معكم حول وظائف الرسول ومهامهم.

فمن وظائفهم -أيها الناس- البلاغ المبين:

فهم سفراء الله إلى عباده، ورحمة وحيه، قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ

وَيُحْسِنُونَ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ اللَّهُ [الأحزاب: ٣٩]

وقال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

رِسَالَاتِهِ، [المائدة: ٦٧]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ دُونَنَا [ال عمران: ٢٠]

ومن وظائفهم التبشير والإنذار:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

[النحل: ٣٦]

(١) «فتح الباري» (٦/٤٤٦).

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ خُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣]

ومن وظائفهم إصلاح النفوس وتركيبتها:

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]

ومن وظائفهم إقامة الحجة:

لا أحد أحب العذر إليه من الله ﷻ؛ لذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ كي لا يبقى للناس حجة في يوم القيامة.

قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ نُوحِ﴾ [النساء: ١٦٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٧٤﴾﴾ [طه: ١٣٤]

ومن وظائفهم سياسة الأمة:

قال الله ﷻ: ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون

خلفاء، فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوايعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم الذي جعله الله لهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(١)

-أيها الناس-، قبل أن أودع مقامي هذا، أحب أن أذكركم أن الدين الذي دعت إليه الرسل جميعا واحدا، هو الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

وهذا نوح يقول لقومه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]

والإسلام: هو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويوصي كل من إبراهيم ويعوب أبناء قائلا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وموسى يقول لقومه: ﴿يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

والحواريون يقولون لعيسى: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]

وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [التقصص: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

(١) أخرجه البخاري (٣٧١/٢)، ومسلم (١٧/٦).

هـ. الإيمان باليوم الآخر: الخطبة الأولى: أ. القبر أول منازل الآخرة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، لا شك أن الإيمان باليوم الآخر اصل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المسلم إلا به لأدلة كثيرة، فمنها:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ؕ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ؕ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؕ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٢]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل، وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، بعد أن سأله عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

-أيها الناس-، إن الإيمان باليوم الآخر لا يقتصر على يوم القيامة، بل يدخل في ذلك الإيمان بعذاب القبر ونيعمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت»^(٢).

ومما يدل على أن عذاب القبر ونيعمه يدخل في الإيمان باليوم الآخر قول الله سبحانه وتعالى:
﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣١، ٣٢]

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله في تفسير هذه الآية «الذين تتوفاهم الملائكة مطيبين يقولون» حال توفيقهم: «سلام عليكم ادخلوا الجنة»، وهم وإن لم يدخلوا الجنة التي عرضها السموات والأرض، لكن دخلوا القبر الذي فيه نعيم الجنة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩]

(١) تقديم تخریجه.

(٢) تعليقات على العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص ٥).

وهذا يكون إذا بلغت الروح الحلقوم، وهذا هو نعيم القبر، بل إن الإنسان يبشر بالنعيم قبل أن تخرج روحه، يقال لروحه: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتفرح الروح بذلك، فتخرج خروجاً سهلاً ميسراً^(١)

وعذاب القبر ونيمة - أيها الناس - ثابت بالكتاب والسنة:

فمن القرآن قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت» أي: شدائده، وأهواله الفظيعة، وكربه الشنيعة لرأيت أمرا هائلا، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

«والملائكة باسطوا أيديهم» إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم، وتعصيتها للخروج من الأبدان: «أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون» أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل؛ فإن هذا العذاب «بما كنتم تقولون على الله غير الحق» من كذبكم، ورددكم للحق الذي جاءت به الرسل، «وكنتم عن آياته تستكبرون» أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونيمة، فإن هذه الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار، وقبيل الموت وبعده^(٢).

(١) «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٢٦٥).

وقال الله ﷻ: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]

قال الحسن البصري رحمه الله: «سنعذبهم مرتين» عذاب الدنيا وعذاب القبر»^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [٤٥]

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [٤٦] [غافر: ٤٥]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في

البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر»^(٢).

وقال الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٢٧] [إبراهيم: ٢٧].

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «أقعد

المؤمن في قبره أتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: «يثبت

الله الذين آمنوا بالقول الثابت». وفي رواية أخرى: «يثبت الله الذين آمنوا» نزلت في

عذاب القبر».

وأما أدلة عذاب القبر ونعيمه من السنة المطهرة -أيها الناس- فأكثر من أن تحصر، فمنها:

(١) «فتح الباري» (١١/٢٣٣).

(٢) «فتح الباري» (١١/٢٣٣).

(٣) «صحيح البخاري» (١٣٦٩).

روى أحمد في «مسند»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم [مستقبل القبلة]، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عوده ينكت في الأرض، (فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثاً)، فقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثاً، (ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) (ثلاثاً)، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى الله عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤)، وأبو داود (٢٨١/٢)، والحاكم (٣٧/١، ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧، ٣٧٠)، ورواه النسائي (٢٨٢/١)، وابن ماجه (٤٦٩/١)، (٤٧٠) القسم الأول من ه إلى قوله: «وكأن على رؤوسنا الطير»، وهو رواية أبي داود، وثمة رواية لأبي داود (٧٠/٢) بأخصر منه، وكذا أحمد (٢٩٧/٤)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وهو كما قال، وصححه ابن القيم في «أعلام الموقعين» (٢١٤/١)، و«تهذيب السنن» (٣٣٧/٤).

وهنا تنبيه مهم: وهو أن العلامة المحدث الألباني رحمته الله هو الذي جمع رواية هذا الحديث، وساقه سياقاً واحداً، ضاماً إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في جميع طرقه الثابتة في كتابه «أحكام الجنائز» (ص ١٩٨-٢٠٢).

قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، (فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَقَّتهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ويخرج منها كأطيب نفحة مسلك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى المساء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عزوجل: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وما أدراك ما عليون: كتاب مرقوم يشهده المقربون»، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيده إلى الأرض، فإني (وعدتهم أي) منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فد(يرد إلى الأرض، و) تعاد روحه في جسده، (قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه) (مدبرين). فيأتيه ملكان (شديدا الانتهار) فد(ينتهرانه، و) يجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم}، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به، وصدقت، (فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عزوجل ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [ابراهيم: ٢٧]، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ^{صلى الله عليه وسلم}، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم)، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له:

(وأنت فبشرك الله بخير) من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في إطاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً)، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، (فيقال له: اسكن)، قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه، معهم المسوح من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (الكثير الشعب) من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب)، (فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تخرج روحه من قبلهم)، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعون بها، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى»، (ثم يقال: أعيديوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى)، فتطرح روحه (من السماء) طرحاً (حتى تقع في جسده) ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١) فتعاد روحه في جسده، (قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا

ولوا عنه). ويأتيه ملكان (شديدا الانتهار، فيتهرانه، و) يجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ (فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقول له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري)، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم) فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! (فيقول) هاه هاه لا أدري (سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لا دريت)، (ولا تلوت)، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافشروا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، متن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول (وأنت فبشرك الله بالشر) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث؟ (فو الله ما علمت إلا كنت بطيئا عن طاعة الله، سريعا إلى مصية الله)، (فجزاك الله شرا، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، يمهد من فرش النار). فيقول: رب لا تقم الساعة».

وأستغفر الله

الخطبة الثانية: القبر أول منازل الآخرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.
أما بعد، -أيها الناس-، إن عذاب القبر، ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة، فيجب علينا الإيمان بذلك.

قال شارح الطحاوية^(١): «قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا تتكلم في كفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».

-أيها الناس-، ألا ما أفضع عذاب القبر!، فقد أخرج ابن ماجه بسن حسن، حسنه الألباني في «صحيح» سنن ابن ماجه^(٢) من حديث هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى، حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفضع منه».

-أيها الناس-، لقد فح الصحابة بالبكاء وهم خير القرون حين قام رسول الله ﷺ فيهم خطيبا مذكرا لهم بفتنة القبر:

ففي «صحيح البخاري»، و«سنن النسائي»^(٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: «قام رسول الله ﷺ خطيبا، فذكر فتنة القبر، التي يفتتن فيها

(١) «شرح الطحاوية» (ص ٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٤٢)، و«المشكاة» (٤٨/١).

(٣) رواه البخاري (١٣٧٣)، وسنن النسائي (٢٠٦٢).

المراء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة» وزاد النسائي: «حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله ﷺ، فلما سكنت ضجتهم، قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله لك، ماذا قال رسول الله ﷺ آخر قوله؟ قال: «قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال».

أيها الناس، استعدوا بالهل من عذاب القبر، فإن النبي ﷺ كان يستعيز بالله من عذاب القبر دبر كل صلاة:

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر! فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر حق» قالت عائشة رضي الله عنها: «فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر».

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر.

اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، ونعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات.

(١) «صحيح البخاري» (١٣٧٢).

الخطبة الأولى: ب. القيامة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بيوم القيامة من أصول الإيمان، فيوم القيامة هو اليوم الآخر، الذي لا يتم إيمان المرء المسلم إلا به ^(١).

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

(١) انظر «اليوم الآخر القيامة الكبرى» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد استفدت منه كثيرا.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل، وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، بعد أن سأله عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

أيها الناس- إن الساعة آتية لا محالة، وذلك يوم ينفخ في الصور، فتنهى هذه النفخة الحياة في الأرض والسماء.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وهي -أيها الناس- نفخة هائلة مدمرة يسمعها المرء، فلا يستطيع أن يوصي بشيء، ولا يقدر على العودة إلى أهله.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولتقوم الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقوم الساعة، وقد انصرف الرج لبلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقوم الساعة، وهو يليط حوضه، لا يسقي فيه، ولتقوم الساعة، وقد رفع أكلته إلى فيه، فلا يطعمها».

إن هذا الحديث -أيها الناس- ليبين لنا بجلاء سرعة هلا الناس، حين تقوم الساعة.

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٧١٢١)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٤).

والصور -أيها الناس-: قرن ينفخ فيه، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ ففي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، وحسنه الألباني^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «الصور: قرن ينفخ فيه».

وقد أخبر الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما للنفخ فيه، من ذ أن خلقه الله ﷻ:

فقد أخرج الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، ووافقه عليه الذهبي، والألباني في «الصحيحة»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد، ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان».

وفي هذا الزمان -أيها الناس- أصبح إسرافيل أكثر استعدادا للنفخ في الصور.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة» لشواهده^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، حتى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ».

قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكلنا على الله ربنا».

اليوم الذي تكون فيه النفخة -أيها الناس- هو يوم الجمعة:

- (١) رواه أحمد، والترمذي، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠): حسن صحيح.
- (٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٧).
- (٣) أخرجه الترمذي (٣١٦/٧٠/١)، وصححه الألباني لشواهده في «الصحيحة» (١٠٧٩).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة».

وفي كل يوم جمعة ت كون المخلوقات كلها خائفة مشفقة إلا الجن والإنس:

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه هبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة (أي منتظرة قيام الساعة) يوم الجمعة، من حين تصبح، حتى تطلع الشمس شفقة من الاسعة إلا الجن والإنس».

والذي يظهر-أيها الناس- أن إسرافيل ينفخ في الصور مرتين: الأولى يحمل بها الصعق، والثانية يحمل بها البعث:

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

وسمى الله تعالى النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦]

وبعد النفخة الثانية يقوم الناس لرب العالمين:

(١) رواه مسلم (٨٥٤).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٢٤)، وقال الألباني في «المشكاة» (١٣٥٩): حسن صحيح.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا، ورفع لينا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرا، كأنه الطل أو الظل، (نعمان أحد رواة الحديث هو الشاك) فثبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون».

والإنسان -أيها الناس- يتكون من عظم صغير، عندما يصبه الماء ينمو نمو البقل، والعظم هو عجب الذنب، وهو عظم الصلب المستدير الذي في أمل العجز، وأمل الذنب.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

وفي لفظ مسلم: «إن في الإنسان عظما، لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة» قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: «عجب الذنب».

وأول من يبعث وتشق عنه الأرض -أيها الناس- هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

ويحشر العباد -أيها الناس- حفاة عراة غرلا (أي: غير مختونين):

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا -أيها الناس-، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قال ابن عثيمين رحمته الله: «وما يدخل في الإيمان باليوم الآخر البعث، فالله سبحانه وتعالى يبعث الأجساد يوم القيامة حفاة عراة غرلا.

حفاة: ليس عليهم نعال ولا خفاف (أي: ليس عليهم لباس رجل).

عراة: ليس عليهم لباس بدن. غرلا: أي غير مختونين.

وفي بعض الأحاديث: (بهما) أي: ليس معهم مال، بل كل واحد وعمله.

والبعث -أيها الناس- هنا إعادة، وليس تجديداً:

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

ولأنه لو كان خلقاً جديداً، لكان الجسد الذي يعمل السيئات في الدنيا سالماً من العذاب، ويؤتى بجسد جديد فيعذب، وهذا خلاف العدل، فالنص والعقل قد دلا على أن البعث ليس تجديداً، ولكنه إعادة.

ولكن يبقى النظر، كيف تكون إعادته، والإنسان ربما يموت، فتأكله السباع، ويتحول من اللحم إلى الدم في الحيوان الآكل، وروث، وما أشبه ذلك؟!!

فيقال: إن الله على كل شيء قدير، يقول للشيء: كن، فيكون، فيأمر الله هذه الأجساد، التي تفرقت، وأكلت، وطارت بها الرياح أن تعود فتعود^(١).

(١) رواه البخاري (٤٦٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

والأرض التي يحشر عليها الناس يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض:

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨)

[إبراهيم: ٤٨].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد».

ومعنى عفراء: أي خالصة البياض ومعنى النقي: أي الدقيق.

ومعنى المعلم: أي العلامة التي يهتدي بها إلى الطريق.

وأفادنا الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم منه هذا التبديل هو وقت مرور الناس على الصراط، أو قبل ذلك بقليل.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فأين يكون الناس يا رسول الله؟ قال: «على الصراط».

وفي «صحيح مسلم» أيضا^(١) من حديث ثوبان أن حبرا من أحبار اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر». والمراد بالجسر: الصراط.

(١) «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص ٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٩١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: أهوال يوم القيامة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث حول النفخ في الصور، والبعث والنشور، والآن حديثي معكم عن بعض أهوال يوم القيامة.

-أيها الناس-، يوم القيامة يوم عظيم أمره، شديد هولته، لا يلاقي العباد مثله، فالمرضة تذهب عن وليدها، والحامل تضع حملها، وحال الناس كحال السكارى الذي فقدوا عقولهم.

قال الله ﷻ: ﴿بَيَّأَهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١٠٢]

وأخبرنا الله ﷻ أن أرضنا الثابتة، وما عليها من جبال صم راسيات تحمل يوم القيامة، عندما ينفخ في الصور، فتدك دكة واحدة.

قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٥، ١٣]

وقال الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: ٢١].

وعند ذلك -أيها الناس- تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، كما قال

الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ٤٤]

وفي يوم القيامة تزال الجبال من مواضعها، وتسوء الأرض، حتى لا يكون موضع مرتفع، ولا منخفض:

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]

ومعنى بارزة: أي ظاهرة، لا ارتفاع فيها، ولا انخفاض.

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾

لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٧]

وأما البحار -أيها الناس- فإنها تفجر في ذلك اليوم فإذا فجرت تسجر، وتشتعل نارا:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [التكوير: ٦].

وأما السماء الجميلة -أيها الناس- فإنها تنفطر وتتشقق، وتمور مورانا -ليس من مصادر الفعل خطأ (مار) مورا طبقا للآية:

قال الله ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١]

وقال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطور: ٩]

وأما الشمس -أيها الناس- فإنها تجمع وتكور، ويذهب فوءها:

قال الله ﷻ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير: ١]

وأما القمر فإنه يخسف، ويذهب فوءه:

قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة: ٧]

وأما النجوم فإن عقدها ينفرب، ففتناثر وتكدر:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْكُوكَبُ أَنْثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢].

-أيها الناس - ذلك بعض مما جاء في وصف القيامة.

ومما قيل في وصف ذلك اليوم العظيم من الشعر:

- | | | |
|--------------------------------|-----|---------------------------|
| مثل لنفسك أيها المغرور | ❀❀❀ | يوم القيامة، والسماء تمور |
| إذ كورت شمس النهار وأذيت | ❀❀❀ | حتى على رأس العباد تسير |
| وإذا النجوم تساقطت وتناثرت | ❀❀❀ | وتبدلت بعد الضياء كدور |
| وإذا البحار تفجرت من خوفها | ❀❀❀ | ورأيتهما مثل الجحيم تفور |
| وإذا الجبال تقلعت بأصولها | ❀❀❀ | فراأيتهما مثل السحاب تسير |
| وإذا العشار تعطلت وتخربت | ❀❀❀ | خلت الديار، فما بها معمور |
| وإذا والوحوش لدى القيامة أحشرت | ❀❀❀ | وتقول للأملاك: أين نسير |
| وإذا تقاة المسلمين تزوجت | ❀❀❀ | من حور عين، زانهن شعور |
| وإذا الموءودة سئلت عن شأنها | ❀❀❀ | وبأي ذنب قتلها ميسور |
| وإذا الجليل طوى السماء بيمينه | ❀❀❀ | طي السجل كتابه المنشور |
| وإذا الصحائف نشرت، فتطايرت | ❀❀❀ | وتهكت للمؤمنين ستور |
| وإذا السماء تكشطت عن أهلها | ❀❀❀ | ورأيت أفلاك السماء تدور |
| وإذا الجحيم تسعرت نيرانها | ❀❀❀ | فلها على أهل الذنوب زفير |

وإذا الجنان تزخرفت وتطبيت ❀❀❀ لفتى على طول البلاء صبور
 وإذا الجنين بأمه متعلق ❀❀❀ يخشى القصاص، وقلبه مذعور
 هذا بلا ذنب يخاف جنيه ❀❀❀ كيف المصر على الذنوب دهور؟!

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا،
 وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت
 راحة لنا من كل شر.

الخطبة الأولى: جد حال العصاة يوم القيامة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^ع وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا^١﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا^{٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ^ظ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا^{٧١}﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صل الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن حال عصاة المؤمنين يوم القيامة،

وقبل الحديث أنبه إلى ما قرره أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنوب يرتكبه،

إلا من جاء تكفيره بالكتاب والسنة، وقامت عليه الحجة، وانتفت في حقه عوارض الإكراه، أو الجهل، أو التأويل، مما يسوغ فيه ذلك، كما أنه لا يجوز الشك في كفر من حكم الله تعالى، أو رسوله صل الله عليه وسلم بكفره من المشركين، واليهود، والنصارى، وغيرهم.

ومن هنا يعلم -أيها الناس- أن أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله شيئاً، لم يأتوا بناقض من نواقض الإسلام، ولكن اقترفوا ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي هم بذلك تحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]

-أيها الناس-، إن من الناس من قارف ذنوبا، توقعه في أهوال ومشقات يوم القيامة، لكنها لم توجب لهم الخلود في النار، إن دخلوها.

-أيها الناس-، لقد دلت نصوص الكتاب والسنة أن عاصمة المؤمنين الذي لم يتوبوا من تلك المعاصي مدرتهم البلاء في ذلك اليوم العظيم، فمن ذلك^(١).

حال المتكاسل عن الصلاة والمتهاون بها:

-أيها الناس-، ليس مقصودنا الحديث عن تارك الصلاة، وفذلك قد كفره جمع من أهل العلم وهو الصحيح.

لما في «سنن الترمذي، والنسائي» بسند صحيح^(٢) من حديث بريدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

ولما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وإنما حديثنا معكم -أيها الناس- عن حال المتهاون بالصلاة بتأخيرها عن وقتها، أو النوم عنها، أو التقصير في أدائها على الوجه المأمور به، فذلك متوعد بالعقاب؛

(١) انظر «من أحوال الناس بعد الموت» للشايع (ص ٢٧، ٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٨٢).

لما في «صحيح البخاري»^(١) م حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث المنام الطويل، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «وإننا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه (أي يشدخه ويشقه)، فيتهدهد (أي يتدحرج) الحجر هاهنا، فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه، حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى».

وجاء في تفسيره أنه: «الرجل يأخذ القرآن، فيفرضه، وينام عن الصلاة المكتوبة»

وأما حال مانع الزكاة:

فإنه يعذب بما له يوم القيامة، فإن كان ماله من الذهب والفضة؛ جعل صفائح من نار، ثم عذب به صاحبه، وإن كان المال حيوانا، أرسل على صاحبه، فعذب به.

قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤]

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع (أي: الحية الذكر المتساقط شعر رأسه لكثرة سمه)، له زبيبتان (أي نقطتان سوداوان فوق عينيه)، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميه -يعني شذقيه-، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا:

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٨٠]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالإبل؟

قال: «ولا أصحاب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر (أي: بسط لها بصحراء مستوية) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا (والفصيل: ولد الناقة، إذا فصل عن أمه)، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها، رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟

قال: «ولا أصحاب بقر، ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئا، ليس فيها عقضاء (أي: ملتوية القرنين)، ولا جلداء (أي التي لا قرن لها)، ولا عضباء (أي مكسورة القرن)، تنطحه بقرونها».

(١) تقديم تخرجه.

وتطوره بأظلافها، كلما مر عليه أولاها، رد عليه آخرها، في ويم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إل الجنة، وإما إلى النار».

وأما حال أكلة الربا:

فقد وصف الله ﷻ حالهم بأنهم يبعثون يوم القيامة في حال منكرة:

فقال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

أي: إنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخطب الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياما منكرا.

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث المنام الطويل، وفيه قوله سكنى الله عليه: «فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل، قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه، فيلقمه حجرا، فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه، فغر له فاه، فألقمه حجرا». وذكر في تفسيره أنه: «أكل الربا».

قال ابن هبيرة رضي الله عنه كما في «فتح الباري»^(٢) «إنما عوقب أكل الربا بسباحته في النهر الأحمر، وإلقامه الحجارة؛ لأن أصل الربا يجري في الذهب، والذهب أحمر، وأما إلقام

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٤٤٥).

الملك له الحجر، فإنه إشارة إلى أنه لا يغني عنه شيئاً، وكذلك الربا، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد، والله من ورائه يمحقه».

وأما حال الزناة والزواني: فحاله أشنع:

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث المنام الطويل، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «فأتينا على مثل التنور (وفي رواية له: أعلاه ضيق، وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً) قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات فاطلنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم هب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا (أي: صاحوا)...» وجاء في تفسيره أنهم «الزناة والزواني».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله كما في «الفتح»^(٢): «مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنائتهم من أعضائهم السفلى».

ومما جاء في حال المغتابين، والنمامين:

ما أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون (أي: يجرحون) وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟»

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٤٤٣).

(٣) رواه أحمد (٢٢٤/٣)، وأبو داود (٤٨٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢١٣).

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم».

ومما جاء في حال الكذاب يوم القيامة:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المنام الطويل، قال: «فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد (أي: حديدة معوجة الرأس)، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه، فيشرشر (أي: يقطع) شدقه (أي: زاوية فمه) إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثلما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل المرة الأولى». وجاء في تفسيره أنه: «الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة، تبلغ الآفاق».

ومما جاء في حال من يتجسس على الناس، ويستمع إليهم، وهم له كارهون:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه صب في أذنيه الآنك (أي: الرصاص المذاب) يوم القيامة».

ومما جاء في حال المصوبين يوم القيامة:

ما في «الصحيحين»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الذي يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (١٦٦٨/٣).

وفي «الصحيحين» أيضا^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون». وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: حال العصاة يوم القيامة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث عن بعض أحوال عصاة المؤمنين يوم القيامة، وفيما يأتي ذكر بعض أحوالهم، فمن ذلك:

حال من يسأل الناس وعنده ما يغنيه:

ففي «سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي» بسند صحيح، صححه الألباني^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سأل -وله ما يغنيه- جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا -أو خموشا، أو كدوحا- في وجهه». قيل: يا رسول الله، ما يغنيه؟. قال: «خمسون درهما، أو قيمتها من الذهب».

ومما جاء في حال المتكبرين:

أخرج الترمذي في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «المشكاة»^(٣) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر المتكبرون

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٢) رواه أبو داود (١٦٢٦) والترمذي (٦٥٠) والنسائي (٩٧/٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وصححه الألباني في «المشكاة» (٥١١٢).

أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم، يسمى بولس، تعلقهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال».

والذر - أيها الناس - : هي صغار النمل التي لا يعباؤها أحد، فتوطأ من غير شعور.

ومما جاء في حال الحاكم أو المسئول الذي يحتجب عن الرعية:

وما أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة - احتجب الله عنه يوم القيامة».

ومما جاء في حال من يتناول المسكرات: كالخمر وغيره:

ما أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل مسكر حرام، إن على الله عجزك عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار».

ومما جاء في حال الذين يغتصبون حقوق الناس من أرض، أو غيرها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول: «من ظلم من الأرض شيئاً، طوقه من سبع أرضين».

(١) رواه أحمد (٢٣٨/٥)، وانظر «الصحيحة» (٢٠٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

وأخرج البخاري^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

ومما جاء في حال المنتحر (قاتل نفسه):

ما في «الصحيحين»^(٢) م حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تردى (أي: ألقى بنفسه) من جبل، فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما (أي: يشربه ويتجرعه في تمهل)، فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدة في يده، يحاً بها في بطنه (أي: يطعن) في نار جهنم خالداً فيها أبداً».

وروى البخاري في «صحيحه»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يخنق نفسه، يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار».

تلك بعض أحوال عصاة المؤمنين يوم القيامة.

وهناك أناس لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم. فمن هؤلاء: الذي ينقضون ما عاهدوا الله عليه، ويشترون بأيمانهم ثمناً قليلاً، فيطوفون الأيمان الكاذبة لمصلحة عاجلة:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

[آل عمران: ٧٧].

(١) رواه البخاري (٢٤٥٤).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

(٣) رواه البخاري (١٣٦٥).

ومن هؤلاء: المسبل إزاره: أي الذي يطيل ملابسه، سواء كانت إزارا، أو بنطلونا، أو ما أشبه ذلك، ويجعلها تجاوز كعبيه نحو الأرض.

والمنان، والذي لحف كذبا؛ ليجعل لسلعتة أو ما يبيعه رواجاً وقبولاً.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي ذر **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله **ﷺ** ثلاث مرار.

قال أبو ذر: خابوا وخسروا!، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسب، والمنان، والمنفق سلعتة بالحلف الكاذب».

ومن هؤلاء: العاق لوالديه، والمرأة التي تقلد الرجال، وتتشبه بهم في لباس كالبنطلون الذي هو من خصائص الرجال، أو غيره أو هيئة، والديوث: هو الذي لا غيره له على أهله، أو يرى الخبث فيهم ويقره.

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن النسائي» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحية»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجعة المشبهة بالرجال، والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالدين، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى».

-أيها الناس-، تلك بعض أحوال عصاة المؤمنين يوم القيامة، فعلينا بالابتعاد عن كل ما يكون سبباً لذلتنا وهواننا، وأن نتوب إلى الله توبة صادقة من كل ما يغضب الله.

(١)

(٢)

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الخطبة الأولى: د. وصف الجنة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن صوف الجنة، بل عن شيء من وصف الجنة، فالجنة -أيها الناس- فوق ما يخاطر بالبال، أو يدور في الخيال، وإن موضع سوط منها هو خير من الدنيا وما فيها.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب».

والقاب: قدر ما بين المقبض والسية من القوس.

(١) رواه البخاري (٦/٣٢٠)، ومسلم (١٣/٢٦).

عباد الله، يقول ربنا جل في علاه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

عباد الله مهما قلنا في جنة النعيم، ودار المتقين، والفوز العظيم فلا يزال وصفنا لها قاصرا، فحسبنا وصف الله لها؛ فهو الذي خلقها بيده، وجعلها مقرا لأحبابه، وطهرها من كل عيب، وضرب بنعيمها المثل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

عباد الله، هل أتاكم خبر أبواب الجنة، ودرجاتها، وأبنتها، وطعام أهلها وشرابهم، وما فيها من النعيم المقيم، وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم؟!

عباد الله، إن للجنة ثمانية أبواب، كما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون».

(١) رواه البخاري (٣١٨/٦)، ومسلم (١٦٦/١٧).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠/٦)، ومسلم (٢٦/١٣).

وفي «الصحيحين»^(١) أيضا من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة كلها، وللجنة ثمانية أبواب: فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الصيام، دعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد». فقال أبو بكر رضي الله عنه: «والله، ما على أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى أحد منها كلها؟» قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

عباد الله، إن للجنة درجات، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، قال الله

تَبَّحُّرًا لِلَّهِ: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥)﴾ [طه: ٧٥]

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فاسأله الفردس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة -أراه قال:- وفوقه عشر الرحمن، ومنه تفجر أنها راجنة»

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه** أن رسول الله **ﷺ** قال: «إن أهل الجنة ليرأون أهل الغرف من فوقهم، كما تراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق -أي الذهاب في السماء- من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم».

(١) رواه البخاري (٦/٣٥١)، ومسلم (١٠٢٧).

(٢) رواه البخاري (٦/٣٥١).

(٣) رواه البخاري في «الفتح» (٧/١٣٧)، ومسلم (٢٨٣١).

والجنة عباد الله مبنية بناء حقيقة:

فلا يتوهم متوهم أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء.

قال الله س: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِزْقَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ

لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ [الزُّمَر: ٢٠].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلا،

للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك

فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا

نصب».

والمقصود ها هنا قصب اللؤلؤ المجوف، كما قال بعض أهل العلم.

والمراد بالصخب: الصوت المختلط المرتفع.

والمراد بالنصب: الشقة والتعب.

(١) رواه البخاري (٣١٨/٦)، ومسلم (١٧٥/١٧).

(٢) رواه البخاري (١٣٣/٧)، ومسلم (١٩٩/١٥).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أدخلت الجنة، فإذا أنا بصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش. فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب».

عباد الله، إن النفوس لتحب أن تعرف طعام أهل الجنة، فطعامهم من كل ما لذ وطاب، ألا إنه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس العنب كالعنب».

قال الله سبحانه: ﴿وَفِكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۚ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۚ (٢١)﴾ [الواقعة: ٢٠]

وقال الله سبحانه: ﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۚ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۚ (٣٣)﴾ [الواقعة: ٣٢]

أي لا ت كون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها.

وقال الله سبحانه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نِزِيلًا ۚ (١٤)﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا هم أن يتناول من ثمرها، تدلت له، حتى يتناول ما يريد».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يأكل أهل الجنة فيها، ويشربون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء - أي: يخرج منهم بالتجشي - كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير، كما يلهمون النفس».

(١) رواه البخاري (٣١٨/٦)، ومسلم (١٦٣/١٥).

(٢) مسلم (٢٨٣٥).

ذلك طعام أهل الجنة:

وأما شرابهم فكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا

﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ [الإنسان: ٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَاتٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾

[الإنسان: ١٥]

وقال الله ﷻ: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ

ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ

الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ [الزُّخْرَف: ٦٨-٧٢]

عباد الله، ذلك طعامهم وشرابهم.

فماذا عن ثيابهم؟

يقول ربنا ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٣]

وقال الله ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَابِكِ وَالْعَشِيِّ [الكهف: ٣١]

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أهدي لرسول الله

ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه!، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «تعجبون من

هذا؟! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا».

فانظر يا عبد الله المناديل الذي يمسح به يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك!

(١) البخاري (٣١٩/٦).

-أيها الناس-، ذلك بعض نعيم الجنة،

أهل الجنة بين أمانف هذه النعم ٱترددون، وهم من زوالها أمنون:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن نصحوا، فلاتسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا، فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا، فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا، فلا تبأسوا أبدا، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

وفي «صحيح مسلم»^(٢) أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يدخل الجنة ينعم، ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

ذلك بعض نعيمهم، لكن ماذا عن مفة أهل الجنة:

روى الترمذي في «سننه»^(٣) بسند حسنه الألباني من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا، كأنهم مكحولون، أبناء ثلاث وثلاثين»

ومعنى «جردا»: أي بدون شعر على أجسادهم. ومعنى «مردا»: بدون لحى.

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البر، والذين يلونهم على صورة أشد كوكب

(١) مسلم (١٧/١٧٥).

(٢) مسلم (٣/١٤٠).

(٣) الترمذي (١٠/١٤) في صفة الجنة.

(٤) البخاري (٦/٣١٩)، ومسلم (١٧/١٧٢).

دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة (أي: عود الطيب)، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء».

ووصف الرسول ﷺ أخلاقهم:

بقوله كما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا»

وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ

﴿٤٧﴾ [الحجر: ٤٧].

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية: وصف الحور العين

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق أن تحدثنا معكم عن شيء من وصف الجنة، نعم، نعم، شيء من وصف الجنة، فلو خطبنا في وصف الجنة السنة بعد السنة، ما استطعنا أن نصفها لكم، وحديثي معكم الآن عن شيء من وصف الحور العين.

قال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [الدخان: ٥٤].

(١) البخاري (٦/١٣٨)، ومسلم (١٧/١٧٣).

والحور: جمع حوراء، وهي المرأة بينة الحور، والحور: شدة بياض العين في شدة سوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض الجلد ورقته، فيحار فيها الطرف.

والعين جمع عيناء، وهي الصخمة العين من النساء مع حسن وملاحة.

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات: ٤٨]

قال مجاهد رحمته الله: «قصرن أبصارهن، وقلوبهن، وأنفسهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم»^(١)

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

قال مجاهد رحمته الله في معنى «مطهرة»: «أي: لا يبلن، ولا يتغوطن، ولا يمدن، ولا يمنن، ولا يحضن، ولا يبصقن، ولا يتنخمن، ولا يلدن»^(٢).

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لروحة فس سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها - يعني خمارها - على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

(١) (حادي الأرواح) (ص ٢٨٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٨٤).

(٣) البخاري (٢/١٣٦)، ومسلم (١٥٠٠).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب».

عباد الله، تلك بعض صفات أه لاجنة، لكن هناك في الجنة ما هو أعظم من ذلك، إنها لذة النظر إلى وجه الله الكريم، فما أعطي أهل الجنة شيئاً أعظم منه.

قال الله سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۗ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢]

وقال الله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]

وهذه الزيادة: هي النظر إلى وجه الله سبحانه، والحسنى: هي الجنة،

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه. قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب، وينظرون إلى وجه الله سبحانه، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه. وهذا عباد الله نهاية النعمة وغاية الحسنى، وتلك النعم كلها عند هذه النعمة أي عند نعمة النظر إلى وجه ربنا سبحانه: تنسى؛ فلذة النظر إلى وجه ربنا فوق كل لذة.

(١) البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) مسلم (١٧/٣).

عبد الله، تلك بعض صفات الجنة، وهي لا تنال بالتشهي والأمر، ولكن بالجد والعمل، فاتقوا الله عباد الله فإنكم إليه راجعون.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

الخطبة الأولى: هـ وصف النار

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن علاج ضعف الإيمان يتضمن التذكير بالجنة والنار، فإن النفوس قد تصلح بالتبشير والتحذير.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا» قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟! قال: «رأيت الجنة والنار».

(١) رواه مسلم (٤/١٥٠).

وقد أنذر الله ﷻ بالنار، وأمر المؤمنين بأخذ الوقاية من التعرض لها، وبين خطرها، فقال ﷻ: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [المؤثر: ٣٢-٣٧]

وقال الحسن البصري رحمه الله في تفسير هذه الآيات: «والله، ما أنذر العباد بشيء أدهى منها».

وقال الله ﷻ: ﴿فَأَنْذَرْتُمْ كُنُوزًا تَلْطَفُونَ (١٤)﴾ [البقرة: ١٤].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار» قال: وأشاح، ثم قال: «اتقوا النار». ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة».

-أيها الناس-، النار مورد الناس كلهم أجمعين، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾ [مريم: ٧١].

عباد الله، نحن من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فلا استعدادنا للنجاة، كما كان سلفنا الصالح في غاية الخوف والإشفاق والحذر من الله ﷻ، وعظيم عقابه، وأليم عذابه؟!

عباد الله، هل أتاكم خبر عن عذاب الله لمن عصاه؟!، هل أتاكم خبر نار الله الموقدة؟!، هل أتاكم خبر عمق جهنم وشدة حرها?!.

(١) رواه البخاري (١١/٤٠٠)، ومسلم (١٠١٦).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة أي: صوت سقطه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، أي: عاماً فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها، فسمعتم وجبتها».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»^(٢) من حديث عتبة بن غزوان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنم أي طرفها، فتهوي فيها سبعين عاماً، ما تفضي إلى قرارها».

عباد الله، قد يتخيل لأحدنا أن نار الله الموقدة كئناز الدنيا، كلا.

فما نار الدنيا إلا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم:

كما في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية! قال: «فضلت عليهن بتسعة ستين جزءاً، كلهن مثل حرها»

ولجهنم سبعة أبواب، كما قال ربنا سبحان الله:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤]

قال بعض أهل العلم: «سبعة أبواب» أولها جهنم، ثم لظى، ثم الخنظمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).

(٢) «مسند أحمد» (١٧٤/٤)، والترمذي (٤٥/١٠).

(٣) رواه البخاري مع الفتح (١٤٣/٧)، ومسلم (٢١٨٤).

عباد الله، تلك أبواب النار.

لكن كيف طعامهم، وشرابهم، وما لبسهم؟

أما طعامهم عباد الله فكما قال ربنا ﷺ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۖ﴾ [٦] لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي

مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ [الغاشية: ٦]

والضريح: نبت ذو شوك، لا تأكله الدواب لحبائثه، وهو سم قاتل.

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ۗ ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۗ ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «وطعاما ذا غصة». قال: «شوك يأخذ بالحلقت، ولا يدخل، ولا يخرج».

وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَتَاهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ۗ ﴿٥١﴾ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ۗ ﴿٥٢﴾ فَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ

﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۗ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ أَلِيمٍ ۗ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَلَتْ يَوْمَ الدِّينِ ۗ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وقد صوف الله ﷻ شجرة الزقوم، فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۗ ﴿٦٤﴾

طَلَعَهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۗ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۗ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ

حَمِيمٍ ۗ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۗ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٤].

والشوب: هو الخلط والمزج، أي: يخلط الزقوم التناهي في القذاراة والمرارة والحميم

المتناهي في اللهب والحرارة.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، و«ابن ماجه»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟!»

أرأيتم عباد الله كيف أن قطرة واحدة من الزقوم تفسد على أهل الأرض معاشهم؟! والرسول صلى الله عليه وسلم يأتي بالاستفهام؛ لنقل عنه، فيقول: «كيف بمن يكون طعامه؟!»، فه لمن معتبر؟!!

وقال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦].

قال ابن عباس رضي الله عنها: «الغسلين: الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحمهم»

عباد الله، عرفنا شيئاً من طعام أهل النار،

وسوف نذكر بعض شراهم أعانا الله وإياكم من ذلك!

قال الله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧].

(١) رواه أحمد (١/٣٠١، ٣٣٨)، والترمذي (١٠/٥٤)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٢٦).

أي يسقى من ماء صديد شديد التتانة والكثافة، فيتكربه ولا يكاد يتلعه من شدة نتانته وكثافته، ويستشعر الموت من كل مكان وهيئات، فإنه لو مات لاستراح من العذاب، وما هو بميت، فكلما نضج جلده أبدله الله غيره؛ ليذوق العذاب.

وقال الله ﷻ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]

والحميم: هو الماء الحار المغلي بناء جهنم، يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعأؤهم، وتتناثر جلودهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [٢٠] ﴿وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [٣١] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٠-٢٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

عباد الله، بعد أن عرفنا طعام أهل النار وشرابهم،

تعالوا بنا نقف على ملابسهم:

قال الله ﷻ: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]

فقوله تعالى: «سراويلهم من قطران» أي: قمصانهم من قطران، تطلّى به جلودهم، حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل، وخص القطران لشرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته، ووحشة لونه، والقطران: قيل فيه: ما يطلّى به الجمل الأجر.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الناحئة إذا لم تب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

وقال الله ﷻ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ

[الحج: ١٩].

فقوله: «قطعت» أي: قدرت لهم على قدر جثثهم؛ لأن الثياب تقطع على قدر من يلبسها. وقيل إنها من نحاس قد أذيب، فصار كالنار. والحق إجراء الآية على ظاهرها.

تلك عباد الله ملابسهم، ولكن ماذا عن فراشهم عيادا بالله من حالهم؟!

قال الله ﷻ: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]

أي فراش من النار، ويلتحفون بألحفة من النار.

وقال الله ﷻ: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]

انظر يا عبد الله كيف أطلق القرآن الكريم الظلل عليهم تهكما؟! والإفهي محرقة، والظلة تقي من النار،

كما قال ربنا ﷻ: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ [٣١]

[المرسلات: ٣٠-٣١]

عبد الله، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، واتقوا النار دار الذل والهوان.

(١) رواه مسلم (٦/٢٣٥).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: وصف النار

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الحديث عن النار يطول ويطول، وما سبق أن ذكرته لكم إنما هو رءوس أقلام، وكما تقول العامة: «قطرة من مطرة».

عباد الله، **كيف بنا لو عرفنا عظم أهل النار وبشاعة منظرهم؟!**

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».

والمنكب: هو مجمع عظم العضد والكتف.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ضرس الكافر -أي: نابه -مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث».

وروى الترمذي في «سننه»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة».

(١) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (١٧/١٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥١).

(٣) رواه الترمذي (٢٧١٩)، وحسن إسناده الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٦٧٥).

-أيها الناس-، إن أهل النار لا يموتون؛ إذ لو ماتوا لاستراحوا من العذاب.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (أي: أسود يعلو شعره بياض) فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة، خلود بلا موت، ويا أهل النار، خلود بلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم».

-أيها الناس-، تلك بعض صفات النار.

فاتقوا النار، فإنها أقرب إلى أحدنا من شراك نعله:

كما في «صحيح البخاري»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». والشراك: هو سير النعل.

-أيها الناس-، اتقوا النار، واتقوا الأسباب الموصلة إلى النار، فإنها والعياذ بالله!

كثيرة جدا، وجامعها معصية الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا

وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٤].

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

عباد الله، لا بد أن نقي أنفسنا وأهلنا من النار، كما أمر الله ﷻ فقال **عَبَّادُكَ** من قائل:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اَللّٰهَ مَا اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾ [التحریم: ٦]

قال العلامة ابن سعدي **رحمته الله** في تفسير هذه الآية: «أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه فـ «قوا أنفسكم وأهليكم نار» موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله، ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات، والأولاد، وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه، ووصف الله النار بهذه الأوصاف؛ ليزجر عباده عن التهاون بأمره»^(١)

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وما يقرب إليها من قول أو عمل.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٧٤).

الخطبة الأولى: ٦- الإيمان بالقضاء والقدر

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن الإيمان بالقدر، قطب حرى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين القويم وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساسه الإحسان^(١).

وقد دل على هذا الكرن العظيم من أركان الإيمان الكتاب، والسنة، والإجماع:

أما أدلة القرآن فهي كثيرة جداً، منها:

قال الله ﻻ ﻳُﻐَﻴِّﺮُ ﻟَﻠﻪِ ﺷَﻴْﺌﺎً: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

(١) انظر «شفاء العليل» لابن القيم، و«الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت من هذين الكتابين، وأكثرت من النقل عنهما في هذه الخطبة.

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] [القمر: ٤٩]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٢١] [الحجر: ٢١]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنِّي قَدَرٌ مَّعْلُومٌ﴾ [٢٢] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [٢٣] [المرسلات: ٢٢-٢٣]

وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِيٰ﴾ [٤٠] [طه: ٤٠]

وقال الله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [٢] [الفرقان: ٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [٣] [الأعلى: ٣]

وقال الله ﷻ: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [٤٢] [الأنفال: ٤٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا

كَبِيرًا﴾ [٤] [الإسراء: ٤]

-أيها الناس-، تلك بعض الأدلة من كتاب الله ﷻ على القدر.

وأما من السنة:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيثار، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، وتؤمن بالقرآن خيره وشره» فقال أي: جبريل: «صدقت».

(١) تقدم تخريجه.

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(١) عن طاوس قال: «أدرکت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر». قال: «وسمعت عبد الله بن عمر يقول: كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس - أو الكيس والعجز».

وأخرج الإمام مسلم^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش، يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [٤٨] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] [القمر: ٤٨].

وأخرج الإمام مسلم^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، صححه الألباني في حاشية «مشكاة المصابيح»^(٤) من حديث الوليد ابن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، رضي الله عنه قال: «دخلت على عبادة، وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني، واجتهد لي».

فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) رواه أحمد (٣١٧/٥)، و صححه الألباني في «حاشية مشكاة المصابيح» (١/٣٤).

قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟

قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له:

اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

يا بني، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار».

وأخرج البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

«كل شيء بقدر، حتى وضعك يدك على خدك».

-أيها الناس-، لقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله:

قال النووي رحمته الله: «وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب، والسنة، وإجماع

الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى»^(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما «القدر نظام التوحيد؛ فمن وحد الله، وآمن بالقدر، تم

توحيده، ومن وحد الله، وكذب بالقدر، نقض توحيده»^(٣).

وقال الحسن البصري رحمته الله: «إن الله خلق خلقا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال

بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر»^(٤)

(١) «خلق أفعال العباد» (ص ٢٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/١٥٥).

(٣) أخرجه الأجرى في «الشريعة» (ص ٢١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل

السنة والجماعة» (٤/٦٨١).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لللالكائي (٤/٦٨٢).

وقال أيضا: «من كذب بالقدر، فقد كذب بالإسلام»^(١)

وقال في مرضه الذي مات فيه: «إن الله قدر أجلا، وقدر معه مرضا، وقدر معه معافاة، فم كذب بالقدر، فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن، فقد كذب بالحق»^(٢)

-أيها الناس-، الإيمان بالقدر أمر معلوم بالفطرة قديما وحديثا، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره عند المشركين من الأمم، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا

قال الله ﷻ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا﴾ [الأنعام: ٤٨]

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بين الله ﷻ أن هذا هو

شأن من كان قبلهم، فقال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ٤٨]

-أيها الناس-، الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، من أقر بها جميعا، فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملا، ومن انتقص واحدا، فقد اختل إيمانه، وهذه الأركان الأربعة هي:

١- العلم. ٢- الكتابة.

٣- المشيئة. ٤- الخلق.

وفيما يأتي شرح ذلك:

أولا: العلم:

والعلم -أيها الناس-: هو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن ولكان كيف يكون، ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن والمستحيل، وهو

(١) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

ﷺ عالم بالعباد، وآجالهم، وأرزاقهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ويخلق السموات والأرض.

وهذا مقتضى اتصافه ﷺ بالعلم، ومقتضى كونه ﷺ هو العليم الخبير السميع البصير.

قال الله ﷻ: ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢]. [الطلاق: ١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٣]. [سبأ: ٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٥٩]. [الأنعام: ٥٩].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أبناء المشركين، فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين».

أي الله أعلم بمن يؤمن منهم ومن يكفر، لو بلغوا وعاشوا.

(١) رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة؛ لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أو غير ذلك، يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».

ثانياً: الكتابة:

والكتاب -أيها الناس- هي الركن الثاني من أركان القدر، وهي: الإيمان أن الله، سبحان الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين»^(٢).

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة م الكتاب والسنة: فمنها:

قال الله سبحان الله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال الله سبحان الله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال الله سبحان الله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢).

(٢) «شفاء العليل» (ص ٨٩).

وقال الله ﷻ حاكيا دعاء موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

وقال الله ﷻ عن محاجة موسى عليه السلام لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعشره على الماء».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس منفسوة إلا وقد كت الله مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية، أو سعيدة». وأستغفر الله.

الخطبة الثاني

الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعليآله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق الحديث معكم عن القدر، وذكرت ركنين من أركانه، هما: العلم، والكتابة، والآن حديثي معكم عن باقي الأركان، وهما: المشيئة، والخلق.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

والمشيئة: - أيها الناس - هي الركن الثالث من أركان القدرن وبقضي هذا الكرن الإيمان بشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته سبحان الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وهذه المرتبة (أي: الركن) قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان»^(١).

والأدلة على هذا الركن من الكتاب والسنة كثيرة جدا، فمنها:

قال الله سبحان الله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصاص: ٦٨].

وقال الله سبحان الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٣٠] [الإنسان: ٣٠].

وقال الله سبحان الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا﴾ [٢٣] [الكهف: ٢٣].

وقال الله سبحان الله: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [١١١] [الأنعام: ١١١].

وقال الله سبحان الله: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٣٩] [الأنعام: ٣٩].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء».

(١) «شفاء العليل» (ص ٩٢).

-أيها الناس-، إن مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ لا يكون لعدم مشيئته له، ولا لعدم قدرته عليه.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

فعدم اقتناهم ليس لعدم قدرة الله، ولكن لعدم مشيئته ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]

-أيها الناس-، ذلك ما تيسر الوقوف عليه، وفيما يأتي ذكر الركن الرابع والأخير من أركان القدر، وهو **الخلق**:

وهذا الركن يقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقات لله بذواتها، وصفاتها وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق موجد من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وهذه المرتبة (أي الركن) دلت عليها الكتب المساوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام، واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة».

والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر، منها:

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢) [الأنعام: ١].

وقال الله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وقال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣) [الأنبياء: ٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وأخرج الإمام البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعه».

-أيها الناس-، تلك هي أركان القدر أو مراتب القدر الأربعة التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها، وها أنا ذا أعيدها على مسامعكم؛ لتعيها قلوبكم:

الركن الأول: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٧).

الركن الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ.

الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

الركن الرابع: الإيمان بخلقه ﷻ لكن موجود، لا شريك له في خلقه.

وأسأل الله أن يرزقنا علما نافعا وعملا متقبلا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الخطبة الأولى: أخطاء في باب القدر

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم حول أخطاء، يقع فيها كثير من الناس في باب القدر، وهذه الأخطاء منها ما في الأقوال، ومنها ما في الأفعال، ومنها ما هو في الاعتقادات، ومنها ما هو في ذلك كله ^(١).

فمن الأخطاء في باب القدر ترك الأخذ بالأسباب:

اتكالا على المكتوب المقدر، وهذا خطأ وضلال؛ لأن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب في

(١) انظر «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت منه في هذه الخطبة وغيرها.

مختلف شئون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدة لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملوك: ١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأمر المسافرين للحج بالترود، فقال: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الْزَادِ النَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأمر بالدعاء والاستعانة، فقال: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

وقد شرح شيخ الإسلام هذا الحديث، فقال: «فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز: الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر، ويسلم لأمر الله، فإنه هنا لا يقدر على غير

(١) تقدم تخريجه.

ذلك، كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا تعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه»^(١)

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات:

وهذا العمل تصحيح لمذهب الكفار الذين قال الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهؤلاء المشركون احتجوا على شركهم بالقدر، فلو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً، ما أذاقهم الله بأسه، بل لو كان الاحتجاج بالقدر سائغاً، ما كان هناك داع لإرسال الرسل.

قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ نُوحِج﴾ [النساء: ١٦٥]

-أيها الناس-، إن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات احتجاجاً باطل في الشرع، والعقل، والواقع، فلو كان القدر حجة على المصائب، والذنوب، لتعطلت مصالح الناس، ولعمت الفوضى، ولما كان هناك داع للحدود، والتعزيرات، والجزاءات؛ لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة وقطاع الطريق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصقب القضاة؛ بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله، وهذا لا يقوله عاقل.

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٨٤، ٢٨٥).

أيها لناس، إن المؤمن الحق بقضاء الله وقدره إنما يحتج بالقدر على المصائب، والشقي يحتج بالقدر على المعائب.

ولهذا قال شيخ الإسلام: «يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان: كالفقر، والمرض، وفقد القريب، وخسارة المال، وقتل الخطي، ونحو ذلك، فهذا من تمام الرضا بالله ربا، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب لا المعائب، فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب،

كما قال الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ [غافر: ٥٥]

والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب»^(١)

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائب من الذنب، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه، لساغ له أن يحتج بالقدر، فلو قيل لأحد التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟، ثم قال: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفرت لقبل منه ذلك الاحتجاج، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله^(٢).

والدليل علم أنه يجوز للتائب أن يحتج بالقدر:

ما في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة! قال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بظلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي، قبل

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/٤٥٤).

(٢) انظر «شفاء العليل» لابن القيم (ص ٣٥).

(٣) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

أن يخلقني بأربعين سنة؟!» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى - ثلاثا-».

قال شيخ الإسلام رحمته الله في شرح لهذا الحديث: «فآدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف وموسى عليه السلام لم يلم آدم على الذنب؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه فتاب، فاجتباه ربه، وتاب عليه، وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولو أن موسى لا آدم على الذنب لأجابه: إنني أذبت، فتبت، فتاب الله عليّ، ولقال له: أنت يا موسى أيضا قتلت نفسا، وألقيت الألواح، إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة، فحجه آدم بالقدر»^(١).

-أيها الناس-، على ضوء هذا الحديث العظيم فقد قال أهل العلم: إنه لا يجوز لأحد أن يلوم التائب من الذنب، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية.

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- التخلي عن مساعدة المحتاجين والمنكوبين:

بحجة أن ما حل بهم إنما هو بمشيئة الله، وهذا القول خطأ عظيم، وضلالة كبرى، وقائلوه فيهم شبه ممن قال الله تعالى فيهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أطعمه، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

فهذه الآية تدل على أن المشيئة ليست حجة لفعل المعاصي، أو ترك الطاعات أبدا.

قال العلامة ابن سعدي رحمته الله في تفسير هذه الآية: «وهذا مما يدل على جهلهم العظيم أو تجاهلهم الوخيم؛ فإن المشيئة ليست حجة لعاص أبدا، فإنه وإن كان ما شاء

(١) انظر «الفتاوى» (٨/ ١٧٨)، و«منهاج السنة» (٣/ ٧٨-٨١)، و«الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية (ص ١٨-٢٢).

الله كان، وما لم يشأ لم يكن فإنه تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر، واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم، لا جبراً لهم وقهراً^(١)

ومن الخطأ في باب القدر - أيها الناس - ترك الدعاء:

بحجة أن الله يعلم حاجة العبد، قبل أن يسأله، وأنه لو شاء لأعطاه مسألته بغير سؤال، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب له، وهذا القول قول باطل؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل للأسباب، والدعاء شأنه عظيم؛ فبه يرد القدر، وبه يرفع البلاء؛ فهو ينفع مما نزل، ومما لم ينزل.

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يرد القضاء إلا الدعاء».

وأخرج الترمذي في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل؛ فعليكم عباد الله بالدعاء».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن السعدي (ص ٦٩٧).

(٢) «مسند أحمد» (٥/٢٧٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧)، وانظر «الصحيحة» (١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل، فيتلقاء الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة». ومعنى يعتلجان: يتصارعان ويتقاتلان.

-أيها الناس-، إن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقدر، والدعاء من الأسباب التي بها يرد القضاء.

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يرد القضاء، ولا يرد القضاء يعني له وجهان فمثلا: هذا المريض، قد يدعو الله تعالى بالشفاء، فيشفى، فهنا لولا هذا لادعاء لبقني مريضا، لكن بالدعاء شفي، إلا أننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء، فهذا هو المكتوب، فصار الدعاء يرد القدر ظاهريا، حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقى المرض، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء؛ لأن الأصل أن الدعاء مكتوب، وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء، هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل، وهكذا كل شيء مقرون بسبب، فإن هذ السبب جعله الله تعالى سببا يحصل به الشيء، وقد كتب ذلك في الأزل قبل أني حدث» أ.هـ^(٢).

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الاعترافا علم الأقدار:

(١) أخرجه الحاكم (٤٩٢/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

(٢) «المجموع الثمين» (١٥٧/١).

كقول بعضهم إذا أصيب بمصيبة: ماذا فعلت يا رب؟!، أو أنا لا أستحق ذلك. وكذلك ما يقال إذا أصيب شخص بمصيبة: فلان مسكين، لا يستحق ما جرى له، لقد ظلمته الأقدار، إلى غير ذلك من الاعتراض على قدر الله، ومن الجهل بحكمته ﷻ، فلا يجوز إطلاقها؛ لأن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وله الحكمة البالغة في شرعه، وخلقته، وفعله.

قال ﷻ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الدعاء بـ:

«اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه» فهذا الدعاء يجري كثيرا على الألسنة، وهو دعاء لا ينبغي؛ لأنه شرع لنا أن نسأل الله رد القضاء، غد كان فيه سوء.

وقد بوب البخاري رحمه الله بابا في «صحيحه»، قال فيه: «باب: من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾ [الفلق: ١]

ثم ساق حديث أبي هريرة (١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

وفي رواية قال سفيان: «الحديث ثلاث، زدت أن واحدة، لا أدري أيتها هي؟». وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: أخطاء في باب القدر

(١) رواه البخاري (٦٣٤٧) و(٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد، -أيها الناس-، إن مسائل القدر من الأمور المهمة، التي يجب على العبد أن يحققها تماما، حتى يصل فيها إلى درجة اليقين^(١) ومعرفة الأخطاء في باب القدر يقود إلى فهم القدر على الوجه الصحيح، وقد سبق ذكر بعض الأخطاء في باب القدر، وفيما يأتي ذكر بعضها:

فمن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- قول كلمة (لو):

عندما تحمل مصيبة، وذلك إذا كان الحامل عليها الحزن، والضجر، والجزع، وضعف الإيمان بالقدر، كحال من يقول إذا نزلت به مصيبة: كخسارة مال، أو تلف زرع، أو فقد أنفس، أو غير ذلك يقول: لو أني فعلت كذا وكذا، ما كان كذا وكذا، أو لكان كذا وكذا.

فهذه المقولة خطأ؛ وذلك أن العبد مأمور عند المصائب بالصبر، والاسترجاع، والتوبة، وقول (لو) لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر، مع ما يخاف على توحيده من نوع المعاندة للقدر، الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا، إلا ما شاء الله^(٢).

ولهذا نعى الله ﷻ على المنافقين مقولتهم: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا

هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]

(١) انظر «المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين» (١/١٥٢).

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» (ص ٦٦١).

ومقولتهم: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]

وأرشدنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأخذ بالأسباب، وأن نحرض على ما ينفعنا، ومتى أتت الأمور على خلاف ما نريد، أرشدنا إلى التسليم لله، والإيمان به، والتعزي بقدره، مع حسن الظن به، والرغبة في ثوابه، فذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة^(١).

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- قول كلمة (ليت):

وهي من جنس كلمة (لو) فهما لا يجيدان في حصول الأمر المقدور.

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الحسد:

فالحسد في حقيقته إنها هو اعتراض على قدر الله؛ لأن الحاسد لم يرض بقضاء الله، ولم يسلم لقدره، فلسان حال الحاسد يقول: إن فلانا أعطي، وهو لا يستحق، وفلانا منع، وهو يستحق العطاء.

فكأنه بحسده هذا يقسم رحمة ربه بين العباد، وكأنه يقترح على ربه ما يراه ملائما في نظره فهو بصنيعه هذا يقده في حكمة الله سبحانه وتعالى، ووضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها؛ فمن تمام الإيمان بالقدر ترك الحسد، والتسليم لله في جميع الأمور، فالمؤمن الحق لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم

(١) انظر المرجع السابق (ص ٦٦٢).

(٢) سبق تحريجه.

معاشيهم، فأعطى من شاء لحمة، ومنع من شاء لحكمة، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله، ويقدم في حكمته.

ولهذا قيل: «من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد»^(١).

ومن الأخطاء في باب القدر التسخط بالبنات:

فبعض المسلمين هداه الله إذا رزقه الله بنتا تسخط بها، وهذا فيه تشبه بأهل الجاهلية، الذين قص الله ﷻ علينا خبرهم، وأنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَنْزَوِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل: ٥٨-٥٩]

ومن الأخطاء في باب القدر الإقدام على قتل النفس الانتحار:

فهذا الصنيع مناف للإيمان بالقدر، والتسليم لله ﷻ في كل أمر، وهو من الأمور التي حرمها الله، وحذر من فعلها، وتوعد مرتكبها بالوعيد الشديد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء: ٢٩-٣٠]

ومن الأخطاء في باب القدر تمنى الموت، وهذا أيضا مناف للإيمان بالقدر، والتسليم لله، فإن كان المرء لا بد متمنيا، فليدع بهذا الدعاء المأثور، الذي في «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت من

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ٢٦٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

ضر أصابهن فإن كان لا بد فاعلا، فليقل: اللهم أهني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي»

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- ترديد هذا السؤال: هل الإنسان مسير أو مخير؟

وكأن باب القدر لا يفهم إلا بالإجابة عن هذا السؤال.

والجواب: أن الحق وسط بين القولين، وهو أن الإنسان مخير باعتبار، ومسير باعتبار، فهو مخير باعتبار أنه له مشيئة يختار بها، وقدرة يفعل بها لقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولقوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن».

وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر، وراجع إليه لكونه لا يخرج عما قدر الله لقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]

وقد جمع الله بين هذين الأمرين أي: كون الإنسان مسيرا باعتبار، ومخيرا باعتبار في هذه الآية الكريمة: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) [التكوير: ٢٨]

فأثبت الله ﷻ أن للعبد مشيئة، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، واقعة بها. وأخيرا نسأل الله أن يرزقنا علما نافعا، وعملا متقبلا، ويجعلنا هداة مهتدين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

(١) سبق تحريجه.

الخطبة الأولى: أشرط الساعة الصغرى

إن الحمد لله ...

أما بعد،

-أيها الناس-؛ حديثي معكم اليوم عن أشرط الساعة الصغرى، وسميت بالصغرى لأنها معتادة الوقوع وتتقدم الساعة بأزمان، خلافا لأشرط الساعة الكبرى؛ فهي غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

-أيها الناس-؛ قد جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث عمر رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» فإذا كان أعلى الملائكة منزلة وهو جبريل، وأعلى البشر منزلة وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلمان متى تكون الساعة فأحرى بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

إذن فعلم الساعة من خصائص علم الله لا يعلم وقت وقوعها، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِئُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُفِثَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ففي هذه الآية الكريمة أخبر الله تعالى أنه لا أحد يعرف وقت الساعة غيره تعالى وأنها تأتي بغتة وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدري متى هي، فهي إحدى مفاتيح الغيب

(١) رواه مسلم (٨).

الخمسة التي هي من مكنونات علم الله، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم تلا هذه الآية: «إن الله عنده علم الساعة».

-أيها الناس-؛ إن الله ﷻ قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده لكنه سبحان الله وتعالى أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها، وهذه الأمارات والعلامات هي أشراف الساعة.

قال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة^(٢)

وهذه العلامات منها ما قد وقعت، ومنها ما قد وقعت ولا تزال مستمرة، ومنها ما لم تقع:

فمن أشراف الساعة التي قد وقعت:

بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) رواه البخاري (٤٩٦٧).

(٢) فتح الباري (٧٩/١٣).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما على الأخرى - وضم السبابة والوسطى».

فدل هذا الحديث على أن أول علامة الساعة - أيها الناس - بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو النبي الأخير، فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابة والوسطى ليس بينهما إصبع، أو كما يفضل إحداهما أخرى»^(٢).

ومن أشراف الساعة التي قد وقعت انشقاق القمر:

قال الله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١]

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا» وفي رواية أخرى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا».

ومن أشراف الساعة: موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).
- (٢) انظر فتح الباري (٣٤٩/١١)، وتحفة الأحوذى شرح الترمذى (٤٦٠/٦) والتذكرة (ص ٦٢٥ - ٦٢٦).
- (٣) رواه مسلم (٢٨٠٢).
- (٤) رواه مسلم (٢٨٠٠).

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعددتا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألف». وهذه العلامات منها ما قد وقعت كفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، والمقصود بالموتان الذي يأخذ الناس كقعاص الغنم: هو طاعون عمواس كما قال العماء، وقد وقع ذلك في عهد عمر بن الخطاب ومات فيه خيار الصحابة كأبي عبيدة بن الجراح.

وأما استفاضة المال: فمن العلامات التي لا تزال مستمرة، وقد فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله وسيكثر المال في آخر الزمان: حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: «لا أرب لي به».

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يهمل رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه».

(١) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٤١٢).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة»، قال: «فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي. ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً».

ومن أشراف الساعة التي قد وقعت: ظهور نار الحجاز:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز؛ تضيء أعناق الإبل ببصرى»، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارا عظيمة، أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.

وم العلماء الكبار الذين كانوا أحياء عند خروج هذه النار الإمام النووي رحمته الله وقد ذكرها في شرحه «صحيح مسلم»^(٤) فقال: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة جدا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة».

(١) رواه مسلم (١٠١٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١٣).

(٣) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢٨/١٨).

وذكر ابن كثير رحمه في كتابه «النهاية»^(١): «أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض (الحجاز). وبصرى - أيها الناس - مدينة معروفة بالشام ويقال لها (حوران) بينها وبين مدمش ثلاث مراحل.

-أيها الناس - تلك علامات للساعة قد مضت.

وهناك علامات قد وقعت، وهي مستمرة فونها:

ضياع الأمانة:

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة».

ففي إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم يولون أمرهم من لا يهتم بدينه، فيكون ذلك سببا في تضييع الأمانة، فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة - والناس تبع لمن يتولى أمرهم -؛ كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصالح حال الولاء صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم.

ومن أشراف الساعة: قبض العلم وطهور الجهل والفتن، ويلقى الشح:

ويكثر القتل ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أشراف الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل».

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ / ١٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٦).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج» قال ابن بطال رحمته الله كما في «فتح الباري»^(٣): جميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراف قد رأيناها عيانا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل» وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: أشراف الساعة الصغرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

-أيها الناس-؛ إن أشراف الساعة الصغرى الحديث عنها ذو شجون، فهي أكثر من أن تحصر: وقد تقدم الحديث عن بعضها، وفيما يأتي ذكر شيء منها:

فمن أشراف الساعة -أيها الناس-: انتشار الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء:

ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أشراف الساعة: أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

ومن أشراف الساعة انتشار الربا:

-
- (١) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).
 (٢) رواه مسلم (١٥٧).
 (٣) فتح الباري (١٦/١٣).
 (٤) رواه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

حتى إن الرجل لا يبالي بما أخذ المال؛ أمن حلال أم من حرام؟ ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال؛ أمن حلال أم من حرام؟».

ومن أشراف الساعة -أيها الناس- ظهور المعزف واستحلالها:

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سيكون ف آخر الزمان خسف، وقذف، ومسح» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا ظهرت المعازف والقينات».

والمعازف -أيها الناس- هي: آلات الملاهي، كالعود، والطنبور، والدف، وكل لعب عزف، وقد وقع شيء كبير في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهوراً، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان، وانتشرت انتشاراً عظيماً، وكثر المغنون والمغنيات وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ (القينات)^(٣).

وأعظم من ذلك استحلال كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسح، والقذف، والخسف كما في الحديث السابق.

وفي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرّ والحريم والخمر والمعازف».

ومن أشراف الساعة: شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها:

(١) رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٩).

(٣) أشراف الساعة ليوסף الوابل (ص ١٤١).

(٤) رواه البخاري.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه».

ومن أشراف الساعة: زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد».

قال البخاري: «قال أنس: يتباهون بها، ثم لا يعمرونها إلا قليلا، وفالتباهي بها: العناية بزخرفتها. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»^(٣).

ومن أشراف الساعة: التطاول في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها:

ففي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان».

ومن أشراف الساعة: أن يكون السلام للمعرفة:

-
- (١) أخرجه أحمد (٣١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤٥).
 (٢) أخرجه أحمد (١٣٤/٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١).
 (٣) صحيح البخاري (٥٣٩/١).
 (٤) رواه مسلم (٨).

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة».

وفي رواية له: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة»^(٢).

وهذا أمر مشاهد في هذا الزمن، فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا خلا السنة؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة؛ ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) مسند أحمد (٥/٣٢٦).

(٢) مسند أحمد (٥/٣٣٣)، وهو في «الصحيح» (٦٤٧)، ومسلم (٥/٢).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٠).

الخطبة الأولى: المهدي

إن الحمد لله...

أما بعد:

-أيها الناس - حديثي معكم اليوم عن المهدي عليه السلام.

وهو رجل يخرج في آخر الزمان من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط؛ تخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد^(١).

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم^(٢).

ولا بد أن نعرف -أيها الناس - شيئاً من صفاته ونسبه.

فهو رجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ ويكون اسمه محمد بن عبد الله، ففي «سنن أبي داود» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني» أو «من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي،

(١) انظر: «أشراط الساعة» للوابل (ص ٢٤٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ٣١).

(٣) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٤).

واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي».

وروى أبو نعيم في «أخبار أصبهان» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتملأن الأرض جوراً وظلماً، وإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً اسمه اسمي، ويفملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح^(٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة».

قال صاحب عون المعبود:^(٤) «واعلم أن المشهور بين كافة أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/١٦٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٠٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٦).

(٤) عون المعبود (١١/٣٦١).

عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل مع فيساعده على قتله ويأتهم بالمهدي في صلاته».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، ويصلحه الله في ليلة».

قال الحافظ ابن كثير: (أي: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك)^(٢)، وفي «سنن أبي داود» بسند حسن حسنه الألباني في المشكاة^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة، أقتنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين».

وفي «الحاوي» للسيوطي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه».

ففي هذا الحديث -أيها الناس- لدليل على أن المهدي هو من يصلي بعيسى بن مريم وهو دليل على صلاح أمر المهدي رضي الله عنه.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسند» (٥٨/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١١).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢٩/١).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٨٥): وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٤٥٤).

(٤) صحيح: أخرجه السيوطي في «الحاوي» (٦٤/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).

ومما يدل أيضا على أن المهدي هو من يصلي بعيسى بن مريم عليه السلام ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

قال: «فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض إمرء؛ تكرمة الله هذه الأمة».

-أيها الناس-: لقد نص أهل العلم على صحة أحاديث المهدي وأنها متواترة تواترا معنويا.

قال الإمام الحافظ أبو الحسن الأجري رحمته الله: (قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذر المهدي، وأنه من أه بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأه يملأ الأرض عدلا، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه)^(٣).

وقال العلامة محمد السفاريني: (وقد كثرت بخروجه أي: المهدي الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عد من معتقداتهم).

(١) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٧٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١١٩٤).

ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي، وأسماء بعض الصحابة من رواها، ثم قال: (وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم صلى الله عليه وسلم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة)^(١)

وفي عهد المهدي -أيها الناس- يكثر الخير وتعظم الأمة:

ففي «مستدرک» الحاكم بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا وتكثر المشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا، يعني حجة».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية : ما يجب علينا قبل خروج المهدي؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس- تقدم الحديث عن خروج المهدي وبسطنا الأدلة على ذلك وسوف أتحدث معكم الآن عما يجب علينا قبل خروج المهدي.

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٤/ ٥٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١١).

أنه يجب عليه -أيها الناس- أن نجتهد في العمل الصالح والسعي لتوطيد دعائم هذا الدين ورفعته شأنه.

فإن وقت خروج المهدي لا يعلمه إلا الله ﷻ ولا يعلم الناس بذلك إلا بعد ظهوره طهورا مستحكما.

ولنعلم أن النبي ﷺ بشر أمته بالنصر لكن من غير تحديد ولا تقريب فلو على الناس أنهم منتصرون على عدوهم في وقت ما لسمعتهم بعجائب الأخبار في تاريخ الحاملين.

وما أمر الله به النبي ﷺ من الصبر وما بشر به من النصر قد جمعه في غير ما سورة، من ذلك قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَأْمَانُ رَبِّكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْتَنَا فَإِنَّا بِرُجُوعِهِمْ﴾ [غافر: ٧٧].

فانظروا -أيها الناس- كيف كان التبشير بالنصر غير محدد الأجل حتى لا تركز إلى مجرد الأمل.

فنحن -أيها الناس- مأمورون بأن نشغل أنفسنا بالتمسك بالحق من غير أن نتعلق بالنتائج قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا مَا نَدَّهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣)﴾ [الزخرف: ٤١].

وقد خرج رسول الله ﷺ من بلده مكة، ثم أراه الله ﷻ أنه دخلها وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة من غير أن يحدد لهم وقتا لفتح مكة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن الرؤيا تنفسر هذا العام وذلك هو قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ

صَدَقَ اللهُ رَسُوْلَهُ الرَّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فِجْعَلٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَاقَرَبَابًا ﴿٢٧﴾ [الفتح: ٢٧].

-أيها الناس - لقد أخبر الله ﷺ: أن الرسول ﷺ وأصحابه سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت ووعده ﷺ حق فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجع المسلمون من غير دخول مكة، كثر في ذلك الكلام منهم حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «أخبرتكم أنه العام؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ستأتون وتطوفون به».

فقد روي في «صحيح البخاري»^(١) في قصة صلح الحديبية، وكان من نتائجه أن المسلمين يرجعون ولا يدخلون مكة عامهم ذلك، وفيها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: أأنت نبي الله حقا؟ قال: «بلى!» قلت: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى!» قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: «بلى! فأخبرتكم أنا نأتي العام؟» قال: قلت: لا! قال: «فإنك أتته ومطوف به» قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى! قلت: أألسنا على الحق وعدنا على الباطل؟ قال: بلى! قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل! إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى! أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا! قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا.

-أيها الناس- الذي أريد أخلص إليه هو أن نصر الله قريب لكن كل ذلك من غير تحديد سابق والمهدي سوف يخرج لا محالة لكن لا نعلم وقت خروجه.

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(١) (خروج المهدي لا يستلزم التوكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيا من نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ظل ثلاثا وعشرين عاما وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعة وأحزابا وعلماؤهم إلا القليل منهم اتخذهم الناس رءوسا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صوف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلى أن يقودهم إلى النصر.

وإن لم يخرج فقط قاموا بواجبهم والله يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ،

وَالْمُؤْمِنُونَ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وقفنا الله جميعا إلى ما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

(١) الصحيحة (٤/٤٢، ٤٣).

الخطبة الأولى: الدجال

إن الحمد لله ...

أما بعد:

-أيها الناس- حديثي معكم اليوم عن أعظم فتنة في حياة البشر إنها فتنة الدجال وما من نبي بعثه الله إلا حذر أمته من الدجال وهو خارج في هذه الأمة وخروجه من أشراط الساعة الكبرى.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا -أيها الناس-، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال».

ولقد أشفق الصحابة رضي الله عنهم من أن يخرج الدجال عليهم.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا عرف

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٣) رواه مسلم (٢١٣٧).

ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخصت فيه ورفعت حتى ظننا في طائفة النخل فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وشمالا يا عباد الله فاثبتوا».

قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهرا ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا» قلنا: يا رسول الله! وما أسرع في الأرض؟ قال: «كالغيب استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمدته خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فيبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينا

هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف أي يكون في أنوف الإبل والغنم في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فطيرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي: كالروضة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها (أي بقشرها) ويبارك في الرسل حتى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفع الحمير ولا يكثرثون لذلك) فعليهم تقوم الساعة».

وللدجال - أيها الناس - صفات أخبرنا بها نبينا صلى الله عليه وسلم لنحذره ونبتعد عنه.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة»^(١) من حديث عبادة بن الصامت أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إني قد حدثكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مظموس العين ليس بناتئة ولا حجرا فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور».

وفي «مسند أحمد بسند» صحيح^(٢) من حديث أبي أمية أنه قال: أتيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ فقلت له: حدثني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثني عن غيرك وإن كان عندك مصدقا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبي إلا أنذر قومه أو أمته، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى وأنه يمطر ولا ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة وإنه يلبث فيكم أربعين صباحا يرد فيها كل منها إلا أربع مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الأقصى، وإن شكل عليكم أو شبه فإن الله ﷻ ليس بأعور».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى جفاف الشعر معه جنة ونار فناره جنة، وجنته نار». ومن صفات الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٣٤/٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٤).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من نبي إلا وقد أُنذِر أُمَّته الأَعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر».

وفي رواية «يقرؤه كل مسلم».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأي العين، ماء أبيض، والآخر: رأي العين نار تأجج، فإذا أدركن أحدا فليأن النهر الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطأ رأسه فيشرب منها فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب».

وأما أتباع الدجال -أيها الناس- فهم كثير لشدة ما يبعث فيهم من الشبه وما يجريه الله على يديه من الخوارق.

وأكثر أتباع الدجال من النساء.

لما في «مسند أحمد» بسند صحيح لغيره^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقاة فيكون أكثر من يخرج إليه لناس حتى إن الرجل لليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن

(١) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٣) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٧/٢).

تخرج إليه ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم هذا يهودي تحتي فاقتله».

واليهود أيضا من أتباع الدجال ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** قال: «ليتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالة».

وأما مكان خروج الدجال -أيها الناس- فهو يخرج من المشرق حيث مصدر الفتن ومقرها.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**: «رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والعدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث أبي بكر الصديق **رضي الله عنه** قال: حدثنا رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**: «إن الدجال يخرج من أرض بالشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة».

ويكون ظهوره عندما يكون بين الشام والعراق، لما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث النواس بن سميان يرفعه: «إنه خارج خلة بيني الشام والعراق، فعاث يميننا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا».

(١) رواه مسلم (٢٩٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٣/٣)، و صححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث معكم عن الدجال وفيما يأتي ذكر الوقاية من فتنة الدجال.

-أيها الناس-، لقد أرشد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خيرا إلى دل أمته عليه، ولا شرا إلا حذرها إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعداء الدجال، واختص نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرا من صفات الدجال؛ ليحذر أمته؛ فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خاتم النبيين.

وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة بإذن الله.

ومن هذه الإرشادات:

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

التمسك الإسلام والتسلح بالعلم النافع والعمل الصالح، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد فنعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله ﷻ منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم^(١)

ومن هذه الإرشادات:

التعوذ بالله من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات من شر فتنة المسيح الدجال» وكان الإمام طاوس يأمر ابنه بإعادة الصلاة إذا لم يقرأ بهذا الدعاء في صلاته وهذا دليل على حرص السلم على تعليم أولادهم هذا الدعاء العظيم.

(١) انظر أشراف الساعة للوابل (ص ٢٣٥) وقد استفدت منه كثيرا.

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) رواه مسلم (٥٩٠).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح^(١) من حديث أبي قلابة رضي الله عنه قال: رأيت رجلا بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: فسمعتة وهو يقول: «إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك (أي شعر رأسه متكسر من الجعوده) ثلاث مرات وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن ثال: لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك لم يكن عليه سلطان». وفي رواية^(٢): «ونعوذ بالله منك» قال: «فلا سبيل له عليه».

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم أمته: حفظ عشر آيات من أول «سورة الكهف» وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها. ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف».

وفي «صحيح مسلم» أيضا^(٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال».

قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام من أول الكهف كما قال هاشم^(٥)، وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الابتعاد عن الدجال غاية البعد وذلك لما من

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٢ / ٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤١٠).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) رواه مسلم (٨٠٩).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٢ / ٦).

الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فيأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه، الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سمع بالدجال؛ فليأمن عنه (أي فليبتعد عنه) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات».

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم

الترغيب في سكنى مكة والمدينة فإن الدجال لا يدخل مكة والمدينة حتى يدخل الجمل في سم الخياط وهيئات.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنفاق».

ولعل في هذا القدر كفاية، فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعافينا ويعيذنا من فتنة الدجال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) الفتح الرباني (٢٤/ ٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٧٧).

(٢) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

الخطبة الأولى: نزول عيسى عليه السلام

إن الحمد لله ...

أما بعد:

حديثي معكم -أيها الناس- عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ونزوله إحدى أشرط الساعة الكبرى.

ونزوله ثابت في الكتاب والسنة فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمٌ مِّنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلْهَمْنَا خَيْرًا أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُك بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٥٧]

ففي هذه الآيات دليل أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة.

لما في «مسند أحمد» بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «وإنه لعلم للساعة»؛ قال: «هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: الصحيح: أنه -أي: الضمير- عائد على عيسى؛ فإن السياق في ذكره^(٢).

(١) مسند أحمد (٤/٣٢٩) وسنده صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٢٢).

ومما يدل على نزول عيسى بن مريم عليه السلام قول الله ﷻ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩]

فهذه الآيات؛ كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَّ عَلَىكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته وهذا الذي عليه أهل العلم.

فقد أخرج ابن جرير بسنده^(١) إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» قال: قبل موت عيسى بن مريم. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح^(٢).

وروى ابن جرير بسنده^(٣) إلى الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: قبل موت عيسى، والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عدلا وحكما مقسطا فمنها:

(١) تفسير الطبري (٦/١٨).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/١٣١).

(٣) تفسير الطبري (١/١٨).

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: واقراءوا إن شئتم «وإن من أهل الكنن إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا» [النساء: ١٥٩].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا أنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

ففي هذا الحديث دليل على نزول عيسى بن مريم عليه السلام في هذه الأمة وإمامهم منهم وهو المهدي عليه السلام.

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة»؛ قال: «فينزل عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فيقول أميره: تعال لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة».

(١) رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه مسلم (١٥٦).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء (هو بين مكة والمدينة) حاجاً أو معتمراً أو ليشننهما» (أي ليقرن بينهما).

-أيها الناس-، إن الأدلة على نزول عيسى عليه السلام أشهر من النار على علم وهي صحيحة وهو نازل في هذه الأمة ونزوله علامة من علامات الساعة فهو صحابي ونبي ولم يأت بدين جديد وإنما يجدد الله به دين الإسلام فهو واحد من هذه الأمة، وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه: «تجريد أسماء الصحابة»^(٢) فقال: «عيسى ابن مريم عليه السلام صحابي، ونبي؛ فإنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وسلم عليه، فهو آخر الصحابة موتاً».

-أيها الناس-، بعد أن استوفيت الحديث عن نزول عيسى بن مريم عليه السلام أذكركم بصفته كما دلت عليه الأدلة الصحيحة.

-أيها الناس-، إن الأدلة تدل على أنه رجل مربع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعد، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنها خرج من ديباس (أي حمام) له لمة (واللمة هو شعر الرأس متى جاوز شحمة الأذنين فهو لمة ومتى زاد عن ذلك فهو: جمّة) قد رجلها تملأ ما بين منكبيه^(٣).

ومن الأدلة على صفة عيسى عليه السلام:

-
- (١) رواه مسلم (١٢٥٢).
 (٢) تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/٤٣٢).
 (٣) أشراط الساعة للوابل (٣٣٧).

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليلة أسري بي لقيت موسى (فنعته، إلى أن قال): ولقيت عيسى (فنعته فقال): ربعة، أحمر، كأنها خرج من ديباس» (يعني: الحمام).

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد رأيت عيسى وموسى وإبراهيم؛ فأما عيسى؛ فأحمر جعد عريض الصدر».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني» (فذكر الحديث، وفيه) «وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلا آدم (أي أسمر شديد السمرة) كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجلها، فهي تقطر ماء، متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ ف قيل: هذا المسيح ابن مريم».

وفي «مسند أحمد» بسند حسن وصححه الألباني في «الصحيحة»^(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا

(١) رواه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (ص ٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٨).

(٣) رواه مسلم (١٧٢).

(٤) رواه البخاري (٣٤٤١)، ومسلم (١٦٩).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٦/٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).

أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا أريتموه فاعرفوه رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض وعليه ثوبان ممصران (أي فيه صفرة خفيفة) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وقنع الأمنة (أي الأمن) على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنهار مع البقر، والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: بعض أعمال عيسى عليه السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث عن نزول عيسى عليه السلام وشيء من صفاته فحديثي معكم الآن عن بعض أعماله.

-أيها الناس- إن عيسى عليه السلام سوف ينزل في هذه الأمة ولن ينزل بشرع جديد إنما يحكم بالشريعة الإسلامية؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة لا ينسخ فيكون عيسى عليه السلام حاكما من حكام هذه الأمة، ومدددا لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم لقول الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

خلاصة القول: أن عيسى عليه السلام من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ومعدود من الصحابة لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمام للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالبا من عيسى عليه السلام أن يتقدم فيؤمهم فيأبى.

كما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة».

وبعد فراغ عيسى عليه السلام من الصلاة يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصرا عصابة المسلمين، فيقول لهم عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ذربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله».

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته».

(١) رواه مسلم (١٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٧).

أما كيف يذوب الدجال؟ فيجب أن نعلم أن الله ﷻ أعطى لنفس عيسى رائحة خاصة إذا وجدها الكافر مات منها ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه: «فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجرد ريش نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه باب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة». وأيضا تكون نهاية يأجوج ومأجوج، وهلاكهم على يد عيسى عليه السلام وببركة دعائه.

-أيها الناس- قبل أن أدع مقام هذا أذكركم بوصية من رسول الله ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام،

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام».

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٢٩٨) وسنده صحيح.

الخطبة الأولى: خروج يأجوج ومأجوج

إن الحمد لله ...

أما بعد:

-أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن يأجوج ومأجوج وخروجهم في آخر الزمان وذلك بعد نزل عيسى بن مريم عليه السلام وهزيمة الدجال، وخروجهم إحدى أشرط الساعة الكبرى.

والأدلة على خروجهم آخر الزمان كثيرة معلومة فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧]

قال الإمام السعدي رحمه الله: في تفسير هذه الآيات: «هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بين آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان يفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع، وهو الحدب، يسنلون: أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليه الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يدان لأحد بقتالهم.

وقال الله ﷻ في سياق لقصة ذي القرنين: ﴿ ثُمَّ أَنْعَ سَبِيًّا ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا بَدَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ

بَجْعَلُكَ خَرَمًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصُّدُوفِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَبَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ مَجْعًا ﴿٩٩﴾

[الكهف: ٩٢-٩٩]

فهذه الآيات تدل على أن الله ﷻ سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندك هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فهاجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادا، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراج الدنيا، وقيام الساعة^(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآيات^(٢): ﴿ثُمَّ أُنْعَمَ سَبِيًّا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ قال الفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان سداد بين يأجوج ومأجوج وبين الناس: وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجاب أذهانهم وقولبهم وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: «إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض» بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

(١) تفسير ابن سعدي (٥٣١).

(٢) انظر تفسير ابن سعدي (ص ٤٨٦)، (٤٨٧٩).

«فهل نجعل لك خرجا» أي: جعلنا «على أن تجعل بيننا وبينهم سدا» ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنیان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبدلوا له أجره ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلبهم ما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: «قال ما مكني فيه ربي خير».

أي: مما تبدلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم «أجعل بينكم وبينهم ردما» أي: مانعا من عبورهم عليكم». «أتوني زبر الحديد» أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

«حتى إذا ساوى بين الصدفين» أي الجبلين اللذين بني بينهما السد.

«قال انفخوا» النارأي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المنافع لتشتد فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد «قال أتوني أفرغ ليه قطرا» أي: نحاسا كذلك مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكما هائلا، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

«فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا» أي: فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليتها وقال: «هذا رحمة من ربي» أي من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعمة الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترفهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عشر ملكة

سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]

بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشرا وبطرا
كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: ﴿قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]

وقوله: «فإذا جاء وعد ربي» أي لخروج يأجوج ومأجوج «جعله» أي ذلك السد
المحكم المتقن «دكاء» أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض».

-أيها الناس-، تقدم ذكر بعض الآيات التي تدل على خروج يأجوج ومأجوج
وسأذكر بعض الأحاديث الدالة على ظهورهم وهي كثيرة فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت
جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من
شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الإبهام
والتي تليها)»، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفيينا
الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يفتح الردم -
ردم يأجوج ومأجوج- مثل هذه وعقد وهيب تسعين».

ومما دل على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ما جاء في «الصحيحين» من حديث
أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في
يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة

(١) رواه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) رواه البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١).

وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

فاشدد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أين ذلك الرجل؟

قال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنك رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده إن لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فحمدنا الله وكبرنا، قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة لابضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: كيف يكون خروج يأجوج ومأجوج

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف المرسلين.

أما بعد:

-أيها الناس-، تقدم الحديث عن الأدلة الدالة على خروج يأجوج ومأجوج وسوف أتحدث مكعم الآن عن طريقة خروجهم.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا مستحفره غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا. حتى إذا كادوا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٥١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٥).

يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه، وهو ك هيئته حيث تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي أحفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفا في أفئهم فيقتلهم بها».

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تتسمن وتشكر شكرا من لحومهم».

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البضاء شرقي دمشق بني مهروديتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه (أي الدجال) فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان (أي لا قدرة) لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدكم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم».

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه (أي يدعون الله) فيرسل الله عليهم النغف (هو دود يكون أنوف الإبل والغنم) في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتاجهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى أهل فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي كالروضة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانه ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفع الحمير ولا يكثرثون لذلك) فعليهم تقوم الساعة».

ويأجوج ومأجوج - أيها الناس - لا قدرة لأحد بقتالهم كما دل عليه الحديث والسبب في أنه لا يستطيع أحد الوقوف في جوههم لكثرتهم يدل على ذلك أن المسلمين يوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله ﷺ: «سيوق المسلمون، من قيسّ يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم، سبع سنين».

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٧٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٠).

الخطبة الأولى: سائر أشراف الساعة

إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم -أيها الناس- عن سائر أشراف الساعة الكبرى.

-أيها الناس-؛ اعلّموا -علمني الله وإياكم- أنه بعد موت عيسى بن مريم عليه السلام تعود البشرية إلى جاهليتها الأولى أو أشد.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في حديثه الطويل وفيه: «ثم يرسل الله ريحا برادة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور».

ومن الأوثان التي تعبد -أيها الناس-: (ذو الخليفة) طاغية دوس، واللات والعزى، ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم (٢٩٠٦).

صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» وذو الخلصة: الصنم الذي كانت تعبده دوس في الجاهلية.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت ورسو الله صلى الله عليه وسلم يقولك «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»، فقالت: عائشة: يا رسول الله؛ إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

أن ذلك تاما، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم».

ومن أشراف الساعة الكبرى: تخرب الكعبة:

ثم لا تعمر بعد ذلك أبدا، ثم لا يحج البيت بعد ذلك، ويكون خرابها على يد رجل من الحبشة؛ ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يباع الرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل

(١) رواه مسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٢٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٩).

البتي إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراب لا يعمر بعد أبدا، أو هم الذين يستخرجون كنزه».

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليُحجن البيت واليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

تابعه أبان وعمران عن قتادة، وقال عبد الرحمن، عن شعبة: قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت».

ومن أشراف الساعة الكبرى -أيها الناس-: الخسوفات الثلاث التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات (فذكر منها): وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالغمرب، وخسف بجزيرة العرب».

**ومن أشراف الساعة الكبرى -أيها الناس-: ظهور الدخان في آخر الزمان:
ومن أدلة ظهوره:**

قول الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١١) [الدخان: ١٠-١١]، وهذا الدخان -أيها الناس- لا محالة واقع قبل قيام الساعة؛ فقد روى الطبري وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما

(١) رواه البخاري (١٥٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).

ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»^(١).

قال ابن كثير^(٢): (وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيره، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) أي بين واضح يراه كل أحد).

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ونحن أسفل منه، فاطلع فقال: «ما تكرون؟»، قلنا: الساعة، قال: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس».

ومن أشراف الساعة الكبرى -أيها الناس- طلوع الشمس من مغربها:

(١) انظر: تفسير الطبري (١١٣/٢٥)، وتفسير ابن كثير (٧/٢٣٥).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/٢٣٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠١).

وذلك ثابت بالكتاب والسنة قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ

تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٠٨]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، وإذا طلعت فرآها الناس؛ آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفسها إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: «أتدرون أين تذهب الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من طلوعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا، حتى

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤١).

(٤) رواه مسلم (١٥٩).

تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها». فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا تنفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

وأما عن استقرار الشمس تحت العرش وكيفية سجودها فقد أجاب على ذلك الإمام الخطابي رحمه الله فقال: «مستقرها تحت العرش؛ لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش؛ من حيث لا ندركه، ولا نشاهده، وإيما أخبرنا عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكفيه؛ لأن علمنا لا يحيط به».

ثم قال عن سجودها تحت العرش: «وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والتعرف لما سخرت له. وأما قوله ﷺ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]؛ فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب»^(١).

وقال النووي رحمه الله: «وأما سجود الشمس؛ فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها»^(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله: «يسجد لظمته كل شيء طوعا وكرها، وسجود كل شيء مما يختص به»^(٣).

(١) شرح السنة للبغوي (١٥/٩٥، ٩٦) تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/١٩٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٣٩٨).

وقال ابن حجر رحمته الله: «وظاهر الحديث: أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري. والله أعلم»^(١).

-أيها الناس-؛ علينا أن نبادر بالتوبة إلى الله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل تغرب شمس حياتنا، ولا يدري أحد منا متى تغرب شمسه ويأفل نجمه.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الهجرة خصلتان: إحداهما: أن يهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب ما فيه وكفى الناس العمل». وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه». أستغفر الله.

الخطبة الثانية: سائر أشراف الساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

-أيها الناس-، تقدم الحديث عن سائر أشراف الساعة، وحديثي معكم الآن إنما هو تكملة لما سبق بيانه.

(١) فتح الباري (٨/٥٤٢).

(٢) (حسن) أخرجه أحمد في مسنده (١/١٩٢)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/١٩٥).

-أيها الناس-؛ بعد أن تطلع الشمس من مغربها يكون ظهور الدابة، وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها.

ومما يدل على ظهور الدابة: قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة إلى آخر الحديث وقد سبق ذكره.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرن فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين».

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤١).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٢٦٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢).

ومن أشرار الساعة الكبرى -أيها الناس- خروج نار عظيمة من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشرار الساعة وفيه: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

وعند قيام الساعة -أيها الناس- يبعث الله رسولاً ريحا لينة فتقبض روح كل مؤمن:

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه» قال أبو علقمة: (مثقال حبة)، وقال عبد العزيز: (مثقال ذرة) من إيمان إلا قبضته».

والساعة -أيها الناس- لا تقوم إلا على شرار الناس، حتى لا يقال في الأرض: الله الله. ففي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٣) رواه مسلم (١١٧).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٩).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله».

وتكون قيام الساعة -أيها الناس- بغتة كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تقوم الساعة والرجل يجلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم».

-أيها الناس- قبل أن أودع مقامي هذا أذ كركم بالحث على العمل وإن قربت الساعة فإلى هذا أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قامت الساعة ويبد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».

وقفنا الله جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح وجعلنا هداة مهتدين.

(١) رواه مسلم (١٤٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٤).

فهرست الموضوعات

«الجزء الأول»

الفهرس

٤	مقدمة
٨	أركان الإسلام
٨	الخطبة الأولى: ١- الشهادتان: أ شهادة أن لا إله إلا الله
١٦	الخطبة الثانية: شروط «لا إله إلا الله»
٢١	الخطبة الأولى: ب- شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ
٢٨	الخطبة الثانية: الاتباع
٣٢	الخطبة الأولى: من معجزات النبي ﷺ
٣٩	الخطبة الثانية: من معجزات النبي ﷺ
٤٤	الخطبة الأولى: خصائص النبي ﷺ
٥٠	الخطبة الثانية: خصائص النبي ﷺ دون أمته
٥٥	الخطبة الأولى: حب النبي ﷺ
٦٣	الخطبة الثانية: حكم الاحتفال بالمولد
٦٧	الخطبة الأولى: النبي ﷺ كأنك تراه
٧٦	الخطبة الثانية: بعض صفة النبي ﷺ
٨١	الخطبة الأولى: الصلاة على النبي ﷺ
٨٨	الخطبة الثانية: الصلاة على النبي ﷺ
٩٢	الخطبة الأولى: أهمية الصلاة
٩٩	الخطبة الثانية: حكم تارك الصلاة
١٠٥	الخطبة الأولى: صلاة الجماعة
١١٢	الخطبة الثانية: فضل صلاة الجماعة
١١٧	الخطبة الأولى: من أخطاء الناس في الصلاة
١٢٥	الخطبة الثانية: من أخطاء الناس في صلاة الجمعة

- ١٣١ الخطبة الأولى : ٣. الزكاة
- ١٣٨ الخطبة الثانية : زكاة الفطر
- ١٤٢ الخطبة الأولى : ٤. صيام رمضان
- ١٤٨ الخطبة الثانية : مبطلات الصيام
- ١٥٣ الخطبة الأولى : ٢. فضل تلاوة القرآن
- ١٥٨ الخطبة الثانية : آداب تلاوة القرآن
- ١٦٢ الخطبة الأولى : من أخطاء الصائمين
- ١٦٩ الخطبة الثانية : من أخطاء بعض الصائمين
- ١٧٣ الخطبة الأولى : العشر الأواخر من رمضان
- ١٧٨ الخطبة الثانية : ليلة القدر
- ١٨٣ الخطبة الأولى : ٥. الحج والعمرة
- ١٨٩ الخطبة الثانية : العمرة
- ١٩٣ أركان الإيمان
- ١٩٣ الخطبة الأولى : ١. الإيمان بالله
- ٢٠٠ الخطبة الثانية : الإيمان بأسماء الله وصفاته
- ٢٠٤ الخطبة الأولى : ٢. الإيمان بالملائكة
- ٢١١ الخطبة الثانية : علاقة الملائكة بذرية آدم
- ٢١٦ الخطبة الأولى : ٣. الإيمان بكتب الله
- ٢٢٠ الخطبة الثانية : القرآن الكريم
- ٢٢٥ الخطبة الأولى : ٤. الإيمان برسول الله
- ٢٣٦ ٥. الإيمان باليوم الآخر
- ٢٣٦ الخطبة الأولى : أ. القبور أول منازل الآخرة
- ٢٤٣ الخطبة الثانية : القبور أول منازل الآخرة
- ٢٤٦ الخطبة الأولى : ب. القيامة
- ٢٥٣ الخطبة الثانية : أهوال يوم القيامة
- ٢٥٧ الخطبة الأولى : ج. حال العصاة يوم القيامة

- ٢٦٤ الخطبة الثانية: حال العصاة يوم القيامة
- ٢٦٩ الخطبة الأولى: د- وصف الجنة
- ٢٧٦ الخطبة الثانية: وصف الحور العين
- ٢٨٠ الخطبة الأولى: هـ- وصف النار
- ٢٨٧ الخطبة الثانية: وصف النار
- ٢٩٠ الخطبة الأولى: ٦- الإيمان بالقضاء والقدر
- ٢٩٧ الخطبة الثانية
- ٢٩٧ الإيمان بالقضاء والقدر
- ٣٠٢ الخطبة الأولى: أخطاء في باب القدر
- ٣٠٩ الخطبة الثانية: أخطاء في باب القدر
- ٣١٤ الخطبة الأولى: أشراف الساعة الصغرى
- ٣٢٠ الخطبة الثانية: أشراف الساعة الصغرى
- ٣٢٤ الخطبة الأولى: المهدي
- ٣٢٨ الخطبة الثانية: ما يجب علينا قبل خروج المهدي؟
- ٣٣٢ الخطبة الأولى: الدجال
- ٣٣٨ الخطبة الثانية
- ٣٤٢ الخطبة الأولى: نزول عيسى عليه السلام
- ٣٤٧ الخطبة الثانية: بعض أعمال عيسى عليه السلام
- ٣٥٠ الخطبة الأولى: خروج يأجوج ومأجوج
- ٣٥٤ الخطبة الثانية: كيف يكون خروج يأجوج ومأجوج
- ٣٥٨ الخطبة الأولى: سائر أشراف الساعة
- ٣٦٤ الخطبة الثانية: سائر أشراف الساعة
- ٣٦٨ فهرست الموضوعات

من أحدث إصدارات دار الإيمان

ذَوَقِيَّاتٌ

مَعًا لِنَرْتَقِ بِأَخْلَاقِنَا

تَأَلِيفُ

أَبِي جَبْرِ الْقَدِيمِ فَصِيلِ بْنِ جَبْرَةَ قَائِدِ رِجَالِ إِسْرِيٍّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القسمة
الإسكندرية

الصَّحِيحُ مِنْ الْأَثَرِ فِي

حِطِّ الْأَطْبَائِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الصحيح من الأثرية خطب المنبر ج ٢

إعداد الشيخ: فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٠٠٥ .

نوع الطباعة: لون واحد .

عدد الصفحات: ٣٢٠ .

القياس: ٢٤×١٧ .

مَحْفُوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن .

٢٠١٩
الجزء الثاني

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

الإدارة

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

المبيعات

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.
 أما بعد، فهذه المجموعة الثانية من كتابي: «الصحيح من الأثر في خطب المنبر». جاءت تلبية لرغبة بعض زملائي طلبه العلم، فإتاهم أحدقوا بي من كل جانب، فما وسعني إلا أن أحفظ العلم ببذله، ولا أضن به على أهله.
 وقد راعيت فيه السهولة واليسر، فمن السهل سرّد الأدلة في الموضوع الواحد، وأصعب من ذلك اختيار الأدلة التي تفرغ سمع السامع وقلبه، حتى يصل معها إلى درجة من الإقناع والإفهام.
 ومن طريف ما يُذكر: أن الخليل بن أحمد رحمته سئل عن مسألة، فأطرق⁽¹⁾ ملياً⁽²⁾، فتعجب السائل، وقال له: «إن هذه المسألة لا تحتاج لكل هذا!». فقال الخليل: «قد علمت مسألتك، وعلمت جوابها، ولكنني أفكر في جواب أسرع لفهمك، فأعياني ذلك».

وهذه قضية عين حصلت لشخص قد علم حاله، فكيف إذا اجتمعت طبقات الناس على اختلاف مشاربهم في صعيد واحد؟!، لا شك أن ذلك يستدعي ارسال

(1) أطرق: سكت.

(2) ملياً: وقتاً طويلاً.

نواظرِ البَحْثِ فِي حُسْنِ العَرَضِ؛ فَرَبَّ بليغٍ غَيْرِ مُبْلَغٍ، وَكَلَامٍ يَعُودُ كَلِمًا⁽¹⁾. وَقَدْ اقتصرتُ على نُصُوصِ الوَحْيَيْنِ؛ فَإِنَّهُمَا العَيْثُ المَبَارَكُ، وَاسْتَأْنَسْتُ بِكَلَامِ الأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّينِ: كَالصَّحَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ ف«الْبَرَكَهَ مَعَ أَكَابِرِكُمْ»⁽²⁾.

وَلَمْ آتِ بِجَدِيدٍ غَيْرِ خِيُوطٍ أَعْقَدُ عَلَيْهَا تِلْكَ الدَّرَرَ، حَتَّى غَدَتِ كَعُقُودِ الجَمَانِ⁽³⁾، فَتَقَبَّلَهَا بِقَبُولِ حَسَنِ، «وَاعْفِرْ عَوْرَاءَ»⁽⁴⁾ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ، وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ قَعْنَبُ بْنُ أُمِّ صَاحِبٍ:

فَإِنْ رَأَوْا هَفْوَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا ... مَنِيٌّ، وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ تَغْرِيدَ العَصَافِيرِ، وَهَدِيلَ الحَمَامِ، وَخَرِيرَ المِيَاهِ - فَبِلاغَةُ الكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ تَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ نَهَائِيَّةٍ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ.
جَعَلَنَا اللهُ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ القَوْلَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

وكتبه /

أبو عبد الله

فَيَصِلُ بْنُ عَبْدِ قَائِدِ الحَاشِدِيِّ

(1) الكَلَمُ - بالفتح - : الجَرْحُ، وَالجَمْعُ كُلوْمٌ وَكِلَامٌ.

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانَ (1912)، وَالحَاكِمُ (62/1) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1778).

(3) السُّجْمَانُ - بِنَزْوَةِ العُرَابِ - : اللُّؤْلُؤُ، الوَاحِدَةُ جُمَانَةٌ.

(4) العَوْرَاءُ - بوزنِ الحَمْرَاءِ - : الكَلِمَةُ القَبيحَةُ، وَهِيَ السَّقَطَةُ.

الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ وَخَطَرُهُ

1

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَسَدٍ مَخْلُوقٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي سَأَلُونَهُ بِذِهِ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (صحيح لکم أعمالکم ویتفر لکم ذنوبکم ومن

یطیع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَخَطَرِهِ عَلَى الْأُمَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، وَالشِّرْكُ هُوَ أَوَّلُ

وَاجِبٍ أَنْ يَجْتَنِبَهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ⁽²⁾ النَّبِيِّ ﷺ

عَلَى جِهَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟».

(1) رواه البخاري (5967)، ومسلم (30).

(2) الرديف: الراكب خلف الراكب بإذنه.

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «حَقُّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا».

أَيُّهَا النَّاسُ، دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى حَقِّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَحَقِّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ، وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - حُقُوقٌ، فَهَلْ نَمُرُّ عَلَيْهَا مُرُورَ الْكِرَامِ دُونَ مَعْرِفَةٍ، وَدُونَ عِلْمٍ؟ الْجَوَابُ: لَا.

لذا فلا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الشُّرْكِ؛ حَتَّى لَا نَقَعَ فِيهِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

(الأنعام: 55).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَدْرِكَنِي».

أَيُّهَا النَّاسُ، الشُّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَالشُّرْكُ أَعْظَمُ مِنْهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (لقمان: 13).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟

قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا»⁽³⁾ وَهُوَ خَلْقَكَ». قال: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

(1) رواه البخاري (3606)، ومسلم (1847).

(2) رواه البخاري (6861)، ومسلم (85).

(3) النَّدُّ - بالكسْرِ - : المِثْلُ والنَّظِيرُ، والجَمْعُ أَنْدَادٌ.

قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

قال: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «أَنْ تَزْنِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ - ثَلَاثًا - : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ - ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَأَلَ أَحَدُنَا نَفْسَهُ: لِمَاذَا كَانَ الشَّرُّ أَكْبَرَ الْكِبَائِرِ، وَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ؟

فالجواب: لِأُمُورٍ، مِنْهَا:

أَوَّلًا - أَنَّ الشَّرَّكَ تَشْبِيهٌُ لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، فَقَدْ شَبَّهَهُ بِاللَّهِ - سَبَّحَنَهُ، وَتَعَلَّى -، وَهَذَا أَعْظَمُ الظُّلْمِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: 165).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 22).

ثَانِيًا - أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْمُشْرِكِ، فَمَا وَاهُ النَّارُ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ!

قَالَ اللَّهُ - سَبَّحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: 72).

(1) رواه البخاري (2654)، ومسلم (87).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجلاً، فقال: يا رسول الله، ما الموجبان؟⁽²⁾ فقال: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

ثالثاً - أَنَّ الشَّرْكَ يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ؛ قَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾﴾ (الزمر: 65).

وقالكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأنعام: 88).

رابعاً - أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِلْمُشْرِكِ؛ قَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: 48).

فالمُشْرِكُ إِذَا مَاتَ عَلَى الشَّرْكِ - وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ - لَا يَدْخُلُ فِي رَحْمَةِ الرَّاحِمِينَ، وَلَا تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

خامساً - أَنَّ الْمُشْرِكَ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ؛ قَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَعُذِّدُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ (التوبة: 5).

أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَبَوْا أَخَذَتْ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ أَبَوْا قُوتِلُوا.

وَقَتْلُ الْمُشْرِكِ إِنَّمَا هُوَ لَوْلَى أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ لِعُمُومِ النَّاسِ.

(1) رواه مسلم (93).

(2) الموجبان أي: الخصلة الموجبة للجنة، والخصلة الموجبة للنار.

أيها الناس، الشرك الأكبر ينقسم إلى أقسام، منها:

أولاً - شرك العبادة :

وهو صرفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : كالدُّعَاءِ، وَالتَّنَدُّرِ، وَالدَّبْحِ، وَالحَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالإِنَابَةِ، وَالاستِغَاثَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَنَحْوِهَا، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَقَرَّبَ بِهِ لِغَيْرِهِ - فَقَدْ أَشْرَكَ، مِثْلُ: مَنْ يَنْدِرُ لَوْلِيٍّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ يَذْبَحُ لَهُ، أَوْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، أَوْ يَطُوفُ بِقَبْرِهِ تَقَرُّبًا لِلْمَيِّتِ، أَوْ يَسْتَعِيثُ بِهِ، فيقول: يَا سَيِّدِي، أَعْثِنِي، أَوْ اشْفِ مَرِيضِي، أَوْ أَرْجُوكَ الْوَالِدَ أَوْ الزَّوْجَ أَوْ طُولَ الْعُمُرِ، فهذا - وَنَحْوُهُ - كُلُّهُ شِرْكٌ، صَاحِبُهُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ نَادَعُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعٍ ﴾
 ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَكُلُّكُمْ لِرَبِّكُمْ سَائِدُونَ ﴿١٤﴾ وَبِئْسَ الْقِيَمَةَ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٥﴾ (فاطر: 13، 14).

ثانياً - شرك المحبة :

وهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ أُنْدَادًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، وَمَا وَقَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي الشِّرْكِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَحَبُّوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْلِيَاءَ كَحُبِّ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (البقرة: 165).

ثالثاً - شرك الهوى :

وهُوَ أَنْ يَقْدَمَ هَوَاهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، فَإِنْ كَانَ هَوَاهُ فِي الشِّرْكِ كَانَ مُشْرِكًا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

(القصص: 50).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ

وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الفرقان: 43).

رابعاً - شِرْكُ الطَّاعَةِ :

وذلك أن يُطِيعَ إنساناً في تَحْلِيلِ ما حَرَّمَ اللهُ، أو تَحْرِيمِ ما أَحَلَّ اللهُ، فإذا فعل ذلك، فقد جعله رباً من دُونِ اللهِ؛ لأنَّ التَّحْلِيلَ والتَّحْرِيمَ حَقُّ اللهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ». وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: 31).

قال: «أَمْ إِيَّاهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ».

فَمِنْ هَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ عَالِماً، أو أَمِيرًا، أو غَيْرَهُمَا فِي تَحْلِيلِ ما عَلِمَ مِنْ دِينِ الإسلامِ بِالضَّرُورَةِ تَحْرِيمُهُ - فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ. وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «حَسَنٌ»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (3095)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ» (2471).

الخطبة الثانية - الشرك الأصغر:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن الشرك الأكبر، والآن حديثي معكم عن الشرك الأصغر.

أيها الناس، الشرك الأصغر أمره خطير - وإن كان أصغر - فهو أكبر الكبائر، وصاحبه على خطر.

والفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: أن الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الإسلام في الدنيا، والتخليد في النار، وتحريم الجنة على صاحبه في الآخرة.

وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك، فلا يُحكّم على صاحبه بالكفر، ولا بالخروج من الإسلام، ولا يُخلد في النار.

كما أن الشرك الأكبر يُحبط جميع الأعمال، بينما الأصغر يُحبط العمل الذي قارنه. ومن العلماء من يقول: الشرك الأصغر لا يُغفر إلا بالتوبة كالشرك الأكبر تمامًا؛ لعموم قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء: 48).

ومن العلماء من يقول: إن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، وأن المراد بقوله: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر فإنه يُغفر؛ لأنه لا يُخرج من الملة، وكل ذنب لا يُخرج من الملة فإنه تحت المشيئة، على كل فصاحب الشرك الأصغر على خطر⁽¹⁾.

(1) انظر «القول المفيد على كتاب التوحيد» لابن عثيمين (1/ 208).

أَيُّهَا النَّاسُ، الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

ظَاهِرٌ، وَخَفِيٌّ.

فَالظَّاهِرُ: يَكُونُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَالْخَفِيُّ: فِي النِّيَّةِ، وَهُوَ: الرِّيَاءُ.

فَشُرْكَ الْأَقْوَالِ: كَالْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ: كَالنَّبِيِّ، وَالْكَعْبَةِ، وَحَيَاتِي، وَحَيَاةِ أَبِي وَوَلَدِي، وَالْأَمَانَةِ، وَالْعَيْشِ وَالْمَلْحِ، وَالشَّرْفِ، وَالصَّدَاقَةِ وَالزَّمَالَةَ، كُلُّ هَذَا - وَنَحْوُهُ - مِنْ الشُّرْكِ فِي الْأَقْوَالِ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

وَمِنْ الشُّرْكِ فِي الْأَقْوَالِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَوْلُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، أَوْ لَوْلَا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ».

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ، وَلَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ أَنْتَ».

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ، بَقِيَ الشُّرْكَ الْخَفِيُّ، وَهُوَ: الرِّيَاءُ، وَقَدْ خَافَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَبَالَغَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3251)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1535)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (2561).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4980)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (137).

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ». قالوا: وما الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ - يا رسولَ الله - ؟. قال: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ - : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

وفي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ - نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ لَهُ لِلَّهِ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ - أَيْضًا - فِي «سُنَنِهِ» بِسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟». قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «الشُّرْكَ الْحَقِيقِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّرْكِ كُلِّهِ: دِقِّهِ وَجِلِّهِ⁽⁴⁾، سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (428 / 5)، و صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (1555).

(2) «حسن»: أخرجه ابنُ ماجه (4203)، وحسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (5318).

(3) «حسن»: أخرجه ابنُ ماجه (4204)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (2607).

(4) دِقِّهِ وَجِلِّهِ - بكسر أولهما - أي: صغيره وكبيره.

التَّمَائِمُ

2

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ التَّمَائِمِ.

والتَّمَائِمُ - كَمَا عَرَّفَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ - :

خَرَازَاتُ كَانَتْ الْعَرَبُ تُعَلِّقُهَا عَلَى أَوْلَادِهِمْ؛ يَتَّقُونَ بِهَا الْعَيْنَ فِي زَعْمِهِمْ، فَأَبْطَلَهَا

الإسلام⁽¹⁾.

وقد تكون التَّمِيمَةُ فِي الرَّقَبَةِ، أَوِ الْيَدِ، أَوِ الرَّجْلِ، أَوِ أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْجَسَدِ.

(1) «النهاية» (1/198).

وهي مِنَ الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ أَوْ الْأَصْغَرِ بِحَسَبِ مَا يُرِيدُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا، إِنْ اتَّخَذَهَا مُعْتَقِدًا أَنَّ الْمُسَبَّبَ لِلْمَحَبَّةِ، وَرَدَّ الْعَيْنِ، وَتَوَقَّى الْمَحْذُورِ - هُوَ اللَّهُ؛ فَهِيَ شَرْكٌ أَصْغَرٌ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا تَفْعَلُ بِنَفْسِهَا؛ فَهِيَ شَرْكٌ أَكْبَرٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَائِمِ، وَأَنَّهَا مِنَ الشَّرْكِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) ﴿ (الأنعام: 17).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٧) ﴿ (يونس: 107).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّرٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْكُمْ تَجَنُّونَ ﴾ (٥٧) ﴿ (النحل: 53، 54).

وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَائِمِ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا، فَمِنْهَا:

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي: ابْنَ مَسْعُودٍ - قَالَتْ: كَانَتْ عَجُوزٌ تَدْخُلُ عَلَيْنَا تَرْقِي مِنَ الْحُمْرَةِ، وَكَانَ لَنَا سَرِيرٌ طَوِيلٌ الْقَوَائِمِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ تَنَحَّجَ وَصَوَّتَ، فَدَخَلَ يَوْمًا، فَلَمَّا سَمِعَتْ صَوْتَهُ احْتَجَبَتْ مِنْهُ، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي فَمَسَّنِي فَوَجَدَ مَسَّ خَيْطٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟. فَقُلْتُ: رُقِيَ لِي فِيهِ مِنَ الْحُمْرَةِ، فَجَذَبَهُ فَقَطَعَهُ، فَرَمَى بِهِ، وَقَالَ: لَقَدْ أَصْبَحَ أَلُّ عَبْدِ اللَّهِ أَغْنِيَاءَ عَنِ الشَّرْكِ،

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (381/1)، وَابْنُ مَاجَةَ (3530)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (2845).

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّهَامَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا، فَأَبْصَرَنِي فُلَانٌ؛ فَدَمَعَتْ عَيْنِي الَّتِي تَلِيهِ، فَإِذَا رَقِيْتُهَا سَكَنتَ دَمْعُهَا، وَإِذَا تَرَكْتُهَا دَمَعَتْ. قَالَ: ذَلِكَ الشَّيْطَانُ، إِذَا أَطَعْتَهُ تَرَكَكَ، وَإِذَا عَصَيْتَهُ طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي عَيْنِكَ، وَلَكِنْ لَوْ فَعَلْتَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ خَيْرًا لَكَ، وَأَجْدَرَ أَنْ تَشْفِينَ: تَنْضَحِينَ فِي عَيْنِكَ الْمَاءَ، وَتَقُولِينَ: أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ⁽¹⁾ سَقَمًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِتَحْرِيمِ الرُّقَى وَالتَّهَامِ وَالتَّوَلَةِ، وَهَذَا تَنْبِيهُ مُهِمٌّ: وَهُوَ أَنَّ الرُّقَى لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى عُمُومِهَا، بَلْ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رحمته: «هِيَ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ خَاصٌّ، وَهُوَ الرُّقَى بِغَيْرِ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ، أَمَّا مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرْكِ»⁽²⁾.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: نَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَاتَّتْنَا امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ⁽⁴⁾ لُدِغَ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟.

فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا، مَا كُنَّا نَظْنُهُ يُحْسِنُ رُقِيَةً، فَرَفَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ؛ فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا، وَسَقَوْنَا لَبَنًا. فَقُلْنَا: أَكُنْتَ نُحْسِنُ رُقِيَةً؟!.

فَقَالَ: مَا رَقِيْتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا تُحَرِّكُوهَا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَاتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟ افْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ».

(1) لَا يُغَادِرُ أَيُّ: لَا يَتْرُكُ.

(2) «القول المفيد» (1/180).

(3) رواه البخاري (5007)، ومسلم (2201)، واللفظ له.

(4) سليم أي: لذيغ، سمي بذلك تفاعلاً بالسلامة، وقيل: لأنه مُسْتَسَلِمٌ لما به.

والتَّوَلَّهْ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا التَّوَلَّهْ؟ هِيَ - كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ أَبُو عُمَيْمٍ رحمته: «شَيْءٌ يُعَلِّقُونَهُ عَلَى الزَّوْجِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحِبُّ الزَّوْجَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالزَّوْجَ إِلَى امْرَأَتِهِ، وَهَذَا شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ، وَلَا قَدَرِيٍّ لِلْمَحَبَّةِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ الدَّبَلَةُ، وَالدَّبَلَةُ: خَاتَمٌ يُشْتَرَى عِنْدَ الزَّوْاجِ، يُوَضَعُ فِي يَدِ الزَّوْجِ، وَإِذَا أَلْقَاهُ الزَّوْجُ؛ قَالَتِ الْمَرْأَةُ: إِنَّهُ لَا يُحِبُّهَا؛ فَهَمَّ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ النَّفْعَ وَالضَّرَرَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ مَا دَامَ فِي يَدِ الزَّوْجِ؛ فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّ الْعَلَاقَةَ بَيْنَهَا ثَابِتَةٌ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، فَإِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ النِّيَّةُ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّرْكِ الْأَصْغَرِ، وَإِنْ لَمْ تُوجَدْ هَذِهِ النِّيَّةُ - وَهِيَ بَعِيدَةٌ إِلَّا تَصَحَّبَهَا -؛ فَفِيهِ تَشْبَهُ بِالنَّصَارَى؛ فَإِنَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنْهُمْ.

وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الذَّهَبِ، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّجُلِ فِيهَا مَحْذُورٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ لُبْسُ الذَّهَبِ ...

وَقَوْلُهُ: «شِرْكٌ»: هَلْ هِيَ شِرْكٌ أَصْغَرٌ أَوْ أَكْبَرٌ؟، نَقُولُ: بِحَسَبِ مَا يُرِيدُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا، إِنْ أَخَذَهَا مُعْتَقِدًا أَنَّ الْمُسَبَّبَ لِلْمَحَبَّةِ هُوَ اللَّهُ؛ فَهِيَ شِرْكٌ أَصْغَرٌ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا تَفْعَلُ بِنَفْسِهَا؛ فَهِيَ شِرْكٌ أَكْبَرٌ⁽¹⁾.

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَائِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رحمته قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَتْ تِسْعَةً، وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً، وَتَرَكْتَ هَذَا. وَقَالَ: إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ».

(1) «القول المفيد» (1/ 181 - 182).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (4/ 156)، والحاكم (4/ 219)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (492).

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَائِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ بْنِ تَيْمٍ: أَنَّ أَبَا بَشِيرَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا: «لَا تَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ قِلَادَةٌ - إِلَّا قُطِعَتْ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته: «قال ابن الجوزي رحمته: «وفي المراد بالأوتار ثلاثة أقوال: أحدها - أنهم كانوا يُقَلِّدون الإبل أوتار القسي؛ لئلا تُصِيبها العين بزعمهم، فأمرُوا بقطعها؛ إعلاما بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئا»⁽²⁾.

قُلْتُ: وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا مِنْ تَعْلِيقِ النَّعَالِ - وَنَحْوِهَا - عَلَى الْبَعِيرِ وَالْبَقَرِ؛ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ الْعَيْنَ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ التَّعْلُقَ بِمَا لَيْسَ بِشَرْعِيٍّ أَوْ حِسِّيٍّ شَرَكٌ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَائِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيسَى - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى - قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَكِيمٍ أَبِي مَعْبَدِ الْجُهَنِيِّ أَعُوذُهُ، وَبِهِ حُمْرَةٌ، فَقُلْتُ: أَلَا تُعَلِّقُ شَيْئًا؟ قَالَ: الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وَكَلَّ إِلَيْهِ».

(1) رواه البخاري (3005)، ومسلم (2115).

(2) «الفتح» (99/6).

(3) «حسن»: أخرجه أحمد (210/4)، والحاكم (21/4)، والتِّرْمِذِيُّ (2167)، وحسنه الألباني في «صحيح التِّرْمِذِيِّ» (1691).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّائِمِ وَنَحْوِهَا، حَتَّى إِنَّهُ أَوْصَى أَحَدَ صِغَارِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِهِ - أَوْصَاهُ أَنْ يُبْلَغَ مَنْ بَعْدَهُ وَيُحَذِّرُهُمْ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ النَّسَائِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحَيْتِهِ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًّا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيْعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ - فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُ بَرِيءٌ».

فَقَوْلُهُ ﷺ: «تَقَلَّدَ وَتَرًّا» «الْوَتْرُ: سِلْكٌ مِنَ الْعَصَبِ، يُؤْخَذُ مِنَ الشَّاةِ، وَتَتَّخَذُ لِلْقَوْسِ وَتَرًّا، وَيَسْتَعْمَلُونَهَا فِي أَعْنَاقِ إِبِلِهِمْ أَوْ خَيْلِهِمْ، أَوْ فِي أَعْنَاقِهِمْ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَمْنَعُ الْعَيْنَ، وَهَذَا مِنَ الشُّرْكِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/108)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (8/235)، وَأَبُو دَاوُدَ (36)، وَصَحَّحَهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (27).

(2) «الْقَوْلُ الْمَفِيدُ» (1/188).

الخطبة الثانية - الرقي :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن التائب، والآن حديثي معكم عن «الرقي».

والرقيّة - أيها الناس - : هي رقيّة الإنسان نفسه أو غيره للتداوي، ولا بأس بها إذا خلت من الشرك.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقي، ف جاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله - إنه كانت عندنا رقيّة، نرقي بها من العقر، وإنك نهيت عن الرقي. قال: فعرضوها عليه. فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليعمل».

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهليّة، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟

فقال: «اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك».

وقد تقدم حديث أبي سعيد الخدري «في الصحيحين» في قصة الرجل الذي لدغ، فرآه أحد الصحابة بفاتحة الكتاب، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

(1) رواه مسلم (2199).

(2) رواه مسلم (2200).

وقَد رَفَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ، كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفْيِهِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَبِالْمُعَوِّذِينَ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ».

وقَد أَمَرَ غَيْرُهُ بِالرُّقِيَّةِ، كما في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً، فِي وَجْهَهَا سَفْعَةٌ - أَي: سَوَادٌ فِي الْوَجْهِ -، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فَإِنَّهَا النَّظْرَةُ».

وفَعَلَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغيره، كما في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، وَأَشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ مُعَقَّدٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الرُّقِيَّةِ، لَكِنَّا تَوْقِيفِيَّةٌ، فَتَكُونُ بَكْتَابِ اللَّهِ، وَبِمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كَثِيرًا مِنَ الرُّقَى النَّافِعَةِ، فَلَا يَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ، أَوْ النِّقْصُ مِنْهُ.

كما لَا يَجُوزُ التَّفَرُّغُ لِأَجْلِ الْقِرَاءَةِ عَلَى النَّاسِ، وَاتِّخَاذُهَا حِرْفَةً؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَفْعَلْهُ الصَّحَابَةُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَلَوْ كَانَ الْإِنْقِطَاعُ لِمُعَالَجَةِ الْمَرْضَى بِالرُّقَى، وَاتِّخَاذُهَا حِرْفَةً، وَالِاسْتِهَارُ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ خَيْرًا - لَسَبِقْنَا إِلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، التَّفَرُّغُ لِلْعِلَاجِ فِيهِ مَفْسَدَةٌ لِلْجَمِيعِ: مَفْسَدَةٌ لِلْقَارِيِّ فَلَا يُؤْمِنُ أَنْ يُفْتَنَ، وَتُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، وَيُضْحَكُ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، وَيَدْخُلُهُ الْعُجْبُ وَالْكِبرُ وَالرِّيَاءُ؛ لِأَنَّ

(1) رواه البخاري (5748).

(2) رواه البخاري (5739)، ومسلم (2197).

(3) رواه البخاري (5743)، ومسلم (2191).

الرُّقِيَةَ كالدُّعَاءِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ: تَعَالَوْا أَدْعُ اللَّهَ لَكُمْ، وَلَكِنْ إِذَا جَاءَهُ مَرِيضٌ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَرْقِيَهُ فَلَا بَأْسَ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»⁽¹⁾.

أَمَّا التَّفَرُّغُ لِلْعِلَاجِ، وَاتِّخَاذُهُ حِرْفَةً فَهَذَا لَا يَجُوزُ الْبَتَّةَ.

وَمِنْ مَفْسَدَةِ التَّفَرُّغِ: أَنَّ عَوَامَّ النَّاسِ يَتَعَلَّقُونَ بِالْقَارِي أَكْثَرَ مِنْ تَعَلُّقِهِمْ بِاللَّهِ وَبِكَلَامِهِ، حَتَّى يَظُنُّونَ ارْتِبَاطَ الشِّفَاءِ بِالشَّخْصِ.

اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي الدِّينِ، وَارْزُقْنَا الْحِكْمَةَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) تقدّم تخريجُهُ.

ضعف الإيمان

3

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ضَعْفُ الْإِيمَانِ مِمَّا عَمَّ وَانْتَشَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَآثَارُ الْمَرَضِ عَلَيْهِمْ بَادِيَةٌ، وَهُوَ أَسَاسُ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَسَبَبُ كُلِّ نَقْصٍ وَبَلِيَّةٍ⁽¹⁾.

فَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُقُوعُ فِي الْمَعَاصِي، وَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى يُصْبِحَ عَادَةً مَأْلُوفَةً، ثُمَّ يَزُولُ قُبْحُهَا مِنَ الْقَلْبِ،

(1) انظر «ظاهرة ضعف الإيمان» (ص 5-6) بتصرّف.

حَتَّى يَقَعَ الْعَاصِي فِي الْمَجَاهِرَةِ بِهَا، وَيَدْخُلُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ».

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشُّعُورُ بِقَسْوَةِ الْقَلْبِ، قَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: 74).

وَصَاحِبُ الْقَلْبِ الْقَاسِي - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا تَنْفَعُ فِيهِ مَوْعِظَةٌ، قَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق: 37).

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ إِتْقَانِ الْعِبَادَاتِ، كَحَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ مَعَ الصَّلَاةِ، فَبَعْضُهُمْ يَنْقُرُهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، وَبَعْضُهُمْ يُصَلِّهَا وَهُوَ يَجُولُ بِقَلْبِهِ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا وَشِعْبِهَا، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَمَا عِنْدَ «التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ، قَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾ (النساء: 142).

وَمِنَ التَّكَاسُلِ عَنِ الطَّاعَاتِ التَّأَخُّرُ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَهَكَذَا، حَتَّى إِذَا فَاتَتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ رَاتِبَةٍ، فَإِنَّهُ لَا يَرِغِبُ فِي قِضَائِهَا، وَلَا يَزَالُ بِهِ الْحَالُ حَتَّى يَنْطَبِقَ عَلَيْهِ قَوْلُ

(1) رواه البخاري (6069)، ومسلم (2990).

(2) «حسن»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (3479)، وحسنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (594).

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في «سُنَن أَبِي دَاوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحیح أبي داوُدَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ».

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ عَدَمُ التَّأَثُّرِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، فَضَعِيفُ الْإِيمَانِ يَمَلُّ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلَا تُطِيقُ نَفْسُهُ مُوَاصَلَةَ قِرَاءَتِهِ، فَكُلَّمَا فَتَحَ الْمُصْحَفَ كَادَ أَنْ يُعْلِقَهُ.
تلك - أيها الناس - بعض آثار ضعف الإيمان، ولها أسبابها، فمن أسبابها:

الابتعاد عن الاستقامة والصلاح لفترة طويلة، قال الله - سبحانه وتعالى - :
﴿الَّذِينَ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَحَتَّىٰ ذُكِّرُوا لَا يَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُونُوا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ أَنِيقًا وَكُنُوا لَهُ يَحْسِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (الحديد: 16).

وَمِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْقُدْوَةِ الصَّالِحَةِ؛ فَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى جَلِيسِهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْبَرِ»⁽³⁾، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ⁽⁴⁾، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ⁽⁵⁾ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَيْبَرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً».

(1) «صحیح»: أخرجه أبو داوُدَ (679)، و صححه الألباني في «صحیح أبي داوُدَ» (630).

(2) رواه البخاري (2101)، ومسلم (2628).

(3) الكير - بالكسر - : منفتح الحداد الذي ينفخ به النار.

(4) يُحْذِيكَ: يُعْطِيكَ.

(5) تَبْتَاعُ: تَشْتَرِي.

فاجلس الصالح غنيمة وخير؛ فإنه إما أن يعلمنا ما ينعننا في ديننا ودنيانا، أو يهدي لنا نصيحة، أو يحدرننا من الإقامة على ما يضرنا، فيحثنا على طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ويصبرنا بعيوب أنفسنا، ويدعونا إلى مكارم الأخلاق بقوله وفعله وحاله.

ومن أسباب ضعف الإيمان - أيها الناس - : الابتعاد عن طلب العلم الشرعي، والاتصال بكتب السلف، وخاصة كتب الحديث، والرقائق، والسيرة النبوية، وسيرة الصحابة والتابعين وغيرهم من سادة العلماء والأولياء: كالأئمة الأربعة، وأصحاب السنن.

ومن أسباب ضعف الإيمان - أيها الناس - : الإغراق في الإنشغال بالدنيا، وعدم أخذ البلاغ منها، والاكتفاء به.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰكَ الْكَاثِرُ ۚ ﴾ (التكاثر: 1).

أي: شغلكم التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، ونحو ذلك مما قد يفتن به المسلم، فينشغل به عن طاعة ربه، والاستعداد لليوم الذي ينتظره، وقد يضعف إيمانه، ويقسو قلبه بسبب ذلك، وهذا واقع، ما له من دافع.

ومن أسباب ضعف الإيمان - أيها الناس - طول الأمل، وطول الأمل يقصر بصاحبه عن العمل الصالح، ويسوفه ويلهيه.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ

يَعْمُونَ ۚ ﴾ (الحجر: 3).

أيها الناس، تلك بعض آثار ضعف الإيمان، وتلك بعض أسباب ضعفه، وقد دل الدليل من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد

بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعَصِيَّةِ، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصُهُ: أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَسَمَ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ﴾ (فاطر: 32).

فالسابقون بالخيرات: هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون.

والمقتصدون: هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات، وترك المحرمات. والظالمون لأنفسهم: هم الذين اجتروا على بعض المحرمات، وقصروا ببعض الواجبات، مع بقاء أصل الإيمان معهم.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة: 124).

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْبَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ﴾ (المدثر: 31).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (الأنفال: 2).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح: 4).

وففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ وَعَظَ النِّسَاءَ، وَقَالَ هُنَّ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبُ لَلْبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ».

(1) رواه البخاري (304)، ومسلم (80).

فالحديثُ دَلٌّ على ثُبُوتِ النَّقْصِ، والآياتُ دَلَّتْ على إثباتِ الزِّيَادَةِ، والزِّيَادَةُ - أيها النَّاسُ - مُسْتَلْزِمَةٌ لِلنَّقْصِ، وكُلُّ نَصٍّ في كتابِ الله يَدُلُّ على زِيَادَةِ الإيْمَانِ فَإِنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلدَّلَالَةِ على نَقْصِهِ، كما قال ذلك العَلَامَةُ ابنُ عَثِيمِينَ رحمته، وَيُعْجِبُنِي هُنَا قَوْلُ الإِمَامِ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رحمته: «الإيْمَانُ يَسْمَنُ في الخِصْبِ، وَيَهْزَلُ في الجُدْبِ، فِخِصْبِهِ العَمَلُ الصَّالِحُ، وَجَدْبُهُ الذُّنُوبُ والمَعَاصِي». وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - عِلاجُ ضَعْفِ الإيْمَانِ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على أَشْرَفِ المرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أيها النَّاسُ - تقدَّم الحديثُ معكم عن ضَعْفِ الإيْمَانِ، والآنَ حديثي معكم عن عِلاجِ ذلك الضَّعْفِ.

أيها النَّاسُ، قد قال أَحَدُ السَّلَفِ: «مِنْ فِقْهِ العَبْدِ أَنْ يَتَعَاهَدَ إِيْمَانَهُ، وما يَنْقُصُ مِنْهُ، وَمِنْ فِقْهِ العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَيُّ ذَادٍ إِيْمَانُهُ أَوْ يَنْقُصُ؟، وَإِنَّ مَنْ فِقْهِ أَنْ يَعْلَمَ نَزْغَاتِ الشَّيْطَانِ أَنَّى تَأْتِيهِ»⁽¹⁾.

فَمِنْ عِلاجِ ضَعْفِ الإيْمَانِ - أيها النَّاسُ - : مَعْرِفَةُ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ كَلَّمَ اذْدَادَ الإِنْسَانَ مَعْرِفَةَ باللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، اذْدَادَ إِيْمَانَهُ.

(1) «شرح نونية ابن القيم» لابن عيسى (2/140).

ومن علاج ضعف الإيمان - أيها الناس - : النظر في آيات الله الكونية والشرعية.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الغاشية: 17 - 20).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يونس: 101).

أيها الناس، كلما ازداد الإنسان علماً بما أودع الله - تعالى - في الكون من عجائب المخلوقات، ومن الحكم البالغات، ازداد إيماناً بالله - عز وجل - ، وكذلك النظر في آيات الله الشرعية، يزيد الإنسان إيماناً بالله - عز وجل - ؛ لأننا إذا نظرنا إلى الآيات الشرعية - وهي الأحكام التي جاءت بها الرسل - وجدنا فيها ما يبهر العقول من الحكم البالغة، والأسرار العظيمة، التي نعرف بها أن هذه الشريعة نزلت من عند الله، وأنها مبنية على القول والرحمة، فنزداد بذلك إيماناً⁽¹⁾.

ومن علاج ضعف الإيمان - أيها الناس - : تدبر القرآن العظيم.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ

إِيمَانًا فَمَا الَّذِي زَادْتُمْ إِيمَانًا وَهِيَ تَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (التوبة: 124).

ومن علاج ضعف الإيمان - أيها الناس - : طلب العلم الشرعي، والعلم

الشرعي الذي يزداد به المؤمن إيماناً: هو العلم بالله وباليوم الآخر، وأوله العلم

المقتضي للاستغفار، كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ ﴾ (محمد: 19).

(1) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (2/ 233 - 235) بتصرف يسير.

ومن علاج ضعف الإيمان - أيها الناس - : الاستكثار من الأعمال الصالحة، فإن للأعمال الصالحة أثراً عظيماً في ازدياد الإيمان.

وفي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أصبح منكم اليوم صائماً؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع اليوم منكم جنازة؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعم اليوم منكم مسكيناً؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد اليوم منكم مريضاً؟». قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

وهذا - أيها الناس - يدلُّ على ما كان عليه الصحابة الكرام من المسارعة في الخيرات، فغدا إيمانهم كالجبال الرواسي، أقاموا الدنيا وأفعدوها، ولم تهتز لهم شعرة، ولم تلبس لهم قناة⁽²⁾؛ لأنهم استجابوا لأمر الله القائل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: 133).

والقائل: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: 21).

فتركوا الدنيا ورائهم ظهرياً تلبيةً لنداء الحق - سبحانه وتعالى - ففي «صحیح مسلم»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه في قصة غزوة بدر: لما دنا المشركون... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم (1028).

(2) القنأة - بالفتح - : القامة.

(3) رواه مسلم (1901).

(4) بخ - بتنوين الكسر ويجوز الإسكان - : كلمة تطلق لتعظيم الأمر ونفخيمه في الخبر.

فقال رسول الله ﷺ: «ما يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟». قال: لا، والله - يا رسول الله - إلا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قال: «فإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ⁽¹⁾، فجعل يأكلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قال: لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قال: فَرَمَى بِهَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (المعارج: 23)، أَي: مُدَاوِمُونَ عَلَيْهَا، وَلَيْسُوا كَمَنْ يَفْعَلُهَا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ».

وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ. قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَي: لَا زَمُوهُ وَدَاوَمُوا عَلَيْهِ»⁽³⁾.

وَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الدُّعَاءُ.

فَفِي «مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ⁽⁵⁾ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ؛ فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ».

(1) الْقَرْنُ - بفتحَيْن - : جَعْبَةُ السَّهَامِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5861)، وَمُسْلِمٌ (782).

(3) «شرح النووي على صحيح مسلم» (3/319).

(4) «حسن»: رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «المستدرک» (4/1)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1585).

(4) لِيَخْلُقَ: لِيَبْلَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ ذَكَرْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ - أَنْ تُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِنَا، وَتُحِبِّبَ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَتُزَيِّنَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَتَجْعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.



ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ

4

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ بَعْضِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ تَذْكِيرًا وَتَنْبِيهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ؛ يَتَّقِي غَضَبَ اللَّهِ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ، فَإِنَّ اجْتِنَابَ الْمُسْلِمِ الْكَبَائِرَ مِنَ الذُّنُوبِ أَفْضَلُ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِنَوَافِلِ الْعِبَادَةِ، بَلْ إِنَّ اجْتِنَابَ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ جَعَلْتُمْ كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكُفِّرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: 31).

أَمَّا كَيْفَ تَعْرِفُ الْكَبِيرَةَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَنَحْنُ نَدْعُ الْجَوَابَ لِتَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ، وَحِبْرِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الْكَبَائِرُ: كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللَّهُ بِنَارٍ، أَوْ لَعْنَةٍ، أَوْ غَضَبٍ، أَوْ عَذَابٍ». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»⁽¹⁾.

وَأَمَّا عَنِ عَدَدِهَا فَيَقُولُ: «هِيَ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى السَّبْعِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ». (رواه ابن جرير)⁽²⁾.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْهُ قَوْلَهُ: «هِيَ إِلَى سَبْعِينَ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى السَّبْعِ».

وَسَوْفَ أَذْكَرُ بَعْضَ الْكَبَائِرِ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَضْرِ، فَمِنَ الْكَبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - :
الشُّرْكُ بِاللَّهِ، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ عَنْهُ، قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: 48).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ».

قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَنًّا فَقَالَ: - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ».

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

(1) «تفسير ابن جرير» (41/4).

(2) المرجع السابق (41/4).

(3) رواه البخاري (2654)، ومسلم (87).

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْمُؤَبَقَاتُ ⁽¹⁾ السَّبْعُ، وَهُنَّ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ ⁽²⁾ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ» ⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَقَاتِ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟.

قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : تَرْكُ الصَّلَاةِ كَسَلًا وَتَهَاوُنًا، أَمَّا تَارِكُهَا جَاهِدًا لَوْجُوبِهَا، أَوْ مُسْتَهْزَأًا بِهَا - فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ، أَمَّا تَارِكُ الصَّلَاةِ تَهَاوُنًا وَكَسَلًا فَهُوَ مُرْتَكِبٌ لِكَبِيرَةٍ عَظْمَى.

ففي «صحيح مسلم» ⁽⁴⁾ مِنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : مَنَعُ الزَّكَاةِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: 180).

(1) المؤبقات أي: المهلكات.

(2) المحصنات: الحرائر العفيفات.

(3) رواه البخاري (2766)، ومسلم (89).

(4) رواه مسلم (82).

وفي «صحیح البخاری»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ، مِثْلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ⁽²⁾، لَهُ زَبَيْتَانِ⁽³⁾، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ -، يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ». ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (آل عمران: 180).

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : إِفْطَارُ يَوْمٍ فِي رَمَضَانَ بِلَا عُدْرٍ.

فقد أخرج النسائي في «الكبرى»⁽⁴⁾ بسند صحيح من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بَضْبِعِي - أَي: بَعْضُدي -، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعِوَاءَ، فَقَالَا: اضْعُدْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُهُ. فَقَالَا: سَنَسْهَلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَادِ الْجَبَلِ، إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟!، قَالُوا: هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَا بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِبِهِمْ⁽⁵⁾، مُشَقَّقَةً أَشْدَأْفُهُمْ⁽⁶⁾، تَسِيلُ أَشْدَأْفُهُمْ دَمًا، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟، قَالَ: الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ - أَي: قَبْلَ وَقْتِ الْإِفْطَارِ -.....».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : تَرْكُ الْحَجِّ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

(1) رواه البخاري (4565).

(2) الشُّجَاعُ: الْحَيَّةُ، وَالْأَقْرَعُ: الَّذِي تَمَرَّطَ شَعْرُ رَأْسِهِ؛ لَجَمْعِهِ السُّمُّ فِيهِ.

(3) الزَّبَيْتَانِ: النُّقْطَتَانِ السَّوْدَاوَانِ فَوْقَ عَيْنِي الْحَيَّةِ، وَهُوَ أَوْحَشُ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَيَّاتِ وَأَحْبَثُهُ، وَقِيلَ: هُمَا زَبَدَتَانِ فِي شِدْقَيْهَا.

(4) «صحيح»: أخرجه النسائي في «الكبرى» (3286).

(5) العراقيب: جمع عرقوب - بزنة عصفور -، وهو عصبٌ غليظٌ فوق عقب الإنسان.

(6) الأشداق: جمع شدق - بالكسر -، وهو جانب الفم.

ما أعظمه من ذنب ترك العمل بأحد أركان الإسلام مع القدرة عليه!، والله
- سبحانه وتعالى - يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (١٧) ﴿آل عمران: 97﴾.

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال: «بني
الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة،
وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».
ومن الكبائر - أيها الناس - : الزنا.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٣) ﴿الإسراء: 32﴾.

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽²⁾ من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : «إذا زنى الرجل، خرج منه
الإيمان، كان عليه كالظلمة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان».
ومن الكبائر - أيها الناس - : السرقة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا
تَكْلَافًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٨) ﴿المائدة: 38﴾.

ومن الكبائر - أيها الناس - : شرب الخمر، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 90).

(1) رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4690)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (509).

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديثِ ابنِ عمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ، وشَارِبَهَا، وسَاقِيَهَا، وبَائِعَهَا، ومُتَاعَهَا، وعَاصِرَهَا، ومُعْتَصِرَهَا، وحَامِلَهَا، والمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ».

وبالإضافة إلى عُقُوبَةِ اللَّعْنِ - أيها النَّاسُ - فَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ شَارِبَ الخَمْرِ بعُقُوباتٍ شديدةٍ في الآخرة، ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ: أَنْ يُسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الحَبَالِ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما طِينَةُ الحَبَالِ؟ قال: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ».

ويَدْخُلُ في الخَمْرِ كُلُّ ما خَمَرَ العَقْلَ، فالقاعدةُ العامَّةُ: أَنْ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديثِ عبدِ الله بنِ عمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

مُسْكِرَاتٌ - أيها النَّاسُ - خَمْرٌ، وَإِنْ سَمَّوْهَا بغيرِ اسمِها، ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةَ»⁽⁴⁾ من حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقولُ: «لِيَشْرَبَنَّ ناسٌ مِنْ أُمَّتِي الخَمْرَ، يُسَمُّونها بغيرِ اسمِها».

أيها النَّاسُ، إِنَّ في الجَنَّةِ أَنهارًا مِنْ خَمْرٍ، كما قالَ تعالى: ﴿ وَأَنْهَرِينَ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾

(محمد: 15).

(1) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3674)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (5091).

(2) رواه مسلم (2002).

(3) رواه مسلم (2003).

(4) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3688)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةَ» (90، 91).

وَمَعْنَى ﴿لَذُو الشَّرِيبِ﴾ أَي: قَدْ نُفِيتْ عَنْهَا الْآفَاتُ الَّتِي تَمْنَعُ كَمَا لَ الدُّدَّةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الواقعة: 18، 19).

أَي: لَيْسَ فِيهَا صُدَاعٌ، وَلَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ كخَمْرِ الدُّنْيَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، ذَلِكَ وَصْفُ خَمْرِ الْآخِرَةِ، لَكِنَّهُ حَرَامٌ عَلَى مَنْ شَرِبَ خَمْرَ الدُّنْيَا، إِنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرِبُهَا يُدْمِنُهَا، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ - لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ..

الخطبة الثانية - ذكْرُ شَيْءٍ مِنَ الْكِبَائِرِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمْ نَنْتَه مِنْ ذِكْرِ الْكِبَائِرِ، فَلَا يَزَالُ الشَّرِيطُ طَوِيلًا، فَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْكَذِبُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«.... وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

(1) رواه البخاري (5575)، ومسلم (2003)، واللفظ لهُ.

(2) رواه البخاري (6094)، ومسلم (2067).

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الظُّلْمُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: 227).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هَجْرُ الْأَقْرَابِ، وَتَقْطِيعُ الْأَرْحَامِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا

أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (محمد: 22، 23).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَخْذُ الرِّشْوَةِ عَلَى الْحُكْمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمُكَّارِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 188).

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» مِنْ حَدِيثِ

ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الرَّاشِيِ وَالْمُرْتَشِيِ»⁽³⁾.

وَالرَّاشِيِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الرِّشْوَةَ، وَالْمُرْتَشِيِ: الَّذِي يَأْخُذُهَا،

وَالرِّشْوَةُ: مَا يُعْطَى لِإِبْطَالِ حَقٍّ، أَوْ لِإِحْقَاقِ بَاطِلٍ، أَمَّا إِذَا أُعْطِيَ لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى

(1) رواه البخاريُّ (2447)، ومسلم (2579).

(2) رواه البخاريُّ (5984)، ومسلم (2556)، واللفظُ لَهُ.

(3) «صحيح»: أخرجه أحمدُ (2/164)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (5101).

حَقٌّ، أو ليدفع بها عن نفسه ظلماً، ولم يكن هناك سبيل لحصول الحق، ودفع الظلم إلا بالرشوة، وليس هناك من ينصفه - فإنه - والحالة هذه - لا يدخل في اللعن.

ومن الكبائر - أيها الناس - اللعن.

ففي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر».

ومن الكبائر - أيها الناس - الغدر وعدم الوفاء بالعهد.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم: «أربع من كن فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

ومن الكبائر - أيها الناس - أذية الجار.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»⁽⁴⁾.

ومن الكبائر - أيها الناس - أذى المسلمين وشتمهم.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا

أَكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهِنَّ وَإِنَّمَا مِينَا ﴿٥٨﴾ (الأحزاب: 58).

(1) رواه البخاري (48).

(2) رواه البخاري (34)، ومسلم (58).

(3) رواه البخاري (6016)، ومسلم (46)، واللفظ له.

(4) البوائق: جمع بائقة، وهي الغائلة والذاهية والفتك.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ انْتِقَاءً شَرِّهِ» .
وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّمِيمَةُ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَنَعْلَى - : ﴿ هَذَا مَشَاءُ نَبِيِّمِ ﴾ (القلم: 11) .

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَيَّامٌ» .

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْغَيْبَةُ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَنَعْلَى - : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (الحجرات: 12) .

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَةٍ يَوْمَ النَّحْرِ «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» . فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : «أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ؟» . قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» . فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، فَقَالَ : «أَلَيْسَ بَلَدَ اللَّهِ الْحَرَامُ؟» . قُلْنَا : بَلَى .

قَالَ : «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» . فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، فَقَالَ : «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» . قُلْنَا : بَلَى .

قَالَ : «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» .

(1) رواه البخاري (6032)، ومسلم (2591) .

(2) رواه البخاري (6056)، ومسلم (105)، وَاللَّفْظُ لَهُ .

(3) رواه البخاري (1741)، ومسلم (1679) .

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ الْكِبَائِرِ، وَإِلَّا فَالْكِبَائِرُ كَثِيرَةٌ، يَجِبُ الْعِلْمُ بِهَا، وَهِيَ مُدَوَّنَةٌ فِي كِتَابِ «الزَّوْجِرِ» لِلْهَيْثَمِيِّ، وَ«الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ، وَ«تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ» لِلدَّمَشْقِيِّ، وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَجَنَّبْنَا الْكِبَائِرَ وَالْمُحَرَّمَاتِ، وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، إِنَّكَ أَنْتَ خَيْرُ حَافِظٍ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.



من أحكام اليمين

5

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي قَسَاءَ لُونِ يَوْمِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ.

وَالْيَمِينُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَشْرُوعَةٌ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: 89).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تُنْقِضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (النحل: 91).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا».

(1) رواه البخاري (6623)، ومسلم (1649).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِّلِّمِينَ أَحْكَامًا لَا يَنْبَغِي لِّلْمُسْلِمِ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا مُرُورًا عَابِرًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْمَ بِهَا، وَسَوْفَ أَذْكَرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَمَنْ تَلَكَ الْأَحْكَامَ: أَنَّهُ يَحْرُمُ الْحَلْفُ بغيرِ اللَّهِ: كَالْحَلْفِ بِالْأَمَانَةِ، وَالشَّرَفِ الْعَسْكَرِيِّ، وَالنَّبِيِّ، وَالكَعْبَةِ، وَوَلَدِي، وَحَيَاتِي، أَوْ بِمَلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ، فَمِنْهَا:

مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا - فَهُوَ كَمَا قَالَ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». وَهُنَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ إِفَادَةِ اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِفْتَاءِ بِالسُّعُودِيَّةِ: «الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ يُعْتَبَرُ شُرْكًَا أَصْغَرَ، فَإِنْ قَامَ بِقَلْبِهِ تَعْظِيمٌ لِمَنْ حَلَفَ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِثْلَ تَعْظِيمِ اللَّهِ - فَهُوَ شُرْكٌَ أَكْبَرٌ»⁽⁴⁾.

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ، فَلَيْسَ مِنَّا».

(1) رواه البخاري (6647)، ومسلم (1646).

(2) رواه البخاري (1363)، ومسلم (110).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3251)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (2561).

(4) «فتاوى اللجنة الدائمة» (1/224).

(5) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3253)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (94).

وَمِنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ: الْعِلْمُ أَنَّ الْحَلْفَ بغيرِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ، كَمَا لَا يَنْعَقِدُ بِهِ الْيَمِينُ، وَلَكِنْ لَهُ كَفَّارَةٌ خَاصَّةٌ، هِيَ التَّوْبَةُ وَالْإِسْتِغْفَارُ، وَأَنْ يَأْتِيَ الْحَالِفُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُ أَتَى شَرْكَاً، وَفَعَلَ مُحَرَّمًا، دَلِيلُنَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ، فَلْيُقْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرَكَ فَلْيَتَصَدَّقْ بِشَيْءٍ».

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - قَوْلُ رَبَّنَا - سُبْحَانَهُ، وَنَعَلَى - : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: 114).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وَمِنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْعِلْمُ بِأَقْسَامِهَا، وَأَنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ - الْيَمِينُ اللَّغْوُ.

وَهِيَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ - مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ بِلا قَصْدٍ.

الثَّانِي - الْيَمِينُ الَّتِي يَحْلِفُهَا يَظُنُّ صِدْقَ نَفْسِهِ.

وَصُورَتُهَا: كَأَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ - مَثَلًا - : وَاللَّهِ، لَتَفْعَلَنَّ كَذَا، وَلَا وَاللَّهِ،

وَبَلَى وَاللَّهِ.

(1) رواه البخاري (4860)، ومسلم (1647).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه أحمد (153/5)، والتِّرْمِذِيُّ (1987)، وحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (97/1).

وقد جاء هذا في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ عن عائشة رضي الله عنها : قالت: «أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله».

وحكم اليمين اللغو: لا كفارة فيها ولا شيء؛ لعدم انعقاد القلب عليها، دليلنا قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: 89).

فالله - سبحانه وتعالى - : نفى المؤاخذة عليها، وهذا يقتضي رفع حكمها، وعدم لزوم الكفارة فيها.

والقسم الثاني من أقسام اليمين - اليمين الغموس:

وهي من كبائر الذنوب، وسميت بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار. والمراد باليمين الغموس: التي يخلفها على أمر ماضٍ كاذباً علماً، واليمين التي يخلفها كاذباً؛ ليقطع بها مال امرئ مسلم.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله». قال: ثم ماذا؟ قال: «ثم عقوق الوالدين». قال: ثم ماذا؟ قال: «اليمين الغموس». قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقطع مال امرئ مسلم، هو فيها كاذب».

فالحديث - أيها الناس - صريح في تفسير اليمين الغموس.

واليمين الغموس - أيها الناس - لا كفارة فيها على الصحيح، وهو قول جمهور العلماء.

(1) رواه البخاري (4613).

(2) رواه البخاري (6920).

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسٌ لَيْسَ هُنَّ كَفَّارَةً». وَذَكَرَ مِنْهُنَّ: «الْحَلْفُ عَلَى يَمِينٍ فَاجِرَةٌ؛ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ». وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنْ أَقْسَامِ الْيَمِينِ - الْيَمِينِ الْمُكْفَّرَةِ:

أَيُّ: الْمُنْعَدَّةُ عَلَى أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ هِيَ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الْكَفَّارَةُ، وَلَا تَجِبُ الْكَفَّارَةُ إِلَّا بِشُرُوطٍ، مِنْهَا:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ - الْعَقْلُ: فَإِنْ كَانَ مَجْنُونًا، لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ.

الشَّرْطُ الثَّانِي - الْبُلُوغُ: فَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُبْمِيزٍ، فَيَمِينُهُ غَيْرٌ مُعْتَمَدَةٌ.

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ - الْإِخْتِيَارُ: فَإِنْ كَانَ مُكْرَهًا، أَوْ مُخْطَأً نَاسِيًا - لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَتَى اسْتَشَيْتَ الْحَالِفُ، فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ يَمِينِهِ، لَمْ يَخْنَثْ فِيهَا، وَلَمْ تَلْزَمْهُ الْكَفَّارَةُ، دَلِيلُنَا قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَادِقًا وَلَا آعِصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: 69).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُبَلِّغُهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَقَدْ اسْتَشَيْتَ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/361)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإرواء» (8/193).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/6)، وَأَبُو دَاوُدَ (3261)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (2794).

الخطبة الثانية - كفارة اليمين :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن بعض أحكام اليمين، والآن حديثي معكم عن مربط الفرس، وبيت القصيد، ألا وهو كفارة اليمين.

أيها الناس، شرع الله - سبحانه وتعالى - الكفارات سترًا للذنوب، وتمحيصًا لها، وتهذيبًا للنفوس، ومن تلك الكفارات كفارة اليمين، وهي واجبة بالكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب فقوله - تعالى - : ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ (المائدة: 89).

ومن حفظ اليمين - أيها الناس - : التَّكْفِيرُ بَعْدَ الْحِنْثِ (1).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ (التحریم: 2).

والتَّحِلَّةُ - أيها الناس - : هي الكفارة؛ لأنها تحل اليمين، وقد فرضها الله

- سبحانه وتعالى - .

وأما السنة ففي «الصحیحین» (2) من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا - فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكْفَرِ عَنْ يَمِينِكَ».

(1) الحنث - بالكسر - : الخلف في اليمين.

(2) رواه البخاري (6722)، ومسلم (1652).

وأما الإجماعُ فقال ابنُ المنذرٍ رحمته: «وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَنْ حَلَفَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، ثُمَّ حَنَثَ - أَنْ عَلَيْهِ الْكُفَّارَةُ»⁽¹⁾.

أيها النَّاسُ، كَفَّارَةُ الْيَمِينِ الْمُتَعَدَّةِ - إِذَا حَنَثَ مِنْهَا الْحَالِفُ - هِيَ: إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ، أَوْ كَسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُسْلِمَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَةٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ (المائدة: 89).

أيها النَّاسُ، لَقَدْ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ كَفَّارَةَ الْيَمِينِ أتمَّ بَيَانٍ، فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي: كَفَّارَةُ الْيَمِينِ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا بِقَصْدِكُمْ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾.

وَذَلِكَ الْإِطْعَامُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا بَيَّنَّهُ رَبَّنَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

وَلَهُ صِفَتَانِ:

الْصِّفَةُ الْأُولَى - إِمَّا أَنْ يَصْنَعَ طَعَامًا، أَوْ يَشْتَرِيَهُ لَهُمْ، فَيُطْعِمُهُمْ جَمِيعًا، وَهَذَا جَائِزٌ. الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ - وَيُرَادُ بِهَا التَّقْدِيرُ، وَهِيَ: أَنْ يُعْطِيَ كُلَّ مَسْكِينٍ كِيلُو مِنَ الْأَرْزِ، أَوْ الْقَمْحِ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ عَشْرَةَ كِيلُو جَرَامًا، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعَلَامَةُ النُّجُمِيُّ رحمته فِي بَحْثِ قِيَمٍ، حَيْثُ نَصَرَ الْقَوْلَ بِأَنَّ التَّقْدِيرَ عَشْرَةُ كِيلُو جَرَامًا - وَأَبْطَلَ جَمِيعَ التَّقْدِيرَاتِ بِأَدَلَّةِ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ رحمته، وَعَفَّرَ لَهُ.

(1) «الإجماع» (ص 137).

ثانیا - الكِسْوَةُ:

بَيْنَ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا الْكُفَّارَةُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ يَبِينُ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ مِنَ الْكِسْوَةِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمَرْجِعَ إِلَى عُرْفِ كُلِّ بَلَدٍ، وَالْكَسْوَةُ: هِيَ الَّتِي تُجْرَى فِي الصَّلَاةِ.

ثالثا - تَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ:

وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنْ أَنْوَاعِ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ - تعالى - ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أَي: عَتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، كَمَا قُيِّدَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَمَتَى فَعَلَ وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، فَقَدْ انْحَلَّتْ يَمِينُهُ.

رابعًا - الصَّيَامُ: وَالصَّيَامُ - أَيُّهَا النَّاسُ - : هُوَ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَةٍ، لَا انْقِطَاعَ بَيْنَهَا.

وَتَأَمَّلُوا مَعِيَ قَوْلَهُ - تعالى - ﴿ فَمَنْ لَمْ يُجِدْ ﴾ أَي: وَاحِدَةً مِنْ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ: الْإِطْعَامُ، وَالْكَسْوَةُ، وَتَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ - فعليه بما يَأْتِي، وَهُوَ قَوْلُهُ - تعالى - ﴿ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾.

فَكُفَّارَةُ الْيَمِينِ - أَيُّهَا النَّاسُ - جَمَعَتْ بَيْنَ التَّرْتِيبِ وَالتَّخْيِيرِ، فَالتَّخْيِيرُ فِيهَا سَبَقَ (أَي: هُوَ مُحَيَّرٌ بَيْنَ الْإِطْعَامِ وَالْكَسْوَةِ وَتَحْرِيرِ رَقَبَةٍ) فَإِنْ تَعَدَّرَ ذَلِكَ، رَجَعَ إِلَى الصَّوْمِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْعِلْمَ، وَارْزُقْنَا مِنْهُ، وَكِرَّةً إِلَيْنَا الْجَهْلَ، وَاصْرِفْنَا عَنْهُ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

الاستخارة (*)

6

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَسَدٍ مِمَّا زَوَّجَهَا وَرَبَّتْ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

- ﴿يَطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الْاِسْتِخَارَةِ.

وَالْاِسْتِخَارَةُ لَعْنَةٌ: هِيَ طَلَبُ الْخَيْرِ مِنَ اللَّهِ فِي أَمْرٍ يَقْدُمُ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلِهِ.

وَشَرْعًا: دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ يَدْعُو بِهِ الْمُسْلِمُ عَقِبَ صَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، يَسْأَلُ فِيهِ رَبَّهُ أَنْ يَخْتَارَ لَهُ الْخَيْرَ فِي فِعْلِ شَيْءٍ مَشْرُوعٍ أَوْ تَرْكِهِ.

سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ إِنَّهُ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُ صَحَابَتَهُ دُعَاءَ

الْاِسْتِخَارَةِ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

(*) انظر «البشارة في أحكام الاستخارة» لأحمد حمدان، فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة، جزاه الله خيراً.

ففي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كُلِّهَا، كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»

أَيُّهَا النَّاسُ، الاستخارةُ مِنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، والاعترافِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، والألوهِيَّةِ، والأسماءِ والصفاتِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَفْزَعُ إِلَى استخارةِ رَبِّهِ فِيمَا يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ - إِلَّا وَهُوَ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الْحَقُّ، الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكَوْنِ، الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ كُلِّهَا، الْمُتَنَزِّهُ عَنِ صِفَاتِ النَّقْصِ كُلِّهَا، دِفِّهَا وَجِلِّهَا.

فَهُوَ الْعَلِيمُ: الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ بِعِلْمِهِ الْوَاسِعِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَيَعْلَمُ مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ، وَمَا يَضُرُّهُ، وَمَا يُصْلِحُهُ، وَمَا يُفْسِدُهُ.

وَهُوَ الْقَدِيرُ: الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا كَانَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُيسِّرَ أَمْرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ تَعْسِيرَهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(1) رواه البخاريُّ (1162).

وَهُوَ الْمَلِكُ: الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَتَحَرَّكُ فِي الْكَوْنِ مُتَحَرِّكًا، وَلَا يَسْكُنُ فِي الْكَوْنِ سَاكِنًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: 40).

وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ: الَّذِي يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

فَدَعَاءُ الْاسْتِخَارَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَضَمَّنَ: الْإِقْرَارَ بِوُجُودِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - ، بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَتَقْوِيضَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَالْإِسْتِعَانَةَ بِهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَالخُرُوجَ مِنْ عَهْدَةِ نَفْسِهِ، وَالتَّبَرِّيَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَاعْتِرَافَ الْعَبْدِ بِعَجْزِهِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهَا، وَإِرَادَتَهُ لَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ بِيَدِ وَليِّهِ وَفَاطِرِهِ وَإِلَهِهِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته الله (1).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْاسْتِخَارَةُ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَاتِ، وَلَا تَكُونُ فِي الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَلَا الْوَاجِبَاتِ، وَكَذَلِكَ لَا تَكُونُ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَلَا الْمُحَرَّمَاتِ. فَلَا يَسْتَخِرُ رَجُلٌ - مَثَلًا - كِي يُصَلِّيَ نَافِلَةً الظُّهْرِ، وَلَا يَسْتَخِرُ لَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَلَا لَصَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لَا يَسْتَخِرُ لِلشُّرْبِ قَائِمًا، وَلَا يَسْتَخِرُ كِي يَسْرِقَ، وَلَا يَسْتَخِرُ فِي أَصْلِ الزَّوْاجِ، وَلَكِنْ إِنْ اسْتَخَارَ فِي أَمْرِ الزَّوْاجِ يَسْتَخِرُ فِي الَّتِي يَتَزَوَّجُهَا، وَيَسْتَخِرُ فِي وَقْتِ الزَّوْاجِ، وَأَهْلِ الْعُرُوسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ يُسْتَخَارُ فِي الْوَاجِبَاتِ الَّتِي وَقْتُهَا مُوسَعٌ: كَالْحَجِّ - عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى التَّرَاخِي، وَهَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ - بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَسْتَخِيرُ هَلْ يَحُجُّ هَذَا الْعَامَ، أَوِ الَّذِي يَلِيهِ؟.

(1) «زاد المعاد» (2/444).

وكذلك يجوزُ أَنْ يُسْتَخَارَ فِي الْمُسْتَحَبَّاتِ عِنْدَ تَوَارُدهَا، وتَعَارُضِهَا، فَمَثَلًا: أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَتَطَوَّعَ بِعُمْرَةٍ، وَبَدَأَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ لِمَكَانٍ آخَرَ لَتَعْلَمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ لِحُدُومَةِ دِينِهِ، وَأَهْلٍ بَلَدِهِ، فَيَجُوزُ لَهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْتَخِرَ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَمِعْتُمْ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْاسْتِخَارَةُ فِي أَصْلِ الزَّوْجِ - أَي: هَلْ يَتَزَوَّجُ الْمَرْءُ أَمْ يَتْرُكُ الزَّوْجَ - نَعَمْ، لَا تَجُوزُ الْاسْتِخَارَةُ هَكَذَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَمَرَ بِالزَّوْجِ، فَقَالَ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: 32).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ (أَي: الْقُدْرَةَ عَلَى الزَّوْجِ) فَلْيَتَزَوَّجْ».

وَلَكِنْ إِذَا اسْتَخَارَ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ، يَسْتَخِيرُ فِي الَّتِي يَتَزَوَّجُهَا، وَيَسْتَخِرُ فِي وَقْتِ الزَّوْجِ، وَأَهْلِ الْعَرُوسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ⁽³⁾.

فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسْتَخِرَ حَوْلَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْوَاجِبَاتِ، وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَالْمَحْرَمَاتِ - لَا اسْتِخَارَةَ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْاسْتِخَارَةُ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَاتِ، فَمَتَى أَقْدَمَ رَجُلٌ عَلَى خِطْبَةِ امْرَأَةٍ، وَقَوِيَتْ نِيَّتُهُ، وَرَأَى فِي مَخْطُوبَتِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةَ - وَمِنْهَا الدِّينُ - اسْتَخَارَ رَبَّهُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ؛ لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اسْتَخَارَتْ رَبَّهَا حِينَ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِحِطْبَتِهَا،

(1) «جامع أحكام النساء» للعدوي (3/ 218).

(2) رواه البخاري (1905)، ومسلم (1400).

(3) «جامع أحكام النساء» (3/ 218).

(4) رواه مسلم (1428).

فَقَالَتْ: «مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا، حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي». فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا (أَي: مَوْضِعِ صَلَاتِهَا مِنْ بَيْتِهَا)، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بَعِيرٍ إِذْنِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ أُمُورٌ فِي الزَّوْجِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِخَارَةِ، فَإِذَا تَقَدَّمَ لَامْرَأَةٍ رَجُلٌ خَمَّارٌ أَوْ فَاسِقٌ مِنَ الْفُسَّاقِ، أَوْ مُفْرَطٌ فِي دِينٍ - فَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَرْفُضَ مَنْ هَذَا حَالُهُ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْبَعْضُ يَنْتَظِرُ بَعْدَ الْاسْتِخَارَةِ انْشِرَاحَ صَدْرِهِ، أَوْ رُؤْيَا مَنَامِيَّةٍ، وَهَذَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ الزُّمَلِكَانِيِّ رحمته: «إِذَا صَلَّى الْإِنْسَانُ رَكَعَتِي الْاسْتِخَارَةِ لِأَمْرٍ، فَلْيَفْعَلْ بَعْدَهَا مَا بَدَأَ لَهُ، سِوَاءِ انْشَرَحَتْ نَفْسُهُ أَمْ لَا؛ فَإِنَّ فِيهِ الْحَيْرَ، وَإِنْ لَمْ تَنْشَرِحْ لَهُ نَفْسُهُ». قَالَ: «وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ اشْتِرَاطُ انْشِرَاحِ النَّفْسِ»⁽¹⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» (9/206).

الخطبة الثانية - من فوائد الاستخارة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدّم الحديث معكم عن الاستخارة، والآن حديثي معكم عن ذكر شيء من فوائدها.

فمن فوائد الاستخارة:

الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ، حيث قال: «إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل...»⁽¹⁾.

ومن فوائد الاستخارة - أيها الناس - : تحقيق العبودية، وذلك بالتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء، وهما من أجل العبادَة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث ربيعة بن مالك الأسلمي رحمته الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «سَلْ». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ». قلت: هوَ ذاك. قال: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». والمقصود بـ«بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»: الصلاة.

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث النعمان بن بشير رحمته الله أن رسول الله ﷺ قال: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

(1) تقدّم تحريجه.

(2) رواه مسلم (489).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1479)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3407).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاسْتِخَارَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : إِيْمَانُ الْعَبْدِ بِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَاخْتَارَهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) (القصص: 68).

قال ابن كثير رحمته : «خبر - تعالى - : أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ مُنَازَعٌ، وَلَا مُعَقَّبٌ ... فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالْأُمُورُ كُلُّهَا خَيْرٌهَا وَشَرُّهَا بِيَدِهِ، وَمَرَجِعُهَا إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الاسْتِخَارَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَتَمُّهَا مِنْ أَسْبَابِ سَعَادَةِ الْعَبْدِ لِتَوَكُّلِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَرِضَاهُ بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ.

قال ابن القيم رحمته : «فَتَأَمَّلْ كَيْفَ وَقَعَ الْمَقْدُورُ مُكْتَنَفًا بِأَمْرَيْنِ :

التَّوَكُّلِ الَّذِي هُوَ مَضْمُونُ الاسْتِخَارَةِ قَبْلَهُ، وَالرِّضَى بِمَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ بَعْدَهُ، وَهُمَا عِنْوَانُ السَّعَادَةِ. وَعِنْوَانُ الشَّقَاءِ: أَنْ يَكْتَنِفَهُ تَرْكُ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِخَارَةِ قَبْلَهُ، وَالسَّخَطُ بَعْدَهُ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ الْإِسْتِخَارَةُ، وَتِلْكَ بَعْضُ فَوَائِدِهَا، فَالزُّمُوهَا؛ فَإِنَّهَا تَكَادُ أَنْ تَكُونَ سُنَّةً مَنْسِيَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَالْعَمَلِ بِهَا، اللَّهُمَّ فَفَّقْنَا فِي الدِّينِ، وَارْزُقْنَا الْحِكْمَةَ، وَعَلَّمْنَا التَّأْوِيلَ، وَوَفَّقْنَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(1) تفسير ابن كثير (6/98).

(2) «زاد المعاد» (2/444).

أُسُسُ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ

7

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي نَسَّاءُ لُونِ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الزَّوْجَةُ سَكَنٌ لَزَوْجِهَا، وَحَرْتُ لَهُ، وَهِيَ فَهْوَى فُؤَادِهِ، وَرَبَّةُ بَيْتِهِ، وَأُمُّ أَوْلَادِهِ، عَنْهَا يَأْخُذُونَ صِفَاتِهِمْ وَطِبَاعَهُمْ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى قَدْرِ عَظِيمٍ مِنَ الدِّينِ وَالخَلْقِ، فَشَلَّ الزَّوْجُ فِي تَكْوِينِ أُسْرَةٍ صَالِحَةٍ؛ لِهَذَا كَانَ أُسُسَ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ: أَنْ تَكُونَ ذَاتَ دِينٍ وَخَلْقٍ لِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾

(النور: 32).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَأَلصقِ لِحَدِيثِ قَدِئْتُمْ حَفِظْتُمْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

الله ﴾ (النساء: 34).

ومما جاء في تفسير هذه الآية: ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح⁽¹⁾ عن سفيان الثوري رحمه الله في قوله - تعالى - : ﴿ قَدِئْتُمْ ﴾ : «يعني: مطيعات لله ولأزواجهن».

وقال في قوله - تعالى - : ﴿ حَفِظْتُمْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ : «حافظات لأزواجهن لما غاب من شأنهن».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رحمه الله : أن رسول الله ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لجمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

فقوله: «تربت يداك». أي: التصقتا بالتراب، فليس المراد به الدعاء على المرء، بل المبالغة في التحريض على الشيء، والحث على الأخذ به⁽³⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».

(1) «صحيح»: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (39 / 5).

(2) رواه البخاري (5090)، ومسلم (1466).

(3) انظر «جامع الأصول» (430 / 11)، و«عون المعبود» (40 / 6).

(4) رواه مسلم (1467).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصححة»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهيب. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق».

وفي «مسند أحمد» و«سنن ابن ماجه والترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة؛ تُعينه على أمر الآخرة». أيها الناس، إن الإسلام ليفضل ذات الدين على غيرها، ولو كانت أمة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

(البقرة: 221).

أيها الناس، ليختر العاقل لنفسه - أو لولده - من اللائي ذكهن الله في كتابه، فقال: ﴿فَالصّٰلِحٰتُ قٰنِنٰتٌ حٰفِظٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ (النساء: 34).

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن خير النساء، فقال: (كما في «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصححة»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره».

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (1/ 118)، وابن حبان في «صحيحه» (1232)، وصححه الألباني في «الصححة» (282).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (5/ 278)، وابن ماجه (1856)، والترمذي (3093)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (5355).

(3) «حسن»: أخرجه أحمد (4/ 341)، وحسنه الألباني في «الصححة» (1838).

وَمِنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَنْ تَكُونَ وَوُلُودًا؛ لِأَنَّ طَلَبَ الذَّرِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ مِنْ أُمِّيَّاتِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) (الفرقان: 74).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فالحديث - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ حَثَّ عَلَى الْوُلُودِ مِنَ النِّسَاءِ، وَتُعْرَفُ الْوُلُودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِهَا مِنْ كَمَالِ جِسْمِهَا، وَسَلَامَةِ صِحَّتِهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَمْنَعُ الْحَمْلَ أَوْ الْوِلَادَةَ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ أُمَّهَا، وَقِيَاسِهَا عَلَى مَثِيلَاتِهَا: مِنْ أَخَوَاتِهَا، وَعَمَّاتِهَا، وَخَالَاتِهَا الْمُتَزَوِّجَاتِ، فَإِنْ كُنَّ مِمَّنْ عَادَتِهِنَّ الْحَمْلُ وَالْوِلَادَةُ، كَانَتْ - فِي غَالِبِ أَمْرِهَا - مِثْلَهُنَّ⁽²⁾.

كَمَا حَثَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الزَّوْاجِ بِالْوُدُودِ - وَهِيَ: الَّتِي تُقْبَلُ عَلَى زَوْجِهَا، فَتَحِيطُهَا بِالْمُودَةِ وَالْحُبِّ وَالرَّعَايَةِ، وَتَحْرِصُ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ؛ يَتَحَقَّقُ بِهَا الْهَدَفُ الْأَسَاسِيُّ مِنَ الزَّوْاجِ، وَهُوَ السَّكَنُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي وَصْفِ الْخُورِ الْعَيْنِ:

﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْيَا أَرْبَابًا ﴿٣٧﴾﴾ (الواقعة: 36، 37).

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (3/ 158)، و صححه الألباني في «الإرواء» (1784).

(2) انظر «أسس اختيار الزوجة»، بحث أعدته مصطفى الصياحنة في «مجلة البحوث» العدد 24 (ص 250). وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة، جزاه الله خيراً.

والعروب: هي المرأة المتحبة إلى زوجها الودودة.

وقد قال رسول الله ﷺ كما في الحديث السابق: «تزوجوا الودود الودود».

وأثنى رسول الله على نساء قريش بقوله (كما في «الصحيحين»⁽¹⁾) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل؛ أحنأه على طفل في صغره، وأزعه على زوج في ذات يده». وفي رواية لهما: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش».

فقد وصفهن ﷺ بالشفقة على أطفالهن، والرأفة بهن، والعطف عليهن، وبأئمن يرعين حال أزواجهن، ويرفقن بهن، ويخففن الكلف عنهم، فواحدتهن تحفظ مال زوجها، وتصونه بالأمانة والبعد عن التبذير، وإذا افتقر كانت عوناً له وسنداً، لا عدواً وخصماً.

وأخرج البيهقي في «سننه»⁽²⁾ بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽³⁾ من حديث أبي أذينة الصديقي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «خير نساءكم الودود، الودود، المواتية، المواسية، إذا اتقين الله».

ويحسن أن تكون المرأة ذات حسب وجمال؛ لأن من اتصفت بالحسب تكون في الغالب حريصة على صلاح الأسرة، وصيان شرف البيت، وقد قال رسول الله ﷺ: «تتكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها....»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (5365)، ومسلم (2527).

(2) انظر «مجلة البحوث» العدد 24 (ص 250).

(3) «صحيح»: أخرجه البيهقي في «سننه» (82/7)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (1849).

(4) تقدم تحريجه.

والْحَسَبُ: هُوَ الشَّرْفُ بِالْأَبَاءِ وَالْأَقَارِبِ، مَأْخُودٌ مِنَ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَفَاخَرُوا عَدَدُوا مَنَاقِبَهُمْ، وَمَا تَرَّ أَبَائِهِمْ وَقَوْمِهِمْ وَحَسَبُوهَا.

وَيُؤْخَذُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ الشَّرِيفَ النَّسَبَ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِذَاتِ حَسَبٍ وَنَسَبٍ مِثْلِهِ، إِلَّا إِنْ تَعَارَضَ نَسَبُهُ غَيْرُ دِينِهِ وَغَيْرُ نَسَبِهِ دِينُهُ - فَتُقَدَّمُ ذَاتُ الدِّينِ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ الصِّفَاتِ⁽¹⁾.

وَبَدِيهِي أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ الْحَسِيْبَةَ الْمُنْحَدِرَةَ مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ - أُنْجِبَتْ لَهُ أَوْلَادًا مَفْطُورِينَ عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، مُتَطَبِّعِينَ بِعَادَاتِ أَصِيلَةٍ، وَأَخْلَاقِ قَوِيمَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ سِيرَضَعُونَ مِنْهَا لَبَانَ الْمَكَارِمِ، وَيَكْتَسِبُونَ خِصَالَ الْخَيْرِ⁽²⁾.

وَأَمَّا الْجَمَالُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ؛ لِيَحْصَلَ بِهِ لِلزَّوْجِ تَمَامُ الْعِفَّةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ»⁽³⁾.

وَقَالَ: «تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا»⁽⁴⁾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ: أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: لَا.

قَالَ: «فَاذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا».

(1) انظر «الفتح» (9 / 135)، و«عون المعبود» (6 / 42).

(2) انظر «مجلة البحوث» العدد 24 (ص 257).

(3) تقدم تحريجه.

(4) تقدم تحريجه.

(5) رواه مسلم (1424).

قال صاحب «عَوْنِ الْمَعْبُودِ» رحمته: «يُؤَخَذُ مِنَ الْأَحَادِيثِ اسْتِحْبَابُ تَزْوِجِ الْجَمِيلَةِ، إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْجَمِيلَةُ غَيْرَ دِينِيَّةٍ، وَالَّتِي أَدْنَى مِنْهَا جَمَالًا مُتَدَيِّنَةً - فَتُقَدَّمُ ذَاتُ الدِّينِ، أَمَّا إِذَا تَسَاوَتَا فِي الدِّينِ فَالْجَمِيلَةُ أَوْلَى»⁽¹⁾.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - أُسُسُ اخْتِيَارِ الزَّوْجِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ يُحِبُّ عَلَى وِليِّ الْمَرْأَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ لَهَا الرَّجُلَ الصَّالِحَ صَاحِبَ الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا.

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 32).

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَقَافَ».

(1) «عَوْنِ الْمَعْبُودِ» (42/6)، وانظر «الفتح» (9/135).

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1655)، وَالنَّسَائِيُّ (6/16)، وَابْنُ مَاجَهَ (2518)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1352).

وَقَدْ قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْفَقِيرَ صَاحِبَ الدِّينِ عَلَى غَيْرِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّهُ خَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبُو جَهْمٍ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرَبُّ⁽²⁾ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ». فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا: أُسَامَةُ أُسَامَةُ!.
فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكَ». قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، أَصْحَابُ دِينٍ وَفَضْلٍ، وَإِنَّمَا تَخَيَّرَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلَ الثَّلَاثَةِ.

قال الإمام النووي رحمته: «أَمَّا إِشَارَتُهُ بِنِكَاحِ أُسَامَةَ؛ فَلَمَّا عَلِمَهُ مِنْ دِينِهِ، وَفَضْلِهِ، وَحُسْنِ طَرَائِقِهِ⁽³⁾، وَكَرَمِ شَمَائِلِهِ؛ فَانْصَحَهَا بِذَلِكَ، فَكَرِهَتْهُ؛ لِكَوْنِهِ مَوْلَى⁽⁴⁾، وَلِكَوْنِهِ كَانَ أَسْوَدَ جَدًّا، فَكَرَّرَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الْحَثَّ عَلَى زَوَاجِهِ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ مَصْلَحَتِهَا فِي ذَلِكَ، فَكَانَ كَذَلِكَ»⁽⁵⁾.

فَالْكَفَاءَةُ فِي الْإِسْلَامِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى أَسَاسِ الدِّيَانَةِ، لَا عَلَى أَسَاسِ الْمَالِ أَوْ الْجَاهِ.

(1) رواه مسلم (1480).

(2) تَرَبُّ - بَزَنَةٌ كَتِفٍ - : فقير .

(3) طرائق: جَمْعُ طَرِيقَةٍ، وَهِيَ السَّيْرَةُ وَالْحَالُ.

(4) الْمَوْلَى: الْعَبْدُ، وَالْجَمْعُ الْمَوَالِي.

(5) «شرح النووي على صحيح مسلم» (3/ 694).

ففي «صحیح البخاری»⁽¹⁾ من حدیث عائشة رضی اللہ عنہا: «أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (وكان ممن شهد بدرًا مع النبي صلی اللہ علیہ وسلم) تبنى سالمًا، وأنكحہ بنت أخیه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار».

وقد بوب الإمام البخاري رحمته لهذا الحديث بقوله: «باب الأكفاء في الدين». أيها الناس، ها هم العلماء يُحذرون وليَّ المرأة من تزويج المرأة من رجلٍ ضعيف الدين.

قال رجلٌ للحسن رحمته: «إن لي بُنيَّةً، وإيَّها تُحطبُ، ممن أزوجها؟».

فقال: «زوجها ممن يتقي الله؛ فإن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»⁽²⁾.

وسئل الإمام أحمد رحمته: «رجلٌ ورعٌ فقيرٌ يُحطبُ إلى رجلٍ ابنته، ورجلٌ ذو مالٍ ليس بورعٍ، أيُّها أحبُّ إليك أن يزوجه؟». قال: يُزوج الفقيرَ الورعَ خيرًا لها، وأحبُّ إليَّ؛ لا يعدلُ بالصَّلاحِ شيءٌ»⁽³⁾.

أيها الناس، الزواج كالرق؛ فليُنظرُ وليُّ المرأة أين يضعها، فإن وضعها عند تارك الصلاة، - أو فاسقٍ - فقد خان الأمانة، وعقَّ رحمته.

فأمَّا تارك الصلاة فليُكفِه أن العلماء اختلفوا في تكفيره، ومن اختلف العلماء في تكفيره لا يزوجه بمسلمةٍ صالحةٍ فيضرها، ولا ضعيفةٍ الدين فيضيعها. وأمَّا الفاسق فقد باحت أصوات العلماء في التحذير منه؛ فلا يكون كفاءً للضعيفة.

(1) رواه البخاري (5088).

(2) «عيون الأخبار» (17/4).

(3) «مسائل أحمد» برواية إسحاق بن إبراهيم بن هاني (980).

قال الإمام الشُّبَكِيُّ رحمته: «الفاسِقُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَحْمِلَهُ فِسْقُهُ عَلَى أَنْ يَجْنِيَ عَلَى الْمَرْأَةِ»⁽¹⁾.

وقال الشُّيْبَانِيُّ رحمته: «الفاسِقُ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ وَالرَّوَايَةِ، وَذَلِكَ نَقْصٌ فِي إِنْسَانِيَّتِهِ، فَلَا يَكُونُ كُفْءًا لِلْعَدْلِ»⁽²⁾.

وقال ابنُ قَدَامَةَ رحمته: «الفاسِقُ مَرْدُودٌ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ وَالرَّوَايَةِ، غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ، مَسْلُوبُ الْوَلَايَاتِ، نَاقِصٌ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَعِنْدَ خَلْقِهِ، قَلِيلُ الْحِظِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُفْءًا لِلْعَفِيفَةِ، وَلَا مُسَاوِيًا لَهَا، لَكِنْ يَكُونُ كُفْءًا لِمِثْلِهِ»⁽³⁾.

وقال الشُّوْكَانِيُّ رحمته: «مَا لَا يُرْضَى دِينُهُ لَا يُزَوَّجُ، فَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْكِفَاءَةِ فِي الدِّينِ، وَالْمُجَاهِرُ بِالْفِسْقِ لَيْسَ بِمَرْضِيٍّ الدِّينِ»⁽⁴⁾.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74).



(1) تكملة «المجموع» (188/16).

(2) «حاشية الصَّوْبي على الشَّرح الصغير» (401/2).

(3) «المُعْنَى» (391/9).

(4) «السَّيْلُ الجَرَّار» (292 - 291/2).

صَلَاحُ الْاَوْلَادِ

8

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (ص) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ صَلَاحِ الْاَوْلَادِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْوَالِدُ الصَّالِحُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِلْوَالِدَيْنِ، وَمَنْفَعُهُ كَثِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ - كَانَ الْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - يَسْأَلُونَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْ يَرْزُقَهُمْ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً.

أَخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (ص)

(الصفات: 100).

وقال: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ (البقرة: 128).

وأخبر الله - سبحانه وتعالى - عن زكريّا عليه السلام: أنه قال: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب وأجعلهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ (مريم: 5، 6).

أيها الناس، قد دلت النصوص من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ - الصحيحة - على أن صلاح الأولاد ينفع الوالدين بعد موتها. كما دلت النصوص على أن للوالدين مثل أجر ما يفعلهُ الولد من الأعمال الصالحة؛ لأن الولد من سعيها وكسبها.

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ﴿٣٩﴾ (النجم: 39).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽²⁾ من حديث عمّة عمارة بن عمير: أنها سألت عائشة رضي عنها: «في حجري يتيم، أفاكل من ماله؟».

فقلت: قال رسول الله ﷺ: «إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه».

(1) رواه مسلم (1632).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3528)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3013).

وفي «مسند أحمد» بسند حسن⁽¹⁾، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله - عز وجل - ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟!، فيقول: باستغفار ولدك لك».

وفي «مستدرک الحاكم» بسند حسنٍ لغيره، قاله الألباني في «صحيح التَّريغ والتَّرهيب»⁽²⁾ من حديث بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ القرآن، وتعلَّم وعومَل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نورٍ ضوؤه مثل ضوئ الشمس، ويكسى والداه حُلَّتَيْنِ لا يقوم⁽³⁾ بهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟، فيقال: بأخذِ وِلكِما القرآن».

فهذه الأدلة وغيرها - أيها الناس - لتدلُّ دلالة صريحة على أن ما يفعله الولد من الأعمال الصالحة فإن لوالديه مثل أجره.

ولكن ما هي الأسباب المشروعة لصلاح الأولاد - بعد توفيق الله -؟.

أيها الناس، دعوني أذكركم أسباب صلاح الأولاد - بإذن الله -، فأعبروني آذاناً صاغيةً، وقلوباً واعيةً.

أيها الناس، أوّل أسباب صلاح الذرية: دعاء الله أن يرزقنا الذرية الصالحة، فهكذا كان الأنبياء والصالحون يدعون الله أن يرزقهم الذرية الصالحة.

(1) «حسن»: رواه أحمد (2/509).

(2) «حسن لغيره»: رواه الحاكم (1/756)، وقال الألباني في «صحيح التَّريغ والتَّرهيب» (1433):

حسن لغيره.

(3) لا يقوم: لا يثمن.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ. قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: 38).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: «أما إنه لم يكن قُرَّةَ أَعْيُنٍ أَنْ يَرَوْنَهُ صَحِيحًا جَمِيلًا، ولكن أَنْ يَرَوْنَهُ مُطِيعًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذَّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : دُعَاءُ اللَّهِ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: 15).

فالشَّاهدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فَإِنَّهُ لَمَّا دَعَا لِنَفْسِهِ بِالصَّلَاحِ، دَعَا لِدُرَّتِيهِ أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ أَحْوَاهَهُمْ، وَذَكَرَ أَنَّ صِلَاحَهُمْ يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى وَالِدِيهِمْ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَصْلِحْ لِي﴾⁽²⁾.

فإذا أعياكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عِضْيَانُ أَوْلَادِكُمْ، فَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ - كَمَا فِي «الدَّرِّ الْمَشْهُورِ» - عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ رضي الله عنه قَالَ: «شَكَأ أَبُو مَعِشَرِ ابْنَهُ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ رضي الله عنه، فَقَالَ طَلْحَةُ: اسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾»⁽³⁾.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (4027).

(2) انظر «تفسير السَّعْدِيِّ» (ص 781).

(3) «الدَّرُّ الْمَشْهُورُ» (7/443)، و«الحلية» (5/19).

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الدُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : صَلَاحُ الْأَبْوَيْنِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: 82).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ حِفْظًا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا»⁽¹⁾.

وقال سعيد بن جبيرة رضي الله عنه : «إِنِّي لَأَزِيدُ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِ ابْنِي هَذَا»⁽²⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الدُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : بِرُّ الْأَبَاءِ آبَاءَهُمْ؛ فَإِنَّ الْجَرَءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرَّحْمَنُ: 60).

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الدُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : اخْتِيَارُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، كَمَا أَوْصَى بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الدُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْجَمَاعِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا - فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا».

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (360).

(2) «الحلية» (279/4).

(3) رواه البخاري (5090)، ومسلم (1466).

(4) رواه البخاري (6388)، ومسلم (1434).

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : التَّرْبِيَةُ الصَّالِحَةُ، وَالتَّادِيْبُ الْحَسَنُ.
فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾
مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَّقُوا السُّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ
أَهْلُ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّهُ هُمْ أَدَبٌ».

فَالْوَالِدُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَقِيَ أَوْلَادَهُ النَّارَ، وَذَلِكَ بِأَمْرِهِمْ وَتَرْبِيَّتِهِمْ عَلَى أَدَاءِ مَا أَمَرَهُمُ
اللَّهُ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنَّ هَذَا حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ، سَيُسْأَلُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا - جَلَّ فِي عُلَاهُ - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾
(التحریم: 6).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - النَّهْيُ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ صَلَاحِ الْأَوْلَادِ، وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ حَوْلَ النَّهْيِ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الدُّعَاءُ عَلَى الْأَوْلَادِ أَمْرُهُ خَطِيرٌ، بَلْ هُوَ شَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وَحَتَّى إِذَا كَانَ
الْخَطَأُ حَاصِلًا مِنَ الْأَوْلَادِ، فَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
إِنَّمَا هُوَ إِعَانَةٌ لَهُمْ، فَقَدْ يَكُونُ الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ إِعَانَةً لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (10671)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1447).

والنبي ﷺ نهي عن الدعاء عليهم، وحث على الدعاء لهم.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة، يُسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم».

وفي «مسند أحمد» و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده».

وأخرج البيهقي في «سننه»، والضياء في «المختار» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيح»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر».

أيها الناس، ها هم العلماء يُحذرون من الدعاء على الأولاد.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «دعاء الوالد ينستأصل المال والولد».

وقيل له: ما دعاء الوالد للولد؟ قال: «نجاة». قيل: فعليه؟ قال:

«استئصال!»⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم (3009)، وأبو داود (1532).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (2/528)، والترمذي (1905)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (596).

(3) «حسن»: أخرجه البيهقي في «سننه» (3/345)، والضياء في «المختار» (1/108) وحسنه الألباني في «الصحيح» (1797).

(4) رواه ابن الجوزي في «البر والصلة» (161).

وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن المبارك رحمته يشكو له عُقُوقَ وَكِدِهِ. فقال: «هَلْ دَعَوْتَ عَلَيْهِ؟». فقال: بَلَى. فقال عبدُ الله: «أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ!»⁽¹⁾.

أيها النَّاسُ، مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُكْثِرَ الْمُسْلِمُ الدُّعَاءَ لِأَوْلَادِهِ بِالصَّلَاحِ وَالْبِرْكَاتِ وَالْخَيْرِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ فِيهِمْ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَدْعُو لِلصَّبِيَّانِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِي بِالصَّبِيَّانِ، فَيَدْعُو لَهُمْ».

أيها النَّاسُ، مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالآبَاءِ أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ أَحَدِهِمْ عَلَى وَكِدِهِ حَالَةَ غَضَبِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَوَعَلَىٰ - : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (١١)

(الإسراء: 11).

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بَنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ - كَمَا فِي «الدُّرِّ الْمُنْثُورِ» - عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ قَالَ: «ذَلِكَ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ عَلَى وَكِدِهِ، وَعَلَىٰ أَمْرَاتِهِ، يَغْضَبُ أَحَدَهُمْ، فَيَدْعُو عَلَيْهِ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ، وَيَسُبُّ زَوْجَتَهُ، وَمَالَهُ، وَوَلَدَهُ، فَإِنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ، شَقَّ عَلَيْهِ؛ فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَدْعُو بِالْخَيْرِ فَيُعْطِيهِ»⁽³⁾.

(1) «الاحتفال بأحكام وآداب الأطفال» للشيخ عادل الغامدي (ص 220). وقد استندت من كتابه في

إعداد الخطبة الأولى والثانية، جزأه الله خيراً.

(2) رواه البخاري (6355).

(3) «الدُّرُّ الْمُنْثُورُ» (5/246).

وقال شيخُ المُفسِّرين ابنُ جريرِ الطَّبْرِيُّ رحمته في «تفسيره»: «يُقُولُ - تعالى ذِكْرُهُ - مُذَكَّرًا عِبَادَهُ أَيَادِيَهُ عِنْدَهُمْ: وَيَدْعُو الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ بِالشَّرِّ، فيقولُ: اللَّهُمَّ اهْلِكْهُ وَالْعَنَّهُ عِنْدَ ضَجْرِهِ وَغَضَبِهِ كَدُعَائِهِ بِالْخَيْرِ، يَقُولُ: كَدُعَائِهِ رَبَّهُ بِأَنْ يَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ، وَيَرْزُقَهُ السَّلَامَةَ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ.

يَقُولُ: فَلَوْ اسْتُجِيبَ لَهُ فِي دُعَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ بِالشَّرِّ - كما يُسْتَجَابُ لَهُ فِي الْخَيْرِ - هَلَكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - بِفَضْلِهِ - لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ فِي ذَلِكَ»⁽¹⁾.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤)

(الفرقان: 74).



(1) «تفسير الطَّبْرِيِّ» (15 / 47).

تعليم الأطفال التوحيد ثم القرآن

9

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (ص) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ تَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدَ ثُمَّ الْقُرْآنَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ تَوْحِيدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَتَشَرَّفُ بِالِاتِّسَابِ لِهَذَا الدِّينِ.

وَمَتَى عَلَّمْنَا أَطْفَالَنا التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ، وَشَرَحْنَا هُمْ - عَلَى الْأَقْل - كِتَابًا مِنْ كُتُبِ التَّوْحِيدِ: كَالْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ بِأُسْلُوبٍ سَهْلٍ مَيْسَّرٍ، وَتَعَاهَدْنَا هُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِرْشَادِ - فَقَدْ صَبَغْنَا هُمْ بِتَوْحِيدِ الْمِلَّةِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ جَعَلَ مِنْهُ التَّوْحِيدُ رَجُلًا آخَرَ.

حَلَقَ الْعِلْمَ رَوْضَتَهُ وَجَنَّتَهُ، وَعِنْدَ الْمَرَضِ وَالْجَنَائِزِ رَفَّتَهُ، وَفِي الْمَقَابِرِ تَنَهَّمُ دَمْعَتَهُ،
وَلِتْلَاوَةِ الْقُرْآنِ تَحْضُرُ عَبْرَتَهُ، وَفِي الصَّلَاةِ يُعَايِنُ آخِرَتَهُ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ يُجِدُّ تَوْبَتَهُ،
وَمَعَ الْجِرَانِ تُرَى مَوَدَّتَهُ، وَيُسَاعِدُ إِخْوَانَهُ بِاسْتِطَاعَتِهِ، وَمَعَ النَّاسِ عَامَّةً يُعَامِلُهُمْ
بِسُمُو خَلْقِهِ.

كَمْ اخْتَرَقَ قَلْبُهُ وَذَابَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الدِّينِ، كَمْ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ⁽¹⁾ مِنْ أَجْلِ
المسلمين، كَمْ سَالَ دَمْعُهُ مِنْ أَجْلِ إِخْوَانِهِ الْمُشَرَّدِينَ.

فَلِلَّهِ دَرَّةٌ مِنْ طِفْلِ مُسْلِمٍ، قَدْ رَبَّاهُ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!، اللَّهُ دَرَّةٌ مِنْ
طِفْلِ مُشْرِقٍ، يَمَلَأُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ!⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِنَنْظُرْ قَلِيلًا فِي دِيْوَانِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِنَتَمَّأَمَلْ كَيْفَ كَانَتْ
التَّربِيَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْأَطْفَالِ، وَكَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ يَنْتَهِزُ الْفُرْصَ فِي غَرَسِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ
فِي نُفُوسِهِمْ.

فَهَا هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ - كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ
الألباني في «المشكاة»، و«ظلال الجنة»⁽³⁾ - كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا
غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِمْدُهُ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ
فَأَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ
بَشِيءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشِيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشِيءٍ، لَمْ
يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشِيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.

(1) الصُّعْدَاءُ - بَزْنَةُ الْبُرْحَاءِ - : تَنْفُسٌ طَوِيلٌ.

(2) انظر «التوحيد وآثره على العبيد» لخميس السعيد (18 - 19).

(3) «صحيح»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (2516)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «المشكاة» (5302)، و«رياض الجنة» (316).

أيها الناس، إنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ أَحْسَنُ الْمُعَلِّمِينَ، وَخَيْرُ الْمُعَلَّمِينَ، كَمَا قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ رحمته: «مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ - وَلَا بَعْدَهُ - أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ».

اسْتَعْلَمَ لِتَعْلِيمِ ابْنِ عَبَّاسٍ رحمته وَكَانَ صَغِيرًا تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ الْعَظِيمَةَ حَالَةَ إِرْدَافِهِ مَعَهُ عَلَى الدَّابَّةِ، وَهُمَا يَسِيرَانِ فِي الطَّرِيقِ، وَهِيَ حَالَةٌ يَغْلِبُ فِيهَا الشَّرُورُ عَلَى الصَّيَّانِ، وَانْشَرَّاحُ صُدُورِهِمْ، وَقَبُولُهُمْ لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَجْمَلَ أَنْ نُعَلِّمَ أَوْلَادَنَا تَوْحِيدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - صِغَارًا، فَيَتَعَشَّرُ ذَلِكَ فِي صُدُورِهِمْ!.

قَدْ أَخْرَجَ ابْنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»⁽¹⁾ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَقَتَادَةَ، وَنَافِعٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - قَوْلَهُمْ: «الْحِفْظُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى اهْتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِتَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدِ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ الْأَطْفَالَ التَّوْحِيدَ قَبْلَ تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ.

فَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رحمته قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ»⁽³⁾، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا».

(1) «مُسْنَدُ ابْنِ الْجَعْدِ» (1079)، و«طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (229 / 7).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (61)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (52).

(3) حَزَاوِرَةٌ: جَمْعُ حَزَوْرٍ - بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ -، وَهُوَ الْغُلَامُ الَّذِي قَدْ شَبَّ وَقَوِيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ سَارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ فِي تَعْلِيمِ أَطْفَالِهِمْ، فَكَانُوا يَبْدُؤُونَ بِتَلْقِينِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمُ التَّوْحِيدَ وَالْإِيمَانَ وَالسُّنَّةَ مُنْذُ صِغَرِهِمْ؛ حَتَّى يَنْشَأَ الطِّفْلُ مُوَحِّدًا سُنِّيًّا، لَا تَضُرُّهُ الْفِتْنُ وَالْأَهْوَاءُ وَالْبِدْعُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»⁽¹⁾ عَنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ: «أَمَّا آمَنْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَجَاءَ أَبُو أَنَسٍ - وَكَانَ غَائِبًا - فَقَالَ: أَصَبَوْتَ؟ قَالَتْ: مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنِّي آمَنْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ. قَالَ: فَجَعَلْتَ تُلَقِّنُ أُنْسًا، وَتُشِيرُ إِلَيْهِ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: يَقُولُ لَهَا أَبُوهُ: لَا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي. فَتَقُولُ: إِنِّي لَا أُفْسِدُهُ. قَالَ: فَخَرَجَ مَالِكُ أَبُو أَنَسٍ، فَلَقِيَهُ عَدُوٌّ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَهُ، قَالَتْ: لَا جَرَمَ⁽²⁾، لَا أَفْطِمُ أُنْسًا حَتَّى يَدَعَ الثَّدْيَ حَيًّا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدِهِ⁽³⁾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ وَلَدَهُ، يَقُولُ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ⁽⁴⁾».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ - أَيْضًا -، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ»⁽⁵⁾ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَوَّلَ مَا يُفْصِحُ - يَعْنِي: الصَّبِيَّ - أَنْ يُعَلِّمُوهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ تَلْقِينِ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدَ وَفَهْمِهِ عَلَيْنَا أَنْ نُعَلِّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، حَتَّى يَزْدَادُوا إِيْمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي حَدِيثِ جُنْدُبِ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ

(1) «الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى» (8 / 425).

(2) لَا جَرَمَ أَيُّ: لَا بُدَّ أَوْ حَقًّا، أَوْ هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى نَحْوَلَ إِلَى مَعْنَى الْقَسَمِ.

(3) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (1 / 348).

(4) الطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُوَ رَاضٍ.

(5) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (1 / 348)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (7977).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَوَارَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تُعَلِّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾.

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ الْقُرْآنَ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَانَ بْنِ مَرْثَدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كِتَابُ اللَّهِ أَوَّلَ الْعُلُومِ تَحْصِيلاً وَتَعَلُّماً بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَمْنَعُوا أَوْلَادَهُمْ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ، حَتَّى يَحْفَظُوهُ وَيَتَّقِنُوهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»⁽³⁾ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنََّّهُ أَوْصَى وَلَدَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ، فَاحْتَفِظُوا بِهَا...» وَذَكَرَ مِنْهَا: «وَلَا تَكْتُبُوا شِعْرًا؛ تَشْغَلُوا بِهِ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ الدَّهَبِيُّ فِي «تَذَكِرَةِ الْحَفَاطِ»⁽⁴⁾ عَنْ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَمْ يَدْعُنِي أَبِي أَطْلُبُ الْحَدِيثَ، حَتَّى قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ يَمْنَعُونَ الْأَطْفَالَ مِنْ حُضُورِ مَجَالِسِ الْحَدِيثِ قَبْلَ حِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ؛ حَتَّى لَا يَشْغَلُوا بِالْحَدِيثِ وَكِتَابَتِهِ وَحِفْظِهِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ.

(1) تقدم تخریجُهُ.

(2) رواه البخاري (5027).

(3) رواه الطبراني في «الكبير» (737)، والخطيب في «الكفاية» (49).

(4) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (830/3).

ففي «تهذيب الكمال» و«تاريخ دمشق»⁽¹⁾ عن أبي العيْناء مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ الْحَرِيْبِيِّ، قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: الْحَدِيثُ. قَالَ: أَذْهَبُ فَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ. قَالَ: قُلْتُ: قَدْ حَفِظْتُ. قَالَ: اقْرَأْ ﴿وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ (يونس: 71). قَالَ: فَقَرَأْتُ الْعُشْرَ حَتَّى أَنْفَذْتُهُ».

وَرَوَى الْحَطِيبُ فِي «جَامِعِهِ»⁽²⁾ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مَسْلَمٍ قَالَ: «كُنَّا إِذَا جَالَسْنَا الْأَوْزَاعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَأَى فِيْنَا حَدِيثًا⁽³⁾، قَالَ: يَا غُلَامُ، قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟. فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اقْرَأْ ﴿يُؤْمِنُكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: 11). وَإِنْ قَالَ: لَا. قَالَ: أَذْهَبُ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَ الْعِلْمَ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - أمرُ الأطفال بالصلاة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن تعليم الأطفال التوحيد ثم القرآن، والآن حديثي معكم عن أمرهم بالصلاة لسبع، وضرهم عليها لعشر.

(1) «تهذيب الكمال» (14/466)، و«تاريخ دمشق» (28/29).

(2) «الجامع لأخلاق الراوي» (ص 81).

(3) الحدّث - بفتحّين - : الشّاب، والجمع أحداث.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود»⁽¹⁾ بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، قاله الألباني في «صحيح أبي داود» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».

أيها النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى وُجُوبِ أَمْرِ الطِّفْلِ بِالصَّلَاةِ، إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ إِلَى بُلُوغِهِ سِنَّ الْعَاثِرَةِ، ثُمَّ الْأَمْرَ بِضَرْبِهِ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ، فَإِنْ ضَيَّعَ الْوَلِيُّ هَذَا الْأَمْرَ، سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (كما في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فَإِلَّا إِمَامٌ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».

أيها النَّاسُ، أَطْفَالُنَا أَمَانَةٌ، هُمْ عَلَيْنَا حَقٌّ، وَحَقَّتْهُمْ عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَهُمُ الصَّلَاةَ، وَنُعَوِّدَهُمْ عَلَيْهَا، وَنَتَابِعَهُمُ الْمُتَابِعَةَ الْمُسْتَمِرَّةَ، وَنَسْأَلَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ. فَهَا هُوَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَتَعَاهَدُ الْأَطْفَالَ، وَيَسْأَلُ عَنْ صَلَاتِهِمْ.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ مَا أَمْسَى، فَقَالَ: «أَصَلَّى الْغُلَامُ؟». قَالُوا: نَعَمْ.

(1) «حَسَنٌ صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/180)، وَأَبُو دَاوُدَ (495)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (893)، وَمُسْلِمٌ (1829).

(3) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1356)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (1208).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَوِّدُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ الْحَيْرَ عَادَةٌ.

فَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ»، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»⁽¹⁾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَعَوِّدُوهُمْ الْحَيْرَ؛ فَإِنَّ الْحَيْرَ عَادَةٌ».

قَالَ الْإِمَامُ الْمَرْوَزِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْأَثَرِ: «فِي هَذَا دَلَالَةٌ أَنَّ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ صِغَارًا؛ لِيَعْتَادُوا فَلَا يُضَعِّعُوهَا كِبَارًا، فَإِنْ اعْتَادُوا قَبْلَ وُجُوبِ الْفَرَضِ عَلَيْهِمْ أُخْرَى أَنْ يَلْزَمُوهَا عِنْدَ وَقْتِ الْفَرَضِ عَلَيْهِمْ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ أَوْلَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ - فَهُوَ عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُطَاعٍ أَنْ يَأْمُرَ مَنْ يُطِيعُهُ بِالصَّلَاةِ، حَتَّى الصِّغَارَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»⁽³⁾).

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ مَمْلُوكٍ، أَوْ يَتِيمٌ، أَوْ وَلَدٌ، فَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُعَاقَبُ الْكَبِيرُ إِذَا لَمْ يَأْمُرِ الصَّغِيرَ، وَيُعْزَرُ الْكَبِيرُ عَلَى ذَلِكَ تَعْزِيرًا بَلِيغًا؛ لِأَنَّهُ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ⁽⁴⁾.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يُؤَدِّبُوا أَوْلَادَهُمْ، وَيُعَلِّمُوهُمْ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ، وَيَضْرِبُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذَا عَقَلُوا، فَمِنْ احْتَلَمَ، أَوْ حَاضَ، أَوْ اسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - لَزِمَهُ الْفَرَضُ».

(1) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (4742)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (9155) وَالزِّيَادَةُ الْأَخِيرَةُ لَهُ.

(2) «قِيَامُ اللَّيْلِ» لِلْمَرْوَزِيِّ (ص 243).

(3) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (22/50 - 51).

(4) «شَرْحُ السُّنَّةِ» (2/407).

أَيُّهَا النَّاسُ، حُثُّوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي الْمَسَاجِدِ، خُذُوهُمْ مَعَكُمْ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ، شَجِّعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يُحِبُّونَ مِنَ التَّشْجِيعِ، وَلَوْ بِإِعْطَائِهِمْ مَا يُحِبُّونَ مِنَ الْهَدَايَا، الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا فِي تَعْوِيدِهِمْ عَلَى الصَّلَاةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «الْأَوْسَطِ»⁽¹⁾ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّا نَأْخُذُ الصَّبِيَّانَ مِنَ الْكُتَّابِ، فَتَقْدِمُهُمْ يُصَلُّونَ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ، وَنَعْمَلُ لَهُمُ الْقِيلَةَ وَالْخَشْنَكَانَ». وَالْقِيلَةُ وَالْخَشْنَكَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ وَالْحَلْوَى.

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ»⁽²⁾ قَالَ: «كَانَ زِيَادُ الْإِيَامِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُؤَذِّنُ مَسْجِدِهِ، فَكَانَ يَقُولُ لِلصَّبِيَّانِ: أَهْبُ لَكُمْ الْجُوزَ، قَالَ: فَكَانُوا يَجِيئُونَ وَيُصَلُّونَ، ثُمَّ يَحْوَطُونَ حَوْلَهُ. فَقُلْنَا لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِهَذَا؟. قَالَ: وَمَا عَلَيَّ أَشْتَرِي لَهُمْ جُوزًا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ، وَيَتَعَوَّدُونَ الصَّلَاةَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَقُولُ: الَّذِي هُوَ دُونَ التَّمْيِيزِ مِمَّنْ لَا يَعْقِلُ الصَّلَاةَ وَلَا الطَّهَارَةَ - لَا يُشْرَعُ أَمْرُهُ بِالصَّلَاةِ، وَلَا تَمَكِينُهُ مِنَ الْوُقُوفِ فِي صُفُوفِ الْمُصَلِّينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ؛ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ صُفُوفَ الْمُصَلِّينَ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ».

(1) رواه ابنُ المنذرِ في «الأوسط» (1936).

(2) «الحلية» (31/5).

(3) «صحيح»؛ أخرجه أحمد (97/2 - 98)، وأبو داود (666)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (620).

كما نُنبِهُ إلى تَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ آدَابِ الْمَسَاجِدِ.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74)،
 رَبَّنَا اغْفِرْ لآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، رَبَّنَا وَارْحَمِهِمْ كَمَا رَبَّبْنَا صِغَارًا، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
 وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).

رَبَّنَا اجْعَلْنَا مَقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّاتِنَا، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.



وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

10

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَاذَا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، إِنَّهُ أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ: «سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي

أَوْفَى رحمته عليه: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى؟. قَالَ: لَا. فَقُلْتُ: كَيْفَ كَتَبَ عَلَى

النَّاسِ الْوَصِيَّةَ - أَوْ أَمَرُوا بِالْوَصِيَّةِ -؟. قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ.».

(1) رواه البخاري (2740)، ومسلم (1634).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى عِبَادِهِ بِإِنزَالِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: 57).

وقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ (النحل: 89).

وقال - سُبْحَانَهُ، - : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: 15، 16﴾.

قال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿النساء: 174، 175﴾.

وقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾﴾ (الإسراء: 9).

وقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۗ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء: 82).

وقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴿فصلت: 44﴾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْسَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿الزمر: 23﴾.

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: 48).

ومعنى ﴿ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ - أيها الناس - أي: شهيداً على كل كتاب قبله، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (1).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: 41، 42).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ الرَّكْعَتَيْنِ أَحْكَمَتَا أَيْدِيَهُمْ فَمَنْ فَضِلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ (هود: 1).

أيها الناس، إن البركة كل البركة في قراءة كتاب الله، والعمل به، والتخليق بأخلاقه، والتحلي بآدابه.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: 155).

وقال - سبحانه، - : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنعام: 92).

وقال - سبحانه، - : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: 29).

قال ابن سعدي رحمته : « ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ : فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، وهو الذي تُستمد منه سائر العلوم، وتُستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه،

(1) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (ص 95).

وَرَعَبَ فِيهِ، وَذَكَرَ الْحِكْمَ وَالْمَصَالِحَ الَّتِي تَحْتُ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَقَدْ نَهَى عَنْهُ، وَحَدَّرَ مِنْهُ، وَذَكَرَ الْأَسْبَابَ الْمُنْفَرَةَ عَنْ فِعْلِهِ، وَعَوَاقِبَهُ الْوَحِيمَةَ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ حَافِلَةٌ بِذِكْرِ مَا لَحَمَلَةَ الْقُرْآنَ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ، وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، وَسُمُوِّ الْمَكَانَةِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ».

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا حَسَدَ⁽⁵⁾ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ⁽⁶⁾ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁷⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

(1) «تفسير السَّعْدِيِّ» (ص 234).

(2) رواه مسلم (804).

(3) رواه البخاري (5027).

(4) رواه البخاري (5025)، ومسلم (815).

(5) أطلق الحسد على الغبطة مجازاً، وهي أن يتمنى الإنسان مثل النعمة التي على غيره، دون زوالها عنه.

(6) الآتاء: الساعات، وفي واحدٍها أَرْبَعُ لُغَاتٍ: إني، وأنى - بكسر الهمزة وفتحها -، وإني، وإنو - بالياء والواو والهمزة مكسورة فيها -، ومثلها الآلاء.

(7) رواه مسلم (817).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهرُ بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق - له أجران».

وفي «سنن الترمذي» بسند حسن، صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿التر﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وفي «سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحيى صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يارب حله⁽⁴⁾، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة⁽⁵⁾ الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ، وارق⁽⁶⁾، ويؤاد بكل آية حسنة».

وفي «سنن الترمذي» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح الترمذي»⁽⁷⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال - يعني: لصاحب

(1) رواه البخاري (4937)، ومسلم (798)، واللفظ له.

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2910)، و صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2327).

(3) «حسن»: أخرجه الترمذي (2915)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2328).

(4) حلة أي: ألبسه حلياً، والحلي: ما تُزَيَّن به من مصوغ المعدنات أو الحجارة.

(5) الحلة - بالضم - : الثوب الجيد، والجمع حُللٌ وحلالٌ.

(6) ارق: اصعد في درج الجنة بقدر ما حفظته من آي القرآن.

(7) «حسن صحيح»: أخرجه الترمذي (2914)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2329):

الْقُرْآنِ - : اقْرَأْ، وَارْقُ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، هَذِهِ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّهَا الْوَصِيَّةُ بِكِتَابِ اللَّهِ، مَنْ تَرَكَهُ وَهَجَرَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأُنْفَى ﴿١٢٧﴾ ﴿ طه: 123 - 127).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ سُئِلَ أَحَدُ الْمَحْسُوبِينَ عَلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ: مَتَى تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟، فَأَجَابَ: فِي رَمَضَانَ، وَبَسَّ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ إِلَّا فِي رَمَضَانَ!، وَلَا يَقْرَءُونَ كِتَابَهُ إِلَّا فِي رَمَضَانَ!، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَخْتِمِ الْقُرْآنَ فِي مُدَّةٍ أَكْثَرَهَا شَهْرٌ إِلَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا - فَإِنَّهُ يُسَمَّى هَاجِرًا لِلْقُرْآنِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ:

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفرقان: 30).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - تعليمُ الأبناء وصيةُ رسولِ الله ﷺ :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ فِيمَا يَنْزِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ﴿٢﴾ ﴾ (الكهف: 1، 2).

أما بعد - أيها الناس - تقدّم الحديث معكم عن وصية رسولِ الله ﷺ، وأنه أوصى بكتابِ الله، والآن حديثي معكم عن تعليمِ الأبناء كتابِ الله. أيها الناس، إن مما كلفنا الله به حُسنَ رعايةِ الذرية، والسَّعيَ لاستنقاذِ النفسِ مع الأهلِ والأولادِ مِنَ النَّارِ.

فقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۗ ﴿٦﴾ ﴾ (التحریم: 6).

وقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (النساء: 11).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِنَّ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

(1) رواه البخاري (2554)، ومسلم (1829).

(2) رواه مسلم (1129).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ حُقُوقِ أبنائنا عَلَيْنَا تَعْلِيمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وفيهِ الأَجْرُ العَظِيمُ، وَالْفَضْلُ الجَلِيلُ، وَقَدْ حَثَّ عَلَيْهِ رَبُّنا - سُبْحانَهُ وَتَعَالَى - ، وَرَغَبَ فِيهِ نَبِينا مُحَمَّدٌ ﷺ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٦) ﴿ آل عمران: 79 ﴾ .

وفي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

وأَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَيْنَا هُمْ أَبناؤنا؛ فيجب عَلَيْنَا أَنْ نُعَلِّمَهُمْ قَبْلَ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أمانةٌ عِنْدنا؛ لِنَشْئُوا عَلَى الفِطْرَةِ .

قال الحافظُ السُّيوطيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعليمُ الصِّبْيَانِ الْقُرْآنَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الإِسْلامِ، فينشئُونَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَيَسْبِقُ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَنْوارُ الْحِكْمَةِ، قَبْلَ تَمَكُّنِ الأَهْواءِ مِنْها، وَسوادِها بِأَكْدارِ المَعْصِيَةِ»⁽²⁾ .

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ دَرَجَ أبائنا، وَأَجْدادنا، وَمَنْ قَبْلِهِمْ سَلَفُنا الصَّالِحِ - عَلَى تَعْلِيمِ أَوْلادِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ مِنَ الصَّغَرِ .

ففي «صحیح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سَنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ»⁽⁴⁾ .

(1) رواه البخاريُّ (5027) .

(2) انظر «أطفال المسلمين الذين ربَّاهم النبيُّ الأمينُ ﷺ» لجمال بن عبد الرحمن (ص 145) .

(3) رواه البخاريُّ (5036) .

(4) المُحْكَمُ: المُفْصَّلُ، وهو مِنْ «ق» إلى آخِرِ الْقُرْآنِ عَلَى الصَّحِيحِ .

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمته بَعْدَ أَنْ أوردَ هذا الحديثَ: «وعلى كُلِّ تقديرٍ فيه دلالةٌ على جوازِ تعليمِهِمُ القرآنَ في الصِّبا، بلْ قَدْ يكونُ مُستحبًّا أو واجبًّا؛ لأنَّ الصَّبِيَّ إذا تعلَّم القرآنَ، بلغَ وهو يَعْرِفُ ما يُصَلِّي بِهِ، وحفظُهُ في الصِّغَرِ أولى مِنْ حفظِهِ كبيرًا، وأشدُّ عُلوًّا بخاطرِهِ وأرسخُ وأثبتُ، كما هو المَعهودُ في حالِ النَّاسِ»⁽¹⁾.

وها هو الشافعيُّ يقولُ: «حَفِظْتُ القرآنَ وأنا ابنُ سَبْعِ سنينَ، وحَفِظْتُ الموطَّأَ وأنا ابنُ عَشْرِ سنينَ»⁽²⁾.

وحَفِصَةُ بنتُ سيرينَ حَفِظَتِ القرآنَ وهي بنتُ اثنتي عشرة سنة⁽³⁾.

وبالجُملة: يَطوُلُ بنا المقامُ في سردٍ مثلِ هذا، فَقَدْ أَصْبَحَ حِفْظُ القرآنِ في الصِّغَرِ عِنْدَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ شِعَارًا مِنْ شِعائِرِ الدِّينِ.

قال العلامةُ ابنُ خلدونٍ رحمته: «تعليمُ الولدانِ للقرآنِ شِعَارٌ مِنْ شِعائِرِ الدِّينِ، أَخَذَ به أهلُ المِلَّةِ، ودرَجُوا عليه في جميعِ أمصارِهِمُ، لما يَسْبِقُ فيه إلى القُلُوبِ مِنْ رُسوخِ الإيِّمانِ وعقائِدِهِ بسببِ آياتِ القرآنِ، ومُتُونِ الأحاديثِ، وصارَ القرآنُ أَصْلَ التَّعليمِ، الَّذِي يَنْبني عليه ما يُحْصَلُ بَعْدَ مِنَ المَلَكاتِ؛ وَسَبَبُ ذلكَ أَنَّ تعليمَ الصِّغَرِ أَشَدُّ رُسوخًا، وهو أَصْلٌ لِمَا بَعْدَهُ؛ لأنَّ السَّابِقَ الأوَّلَ للقُلُوبِ كالأساسِ للمَلَكاتِ، وعلى حَسَبِ الأساسِ وأساليبيهِ يكونُ حالُ ما يَنْبني عَلَيهِ»⁽⁴⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (1/106).

(2) «مناقب الشافعي» لابن الأثير الجزري (ص 80).

(3) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (4/507).

(4) «مقدمة ابن خلدون» (689).

أيها الناس، علموا أولادكم القرآن صغارا، قبل أن يشبوا، واحذروا التساهل؛ فإن الولد أمانة.

فهذا عكرمة رحمته يقول: «كان ابن عباس رحمتهما يجعل الكلب (أي: القيء) في رجلي على تعليم القرآن والسنة»⁽¹⁾.

أيها الناس، قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بالحديث الذي أخرجه الحاكم في «مستدركه» بسند حسن لغيره، كما قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»⁽²⁾ من حديث بريدة رحمته قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ القرآن، وتعلم وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور، ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسبنا هذا؟، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن».

وأذكركم - أيضا - بما جاء في «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث جابر بن عبد الله رحمته قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «قد تركت فيكم ما لئن تضلوا بعده - إن اعتصمتم به - كتاب الله».

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، يا أكرم الأكرمين.

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (3/326)، والخطيب في «الفيح والمتفق» (1/47)، وابن عساکر في «تاريخه» (41/82).

(2) «حسن لغيره»: أخرجه الحاكم (1/568)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (1433): حسن لغيره.

(3) رواه مسلم (1218).

النبي ﷺ في بيته

11

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي سَأَلُونُ بِهِ وَأَلْزَمَ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (صحيح لکم أعمالکم ویغفر لکم ذنوبکم ومن

یطیع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظیما﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ، وَلَا عَجَبَ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ

رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4). فَكَانَ - لِكِمَالِ أَخْلَاقِهِ - يَقُولُ - كَمَا فِي

«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾: «خَيْرُكُمْ

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3895)، وابن حبان (1312) عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني

في «صحيح الجامع» (3314).

وكان يقول - كما في «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽¹⁾: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم».

كيف كان ﷺ في بيته، ومع أهله؟.

ها هو الأسود يسأل أمنا عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟. قالت: «كان يكون في مهنة أهله - تعني: خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة». والحديث رواه البخاري في «صحيحه»⁽²⁾.

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ عن عروة قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: ما كان يعمل رسول الله في بيته؟. قالت: «كان يخط ثوبه، ويخصف⁽⁴⁾ نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم».

وفي «مسند أبي يعلى» و«شئائل الترمذي» و«صحيح ابن حبان» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁵⁾ عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته؟. قالت: «ما كان إلا بشراً من البشر، كان يغلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه ﷺ».

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (2/250)، والترمذي (1162) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (284).

(2) رواه البخاري (676).

(3) «صحيح»: رواه أحمد (6/121)، وابن حبان (5677)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4937).

(4) الخصف: خياطة الجلد، وبأبه ضرب.

(5) «صحيح»: رواه أبو يعلى في «مسنده» (4873)، والترمذي في «الشئائل» (293)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4996).

أَيُّهَا النَّاسُ، دُونَكُمْ قُطُوفًا مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، أَوَّلُ زَهْرَةٍ أَقْطَفْتُهَا لَكُمْ هِيَ حِلْمُهُ وَصَبْرُهُ مَعَ أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: «إِنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يَجْتَمِعْنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ صَاحِبِ النَّوْبَةِ مِنْهُنَّ، فَدَخَلَتْ زَيْنَبُ بَيْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَمَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهَا زَيْنَبُ. فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَمِعَهُمَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْتُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، وَجَاءَتِ الصَّلَاةُ، فَخَرَجَ وَلَمْ يُكَلِّمَهُمَا، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ عَادَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَعَنَّفَ عَائِشَةَ».

فانظروا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى صَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِلْمِهِ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَتَخَاصُمِهِنَّ أَمَامَهُ، دُونَ أَنْ يُعَنَّفَ إِحْدَاهُنَّ.

يقول الإمام النووي رحمته الله: (أَمَّا قَوْلُهُ: «احْتُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ» فَمَبَالِغَةٌ فِي زَجْرِهِنَّ، وَقَطْعُ خِصَامِهِنَّ، وَفِيهِ فَضِيلَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَشَفَقَتُهُ - وَنَظَرُهُ فِي الْمَصَالِحِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ الْمَفْضُولِ عَلَى صَاحِبِهِ الْفَاضِلِ بِمَصْلَحَتِهِ)⁽²⁾.

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ، وَصَفِيَّةُ، وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ، وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً، يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَرَهَا،

(1) رواه مسلم (1462).

(2) «شرح النووي على مسلم» (39 / 10).

(3) رواه البخاري (2581).

حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِهَا حَيْثُ كَانَ مِنْ بِيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا - أَيْضًا - ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَاهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ، فَدَارَ إِلَيْهَا، فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ». قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ⁽¹⁾ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: «يَا بِنْتِي، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟». قَالَتْ: بَلَى. فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتَهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَاتَتْهُ فَأَغْلَطَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا، حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ، حَتَّى أَسْكَنْتَهَا، قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ، وَقَالَ: «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ!».

فَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَظَلِمَ نِسَاءَهُ عَلَى حِسَابِ عَائِشَةَ، بَلْ إِنَّ مَا فَعَلَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ تَكْرِيمِ عَائِشَةَ لِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ خَارِجٌ عَنْ أَمْرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَالَجَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الرَّغْبَةَ مِنْ أَرْوَاجِهِ بِحِلْمٍ وَرِفْقٍ، دُونَ أَنْ يَقْسُوَ عَلَى زَوْجَاتِهِ، وَيَعْنِفَهُنَّ لِتَجَرُّهُنَّ عَلَيْهِ.

(1) يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ أَيُّ: يَسْأَلْنَ مِنْكَ الْعَدْلَ، وَالْمُرَادُ بِهِ: التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

بَلْ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كُنَّ يَرَاغِبْنَ وَيُجَادِلُنَّهُ وَيُنَاقِشُنَّهُ، وَهُوَ صلى الله عليه وسلم يَسْمَعُ لَهُنَّ، وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ تَوَاضَعًا مِنْهُ صلى الله عليه وسلم، وَرَأْفَةً مِنْهُ وَرَحْمَةً. بَلْ حَتَّىٰ إِنْ إِحْدَاهُنَّ كَانَتْ تُرَاجِعُهُ وَتَهْجُرُهُ إِلَى اللَّيْلِ، وَهُوَ صَابِرٌ حَلِيمٌ عَلَيْهِنَّ.

وانظروا - أيها الناس - إلى ما جاء في «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الأرنؤوط في تحقيقه على المسند⁽²⁾ من حديث الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: جاء أبو بكرٍ رضي الله عنه يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فَسَمِعَ عَائِشَةَ رضي الله عنها وهي رافعةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَذَنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ - وَتَنَاوَلَهَا -، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟! قال: فَحَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهَا - يَسْتَرْضِيهَا - : «أَلَا تَرَيْنَ أَيُّ قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكَ؟!». ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ مُسْتَأْذِنٌ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُصَاحِكُهَا. قَالَ: فَأَذَنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْرِكَانِي فِي سَلْمِكُما كَمَا أَشْرَكْتَانِي فِي حَرْبِكُما.

أيها الناس، لَا يَظُنُّ أَحَدُنَا أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ خَلَّتْ مِنَ الْمُنْغَصَاتِ وَالْمَشَاكِلِ؛ فَهَذَا أَمْرٌ يَتَنَاوَى وَسُنَّةَ الْإِبْتِلَاءِ الرَّبَّانِيِّ الثَّابِتَةَ لِبَنِي الْإِنْسَانِ، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: 2)؟!.

إنَّ المشاكلَ حاصلةٌ، لكنَّ تحتاجُ إلى حِلْمٍ وَصَبْرٍ وَحِكْمَةٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى الْفِتْنَةِ، حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ وَهُوَ الرَّابِحُ وَنَحْنُ الْخَاسِرُونَ.

(1) انظر الحديث بطلوله في «صحيح البخاري» (5843)، و«صحيح مسلم» (1479).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد في «مسنده» (1797).

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رضي الله عنه: «إنَّ إبليسَ يَصْعُ عَرَشَهُ على الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيقولُ: فعلتُ كَذَا وكَذَا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيقولُ: ما تركتُهُ حتَّى فرقتُ بينه وبينَ امرأتهِ، قال: فيؤذنه مِنْهُ، ويقولُ: نعمَ أنتَ!». قال الأعمشُ: أراه قال: «فيلتزمه».

وانظروا - أيها الناس - إلى حكمة النبي صلَّى الله عليه وآله في القضاء على المشاكِلِ في مهدها، وتقويتِ الفرصةِ على الشيطانِ الرجيمِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله عندَ بعضِ نساءِهِ، فأرسلتُ إحدى أمهاتِ المؤمنين بصحفةٍ فيها طعامٌ، فضربتُ التي النبي صلَّى الله عليه وآله في بيتها يدَ الخادمِ، فسقطتِ الصحفةُ، فانفلقتُ، فجمعَ النبي صلَّى الله عليه وآله فلقَ الصحفةَ، ثُمَّ جعلَ يجمعُ فيها الطعامَ الذي كان في الصحفةِ، ويقولُ: «غارتُ أمُّكم». ثُمَّ حبسَ الخادمَ، حتَّى أتى بصحفةٍ من عندِ التي هوَ في بيتها، فدفعَ الصحفةَ الصحيحةَ إلى التي كسرتُ صحفتها، وأمسك المكسورةَ في بيتِ التي كسرتُ. وأستغفرُ اللهَ.

(1) رواه مسلم (2813).

(2) رواه البخاري (5225).

الخطبة الثانية - النبي ﷺ في بيته :

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ - أيها الناس - تقدّم الحديثُ معكم عن شيءٍ من حياة النبي ﷺ في بيته، واقتطفْتُ لكم زهرتين، هما: الصبرُ، والحلمُ، والآنُ اقتطفُ لكم زهرةً من مشاعره ﷺ مع أهله.

أيها الناس، لقد كان - نبينا محمدًا ﷺ - مثلاً للطفِ والأنسِ ودِفءِ المشاعرِ مع أهله خاصّةً، ومع الناسِ كافّةً.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالت: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرِبُ، وَأَتَعَرِّقُ الْعَرَقَ - وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ لَحْمٍ - وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ».

وكان من جميلِ مشاعره: أَنَّهُ رَفَعَ الْكَلْفَةَ إِلَى حَدِّ أَنْ يَسْتَبِقَ هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صحّحه الألبانيُّ في «آداب الزّفاف»⁽²⁾ من حديثِ عائشةَ رضي الله عنها أنّها قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ، وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا». فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ:

(1) رواه مسلم (300).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد في «مسنده» (264/6)، وأبو داود (2578)، وابن ماجه (2010)، وصحّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (1502)، و«آداب الزّفاف» (ص 276).

«تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقَكَ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبِقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا». فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى أَسَابِقَكَ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبِقْتَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ».

وفي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه فِي حَدِيثِهِ عَنْ صَفِيَّةَ رضي الله عنها: «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم يَحْوِي لَهَا⁽²⁾ وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ وَتَضَعُ صَفِيَّةٌ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرَكَبَ».

وأخرج النسائي في «عشرة النساء» بإسناد حسن⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: زَارْتَنَا سَوْدَةُ يَوْمًا، فَجَلَسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَإِخْدَى رِجْلِي فِي حِجْرِي، وَالْأُخْرَى فِي حِجْرِهَا، فَعَمِلْتُ الْحَزِيرَةَ، فَقُلْتُ: كُلِّي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِينَ أَوْ لَأَلْطَخَنَّ وَجْهَكَ، فَأَبَتْ، وَأَخَذَتْ مِنَ الْقُصْعَةِ شَيْئًا، فَلَطَّخَتْ بِهِ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم رِجْلِيهِ مِنْ حِجْرِهَا؛ لَتَسْتَقِيدَ مِنِّي، وَقَالَ لَهَا: «لَطَّخِي وَجْهَهَا». فَأَخَذَتْ مِنَ الصَّحْفَةِ شَيْئًا، فَلَطَّخَتْ بِهِ وَجْهِي، وَرَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم يَضْحَكُ.

والحزيرة - أيها الناس - لحم يُقَطَّعُ صِغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضِجَ ذُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ.

(1) رواه البخاري (4211).

(2) يُحْوِي لَهَا - بتشديد الواو - أي: يجعل لها حويّة، وهي كساءٌ مُحْشُوٌّ يُدَارُ حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ، مُهِبًا لِلْمَرْأَةِ لِتَرَكَبَهُ، وَالْجَمْعُ الْحَوَايَا.

(3) أخرجه النسائي في «عشرة النساء» (8917)، وأبو يعلى في «مسنده» (4476).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يوماً على بابِ حُجرتي، والحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ».

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمته: «وفي الحديثِ جَوَازُ النَّظَرِ إِلَى اللَّهْوِ الْمُبَاحِ، وَفِيهِ حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ، وَكَرَمُ مُعَاشَرَتِهِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ قُطُوفٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ ﷺ، وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَدْ أَمَرَنَا بِالتَّاسِّي بِهِ، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (الأحزاب: 21).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْرَكَ مُؤْمِنَةً؛ فَإِنَّهُ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، وَرَبُّنَا يَقُولُ: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 19).

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا يَفْرَكَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ - أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ».

وقوله: «لَا يَفْرَكَ». أَي: لَا يُبْغِضُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ وَلَا يَجْمَلُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يُبْغِضَ زَوْجَهُ مَتَى وَجَدَ مِنْهَا خُلُقًا لَا يُعْجِبُهُ؛ لِأَنَّهُ رَبُّهَا هُنَاكَ أَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ، لَكِنَّهُ يَسْعَى مَا اسْتَطَاعَ لِإِصْلَاحِهَا.

(1) رواه البخاري (544) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومسلم (892).

(2) «فتح الباري» (1/549).

(3) رواه مسلم (1469).

أيها الناس، النساء أشبه بالقوارير، دلّ على ذلك ما جاء في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: كانت أم سليم في الثقل، وأنجسته غلام النبي صلى الله عليه وسلم يسوق بهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أنجس، رؤيدك سوقك بالقوارير».

فهنا شبه النبي النساء بالقوارير إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعمية والرفقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن، والمقصود - أيها الناس - : أتمنّ بحاجة إلى الرفق في توجيهم وتعليمهن والحياة معهن.

أيها الناس، قبل أن أودّع مقامي هذا أذكركم بقول النبي صلى الله عليه وسلم (كما في «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه): «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

أيها الناس، سلوا الله الذي جمعكم في الدنيا في بيت واحد على طاعته، وجعل بينكم مودة ورحمة - أن يجمعكم في الفردوس في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤) (الفرقان: 74)، اللهم بارك لنا في أهلنا وأولادنا، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، واجعل الآخرة أكبر همنا، ومبلغ علمنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا، اللهم ارحمهم كما ربونا صغاراً.

(1) رواه البخاري (6202).

(2) رواه البخاري (3331)، ومسلم (1468).

وفاة الرسول ﷺ

12

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ وِفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مُصِيبَةَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

ففي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَتَعَزَّزْ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (1599)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ».

تُصِيبُهُ بَعِيرِي؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَعْلَمَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِأَجَلِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحَدْتَهَا تَقُولُهَا؟. قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي، إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾».

وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَقَالَ: «أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ أَيَّاهُ». قَالَ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعَلَّمُ».

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يَغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُحْطِيُهُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ - ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟!، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟.

قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(1) رواه مسلم (484).

(2) رواه البخاري (3627).

(3) رواه البخاري (4433)، ومسلم (2450)، واللفظ له.

فقلت: «أَمَا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَا حِينَ سَارَّيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يُعَارِضُهُ⁽¹⁾ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرْ، فَإِنَّهُ نَعَمَ السَّلْفُ أَنَا لَكَ».

قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيتُ، فلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّيَ الثَّانِيَةَ، فقال: «يا فاطمةُ، أَمَا تَرْضِي أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - ؟».

قالت: فضحكتُ ضحكي الذي رأيتُ.

وفي روايةٍ «لمسلمٍ»: فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتَّبَعُهُ مِنْ أَهْلِهِ؛ فَضَحِكْتُ.

ذلك - أيها الناس - بَعْضُ الْمَقْدَمَاتِ لِمَوْتِهِ ﷺ.

وكان ﷺ قَدْ وَدَّعَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ وَأَوْصَاهُمْ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ».

وَتَتَجَلَّى وَصِيَّتُهُ ﷺ وَوُدَاعُهُ لِأُمَّتِهِ فِي عَرَافَاتٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ أَمَرَ بِالْقُصَوَاءِ⁽⁴⁾، فَرَجَلَتْ⁽⁵⁾ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ

(1) المعارضة: المُقابِلة، وهي مُفاعلة من الجانيين، جِبْرِيْلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ، ثُمَّ يَقْرَأُ النَّبِيُّ ﷺ وَجِبْرِيْلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَمِعُ.

(2) رواه مسلم (1279).

(3) رواه مسلم (1218).

(4) القُصَوَاءُ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ -: اسْمُ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(5) فَرَجَلَتْ أَي: جُعِلَ عَلَيْهَا الرَّحْلُ، وَهُوَ الْمَرْكَبُ.

عليكم كحزمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح⁽¹⁾، وهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده - إن اعتصمتم به - كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

فقال بإصبعه السبابة - يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات.

وفي رواية «للبخاري»⁽²⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع».

أيها الناس، لقد حصر هذا الموقف الجسم الغفير من الناس، فقيل - كما في «فتح الملك المعبود» -: «مائة وثلاثون ألفاً»⁽³⁾.

وفي هذا اليوم العظيم - أيها الناس - أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في يوم الجمعة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3).

(1) ضرباً غير مبرح - بكسر الباء مُشددةً - أي: غير شاق.

(2) رواه البخاري (1742).

(3) انظر «فتح الملك المعبود» (2/105).

وَبَعْدَ أَنْ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، سَرَعَ فِي تَوْدِيْعِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى قَتْلَى أَحَدِ صَلَاةِ الْمَيِّتِ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُودَّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ لَكُمْ»⁽²⁾، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا (وَتَقْتُلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)».

قال عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (عَلَى الْمِنْبَرِ)».

قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما معناه: فتوديعُهُ للأَحْيَاءِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ سِياقَ الْحَدِيثِ يُشْعِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ آخِرَ حَيَاتِهِ ﷺ، وَأَمَّا تَوْدِيْعُهُ لِلْأَمْوَاتِ فَبِاسْتِغْفَارِهِ لِأَهْلِ الْبَقِيْعِ، وَدُعَائِهِ لِأَهْلِ أَحَدٍ، وَانْقِطَاعِهِ بِجَسَدِهِ عَنْ زِيَارَتِهِمْ⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَحْيَاءَ، وَصَلَّى عَلَى شُهَدَاءِ أَحَدٍ، وَدَعَا لَهُمْ، وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيْعِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَدَعَا لَهُمْ مُودَّعًا لَهُمْ - رَجَعَ مَرَّةً مِنَ الْبَقِيْعِ، فَوَجَدَ عَائِشَةَ وَهِيَ تَشْتَكِي مِنْ صُدَاعٍ بِرَأْسِهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَارَأْسَاهُ! فَقَالَ - كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ»⁽⁴⁾ - : «بَلْ أَنَا - وَاللَّهِ - يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهُ!».

(1) رواه البخاريُّ (1344)، (3596)، (4042)، (4085)، (6590)، ومسلمٌ (2296)، وما بيِّنَ

المعكوفين من صحيح مسلم.

(2) فَرَطٌ لَكُمْ - بفتحين - أي: مُتَقَدِّمٌ لَكُمْ.

(3) «الفتح» (349/7).

(4) «صحيح»: أخرجه أحمد (6/144)، وصحَّحه الألبانيُّ في «أحكام الجنائز» (ص50).

قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال: «وما صررك لو مت قبلي، فقمْتُ عليك، وكفنتك، وصليتُ عليك، ودفتك؟».

قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست ببعض نساءك⁽¹⁾.

قالت: فتبسم رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

وأول ما اشتد برسول الله صلَّى الله عليه وآله وجعه في بيت ميمونة، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها، كما جاء ذلك في «صحيح مسلم»⁽²⁾.

وفي بيت - عائشة - أيها الناس - كان موته صلَّى الله عليه وآله، كما في «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع: أنه يموت نبي حتى يجير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلَّى الله عليه وآله في مرضه الذي مات فيه - وأخذته بحة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦١﴾ (النساء: 69). قالت: فظننت خير حينئذ.

وقالت عائشة رضي الله عنها كما في «الصحيحين»⁽⁴⁾: «فكانت آخر كلمة تكلم بها: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) يُقَالُ: أَعْرَسَ بِأَهْلِهِ: إِذَا بَنَى بِهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا عَشِيَهَا.

(2) «رواه مسلم» (418).

(3) رواه البخاري (4435)، ومسلم (2444).

(4) رواه البخاري (4436)، ومسلم (2444).

الخطبة الثانية - وصية النبي ﷺ عند موته :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن وفاة النبي ﷺ، والآن حديثي معكم عن وصية النبي ﷺ عند موته.

أيها الناس، وصايا النبي ﷺ كثيرة، ومن ضمن ما أوصى به ﷺ أمته الصلاة.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»⁽¹⁾ من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «كان آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم» حتى جعل نبي الله ﷺ يجلجلها في صدره، وما يفيض به لسانه».

أيها الناس، انظروا إلى قول أم سلمة رضي الله عنها: «حتى جعل نبي الله ﷺ يجلجلها في صدره، وما يفيض به لسانه»؛ وما ذاك - أيها الناس - إلا لأهمية الصلاة، فهي ثاني أركان الإسلام بعد الشهادتين، وعمود الدين، والفارقة بين المسلمين والكافرين، وشعار النبيين، وعلامة المتقين، والصلة بين العبد ورب العالمين، فهي محل عناية الأنبياء والمرسلين.

قال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عن عبده وخليته إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (إبراهيم: 40).

وقال - سبحانه - : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (إبراهيم: 37).

(1) «صحیح»: أخرجه أحمد (6/ 290)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (7/ 238).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٥﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ (مريم: 54، 55).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - حَاكِيًا عَنِ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴿٣٩﴾﴾ (آل عمران: 39).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، - حَاكِيًا عَنِ عِيسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣١﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ (مريم: 30، 31).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ - مُحَمَّدٍ - ﷺ : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ (الإسراء: 78، 79).

وقال له: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴿١٣٢﴾﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، الصَّلَاةُ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَخْفَضُونَ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَهَنَّمَ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (المعارج: 34، 35).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَخْفَضُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون: 9 - 11).

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُودِّعُ الدُّنْيَا، فَعَلَيْنَا أَنْ نُحَافِظَ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَحَيْثُ يُنَادَى بِهَا.

اللَّهُمَّ أَعْنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣١﴾ (البقرة: 201).

التَّقْوَى

13

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ التَّقْوَى.

والتَّقْوَى - أَيُّهَا النَّاسُ - الْحَدِيثُ عَنْهَا ذُو شُجُونٍ⁽¹⁾، وَتُعَرَّفُ التَّقْوَى بِأَنَّهَا: وَقَايَةُ

الْعَبْدِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - التَّقْوَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي نَيْفٍ⁽²⁾ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً

آيَةٍ، وَبَشَّرَ الْمُتَّقِينَ بِبَشَارَاتٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

(1) الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ أَيُّ: يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ.

(2) النَّيْفُ - بِالْفَتْحِ وَالْمُتَمَلَّةُ أَفْصَحُ مِنَ الْمَخْفَفَةِ - : الْعَدَدُ الَّذِي بَيْنَ عَقْدَيْنِ.

العَوْنُ، والنُّصْرَةُ، والعِلْمُ والحِكْمَةُ، وتكفِيرُ الذُّنُوبِ وَتَعْظِيمُ الأَجْرِ، والمَغْفِرَةُ
واليسرُ والسُّهُولَةُ، والخُرُوجُ مِنَ الغَمِّ والمِخْنَةِ، والرِّزْقُ الواسِعُ فِي الدُّنْيَا، والنَّجَاةُ مِنَ
العُقُوبَةِ فِي الآخِرَةِ، والتَّوْفِيقُ والعِصْمَةُ والفَوْزُ بِالمرَادِ، وشَهَادَةُ اللهِ لَهُم بِالصِّدْقِ،
ومحَبَّةُ اللهِ وإِكْرَامُهُ، وَنَيْلُ الوِصَالِ وَقَبُولُ الصِّدْقَةِ، والصِّفَاءُ وَكَمَالُ العِبُودِيَّةِ، والمَقَامُ
الْأَمِينُ، والجَنَاتُ وَالْعِيُونُ، والأَمْنُ مِنَ البَلِيَّةِ، وَعِزُّ الفَوْقِيَّةِ، وزوالُ الحُزْنِ والخَوْفِ
مِنَ العُقُوبَةِ، والزَّوْجَاتُ الحِسانُ الكَواعِبُ⁽¹⁾ الأتْرَابُ⁽²⁾ فِي الجَنَّةِ، وأَعْظَمُ مِنْ هَذَا
كُلُّهُ القُرْبُ مِنَ الحِضْرَةِ الإِلهِيَّةِ عِنْدَ الفَوْزِ بِمَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ جَاءَ لَفْظُ التَّقْوَى فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ:

الأوَّلُ - الخَوْفُ والحَشْيَةُ، كما فِي قولِهِ - تعالى - ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ

زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴿الحج: ١﴾.

أَي: خافوا رَبَّكُم، وَاخْشَوْهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ.

الثَّانِي - العِبَادَةُ، كما فِي قولِهِ - تعالى - ﴿يُنزِلُ المَلَأِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَإِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴿النحل: ٢﴾.

أَي: فاعبدون.

الثَّالِث - تَرْكُ المَعْصِيَةِ، كما فِي قولِهِ - تعالى - ﴿وَأَتُوا أَبْيُوتَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَتَقُوا

اللهَ لَمَّا كُنْتُمْ نُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴿البقرة: ١٨٩﴾.

أَي: لا تَعْصُوهُ.

(1) الكواعب: جَمْعُ كاعِبٍ، وهي الجاريةُ الَّتِي تَكعِبُ ثَدْيَها وَبَدَأَ لِلنَّهْودِ.

(2) الأتْراب: الأمثال فِي السَّنِّ، الواحدة تَرْبٌ - بالكسْرِ.

(3) انظر الآيات الدالَّة على هذه البشارات فِي «بصائر ذوي التَّمييز» (300/5 - 303).

الرَّابِع - التَّوْحِيدُ، كما في قوله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُم لِلتَّقْوَىٰ﴾

(الحجرات: 3).

أَي: لِلتَّوْحِيدِ.

الخامس - الإخلاص، كما في قوله - تعالى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ

تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٣﴾﴾ (الحج: 32).

أَي: مِنْ إِخْلَاصِهَا.

ذلك ما جاء به القرآن الكريم مِنْ لَفْظِ التَّقْوَى، وَأَمَّا شَرْفُهَا فَذَلِكَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، فَشَرْفُهَا شَرْفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَوْفَ نَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ:

1- التَّقْوَى وَصِيَّةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ

اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء: 131).

2- التَّقْوَى هِيَ وَصِيَّةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - :

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُبُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا

نُفِقُونَ﴾ (الشعراء: 105، 106).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾

(الشعراء: 123، 124).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا

نُنْفِقُونَ﴾ (الشعراء: 141، 142).

وقال - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾

(الشعراء: 160، 161).

وقال - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا

يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ (الشعراء: 10، 11).

3- التَّقْوَى وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»⁽¹⁾ من حديث العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونَ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ قائلٌ: يا رسولَ الله، كأنَّها مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ؛ فَأَوْصِنَا. فقال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذ⁽²⁾، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قال ابنُ رَجَبٍ رحمته: (قَوْلُهُ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» هَاتَانِ الكَلِمَتَانِ تَجْمَعَانِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا التَّقْوَى فَهِيَ كَافِلَةٌ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَمَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَوْلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا، وَبِهَا تُنظَّمُ مَصَالِحُ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَبِهَا يَسْتَعِينُونَ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِمْ، وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ)⁽³⁾.

(1) رواه أحمد (4/126، 127)، وأبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (34)،

وصححه الألباني في «الإرواء» (2455)، و«صحيح الجامع» (2549).

(2) التواجذ: جمع ناجذ، وهو أقصى الأضراس، والمعنى: تمسكوا بها كما يتمسك العاص بجميع أضراسه.

(3) «جامع العلوم والحكم» (ص 247) باختصار.

4- التَّقْوَى أَجْمَلُ لِبَاسٍ يَتَرَبَّنُ بِهِ الْعَبْدُ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿يَنْبَغِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِدْشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: 26).

قال القرطبي رحمه الله في قوله - تعالى - ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: «بَيْنَ أَنْ التَّقْوَى خَيْرُ لِبَاسٍ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقْوَى ... تَقَلَّبَ عُرْيَانًا، وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا وَخَيْرُ لِبَاسٍ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ ... وَلَا خَيْرَ فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا»⁽¹⁾.

5- التَّقْوَى هِيَ أَفْضَلُ زَادٍ يَتَزَوَّدُ بِهِ الْعَبْدُ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَأَنْتُمْ يَسْأُولُونَ الْأَلْتَبِ﴾ (البقرة: 197).

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله: ﴿فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾: كَمَا أَمَرَهُم بِالزَّادِ لِلْسَفَرِ فِي الدُّنْيَا، أَرشَدَهُمْ إِلَى زَادِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ اسْتِصْحَابُ التَّقْوَى إِلَيْهَا)⁽²⁾.
6- أَهْلُ التَّقْوَى هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: 62، 63).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الجمانية: 19).

(1) «تفسير القرطبي» (7/ 184).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/ 239).

وقال - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤)

(الأنفال: 34).

7- التَّقْوَى هي الميزانُ الحقُّ الذي يُوزَنُ بِهِ النَّاسُ:

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟». قال: «أَتْقَاهُمْ اللهُ».

8- أَمْرُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - المسلمين بالتَّعَاوُنِ على البرِّ والتَّقْوَى:

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

(المائدة: 2).

قال القُرْطُبِيُّ رحمته الله: «قال الماوردي: ندب الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - إلى التَّعَاوُنِ بالبرِّ، وقرنه بالتَّقْوَى؛ لأنَّ في التَّقْوَى رِضَا اللهُ - تعالى -، وفي البرِّ رِضَا النَّاسِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَا اللهِ - تعالى - وَبَيْنَ رِضَا النَّاسِ، فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ، وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) رواه البخاري (3352)، ومسلم (2378).

(2) «تفسير القُرْطُبِيِّ» (6/47).

الخطبة الثانية - صفة المتقين :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن التقوى، وفيما يأتي الحديث عن بعض صفات المتقين:

1- فمن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب إيماناً جازماً:

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ أَكْتَبْنَا لَهُمْ مَنَاجِدَ رَبِّهِمْ وَلَمْ يَكُن لَهُمْ فِتْنَةٌ أَمْ يَكُن لَهُمْ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنْ يَخِفُّونَهَا يَسْفِكُونَهَا وَيُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِئْتَنًا مِّنْ قِبَلِ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرِيهِمْ يُفْسِدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

بِالْغَيْبِ وَيُفِيقُونَ الصَّلَاةَ وَيَأْتُونَ الْكُفْرَ هُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
(البقرة: 1-4).

2- ومن صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون:

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَإِن تَصَفُّوا أَوْ قُتِلْتُمْ لَتَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرُهُمْ أَعْلَىٰ مِنْكُمْ وَلَيَبْغِيَنَّ عَنْكُمْ بَعْضُهُمْ أَمْرًا بَعْضًا يَكْتُمُونَهُ ۗ أُولَٰئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ يُكْفَرُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (البقرة: 237).

قال ابن سعدٍ رحمته الله: «رَغَبَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي الْعَفْوِ، وَأَنَّ مَنْ عَفَا كَانَ أَقْرَبَ لِتَقْوَاهُ؛ لِكَوْنِهِ إِحْسَانًا مُّوجِبًا لِشَرْحِ الصَّدْرِ»⁽¹⁾.

وقال رحمته الله: «وَأَمَّا الْعَفْوُ عَنْ جَنَايَاتِ الْمُسِيئِينَ بِأَقْوَاهِمُ وَأَفْعَالِهِمْ فَلَا يُتَوَهَّمُ مِنْهُ الذُّلُّ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْعِزِّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّ هُوَ الرَّفْعَةُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ خَلْقِهِ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى قَهْرِ الْخُصُومِ وَالْأَعْدَاءِ»⁽²⁾.

(1) «تفسير ابن سعدٍ» (ص 105).

(2) «بهجة قلوب الأبرار» (ص 89).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

3- ومن صفاتهم أنهم يتحررون الصدق في أقوالهم وأفعالهم:

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: 33).

فأخبر الله - سبحانه - : أن المتقين إذا بلغهم الحق والصدق عن الله وعن رسوله صدقوا به، وسارعوا إلى العمل به قولاً وعملاً واعتقاداً، فهم المتقون حقاً.

4- ومن صفاتهم أنهم يعظمون شعائر الله:

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: 32).

والشعائر - أيها الناس - هي كل شيء لله - سبحانه وتعالى - فيه أمر أشعر به وأعلم، وقيل: شعائر الإسلام: أعلام دينه.

5- ومن صفاتهم أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين:

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: 119).

أيها الناس، في هذه الآية إشارة لطيفة إلى اختيار الصاحب الصالح، الذي أقواله وأفعاله وأحواله لا تكون إلا صدقاً، فما أجمل أن يكون لكل منا صديق صالح، يدركنا بالله، وبسبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان!

(1) رواه مسلم (2588).

كما عَلَيْنَا أَنْ نَفِرَّ مِنْ صَدِيقِ السَّوِّءِ فِرَارًا مِنَ الْأَسَدِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُنَا:
﴿يَتَوَلَّقُ لِيَتَّقِيَ لَمْ نَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا﴾ (الفرقان: 28).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُودَّعَ مَقَامِي هَذَا أُذَكِّرْكُمْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كما في
«الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «أَلَا إِنَّ أَلَ فُلَانٍ لَيَسُؤَالِي
بِأَوْلِيَاءِ، إِنَّهَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ لَكَ، الَّذِينَ يَتَّقُونَكَ حَقَّ تَقَاتِكَ، اللَّهُمَّ أَعْنَا عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) رواه البخاري (5990)، ومسلم (215).

صفات المؤمنین

14

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حُدِثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ

- سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ، وَكَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ .

فَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي صَدْرِ سُورَةِ

«الْمُؤْمِنُونَ».

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ زَوْجًا وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون: 1-11).

أيها النَّاسُ، لقد وصف الله - تبارك وتعالى - عبادة المؤمنين في هذه الآيات بأوصافٍ: فقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَنَجَحُوا، وبلغوا الغاية، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ.

ووصفهم بالخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ الَّذِي هُوَ: حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - تَعَالَى -، مُسْتَحْضِرِينَ لِقُرْبِهِ، فَتَسْكُنُ كَذَلِكَ قُلُوبُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ نَفُوسُهُمْ.

ووصفهم بِأَنَّهُمْ عَنِ الْكَلَامِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ مُعْرِضُونَ رَغْبَةً عَنْهُ، وَتَنْزِيهًا لِأَنْفُسِهِمْ، وَكَفًّا لِأَلْسِنَتِهِمْ عَنِ اللَّغْوِ وَالْمَحْرَمَاتِ.

ووصفهم بِأَنَّهُمْ مُؤَدُّونَ لَزَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِ الْأَمْوَالِ، مُزَكِّينَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَدْنَسِ الْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِيءِ الْأَعْمَالِ.

حَافِظُونَ لِفُرُوجِهِمْ مِنَ الزَّانَا وَمُقَدِّمَاتِهِ: كَالنَّظَرِ، وَاللَّمْسِ، وَنَحْوِهِمَا، فَحَفِظُوا فُرُوجَهُمْ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ مِنَ الْإِمَاءِ الْمَمْلُوكَاتِ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ بِقُرْبِهِمَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَحَلَّهُمَا.

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ زَوْجًا﴾ غَيْرَ الزَّوْجَةِ وَالسَّرِيَّةِ⁽¹⁾ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الَّذِينَ تَعَدَّوْا مَا أَحَلَّ اللَّهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ، وَعُمُومُ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ، وَالْعَادَةِ السَّرِيَّةِ «نِكَاحِ الْبَيْدِ»، أَوْ تَفْرِيعِ الشَّهْوَةِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ.

(1) السَّرِيَّةُ - بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْيَاءِ - : الْجَارِيَةُ الْمُتَّخَذَةُ لِلْمَلِكِ وَالْجِمَاعُ، وَالْجَمْعُ السَّرَارِيُّ.

ووصفهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ﴾ أي: مُراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عامٌ في جميع الأمانات التي هي حقُّ الله، وحقُّ العباد.

ووصفهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يُداومون عليها في أوقاتها، وحُدودها، وأشراطها، وأركانها، فمدحهم بالخُشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها.

﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَوَسْطُهَا وَأَفْضَلُهَا؛ لِأَنَّهُمْ حَلَّوْا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ أَعْلَاهَا وَذُرْوَتَهَا، ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) لَا يَطْعَنُونَ عَنْهَا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أَكْمَلِ النَّعِيمِ وَأَفْضَلِهِ وَأَتَمِّهِ، مِنْ غَيْرِ مُكَدَّرٍ وَلَا مُنْغَصٍّ (١).

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ (الأنفال: 2-4).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وصف الله - تعالى - المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره؛ وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه» (٢).

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ أي: حُجَّتُهُ، وهي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: يَقِينًا وَطَمَأْنِينَةً نَفْسٍ إِلَى مَا عِنْدَهُمْ.

(1) انظر «تفسير ابن سعدٍ» (ص 547 - 548).

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (4/ 282).

وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ رحمته وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَتَفَاضُلِهِ فِي الْقُلُوبِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ، بَلْ حَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٍ: كَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَأَبِي عُبَيْدٍ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ⁽¹⁾ أَي: لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ غَيْرَهُ، وَلَا يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

ولما ذكر - تعالى - أعمالهم الحسنة أعمال القلوب: مِنَ الْحَشِيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوَكُّلِ - أَعْقَبَهُ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ: مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ⁽¹⁾. أَي: يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فَرَائِضَ وَنَوَافِلَ بِأَعْمَالِهَا الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ: كَحُضُورِ الْقَلْبِ فِيهَا، الَّذِي هُوَ رُوحُ الصَّلَاةِ وَلُبُّهَا.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ التَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ: كَالزَّكَاةِ، وَالكَفَّارَاتِ، وَالتَّنْفِقَةِ عَلَى الزَّوْجَاتِ وَالْأَقْرَابِ، وَالمُسْتَحَبَّاتِ: كَالصَّدَقَةِ فِي جَمِيعِ طُرُقِ الْخَيْرِ.

﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ﴿هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ لِأَنَّهم جَمَعُوا بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، بَيْنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، بَيْنَ أَدَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَي: عَالِيَةٌ بِحَسَبِ عُلُوِّ أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لِدُنُوبِهِمْ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هُوَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ⁽²⁾.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ:

(1) «محاسن التأويل» (8/9-10).

(2) انظر «تفسير ابن سعد» (ص315).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١٥) ﴿ (الحجرات: 15).

فقوله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: على الحقيقة.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: مَنْ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّ مَنْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْإِيمَانِ التَّامِّ فِي الْقَلْبِ.

وقوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ أي: الَّذِينَ صَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْجَمِيلَةِ (1).
وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيَامُهُمْ بِوَجِبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَطَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) ﴿ (التوبة: 71).

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ لِإِخْوَانِهِمْ مَا يُحِبُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ.
فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (2) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلی الله علیه و آله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله: «قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وَمِنْ الْإِيمَانِ - أَيْضًا - أَنْ يُغْضَ
لِأَخِيهِ مَا يُغْضُ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ؛ لِأَنَّ حُبَّ الشَّيْءِ مُسْتَلْزِمٌ لِبُغْضِ نَقِيضِهِ،
فَتَرَكَ التَّنْصِيصَ عَلَيْهِ اِكْتِفَاءً» (3).

(1) انظر المرجع السابق (ص 802).

(2) رواه البخاري (13)، ومسلم (45).

(3) «فتح الباري» (1/74).

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

قال الحافظ رحمه الله: «فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجَهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، إِمَّا بِالْمُبَاشَرَةِ وَإِمَّا بِالسَّبَبِ - عَلِمَ أَنَّهُ سَبَبُ بَقَاءِ نَفْسِهِ الْبَقَاءَ الْأَبَدِيَّ فِي النَّعِيمِ السَّرْمَدِيِّ، وَعَلِمَ أَنَّ نَفْعَهُ بِذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الْإِنْتِفَاعَاتِ؛ فَاسْتَحَقَّ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ أَوْفَرَ مِنْ غَيْرِهِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - ثمرات الإيمان :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ.

فَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧) (النحل: 97).

(1) رواه البخاري (15)، ومسلم (69).

(2) «فتح الباري» (1/76).

والحياة الطيبة - أيها الناس - هي: طمأنينة القلب، وسكون النفس، والرزق الحلال الطيب المبارك، ثم ماذا بعد - أيها الناس - ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أي: في الآخرة ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من أصناف اللذات، فيؤتيهم الله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، فحسنة الدنيا: العلم والإيمان، وحسنة الآخرة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ومن ثمرات الإيمان - أيها الناس - محبة الله - سبحانه وتعالى - ، ومحبة المؤمنين، كما قال ربنا - جل في علاه - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يُحِبُّ اللهُ - تعالى - : أَنَّهُ يَغْرُسُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ (وهي الأعمال التي ترضي الله - عز وجل - لمتابعتها الشريعة المحمدية) يَغْرُسُ لَهُمْ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مَحَبَّةً وَمَوَدَّةً، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ»⁽¹⁾.

ومن ثمرات الإيمان - أيها الناس - البشري في الدنيا والآخرة، كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿الْأَبْرَارِ أَوْلِيَاءُ اللهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (يونس: 62-64).

أيها الناس، أما البشارة في الدنيا فهي: الشناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 193).

وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ: فَأَوْلَاهَا الْبِشَارَةُ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ،
وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت: 30).

وفي القبر ما يبشّر به من رضا الله - تعالى -، والنعم المقيم.
وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنّات النعيم، والنّجاة من العذاب الأليم⁽¹⁾.
وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دِفَاعُ اللهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا
قَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

(الحج: 38).

أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا إِخْبَارٌ وَوَعْدٌ وَبِشَارَةٌ مِنَ اللهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنْهُمْ كُلَّ
مَكْرُوهِ، وَيُدْفِعُ عَنْهُمْ كُلَّ شَرٍّ - بسبب إيمانهم - : مِنْ شَرِّ الْكُفَّارِ، وَشَرِّ وَسْوَسةِ
الشَّيْطَانِ، وَشَرِّ أَنْفُسِهِمْ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ، وَيَحْمِلُ عَنْهُمْ عِنْدَ نُزُولِ الْمَكَارِهِ مَا لَا
يَتَحَمَّلُونَ، فَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ غَايَةَ التَّخْفِيفِ، كُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْمُدَافَعَةِ وَالْفَضِيلَةِ
بِحَسَبِ إِيْمَانِهِ، فَمَسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْتَرٌ⁽²⁾.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا وَعَدَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِهِ الْمُؤْمِنِينَ: مِنْ
الْجَنَّاتِ، وَالْمَسَاكِنِ الطَّيِّبَةِ، وَالرِّضْوَانِ، كَمَا قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَعَدَ اللهُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَدِكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عِنْدُ
وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (التوبة: 72).

(1) انظر «ابن سعدي» (ص 368).

(2) المرجع السابق (ص 539).

ف قوله: ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يَبْغُونَ عنها حولا، ﴿وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قد زخرت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، ﴿وَرِضْوَانٍ مِنْ اللَّهِ﴾ يحله لأهل الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما هم فيه من النعيم؛ فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، فرضا الله أكبر من نعيم الجنات.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده⁽¹⁾ وكرمه، فهو جواد كريم، مجيب من دعاه، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) انظر المرجع السابق (ص 344).

من أسباب دخول الجنة

15

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَعَلَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِدُخُولِ الْجَنَّةِ أَسْبَابًا وَأَعْمَالًا، مَنْ أَتَى بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا فَاتَى لَهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ؟!، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (المائدة: 72).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

(1) رواه البخاري (3435)، ومسلم (28).

وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَاعَةُ اللَّهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

(النساء: 13).

وفي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قالوا: يا رسول الله، وَمَنْ يَأْبَى؟! قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيَبْرَأ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة: 25).

وفي «صحیح البخاري»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ - كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

(1) رواه البخاري (7280).

(2) رواه البخاري (2790).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 133).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة. قال: «تقوى الله، وحسن الخلق».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. فقال: «الفرج».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - الإخلاص.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٤٤) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٥﴾ فَوَكِّرْهُمْ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٧﴾ (الصفات: 40-43).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - المشي في طلب العلم الشرعي.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (2/291)، والتزمذي (2004)، وابن ماجه (4246)، وصححه الألباني في «الصحيح» (977).

(2) رواه البخاري (425)، ومسلم (33).

(3) رواه مسلم (2699).

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّبْرُ وَالِاحْتِسَابُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿أَوْلَيْكَ يُجْرَوْنَ الْعُرْفَةَ

بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِيدٌ فِيهَا حَسَنَةٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

(الفرقان: 75-76).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ قَالَ لِعَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟. قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتِ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصِّدْقُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ (المائدة: 119).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدْقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

(1) رواه البخاري (5652)، ومسلم (2576).

(2) رواه البخاري (6094) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومسلم (2607).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلًا»⁽²⁾، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٤٦﴾﴾ (الرحمن: 46).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ فَإِنَّ

الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ (النازعات: 40-41).

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» وَ«النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَطِيطَةٍ⁽⁴⁾ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : انظروا إلى عبدي هذا، يُؤَذِّنُ وَيُقيمُ لِلصَّلَاةِ؛ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَأُتْحَيْنَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ».

(1) رواه البخاري (662)، ومسلم (669).

(2) التزل - بضم تين - : ما يهتأ للضيف عند قدومه.

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1203)، والنسائي (667)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (8102).

(4) الشطيطية - بزنة السحبية - : القطعة تنقطع من الجبل، ولا تنفصل عنه، والجمع الشطايا.

(5) رواه البخاري (652)، ومسلم (1914)، واللفظ له.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَّةُ الْأَرْحَامِ .
 ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ . فَقَالَ الْقَوْمُ : مَالَهُ ؟ ، مَالَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 «أَرَبُّ مَالَهُ»⁽²⁾ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي
 الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» .

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ،
 وَقِيَامُ اللَّيْلِ .

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» و«ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾
 مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا
 السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ - تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» .
 وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْبِيَةُ الْبَنَاتِ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِنَّ .

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ
 أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ - أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ -
 فَاتَّقَى اللَّهَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ - كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَأَوْمَأَ بِالسَّبَّاحَةِ»⁽⁵⁾ وَالْوُسْطَى .
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

(1) رواه البخاري (5983) - وَاللَّفْظُ لَهُ - ، ومسلم (13) .

(2) الأرب - بفتحين - : الحاجةُ ، و(ما) زائدةٌ ، كأنه قال : له حاجةٌ ما .

(3) «صحيح» : أخرجه الترمذي (2485) ، وابن ماجه (3251) ، وهو في «الصحيحه» (569) .

(4) «صحيح» : أخرجه أحمد (156 / 3) ، وهو في «الصحيحه» (295) .

(5) السَّبَّاحَةُ : الإصْبَعُ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ ؛ لِأَنَّهَا يُشَارُ بِهَا عِنْدَ التَّسْبِيحِ .

الخطبة الثانية - من أسباب دخول الجنة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - أسباب دخول الجنة الحديث عنها ذو شجون، فلا يزال الشريط طويلاً، والسجل حافلاً، وقد تقدم ذكر بعض أسباب دخول الجنة، وهأنأ أتواصل معكم بذكر زيادة على ما تقدم ذكره.

أيها الناس، من أسباب دخول الجنة لين الكلام مع الناس كافة، وهو عنوان الأخلاق الطيبة.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة عرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن أطعم الطعام، وآلان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - حفظ اللسان والفرج.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يضمن لي ما بين لحييه⁽³⁾ وما بين رجليه، أضمن له الجنة».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - طاعة ولي الأمر في طاعة الله.

(1) «حسن»: أخرجه أحمد (5/343)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (2123).

(2) رواه البخاري (6474).

(3) اللحيان - بالفتح - : العظمان في جانبي الفم، وجمع اللحي ألح ولحي.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «ظلال الجنة»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من عبد الله لا يشرك به شيئاً، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وسمع وأطاع - دخل الجنة من أي الأبواب الثمانية شاء». ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - حسن الخلق.

ففي «مسند أحمد» و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله، وحسن الخلق». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. فقال: «الفرج والفرج».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - عدم سؤال الناس.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث ثوبان رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئاً، فاتكفل له بالجنة؟».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث عياض بن حمار رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال».

(1) «حسن»: أخرجه أحمد (5/ 325)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (1027).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (2/ 291)، والترمذي (2004)، وابن ماجه (4246)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (977).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1643)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6604).

(4) رواه مسلم (2865).

فقوله: «عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» أي: فقير، ولكنه متعفف لا يسأل الناس شيئاً؛ يحسبه الجاهل غنياً من التعفف.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِنظَارُ الْمُعْسِرِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنِ الْمُوَسِّرِ.
ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِي مَنْ قَبْلِكُمْ، أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟، قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايَعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَارِيهِمْ، فَأَنْظِرُ الْمُوَسِّرَ، وَأَتَجَاوِزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كِفَالَةُ الْيَتِيمِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا -».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِيَادَةُ الْمَرِيضِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟. قَالَ: «جَنَاهَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - بُرُّ الْوَالِدَيْنِ.

(1) رواه البخاري (3451) - واللفظ له - ، ومسلم (1560).

(2) رواه البخاري (5304) - واللفظ له - ، ومسلم (2983).

(3) رواه مسلم (2568).

ففي «مسند أحمد»⁽¹⁾ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»، والوداعيُّ في «الصحيح المسند» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نمتُ فرأيتني في الجنة، فسمعتُ صوتَ قارىءٍ يقرأ، فقلتُ: مَنْ هذا؟» قالوا: هذا حارثةُ بنُ النُّعمانِ». فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك البرُّ، كذلك البرُّ - وكان أبرَّ النَّاسِ بأُمَّه -».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنةِ - أيها النَّاسُ - السَّماحةُ في البَيْعِ.

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»⁽²⁾ من حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَدْخَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - رَجُلًا كان سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وبائعًا، وقاضيًا، ومقتضيًا - الجنةَ».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنةِ - أيها النَّاسُ - التَّواضعُ وَخَفْضُ الجَنَاحِ.

ففي «الصَّحيحين»⁽³⁾ من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأهلِ الجنةِ؟، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأهلِ النَّارِ؟، كُلُّ عَتَلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ».

قال ابنُ حجرٍ رضي الله عنه: «والمُرَادُ بالضَّعِيفِ: مَنْ نَفْسُهُ ضَعِيفَةٌ لتواضعِهِ وَضَعْفِ حالِهِ في الدُّنيا، والمُسْتَضَعِّفُ: المُحْتَقِرُ لِحُمُولِهِ في الدُّنيا»⁽⁴⁾.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (166/6)، والحاكم (208/3)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (3371)، والوداعيُّ في «الصَّحيح المسند» (1536).

(2) «حسنٌ»: أخرجه ابنُ ماجه (2202)، والنَّسائيُّ في «الصُّغرى» (4700)، واللفظُ لَهُ وَحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (1181).

(3) رواه البخاريُّ (4918)، ومسلم (2853).

(4) «الفتح» عند شرح حديث رقم (4918).

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ أَدِيَّةِ الْجَارِ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رجلٌ: يا رسولَ الله، إنَّ فلانةَ يذكرُ من كثرةِ صلاتِها، وصيامِها، وصدقِتها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النَّارِ». قال: يا رسولَ الله، فإنَّ فلانةَ يذكرُ من قلةِ صيامِها، وصدقِتها، وصلاتِها، وإتِّها تصدَّقُ بالأتوادِ (أي: الجبنِ المُجفَّفِ)، ولا تُؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الْغَضَبِ.

فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا تغضبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ».

والمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : لا تَعْمَلْ بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ إِذَا حَصَلَ لَكَ، بَلْ جَاهِدْ نَفْسَكَ فِي تَرْكِ تَنْفِيذِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُكَ بِهِ غَضَبُكَ. وَقَبْلَ أَنَّهُ أُوْدِعَ مَقَامِي هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذَكَّرُكُمْ بِسَبَبٍ عَظِيمٍ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، إِنَّهُ الدُّعَاءُ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»، والوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (2/440)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (190).

(2) «صحيح»: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (2353)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (7374).

(3) «صحيح»: أخرجه أحمد (3/117)، والترمذي (2572)، والنسائي (8/279)، وابن ماجه (7340)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (6275)، والوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (123).

الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهِ مِنَ النَّارِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «..... فإذا سألتُم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أراه قال: وفوقه عرش الرحمن - ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، اللَّهُمَّ ادْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَأَجِرْنَا مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.



(1) رواه البخاري (2790).

وَصْفُ الْحُورِ الْعِينِ

16

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ وَصْفِ الْحُورِ الْعِينِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا شَكَّ أَنْ أَجْمَلَ الْمُشْتَهَاتِ عِنْدَ بَنِي آدَمَ هِيَ لَذَّةُ الزَّوْاجِ، وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِهَا فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا فِيهَا مِنْ هُمُومٍ وَأَحْزَانٍ - فَهِيَ فِي الْآخِرَةِ تَجْمَعُ بَيْنَ نَعِيمِ النَّفْسِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَحَيَاتُهُمْ خَالِيَةٌ مِنَ الْهُمُومِ، وَقُلُوبُهُمْ صَافِيَةٌ مِنَ الدَّغْلِ.

فَهِمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ

مُنْقَلِبِينَ﴾ (الحجر: 47).

أيها الناس، إن الله - سبحانه وتعالى - بشر المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات بشارة على أسهل شيء عليهم.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكَ ذِكْرَهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمًا ۚ ﴾ (البقرة: 25).

والمطهرة - أيها الناس - كما يقول ابن القيم رحمته : «من طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر، وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر بذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبداء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ»⁽¹⁾.

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (الدخان: 54).

والحوراء - أيها الناس - كما يقول مجاهد: «التي يجار فيها الطرف؛ من رقة الجلد، وصفاء اللون»⁽²⁾.

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرَبَاءِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لَهُنَّ نِسَاءٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جِانٌ ﴾ (الرحمن: 56-58).

قال ابن القيم رحمته : «المفسرون كلهم على أن المعنى: قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم»⁽³⁾.

(1) «حادي الأرواح» (ص 283 - 284).

(2) المرجع السابق (ص 284).

(3) المرجع السابق (ص 287).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فِي خَيْرَاتٍ حَسَنًا ﴾ (٧٠) (الرحمن: 70).

«أي: خيرات الأخلاق، حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخلق والخلق»⁽¹⁾.

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ (٣١) ﴿ حَادِقِينَ وَأَعْنَابًا ﴾ (٣٢) ﴿ وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا ﴾ (٣٣)

(النبا: 31-33).

فالكواعب - أيها الناس - كما يقول الكلبي: «هن اللواتي تكعبن ثديهن». والمراد: أن ثديهن نواهد كالرمان، ليست متدلّية إلى أسفل، ويسمّين نواهد وكواعب، كما يقول العلامة ابن القيم رحمته⁽²⁾.

أيها الناس، هل من نساء الدنيا من إذا طلعت علينا، فأضاءت غرقة صغيرة، من حسنها؟ فهذا لن يحصل، ولكن لو أن امرأة من الحور العين اطلعت على أهل الأرض، لأضاءت ما بين المشرق والمغرب بل لملأت مشارق الأرض ومغاربها ريحا عطرة عبقّة، فهذا ما يُخبرنا به الصادق المصدوق عليه السلام.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لروحة في سبيل الله، أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني: سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما، وملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

(1) «تفسير السعدي» (ص 831 - 832).

(2) «حادي الأرواح» (ص 292).

(3) رواه البخاري (2796).

وَمَعْنَى «نَصِيفُهَا»: أَي: حِمَارُهَا، فَالْحِمَارُ مِنْ مَحَاسِنِ الْجَمَالِ.
وَلشِدَّةِ جَمَالِ الحُورِ العِينِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يُرَى مُخٌ سَاقِ الحُورَاءِ مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ
مِنَ الحُسْنِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ: «أَوَّلُ
زُمرَةٍ⁽²⁾ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَا يَبْصِقُونَ فِيهَا، وَلَا
يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، أَنَيْتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ⁽³⁾
مِنَ الأَلْوَةِ⁽⁴⁾، وَرَشْحُهُمْ المِسْكَ، وَلكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخٌ سَاقِيهَا مِنْ
وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ،
يُسَبِّحُونَ اللهَ بَكْرَةً وَعَشيًّا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ نِسَاءَ الحُورِ لَيُغْنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ الأَصْوَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا لَنَا نَبِيْنَا
صلَّى الله عليه وآله طَرْفًا مِنْ ذَلِكَ.

ففي «الصَّغِيرِ»، وَ«الأَوْسَطِ» لِلطَّبْرَانِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي
«صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله: «إِنَّ
أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغْنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ، مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا

(1) رواه البخاري (3245)، ومسلم (2834).

(2) زُمرَةٌ - بِالضَّمِّ - : جَمَاعَةٌ، وَالجَمْعُ زُمرٌ.

(3) المَجَامِرُ: جَمْعُ مِجْمَرَةٍ، وَهِيَ المَبخَرَةُ، سُمِّيَتْ مِجْمَرَةً؛ لِأَنَّهَا يُوَضَّعُ فِيهَا الجَمْرُ؛ لِيَفُوحَ بِهِ مَا يُوَضَّعُ فِيهَا
مِنَ البَحُورِ.

(4) الأَلْوَةُ - بفتح الهمزة ويجوز صَمُّهَا، وَبِضْمِ اللَّامِ، وَتَشْدِيدِ الواوِ - : العُودُ الهِنْدِيُّ الَّذِي يُبَخَّرُ بِهِ.

(5) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» (6492)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (3749).

يُغْنِيَنَّ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرُونَ بِقَرَّةٍ أَعْيَانٍ، وَإِنَّ مِمَّا يُغْنِيَنَّ بِهِ:

نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتُّهُ،

نَحْنُ الْأَمَنَاتُ فَلَا نَخْفَعُهُ،

نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَطْعَنُهُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لغيره، كما قال الألبانيُّ في «صحيح التَّوْبِغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْخُورَ فِي الْجَنَّةِ، يُغْنِيَنَّ، يَقْلُنَ: نَحْنُ الْخُورُ الْحَسَنَاتُ، هُدِينَا لِأَزْوَاجِ كِرَامٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ أَوْصَافِ الْخُورِ الْعَيْنِ، كَمَا وَصَفَهُنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِفَ امْرَأَةً مُعِينَةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا؛ وَسَدًّا لِلدَّرِيْعَةِ، الَّتِي قَدْ تُفْضِي إِلَى الْفِتْنَةِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، فَتَنْتَعَهَا لَزْوَجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا».

بَلْ إِنَّهُ صلى الله عليه وسلم حَدَّرَ مِنْ دُخُولِ الْمُخْتَلِينَ عَلَى النِّسَاءِ؛ لِئَلَّا يَصِفُوهُنَّ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ.

(1) «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (6493)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّوْبِغِيبِ»:

(3750): صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5240).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ مُحَنَّتًا⁽²⁾ كَانَ عِنْدَهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي أُمِّيَّةَ، إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَإِنِّي أَذُكُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ⁽³⁾، قَالَ: فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ».

أيها النَّاسُ، هَذَا التَّحْذِيرُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ وَصْفِ نِسَاءِ الدُّنْيَا الْمُعَيَّنَاتِ مِنْهُنَّ، فَمَاذَا نَقُولُ فِي صُورِ النِّسَاءِ، وَقَدْ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ انْتِشَارًا فَضِيعًا، سِوَاءٍ فِي الْفَضَائِلِ، أَوْ الصُّحُفِ السَّيَّارَاتِ؟!، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - مهر الحور :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ أَمَامَكُمْ وَصَفُ الْحُورِ الْعَيْنِ، وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ مَهْرِهِنَّ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

(1) رواه البخاري (4324)، ومسلم (2180).

(2) الْمُحَنَّتْ - بفتح النون وبكسرها - : مَنْ يُشَبِّهُ خُلُقَهُ النِّسَاءِ فِي حَرَكَاتِهِ، وَكَلَامِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْلِ الْخُلُقَةِ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ لَوْمٌ؛ وَهَذَا لَمْ يُنْكَرِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَوْلَا دُخُولَهُ عَلَى النِّسَاءِ، وَإِنْ كَانَ يَقْصِدُ مِنْهُ وَتَكَلَّفَ لَهُ، فَهُوَ الْمَذْمُومُ الَّذِي جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ لَعْنُهُ.

(3) تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ: يَعْنِي بِأَرْبَعِ عُرْنٍ مِنَ الْأَمَامِ (وهو ما تثنى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ نَتِيجَةُ السُّمْنَةِ)، وَثَمَانِي عُرْنٍ مِنَ الْخَلْفِ (أَرْبَعٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ وَصَفَ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - مَهْرَ الْحُورِ الْعَيْنِ بَعْدَةَ أَوْصَافٍ،
يَجْمَعُهَا وَصْفٌ جَامِعٌ مَانِعٌ هُوَ التَّقْوَى، فقال - سُبْحَانَهُ، - ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٥١)
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (٥٢) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ
﴿ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ (٥٣) لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعْنَا لَهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ (٥٤) (الدخان: 51-56).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - ﴿ قُلْ أُوْتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِمَنِ لَدُنَّ أَنْعَمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٥٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكُنَا فَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ (٥٦) الصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿ (٥٧) (آل عمران: 15-17).

وَمِنْ مَهْرِ الْحُورِ الْعَيْنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى،
وَأَهْلُهُ هُمُ السَّابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ
﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿ يَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿ يَأْكُوبُوا وَأَنْهَارِيهِمْ وَكَأْسٌ مِنْ مَعِينٍ ﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿ وَقَدْ كَفَّهُمْ فِيهَا
يَتَخَفَتُونَ ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿ كَأَمْثَلِ الذُّلْفِ الْمَكُونِ ﴿ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (٥٨)
﴿ (الواقعة: 10-24).

فَالسَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْخَيْرَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُمُ السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ لِدُخُولِ
الْجَنَّةِ، وَالزَّوْجِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ.
وَمِنْ مَهْرِ الْحُورِ الْعَيْنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِحْلَاصُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّنْ كَفَرُوا ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذَفَّرُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

(الصفات: 40-49).

وَمِنْ مَهْرِ الحُورِ العِينِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الحُوفُ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿: وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٥١﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٥٣﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٥﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ذَوَّجَانِ ﴿٥٧﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ مَثْرَبَيْنِ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٩﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِنِسِّ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌّ ﴿٦١﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٣﴾ فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٥﴾ (الرحمن: 46-60).

فَالَّذِي يَخَافُ رَبَّهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِفِعْلِ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَا عَنْهُ - لَهُ جَنَّاتٍ بِمَا فِيهَا، وَزُوجٍ بِقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ، قَصْرُنَ طَرْفُهُنَّ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِهِنَّ وَجَاهِلِهِنَّ وَكَمَالِ مَحَبَّتِهِنَّ، وَهَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ فِي عِبَادَتِهِ إِلَّا ذَلِكَ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ؟!.

﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة: 201).



ذِكْرُ اللَّهِ

17

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

وَذِكْرُ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ، وَأَحَبِّهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ فَضَّلَهُ لِعَظِيمٍ، حَثَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَافِلَةً بِالْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ قُوَّةُ الْقُلُوبِ، وَرَبِيعُ الْأَجْسَادِ، وَالسَّبَبُ الْمَوْصِلُ إِلَى اللَّهِ، وَالذَّارِ الْآخِرَةِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِهِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152).

(البقرة: 152).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 205).

قال العلامة ابنُ سعديٍّ رحمته: «أمر الله عبده ورسوله محمدًا أصلًا، وغيره تبعًا - بذكر ربه في نفسه أي: مُخْلِصًا خَالِيًا. ﴿تَضَرُّعًا﴾: أي: مُتَضَرِّعًا بلسانك. ﴿وَخِيفَةً﴾: في قلبك، بأن تكون خائفًا من الله، وَجَلَّ الْقَلْبُ مِنْهُ ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ﴾ أي: كُنْ مُتَوَسِّطًا، لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافِتْ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿بِالْفِعْلِ﴾ أَوَّلِ النَّهَارِ ﴿وَالْأَصَالِ﴾ آخِرُهُ ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ» (1).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 41-42).

قال ابنُ عباسٍ رحمتهما: «إنَّ اللهَ لم يَفْرِضْ على عِبَادِهِ فَرِيضَةً، إِلَّا جَعَلَ لها حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ عَدَرَ أَهْلِهَا في حالِ العُدْرِ إِلَّا الذِّكْرَ، فَإِنَّ اللهَ لم يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، ولم يَعْدِرْ أَحَدًا في تَرْكِهِ إِلَّا مَعْلُوبًا على عَقْلِهِ، فقال: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفُودًا وَعَلَى جُوبِكُمْ﴾ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴿(النساء: 103). وبالليل والنهار، وفي البرِّ والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كلِّ حالٍ، وقال: ﴿سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿(الأحزاب: 42). فإذا فعلتم ذلك، صلى عليكم هو وملائكته» (2).

والله - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - ذَكَرَ الذَّاكِرِينَ على جِهَةِ المَدْحِ والشَّانِ عَلَيْهِم، وَرَتَّبَ لَهُمُ الأَجْرَ العَظِيمَ، والمَغْفِرَةَ لذنُوبِهِم، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ؟.

(1) «تفسير ابنِ سعديٍّ» (ص 314) بتصرف.

(2) «جامع البيان» للطبري (13/22).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: 35).

وَمَدَحَ اللَّهُ الذَّاكِرِينَ بِأَتَمِّهِمْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا، وَقُعُودًا، وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران: 191).

أَيُّهَا النَّاسُ، فَمَعَ مَا فِي الذِّكْرِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ، فِيهِ تَحْصُلُ طَمَآنِينَةُ الْقُلُوبِ وَأَنْشِرَاحُهَا، وَبَهَّجَتُهَا وَصَلَّاحُهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الذِّكْرَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَخَيْرٌ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ»⁽²⁾، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ».

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي ذِكْرِ اللَّهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، حَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، حَيَاةُ الْأَبْدَانِ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3377)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1493).

(2) الْوَرِقُ - بَكَسْرِ الرَّاءِ وَيُسَكَّنُ -: الْفِضَّةُ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ من حديث أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ مِنَّا لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ؟!، فَالْأَمْرُ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانَ، سَبَّ الْمُفْرَدُونَ». قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، الذَّاكِرُونَ اللَّهَ يَكْفِيهِمْ أَنْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَيَكْفِيهِمْ ذِكْرُ اللَّهِ لَهُمْ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الذِّكْرِ؛ فَهُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةٌ سَيَّارَةٌ فَضُلًّا، يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِنْ وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

(1) رواه البخاريُّ (6407) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومسلم (779).

(2) رواه مسلم (2676).

(3) أخرجه البخاريُّ (7405) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومسلم (2675).

(4) أخرجه البخاريُّ (6408)، ومسلم (2689) - وَاللَّفْظُ لَهُ -.

السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - (وهو أعلمُ بِهِمْ): مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟. فيقولون: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وماذا يَسْأَلُونِي؟. قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟. قالوا: لا، أَيْ (1): رَبِّ. قَالَ: فكيف لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟! قالوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟. قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟. قالوا: لا. قَالَ: فكيف لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ: فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: رَبِّ، فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فيقولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وفي «صحیح مسلم» (2) من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَجْمَلَ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ وَلِسَانُهُ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ!

ففي «صحیح ابنِ حَبَّانَ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: آخِرُ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟. قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ».

(1) أَيْ - بِرِئَةِ كَيْ - : حَرْفٌ لِنِدَاءِ الْقَرِيبِ.

(2) رواه مسلم (2700).

(3) «حَسَنٌ»: رواه ابنُ حَبَّانَ (2318)، وابنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (2)، وَالزَّيَّارُ (295)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (1072)، وابنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (1340)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (906).

وتلك - أيها الناس - وصية رسول الله ﷺ لمن كثرت عليه شرائع الإسلام.
 ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽¹⁾
 من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام
 قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبّث به قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله».
 أيها الناس، قد جاء الترهيب من عدم الذكر في المجلس.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون من
 مجلس، لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة».
 أيها الناس، هل بلغكم كيف كان أسوة الحسنّة، والرّحمة المهداة يذكّر الله؟، ها
 هي عائشة رضي الله عنها تخبرنا، فتقول - كما في «صحيح مسلم»⁽³⁾: «كان النبي ﷺ يذكّر
 الله على كل أحيانه».

قال النووي رحمته: «والمقصود: أنه ﷺ كان يذكّر الله - تعالى - متطهراً،
 ومحدّثاً، وجنباً، وقائماً، وقاعداً - ومضطجعاً، وماشياً، والله أعلم»⁽⁴⁾.
 مثل ذلك - أيها الناس - فكونوا.
 وأستغفر الله.

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3375)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2687).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4855)، وصححه الألباني في «الصحيح» (77).

(3) رواه مسلم (373).

(4) انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» عند شرحه لحديث (373).

الخطبة الثانية - الذكر عبادة الكائنات :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن ذكر الله، وفيما يأتي الحديث عن ذكر الكائنات لله رب العالمين.

أيها الناس، لم يقتصر الذكر بكونه عبادة الإنسان، والملائكة، والجن فقط، بل هو عبادة جميع الكائنات: من أرض، وسماء، وشجر، ومدبر⁽¹⁾، وجبال، ونبات.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿كُلُّ لَهْ قَنِينُونَ ﴿٣١﴾﴾ (البقرة: 116).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: 1).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (الإسراء: 44).

قال القرطبي رحمه الله: «أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل؛ لما أسند إليهما من فعل العاقل، وهو التسبيح»⁽²⁾.

وقال الله - سبحانه، وتعالى - عن الجبال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ

وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٨﴾﴾ (الأنبياء: 79).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾

(ص: 18).

(1) المدبر - بفتحين - : قطع الطين اليابس، واحده مدرة.

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (10/266).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَآتِفٌ بِرَبِّهِمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: 44).

وحكى الله - سبحانه وتعالى - عن الملائكة قَوْلَهُمْ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾ (الصفات: 165-166).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُسِيحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء: 20).
وفي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُلَبَّبٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ: مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدْرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا».

وقال الله - سبحانه وتعالى - عَنِ الرَّعْدِ: ﴿ وَيُسِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ (١٣) (الرعد: ١٣).

قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رضي الله عنه: «إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ اشْتَهَرَ تَسِيحُ الْحَصَى، وَحَيْنُ الْجِدْعِ، وَلَمْ يُكذَّبْ رُؤَايَاهَا»⁽²⁾.

وَأَخْبَرَنَا نَبِيئًا رضي الله عنه عَنِ الْجِنِّ، كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽³⁾ من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(1) «صحيح»: أخرجه ابن ماجه (2921)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (6363).

(2) «الفتح» (592/6).

(3) «صحيح»: رواه الترمذي (3291)، صحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (2624).

على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَأَيُّ آيَةٍ آتَيْنَاكَ تَكْذِبَانِ﴾، قالوا: لا بشيء من نعمك - ربنا - نكذب، فلَكَ الحمد». وأخبرنا - أيضاً - عن الحيتان، والنمل، والحيل.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه يستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر».

وفي «معجم الطبراني» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله، وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر - ليصلون على معلم الناس الخير».

وفي «سنن النسائي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس من فرس عربي، إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين، يقول: اللهم إنك خولتني⁽⁴⁾ من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه».

وقال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عن الهدد قوله: ﴿الْأَيْسَجِدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٥٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل: 25-26).

(1) «صحيح»: أخرجه ابن ماجه (239)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (195).

(2) «صحيح»: أخرجه الطبراني في «الكبير» (1237)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1838).

(3) «صحيح»: رواه أحمد (2346)، والنسائي (4139)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2414).

(4) يقال: خوله الله الشيء: إذا أعطاه إياه مفضلًا.

وقال الله - سبحانه وتعالى - عن عموم الطير: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
وَالطَّيْرَ﴾ (الأنبياء: 79).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ
صَفَّيْتُ كُلِّ قَدَعٍ لِمَ صَلَاتِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ﴾ (النور: 41).

أيها الناس، نحنُ أحقُّ بذكرِ الله من الحجرِ، والشجرِ، والمدرِ، والنملِ، والحيتانِ،
وعُمومِ الطيرِ، فهل نحنُ فاعلون؟.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ
لَكَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
(البقرة: 201).



الاستغفار

18

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْإِنْسَانُ جُبِلَ عَلَى الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُ قَدْ قُدِّرَتْ عَلَيْهِ الذُّنُوبُ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا أَحَدٌ، حَتَّى أَهْلَ الصَّلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

(النحل: 61).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم».

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيئُهُ مِنَ الزَّنَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ لَا يُفَارِقُهُ، حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خَلِقَ مُفْتَنًا تَوَّابًا نِسَاءً؛ إِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِذَا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنَ، جُبِلَ عَلَى الْمَعَاصِي، وَقُدِّرَتْ عَلَيْهِ الذُّنُوبُ، فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بَعَادِهِ أَنْ فَتَحَ أَمَامَهُمْ بَابَ الْإِسْتِغْفَارِ، آتَاءَ اللَّيْلِ، وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَحَثَّهْمُ عَلَيْهِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ.

(1) رواه مسلم (2749).

(2) رواه البخاري (6212)، ومسلم (2657) - وَاللَّفْظُ لَهُ -.

(3) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2629)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (4515).

(4) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (136/3)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2276).

قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَيُّبُوا لِي رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (الزمر: 53-54).

وقال - سُبْحَانَهُ، - ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (فصلت: 6).

وقال - سُبْحَانَهُ، - ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٣﴾﴾ (البقرة: 199).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (إبراهيم: 10).

أيها الناس، إنَّ أَسْرَعَ الخَلْقِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وإجابةً لندائه هُمُ الأنبياء - عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -⁽¹⁾:

فها هُوَ أَبُوْنَا آدَمَ، وَأُمْنَا حَوَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَمَّا خَالَفَا أَمْرَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ، وَأَزَلَّهَا الشَّيْطَانُ، وَأَوْعَعَهَا فِي الحُطَايَا - بَادِرًا بِالاستغفارِ، فقالا: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأعراف: 23).

وَنُوحٌ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (هود: 47).

ويستغفر رَبَّهُ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَذَوِيهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فيقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ (نوح: 28).

وَالْحَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَقُولُ: ﴿وَالَّذِي أطمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (الشعراء: 82).

(1) انظر «الاستغفار» للعدوي (ص 22 - 23).

وموسى الكليم - عليه الصلاة والسلام - يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَكَ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ (القصص: 16).

ويقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ (الأعراف: 151).

وقال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عن داود - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَوَظَنَّا دَاوُدَ أَنْمَا فَنَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّرَكُمَا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ (ص: 24).

وسليان - عليه الصلاة والسلام - يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ (ص: 35).

أيها الناس، لقد حثَّ الله - سبحانه وتعالى - نبيَّه على الاستغفار، ولنا فيه أسوة حسنة، كما قال ربنا - سبحانه وتعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: 21).

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ (النساء: 106).

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴿٥٥﴾﴾ (غافر: 55).

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ (النصر: 3).

أيها الناس، أذكركم نفسي وإياكم باستغفار الأُسوة الحسنة، والرحمة المهداة ﷺ؛ فإنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنِينَ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث الأعرابي المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي⁽²⁾، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وفي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽⁴⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إِنَّا كُنَّا لَنَعُدُّ فِي الْمَجْلِسِ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» مِائَةَ مَرَّةٍ.

في «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽⁶⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الضُّحَى ثُمَّ قَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» حَتَّى قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ.

(1) رواه مسلم (2702).

(2) يُغَانُ عَلَى قَلْبِي أَي: لِيُعْطَى عَلَيْهِ، أَرَادَ: مَا يَعْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ - تَعَالَى - ، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارَضَ بَشْرِي يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَالْمِلَّةِ وَمَصَالِحِهَا - عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا، فَيَفْرَعُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ.

(3) «صحيح»: رواه ابن ماجه (3815)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (3076).

(4) «صحيح»: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (618)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (556).

(5) رواه مسلم (2702).

(6) «صحيح»: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (619)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب» (482).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ جَبَلَ عَلَى الْخَطَا، وَقُدِّرَتْ عَلَيْهِ الذُّنُوبُ، فاعلموا - علمني الله وإياكم - أَنَّ الْمَذْنِبَ مُمَهَّلٌ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ صَاحِبَ الشُّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتِّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً».

واعلموا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لِلْإِسْتِغْفَارِ آدَابًا، وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ أَنْ يَعِزَّمَ الْعَبْدُ الْمَسْأَلَةَ، فَلَا يَقُولَنَّ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»؛ لِمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعِزَّمَ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - فوائد الاستغفار:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فَوَائِدِ الْإِسْتِغْفَارِ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (2/25)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1209).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6339)، وَمُسْلِمٌ (2679).

وفوائد الاستغفار - أيها الناس - جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ، ولكنْ يَكْفِي مِنَ الزَّادِ مَا يُبْلَغُ
المَحَلَّ، وَمِنَ القِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ.

فَمِنْ فَوَائِدِ الاستغفار - أيها الناس - تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهُ يَجِدِ اللهُ

عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ (النساء: 110).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاستغفار - أيها الناس - أَنَّهُ سَبَبٌ لِسَعَةِ الرِّزْقِ.

قال نُوحٌ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِقَوْمِهِ: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ

عَفَاً ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ (نوح: 10-12).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاستغفار - أيها الناس - أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْمَتَاعِ الحَسَنِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ

مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ (هود: 3).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاستغفار - أيها الناس - أَنَّهُ سَبَبٌ لِحُصُولِ القُوَّةِ فِي البَدَنِ.

قال هُودٌ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِقَوْمِهِ: ﴿ وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ (هود: 52).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاستغفار - أيها الناس - أَنَّهُ سَبَبٌ لِدَفْعِ المَصَائِبِ، وَرَفْعِ البَلَايَا.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(الأنفال: 33).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاستغفار - أيها الناس - أَنَّهُ سَبَبٌ لِبَيَاضِ القَلْبِ، وَصَفَائِهِ وَنِقَائِهِ؛

وذلك لِأَنَّ الذُّنُوبَ تَتْرُكُ أَثْرًا سَيِّئًا وَسَوَادًا عَلَى القَلْبِ.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ⁽²⁾ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبُهُ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14)».

أيها الناس، ما أحوَجنا للاستغفار؛ لإزالة ما قد تعلَّق على قلوبنا من سوادٍ، وما قد رَانَ عليها من ذُنُوبٍ ومَعَاصِيٍّ.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكُ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 16).

﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: 193).

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).



(1) أخرجه أحمد (2/ 297)، و«الترمذي» (3334)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2654).

(2) نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ أَي: أَثَرٌ قَلِيلٌ كَالنَّقْطَةِ شَبِهَ الْوَسْخِ فِي الْمِرْآةِ، وَقَطْرَةُ الْمِدَادِ تَقْطُرُ فِي الْقِرْطَاسِ.

البكاء من خشية الله

19

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْ زَوْجَاهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِلْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، وَأَجْرٌ جَلِيلٌ، وَهُوَ دَلِيلُ الْإِيْمَانِ،

وَشِعَارُ الْيَقِينِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَفْسِهِ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: 23).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْثُوا أَلْعَمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَسَلْنَ عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ

سُجَّدًا ﴿١٧٧﴾ وَقَوْلُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٧٨﴾ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

(الإسراء: 107 - 109).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحًا ﴿مريم: 58﴾.

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه، يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأ في عبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ بالمساجِدِ، ورجلانِ تحابَّبا في الله، اجتمعَا عليه، وتفرقا عليه، ورجلٌ طلبتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصدَّقَ أخفى؛ حتَّى لا تعلمَ شمائلُه ما تُنفقُ يمينُه، ورجلٌ ذكَّرَ اللهُ خاليًا، ففاضتُ عيناهُ».

وفي «سنن الترمذي، والنسائي» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة»⁽²⁾ من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله: «لا يُلجُ النَّارَ رجُلٌ بكى من خشيةِ الله، حتَّى يعودَ اللبنُ في الضرعِ، ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودُخانُ جهنَّمَ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة»⁽³⁾ من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «عينانِ لا تمسُّهما النَّارُ: عينٌ بكَّتْ من خشيةِ الله، وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ الله».

(1) رواه البخاريُّ (660) - واللفظُ له -، ومسلم (1031).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذيُّ (1633)، النسائيُّ في «صحيح النسائي» (2911)، وصحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (3828).

(3) «صحيح»: أخرجه الترمذيُّ (1639)، وصحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (3829).

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «صحيح التَّريغيب»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «حُرِّمَ عَلَى عَيْنَيْنِ أَنْ تَنَاهُمَا النَّارَ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكُفْرِ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألباني في «المشكاة»⁽²⁾ من حديث أبي أَمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تَهْرَأُقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ - تَعَالَى -».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألباني في «صحيح التَّريغيب»⁽³⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسَعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ».

و طُوبَى - أَيُّهَا النَّاسُ - وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا طُوبَى؟، إِنَّهَا شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، مَسِيرَةٌ مِائَةَ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ حَسَنٍ لغيره، كما قال الألباني في «الصَّحِيحَةُ»⁽⁴⁾ من حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، مَسِيرَةٌ مِائَةَ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا».

(1) «صحيح»: «المستدرک» (2/83)، و صحَّحه الألباني في «صحيح التَّريغيب» (1233).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (1669)، و حَسَّنَهُ الألباني في «المشكاة» (3837).

(3) «حَسَنٌ»: أخرجه الطَّبْرَانِيُّ في «الأوسط» (3/21)، و حَسَّنَهُ الألباني في «صحيح التَّريغيب» (4876).

(4) «حَسَنٌ لغيره»: أخرجه أحمدُ (3/71)، وقال الألباني في «الصَّحِيحَةُ» (1985): حَسَنٌ لغيره.

وأخرج ابن المبارك في «الزهد»، وعنه أحمد، والترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽¹⁾ من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، ما النَّجَاهُ؟ قال: «أَمْلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ يَتُّكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

أيها النَّاسُ، لَيْسَ كُلُّ بُكَاءٍ يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ بُكَاءٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ؛ فَالْبُكَاءُ أَنْوَاعٌ ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيْمِ فِي «زَادِ الْمَعَادِ»⁽²⁾:

أحدها - بُكَاءُ الرَّحْمَةِ وَالرَّقَّةِ.

والثَّانِي - بُكَاءُ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ.

والثَّلَاثُ - بُكَاءُ الْمَحَبَّةِ وَالشُّوقِ.

والرَّابِعُ - بُكَاءُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

والخَامِسُ - بُكَاءُ الْجَزَعِ مِنْ وُرُودِ الْمُؤَلِّمِ وَعَدَمِ احْتِمَالِهِ.

والسَّادِسُ - بُكَاءُ الْحُزْنِ.

والسَّابِعُ - بُكَاءُ الضَّعْفِ وَالْحَوْرِ.

والثَّمَانُ - بُكَاءُ النِّفَاقِ، وَهُوَ: أَنْ تَدْمَعَ الْعَيْنُ، وَالْقَلْبُ قَاسٍ.

والثَّلَاثُ عَشَرَ - الْبُكَاءُ الْمُسْتَعَارُ وَالْمُسْتَأْجَرُ عَلَيْهِ: كِبُكَاءِ النَّائِحَةِ بِالْأُجْرَةِ.

والعَاشِرُ - بُكَاءُ الْمُوَافَقَةِ، وَهُوَ: أَنْ يَرَى الرَّجُلُ النَّاسَ يَبْكُونَ لِأَمْرٍ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ،

فِيكِي مَعَهُمْ، وَلَا يَدْرِي لِأَيِّ شَيْءٍ يَبْكُونَ.

(1) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (134)، وعنه أحمد (259 / 5)، والترمذي (65 / 2)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (890).

(2) «زاد المعاد» (1 / 185 - 186) باختصار يسير.

والتنوع الثاني (أي: بكاء الخوف والحشية) هو بيت القصيد، ومربط الفرس، وأكثر بكاء النبي ﷺ منه.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليّ». قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «نعم». فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: 41). قال: «حسبك الآن». فالتفت إليه، فإذا عيناه تذر فان.

وأخرج ابن خزيمة في «صحيحه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث علي رضي الله عنه قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي، حتى أصبح».

وفي «سنن النسائي»، وأبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي، حتى لم يكذب ركع، ثم ركع، فلم يكذب يرفع رأسه، ثم رفع رأسه، فلم يكذب أن يسجد، ثم سجد، فلم يكذب يرفع رأسه، ثم رفع رأسه، فلم يكذب أن يسجد، ثم سجد، فلم يكذب يرفع رأسه، ثم رفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، ويقول: «رب ألم تعذني ألا تعذبهم وأنا فيهم؟!، رب ألم تعذني ألا تعذبهم وهم يستغفرون؟!، ونحن نستغفرك!». فلما صلى ركعتين، انجلت

(1) رواه البخاري (5050)، ومسلم (800).

(2) «صحيح»: ابن خزيمة (899)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (3330).

(3) «صحيح»: أخرجه النسائي (1401)، وأبو داود (1194)، وصححه الألباني في «الإرواء» (262).

السَّمْسُ، فقام فحمد الله - تعالى - ، وأثنى عليه، ثمَّ قال: «إِنَّ السَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا انْكَسَفَا، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ». وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذَا بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟». قِيلَ: عَلَى قَبْرِ يَحْفَرُونَهُ. قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ؛ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، قَالَ: «أَيُّ إِخْوَانِي، لِيُثَلِّ الْيَوْمَ فَأَعِدُّوا».

وفي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّخَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُصَلِّي بِنَا، وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ»⁽³⁾ مِنَ الْبُكَاءِ. وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/ 294)، وَابْنُ مَاجَهَ (4195)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1751).
 (2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (904)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ» (1156)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (3329).
 (3) الْمَرْجَلُ - بِالْكَسْرِ - : قِدْرٌ مِنْ نَحَاسٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ لِحْجَوْفِهِ حَنِينًا كَصَوْتِ غَلِيَانِ الْقِدْرِ إِذَا اشْتَدَّ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - السَّبِيلُ إِلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، الْآخِرِ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنِ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، خَلَقَ فَأَبْدَعَ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، الْقُدُوةِ الْمُجْتَبَاةِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ السَّبِيلِ إِلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

الْعِلْمُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَّا يُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

وَالْعِلْمُ - أَيُّهَا النَّاسُ - : مَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ، وَأَهْلُهُ هُمْ أَهْلُ الْخَشْيَةِ، الَّذِينَ وَصَفَهُمْ خَالَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28).

فَإِذَا طَلَبْنَا الْعِلْمَ، وَحَصَلْنَا عَلَيْهِ، فَمَعَهُ الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِمْ أَوْ لَا تَأْمِنُونَ إِنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: 107-109).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمُ، لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». قَالَ: فَعَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجُوهَهُمْ، لَهُمْ حَنِينٌ.

(1) رواه البخاري (4621)، ومسلم (2359).

والْحَيَيْنُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ: الصَّوْتُ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِالْبُكَاءِ مِنَ الصَّدْرِ، كما قال الحافظُ ابنُ حجرٍ⁽¹⁾.

فَدَلَّ الْحَدِيثُ بِمَفْهُومِهِ وَمَنْطُوقِهِ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ سَبِيلٌ لِلْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمُ».

وَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَدْ حَثَّنَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا﴾ (محمد: 24).

الاستماعُ إِلَى الْمَواعِظِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَكَمْ لِلْمَواعِظِ وَالتَّذْكِيرِ مِنْ أَثَرٍ فِي جَلْبِ الْحُشُوعِ، وَاسْتِدَارَةِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ! وَكَمْ لِلْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَواعِظِ، وَعَدَمِ حُضُورِهَا مِنْ جَلْبِ الْقَسْوَةِ لِلْقُلُوبِ، وَالْقَحْطِ لِلْعُيُونِ!.

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرٌ مِنْتَهُمْ فَسَقُوتَ﴾ (الحديد: 16).

قال ابنُ عباسٍ رحمهما الله في تفسيرِ هذه الآية: «قالوا إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواعظِ الله».

وفي «سُنَنِ أَبِي داوُدَ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَابْنِ ماجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ رحمته الله قَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ

(1) انظر «الفتح» عند شرحه للحديث (4621).

(2) أخرجه أبو داود (4607)، والتِّرْمِذِيُّ (2828)، وابنُ ماجَةَ (42)، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (34).

صَلَّى اللَّهُ مَوْعِظَةً بليغةً؛ وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهُا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسِرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

أيها النَّاسُ، دَلَّ الْحَدِيثُ بِمَنْطُوقِهِ وَمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ لِلْمَوْعِظَةِ أَثْرًا عَظِيمًا فِي الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالشَّاهِدُ: قَوْلُ رَاوِي الْحَدِيثِ: «وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ».

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ، وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَنَعُودُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ، وَالشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَعَيْنٍ لَا تَدْمَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.



الحياة الدنيا في القرآن الكريم

20

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي سَأَلُونَهُ بِذِهِ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

بَطَّحَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ عَلِمْنَا جَمِيعًا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مُشْتَمِلٌ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا، وَصَرْفِ الْخَلْقِ

عَنْهَا، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْآخِرَةِ، فَمَا بَالُهُمْ تَعَلَّقُوا بِهَا، وَكَأَنَّهَا دَارُ خُلُودٍ لَا دَارُ عُبُورٍ؟!.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ حَقَّرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَمْرَ الدُّنْيَا، وَبَيَّنَّ أَنَّهَا دَنِيَّةٌ فَانِيَةٌ،

قَلِيلَةٌ زَائِلَةٌ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ (آل عمران: 185).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهَا مَتَاعٌ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مَتَاعَ الْحَقِيقَةِ، إِنَّهَا مَتَاعُ الْغُرُورِ، الْمَتَاعُ الَّذِي

يَجْدَعُ الْإِنْسَانَ، فَيَحْسِبُهُ مَتَاعًا، وَهُوَ سَرَابٌ بَقِيعَةٌ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً.

وَأَمَّا الْمَتَاعُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْجُهْدَ فِي تَحْصِيلِهِ فَهُوَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ.
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٣٦﴾﴾ (الرعد: 26).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَتَقَوَّمُ انْتَبِعُونَ أهدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَتَقَوَّمُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ (غافر: 38-39).
 أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنعام: 32).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت: 64).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ (محمد: 36).

وَمَعْنَى لَعِبٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَنْ كُلَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ كَاللَّعِبِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَا ثَبَاتَ، فَالدُّنْيَا إِنْ بَقِيَ لَنَا لَمْ نَبْقَ لَهَا.
 وَاللَّهُوُ: مَا أَلْهَى عَنِ الْآخِرَةِ، وَشَغَلَ عَنْهَا.

كَمَا قَالَ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْكَاثِرِينَ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ (التكاثر: 1-2).
 أَيُّ: شَغَلَكُمْ التَّكَاتُرُ فِي الْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، وَغَيْرِهِمَا حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، فَتَعَدَّرَ عَلَيْكُمْ اسْتِنَافُ الْعَمَلِ، وَالانْشِغَالُ بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ.

فتأملوا - أيها الناس - إلى قوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ فسأنا الله زائرين ولم
يسمنا مقيمين .

وها هو القرآن الكريم يؤكد لنا أن الحياة الدنيا لعبٌ وهوٌ .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ آجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِبُهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد: 20) .

أي: لعبٌ كلعِبِ الصبيان، وهو كلهو الفتيان، وزينة كزينة النسوان، وتفاحرٌ
كتفاحر الأقران⁽¹⁾، وتكاثرٌ كتكاثر الدهقان⁽²⁾ .

أيها الناس، لقد ضرب الله - سبحانه وتعالى - مثل الحياة الدنيا في أنها زهرةٌ
فانية، ونعمة زائلة، فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما
قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْعَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ (الشورى: 28) .

وقوله - تعالى - : ﴿ آجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي
نبت بالغيث، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإثمهم أحرص شيء عليها، وأميل
الناس إليها .

﴿ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِبُهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ أي: يهبج ذلك الزرع بعد ما كان خضرًا
نصرًا، ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا أي: يصير يبسًا متحطًا، هكذا الحياة الدنيا:
تكون أولًا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان يكون كذلك أولًا

(1) الأقران: جمع قرين - بالكسر -، وهو كنفوك في الشجاعة، والعلم، وغير ذلك .

(2) الدهقان - بالضم والكسر - : التاجر، والجمع دهاقته ودهاقين .

(3) «تفسير القرطبي» (17 / 255) .

عُمُرِهِ وَعُنْفُوَانِ⁽¹⁾ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بِهِيَ الْمَنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُھُولَةِ، فَتَغْيِرُ طِبَاعَهُ، وَيَقْدِرُ بَعْضَ قَوَاهُ، ثُمَّ يَكْبُرُ، فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ (الروم: 54).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ دَالًّا عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا وِانْقِضَائِهَا وَفِرَاقِهَا لَا مُحَالَءَ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ كَائِنَةٌ لَا مُحَالَءَ - حَذَّرَ مِنْ أَمْرِهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا مِنَ الْحَيْرِ، فَقَالَ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ (الحديد: 20).
أَيُّ: وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ⁽²⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ، هَا هُوَ الْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ لَنَا جَمِيعًا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ تَفْصِيلًا لِلآيَةِ، وَتَذْكَيرًا لِلْعِبَادِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلَهَا أَتَاهُمْ قَنْدَرُونَ عَلَيْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (يونس: 24).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف: 45).

(1) عُنْفُوَانِ الشَّيْءِ - بَضْمُ الْعَيْنِ وَالْفَاءِ - : أَوَّلُهُ.

(2) انظر «تفسير ابن كثير» (4/ 274) بتصرفٍ يسيرٍ.

قال العلامة ابن القيم رحمته: «شبهه - سبحانه - الحياة الدنيا في أنها تزين في عين الناظر، فتروقه بزینتها وتُعجبه، فيميل إليها، ويهاها اغتراراً منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها، قادرٌ عليها، سلبها بعتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبها بالأرض التي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها، ويروق منظرها للناظر، فيغتر بها، ويظن أنه قادرٌ عليها، مالك لها، فيأتيها أمر الله، فتدرك نباتها الآفة بعتة، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئاً، فيخب ظنه، وتصبح يدها منها صفرًا، فهكذا حال الدنيا والواقف بها سواء. وهذا من أبلغ التشبيه والقياس.

ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات، وجنة الآخرة سليمة منها - قال ﷻ: **يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ** (يونس: 25)، فسماها هنا دار السلام؛ لسلامتها من هذه الآفات، التي ذكرها في الدنيا، فعم بالدعوة إليها، وخص بالهداية لها من يشاء، فذاك عدله وهذا فضله»⁽¹⁾.

وقال العلامة القرطبي رحمته: «قالت الحكماء: إنما شبه الله - سبحانه - وتعالى - الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى. ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة، كذلك الدنيا. ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنها وآفاتها. ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا، الكفاف منها ينفع، وفصولها يضر»⁽²⁾.

(1) «أعلام الموقعين» (1/ 182-183).

(2) «تفسير القرطبي» (10/ 412).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْمَتَاعُ قَلِيلٌ، وَالسَّفَرُ طَوِيلٌ، فَخَذُوا مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ طَاعَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ مَصِيرَنَا إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، فَيُخْبِرُنَا بِمَا قَدَّمْنَا مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِنَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَثْنَاكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُذْيُنٍ مَعْرُوفًا يَرَهُ﴾ (يونس: 23).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قِيلَ: لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ الْوَفَاةَ، قَالَ: ائْتُونِي بِكَفَنِي الَّذِي أَكْفَنُ فِيهِ، أَنْظِرْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا لِي مِنْ كَبِيرٍ، مَا أَخْلَفَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا هَذَا؟

ثُمَّ وُلَّى ظَهْرَهُ فَبَكَى، وَهُوَ يَقُولُ: أَفَّ لَكَ مِنْ دَارٍ!، إِنْ كَانَ كَثِيرُكَ لِقَلِيلٍ، وَإِنْ قَلِيلُكَ لِقَصِيرٍ، وَإِنْ كُنَّا مِنْكَ لَفِي غُرُورٍ.

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ ... مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْمَقَامِ نَصِيبُ
لَهُ فَإِنْ تُعْجِبُ الدُّنْيَا رِجَالًا، فَإِنَّهَا ... مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَالزَّوَالُ قَرِيبٌ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - الحياة الدنيا في السنة النبوية :

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديًا ومبشِّرًا وسراجًا منيرًا.

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

أيها الناس، ما أهون الدنيا على الله! يوضح ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه مرَّ بالسوق، داخلًا من بعض العاليتين، والناس كنفته - أي: جانبه - فمرَّ بجدي أسك - أي: صغير الأذنين - ميت، فتناوله فأخذ بأذنيه، ثم قال: «أيُّكم يحبُّ أن هذا له بدرهم؟».

قالوا: ما نحبُّ أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟.

قال: «أحبُّون أنه لكم؟».

قالوا: والله، لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟!.

فقال: «فوالله، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء».

وهذا - أيها الناس - مثل لغاية القلّة والحقارة، أي: لو كان لها أدنى قدر، ما متّع الكافر منها أدنى تمّتع، وهذا أوضح دليل، وأعدل شاهد على حقارة الدنيا.

وقد سئل بعض أهل العلم: أيُّ خلق الله أصغر؟.

قال: الدنيا؛ إن كانت لا تعدل عند الله جناح بعوضة.

فقال السائل: من عظم هذا الجناح، فهو أحقر منه⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2957).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2320)، و صححه الألباني في «الصحيح» (943).

(3) انظر «فيض القدير» (5/328) بتصرف.

وَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَنْ مَا يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ جُعِلَ مِثْلَ هَا.
 فقد أخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» بسند حسن، حسنه الألباني في
 «صحيح الجامع»، والوادعي في «الجامع الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي بن كعب
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مِثْلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ فَرَّحَهُ
 وَمَلَّحَهُ، فَاَنْظَرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ».

والمعنى - أيها الناس - : أن المَطْعَمَ وإن تفنن الإنسان التفوق في صنعته، فإنه لا
 محالة - عائد إلى حالٍ يُستقَدَرُ، فكذلك الدنيا - وإن تفنن الإنسان في عمارتها - راجعة
 إلى خراب.

أيها الناس، تعالوا ننظر إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الدنيا.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽²⁾
 من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فقام
 وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً. فقال: «ما لي وللدنيا، ما
 أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها».

وها هو صلى الله عليه وسلم يجئننا على الاستعداد ليوم الرحيل، والتزوّد للدّار الآخرة.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

(1) «حسن»: أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (2191)،
 والوادعي في «الجامع الصحيح» (4190).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2377)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (1936).

(3) رواه البخاري (6416).

أَيَّ عَرِيبٍ فِي بَلَدٍ عُرْبِيَّةٍ، هَمُّهُ التَّزَوُّدُ لِلرُّجُوعِ إِلَى وَطَنِهِ، وَمُسَافِرٌ غَيْرٌ مُقِيمٍ،
يُؤَاصِلُ سَيْرَهُ إِلَى بَلَدِ الْإِقَامَةِ.

فَأَحْسِنُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - الزَّادَ، ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: 197).

تَبَلَّغْ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ زَادٍ ... فَإِنَّكَ عَنْهَا رَاحِلٌ لِمَعَادٍ
وَعُضَّ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرَفِ أَهْلِهَا ... جُفُونِكَ، وَأَكْحَلُهَا بِطَيْبِ سُهَادٍ⁽¹⁾
وَجَاهِدْ عَنِ اللَّذَاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا ... فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرٌ جِهَادٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا دَارٌ لَهْوٍ وَفِتْنَةٍ ... وَإِنَّ قُصَارَى أَهْلِهَا لِنَفَادٍ

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) السُّهَادُ - بِالضَّمِّ - : الْأَرْقُ.

وَسَوْسَةَ الشَّيَاطِينِ

21

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْ زَوْجَاهَا وَبَنَى مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُوا

اللَّهِ الَّذِي نَسَاةُ لُونِ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ وَسَوْسَةِ الشَّيَاطِينِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً عَظِيمَةً فِي تَسْلِيطِ الْجِنِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَمِنْهَا ابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيُظْهَرَ الْحَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ

الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْعَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: 179).

قال العلامة ابن القيم رحمته: «فظهر أن من بعض الحكم في خلق عدو الله

إخراج خبء النفس الحبيثة، التي شرها وخبثها كامن فيها، فأخرج خباها

بزناد⁽¹⁾ دَعَوْتِهِ ... فَكَمْ لَهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حِكْمٍ بِالْغَةِ، وَآيَةٍ ظَاهِرَةٍ فِي خَلْقِ عَدُوِّهِ إِبْلِيسَ!».

وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَسْلِيطِ الْجِنِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِكْمَالُ مَرَاتِبِ الْعِبَادَةِ لِعِبَادِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿آل عمران: 142﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ ضَرَرَ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ لَعَظِيمٌ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَطْمَعُ فِي بَنِي آدَمَ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ يُطِيفُ بِهِ؛ يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ؛ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ».

قَالَ الْمَنَاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «فَيْضِ الْقَدِيرِ»⁽³⁾: «أَيُّ: لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ دَفْعَ الْوَسْوَسَةِ عَنْهُ، وَلَا يَتَقَوَّى بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلَا يَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ وَثَبَاتٌ، بَلْ يَكُونُ مُتَزَلِّزًا الْأَمْرِ، مُتَعَيِّرًا الْحَالِ، مُضْطَرَبَ الْقَالِ، مُعَرَّضًا لِلْآفَاتِ، وَالتَّمَالِكُ: التَّماسُكُ، أَوْ لَا يَتِمَّاسُكُ عَمَّا يَسُدُّ جَوْفَهُ، وَيَجْعَلُ فِيهِ أَنْوَاعَ الشَّهَوَاتِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْعُقُوبَةِ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى هَلَاكِ بَنِي آدَمَ بِالْوَسْوَسَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - حَاكِيًا عَنْ إِبْلِيسَ قَوْلَهُ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿الإسراء: 62﴾.

(1) الزناد: جَمْعُ زُنْدٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي يُقَدِّحُ بِهِ النَّارَ.

(2) رواه مسلم (2611).

(3) «فيض القدير» (5/297).

وقال - سُبْحٰنَهُ - حاكياً عنه أنه قال: ﴿فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْتَبِهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شٰكِرِينَ ﴿الأعراف: 16-17﴾.

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - حاكياً عنه أنه قال: ﴿رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرْزِقَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿الحجر: 39-40﴾.

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - حاكياً عنه أنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لِأَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٣﴾ (ص: 82-83).﴾

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - مُحذِّراً إِيَّانَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلٰكًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ (النساء: 60).﴾

وأخبرنا ربُّنا - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : أَنَّ الشَّيْطَانَ تَحَقَّقَ لَهُ مُرَادُهُ فِي إِضْلَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِثًا كَثِيرًا فَلَمْ تُكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ (يس: 62).﴾

وفي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَّاصِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا». أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَسْوَاسَةَ أَضَلُّ كُلِّ شَرٍّ، وَهِيَ مَبْدَأُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَاللَّهُ - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - أَمَرْنَا بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ.

قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ (الناس: 1-6).﴾

(1) رواه مُسْلِمٌ (2865).

قال العلامة ابن القيم رحمته: «وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ شَرِّ وَسْوَستِهِ؛ لَتَعْمَّ الاستعاذَةُ شَرَّهُ جَمِيعَهُ، فَإِنَّ قَوْلَهُ ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ ﴾: يَعْمُ كُلَّ شَرِّهِ، وَوَصَفَهُ بِأَعْظَمِ صِفَاتِهِ، وَأَشَدِّهَا شَرًّا، وَأَقْوَاهَا تَأْثِيرًا، وَأَعَمَّهَا فِسَادًا، وَهِيَ الْوَسْوَسةُ الَّتِي هِيَ مَبَادِئُ الْإِرَادَةِ... فَأَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَبَلَاءٍ إِنَّهَا هُوَ الْوَسْوَسةُ؛ فَلِهَذَا وَصَفَهُ بِهَا؛ لِتَكُونَ الاستعاذَةُ مِنْ شَرِّهَا أَهَمَّ مِنْ كُلِّ مُسْتَعَاذٍ مِنْهُ، وَإِلَّا فَشَرُّهُ بَغَيْرِ الْوَسْوَسةِ حَاصِلٌ - أَيْضًا -»⁽¹⁾.

لَكِنْ كَيْفَ بَدَايَةُ الْوَسْوَسةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ؟.

أَوَّلُ الْوَسْوَسةِ يَكُونُ خَوَاطِرَ، إِذَا لَمْ تُطْرَدْ مِنَ الْبَدَايَةِ، اسْتَقَرَّتْ وَتَمَكَّنَتْ.

وَكَذَا أَرَشَدَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِلَاجِ الْوَسْوَسةِ مِنْ أَوَّلِهَا.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟، فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّه».

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمته: (وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّه» فَمَعْنَاهُ: إِذَا عَرَّضَ لَهُ هَذَا الْوَسْوَاسُ، فَلْيَلْجَأْ إِلَى اللهِ - تَعَالَى - فِي دَفْعِ شَرِّهِ عَنْهُ، وَلْيُعْرِضْ عَنِ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَاطِرَ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَسْعَى بِالْفَسَادِ وَالْإِغْوَاءِ؛ فَلْيُعْرِضْ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَى وَسْوَستِهِ، وَلْيُبَادِرْ إِلَى قَطْعِهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا)⁽³⁾.

وَيَقُولُ الْعَلَمَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَرَاتِ وَالْوَسْوَاسِ تُؤَدِّي مُتَعَلِّقَاتِهَا إِلَى الْفِكْرِ، فَيَأْخُذُهَا الْفِكْرُ، فَيُؤَدِّيهَا إِلَى التَّدَكُّرِ، فَيَأْخُذُهَا الذِّكْرُ، فَيُؤَدِّيهَا إِلَى

(1) «بدائع التفسير» لابن القيم (5/ 552 - 553).

(2) رواه البخاري (3276) - واللفظ له -، ومسلم (134).

(3) «شرح النووي على صحيح مسلم» (2/ 233).

الإرادة، فتأخذها الإرادة، فتؤدّيها إلى الجوارح والعمل، فتستحكّم فتصير عادةً، فردّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتامها»⁽¹⁾.

أيها الناس، بعد أن تتمكّن الوسوس في نفس صاحبها، فهو ما يُسمّى في عرف الأطباء بالوسواس القهري، فأصل الوسواس المُسمّى بالقهري من الشيطان، كما يقول علماءنا، فقد يكون الموسوس إليه مُصاباً بالمس، أو السحر، وقد يكون من إلقاء الشيطان على النفس، ولكن جهال الأطباء لا يسلمون بدخول الجن في أبدان الإنس، والتأثير عليها، فمن قهريّة الجن للإنس أن يكره له أباه أمه زوجته، ويكره له الاختلاط بالناس، يرغمه على كسر النوافذ، وكل ما حوله، يرغمه على قول ما لا يليق به، ومن رحمة الله بعباده أن رفع القلم عمّن هذا حاله، حتى يعقل ويعود إلى رشده.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»⁽²⁾ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل».

أيها الناس، هناك أسباب يتوصل من خلالها الشيطان الرجيم إلى الوسوسة وأذاة المسلمين، فمن تلك الأسباب ما يأتي:

السبب الأول - الغفلة عن ذكر الله:

أيها الناس، إن من أعظم أسباب وسوسة الشيطان هو الغفلة عن ذكر الله.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

﴿ وَأَنْتُمْ لَبَّادُونَ مِنَ الْمَاءِ كَالرَّغْوِيِّ نَبْذُوكَهُ لِيَمْسَ بِكُمْ وَيَنْحَرِبَكُمْ أَفَبُقِيَؤُنَّ فَتُؤْتُونَ﴾ (الزخرف: 36-37).

(1) «الفوائد» لابن القيم (ص 269).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4403)، وصححه الألباني في «الإرواء» (2/ 5-6).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «والشيطان وسواس خناس، إذا ذكر العبد ربه خنس، فإذا غفل عن ذكره وسوس؛ فلهذا كان ترك ذكر الله سبباً ومبدأً لنزول الاعتقاد الباطل، والإرادة الفاسدة في القلب، ومن ذكر الله - تعالى - تلاوة كتابه وفهمه»⁽¹⁾.
وقال - أيضاً - : «فإن الشيطان إنما يمنعهم من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله، الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك، تولاها الشيطان»⁽²⁾.

السبب الثاني - رؤية الجن لنا، ولا نراهم غالباً:

أيها الناس، إن من أسباب إيذاء الجن والشياطين لنا رؤيتهم لنا من حيث لا نراهم.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف: 27).

فالضمير في قوله: ﴿ إِنَّهُ ﴾ عائد على إبليس، ومعنى: ﴿ وَقَبِيلُهُ ﴾ ذريته ونسله.

السبب الثالث - الإبتلاء والامتحان:

أيها الناس، لله حكمة فيما يقدره ويقضيه على عبده من تسليط الجن والشياطين، ليجعل له منظرًا بين يديه، لا ثداً بجانبه، وهذا كثيرًا ما يحصل للأنبياء والمرسلين، وعباد الله المتقين.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (ص: 41-42).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «مجموع الفتاوى» (4/ 34).

(2) المرجع السابق (10/ 399).

الخطبة الثانية - التحصينات الإيمانية :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن وسوسة الشيطان، والآن سأذكر شيئاً من التحصينات الإيمانية من الوسوس الشيطانية، فمن تلك التحصينات - أيها الناس - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وذلك في مواطن، منها:

- عند الإحساس بنزغات الشيطان ووسوسه، قالك الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَإِنَّمَا يَزْنَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ (الأعراف: 200).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟، من خلق كذا؟، حتى يقول: من خلق ربك؟، فإذا بلغه فليستعذ بالله وليتته».

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله : «أن أعظم دواء تداوى به الوسوسة ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والانتهاؤها عنها، والاعراض عنها، مع قراءة الآيات التي فيها الإشارة إلى ذلك، مثل: سورة الفلق، وسورة الناس»⁽²⁾.

- وعند تلاوة القرآن، قالك الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: 98).

(1) رواه البخاري (3276) - واللفظ له -، ومسلم (134).

(2) عن كتاب «الوسوسة وأحكامها» (ص 417).

- عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ، فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ». قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخُبْثُ: جَمْعُ خَبِيثٍ، وَالْخَبَائِثُ: جَمْعُ خَبِيثَةٍ، يُرِيدُ: ذَكَرَانَ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثَهُمْ»⁽²⁾.

- فِي الصَّلَاةِ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاعَتِي، يَلْبَسُهَا عَلَيَّ: فَقَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ، يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، إِذَا أَحْسَسْتَهُ، فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَانْفِلْ عَلَى سَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ؛ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وَمِنَ التَّحْصِينَاتِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ الْأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: 152).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسْنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ... وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ مُسْرِعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ».

(1) رواه البخاري (142)، ومسلم (375).

(2) «الفتح» (243/1).

(3) رواه مسلم (2203).

(4) «صحيح»: أخرجه أحمد (130/4) - واللفظ له -، والتِّرْمِذِيُّ (3035)، وصحَّحه الألباني في

«المشكاة» (3694)، و«صحيح التِّرْمِذِيِّ» (2298).

وَمِنَ التَّحْصِينَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمُحَافَظَةُ عَلَى قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، فَقَدْ عَلِمَ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ عَظَمَةَ هَذِهِ الْآيَةِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فذكر الحديث) فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرا آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: 255)، حتى تحتم الآية؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان».

وَمِنَ التَّحْصِينَاتِ الشَّرْعِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ: الْفَلَقِ، وَالنَّاسِ؛ فَمَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهَا.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عتبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق: 1)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس: 1)».

وجاء من طرقٍ عن عتبة بلفظ: «ما سأل سائل، ولا استعاذ مستعيدٌ بمثلهنَّ». أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أُذَكِّرُكُمْ بِطَرِيقَةٍ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الطُّرُقِ لِلخَلَاصِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، أَلَا وَهِيَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ.

(1) رواه البخاري (2311).

(2) رواه مسلم (814).

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج: 78).

وفي «مسند الإمام أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ فَصَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ».

وأخرج أبو نعيمٍ في «الحلية» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ أَنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وقال العلامةُ ابنُ القيمِّ في كتابه «الفوائد» عِنْدَ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: 69): «عَلَّقَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، - الْهِدَايَةَ بِالْجِهَادِ؛ فَأَكْمَلَ النَّاسِ هِدَايَةَ أَعْظَمُهُمْ جِهَادًا، وَأَفْرَضَ الْجِهَادِ جِهَادَ النَّفْسِ، وَجِهَادَ الْهَدَى، وَجِهَادَ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادَ الدُّنْيَا، فَمَنْ جَاهَدَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ فِي اللَّهِ، هَدَاهُ اللَّهُ سُبُلَ رِضَاهُ الْمَوْصَلَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ، فَاتَهُ مِنَ الْهَدَى بِحَسَبِ مَا عَطَّلَ مِنَ الْجِهَادِ»⁽³⁾.

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا، وَوَقِّنَا لِكُلِّ خَيْرٍ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (21/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةَ» (549).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (2/249)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةَ» (1496).

(3) «الفوائد» (ص 177).

شکر النعم

22

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحْمَٰنُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧٦) (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ شُكْرِ النَّعْمِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَمَرَنَا بِشُكْرِهِ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152).

وقال - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَهُ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: 114).

وقال - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧)

(العنكبوت: 17).

ورتب - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - الزيادة من الخير لمن شكر، ووعد بذلك عباده بقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: 7).

وأشار - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - إلى ما يُذَكَّرُ بالشكر والثناء من العبد لربه بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 21).

أيها الناس، إِنَّا لَوَ نَظَرْنَا فِي عَالَمِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَكْرَمِ، وَمَا وَهَبَهُ خَالِقُهُ وَمَيَّرَهُ بِهِ عَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، وَخَصَّهُ بِكَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى - لَوَجَدْنَا نِعْمًا عَظِيمَةً لَا يُحَاطُ بِهَا، وَصَدَقَ رَبُّنَا الْقَائِلُ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: 18).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣) ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) (إبراهيم: 33-34).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَيَاطِنَةُ﴾ (لقمان: 20).

أيها الناس، أَذَكَّرْكُمْ بِبَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ مِنْ بَابِ الذِّكْرِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ الْقَائِلِ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: 55).

أيها الناس، نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فَمِنْهَا:
أَوَّلًا - نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ:

وَنِعْمَةُ الْإِسْلَامِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ أَجَلُ النِّعَمِ وَأَعْظَمُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِنَّهَا نِعْمَةٌ وَأَيُّ نِعْمَةٍ؟!.

﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَيَذَلِكْ فَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) (يونس: 58).

إِنَّهَا أَوَّلُ النَّعْمِ وَخَاتِمَتُهَا، لَا تُضَاهِيهَا نِعْمَةٌ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، - لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ، فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ».

قال الإمام ابن القيم رحمته: «فالنَّعْمَةُ الْمُطْلَقَةُ هِيَ الْمُتَّصِلَةُ بِسَعَادَةِ الْأَبَدِ، وَهِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ»⁽²⁾.

ثانِيًا - نِعْمَةُ الْإِيمَانِ:

وَنِعْمَةُ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ وَسِطَةٌ الْعِقْدِ⁽³⁾، نِعْمَتَانِ عَظِيمَتَانِ مَنْ نَالَهُمَا نَالَ الْحَيْرَ كُلَّهُ، عَاجِلَهُ وَآجِلَهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾ (الكهف: 107-108).

ثالثًا - نِعْمَةُ الْأَمْنِ:

وَالْأَمْنُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ، وَزَوَالُ الْخَوْفِ، وَهُوَ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، يَمْتَنُّ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، حَيْثُ يَشْعُرُ فِيهَا الْإِنْسَانُ بِلَدَّةِ الدُّنْيَا وَالنَّعْمِ الَّتِي فِيهَا؛ لِأَنَّ الْخَائِفَ لَا يَذُوقُ طَعْمَ النَّعْمَةِ: لَا فِي مَالٍ، وَلَا فِي صِحَّةٍ، وَلَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِذَا كَانَ الْأَمْنُ نِعْمَةً عَظِيمَةً، وَالْخَوْفُ بَلَاءً عَظِيمًا.

(1) رواه البخاري (7268)، ومسلم (3017).

(2) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص3).

(3) واسطة العِقد: الجَوْهَرَةُ الْفَاخِرَةُ الَّتِي تُجْعَلُ وَسَطَةً.

فهذا إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لما شعر بقيمة الأمان، دعا ربه أن يجعل البلد الذي ترك فيه ابنه إسماعيل وزوجه هاجر - أمناً مطمئناً.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (البقرة: 126).

فاستجاب الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - دعوة إبراهيم، ولهذا امتنَّ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - على قريش بهذه النعمة.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَظَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

(العنكبوت: 67).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ

② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: 1-4).

قال ابن سعدٍ رحمته: «فرغ العيش والأمن من المخاوف من أكبر النعم الدنيوية، الموجهة لشكر الله - تعالى -»⁽¹⁾.

وكذلك نجد أن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - امتنَّ على سببٍ بنعمة الأمان، فكانوا يسرون بين قراهم ليالي وأياماً آمينين.

قال - تعالى - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِرُّوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ④﴾ (سبأ: 18).

وذكر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عن أصحاب الحجر أنهم كانوا يعيشون في أمنٍ وأمانٍ.

قال - تعالى - ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ⑤ وَآيَاتِنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ

⑥ وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ مِيُونًَا آمِنِينَ ⑦﴾ (الحجر: 80-82).

(1) «تفسير ابن سعدٍ» (ص 935).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْنَا أَنْ نُحَافِظَ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى شَرَعِهِ، وَالِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِ نَبِيِّهِ ﷺ، كَمَا عَلَيْنَا أَنْ نُحَافِظَ عَلَى نِعْمَةِ الْأَمْنِ، قَبْلَ أَنْ تُنَزَعَ مِنَّا، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، فَإِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا كَفَرُوا بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ -، وَكَذَّبُوا نَبِيَّهُ ﷺ أَبَدَهُمْ اللَّهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِذَلِكَ الْأَمْنِ خَوْفًا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: 112).

وكذلك قوم سبأ، فإنهم لما أعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة وقلوها - جزاهم الله بكفرهم جزاءً وفاقاً، فهل من معتبر؟

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴾ (سبأ: 16-17).

رابعاً - نِعْمَةُ الصَّحَّةِ وَالْفَرَاعِ:

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - نِعْمَةُ الصَّحَّةِ وَالْفَرَاعِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ (كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ⁽²⁾ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفَرَاعُ».

(1) رواه البخاريُّ (6412).

(2) الْعَبْنُ - بالسكون - : الْوَكْسُ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، وَالْعَبْنُ - بِالطَّرِيكِ - : صَعْفُ الرَّأْيِ، فَيَصْحُ كُلُّ مِنْهَا هُنَا، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَعْمَلْ صِحَّتَهُ وَفَرَاعَهُ فِيمَا يَنْبَغِي فَقَدْ غَبِنَ؛ لِكَوْنِهِ بَاعَهُمَا بِبَحْسٍ، وَلَمْ يُحْمَدْ رَأْيُهُ فِي ذَلِكَ.

قال ابن بطال رحمته: «معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على ألا يغيب عن الأثر بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون، وأشار بقوله: «كثير من الناس» إلى أن الذي يوفق إلى ذلك قليل».

وقال ابن الجوزي رحمته: «قد يكون الإنسان صحيحاً، ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً، ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغاً وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم»⁽¹⁾.

أيها الناس، ها هو الرسول الكريم صلوات الله عليه يحننا على اغتنام الصحة والفراغ، قبل أن يداهمنا أسقام وأشغال، أو ينزل بنا ما لا بد منه.

فقد أخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

وها هو - أيضاً - يحننا على استغلال أعمارنا، وأجسامنا، وعلمنا، ومالنا - فيما ينفعنا يوم القيامة.

(1) «فتح الباري» (4/13).

(2) «صحيح»: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (4/306)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1077).

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ،

إِنَّهُ هُوَ الغُفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية - أهمية الشكر :

الحمد لله رب العالمين، حمدا يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، أحمدُهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى آلائِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ مَنِّهِ وَعَطَائِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الَّذِي بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ. حَتَّى تَرَكْنَا عَلَى المِحْجَةِ البَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلا هَالِكٌ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ شُكْرِ النِّعَمِ، وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ أَهْمِيَّةِ الشُّكْرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الشُّكْرُ هُوَ أَوَّلُ وَصِيَّةِ اللهِ لِلإِنْسَانِ بَعْدَ مَا عَقَلَ عَنْهُ، فَأَمْرُهُ بِالشُّكْرِ لَهُ وَلِلوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَمَتَيْنِ أَنْ

أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى المَصِيرِ ﴿١٦﴾ (لقمان: 14).

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2417)، وَصَحَّحَهُ الأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (7300).

وأخبر - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - بَانَ رِضَاهُ فِي شُكْرِهِ: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر: 7).

وجعل الشُّكْرَ غايةً للعبادِ، فقال - سُبْحَنَهُ، -: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 52).

وأمرنا بالشُّكْرِ لإثباتِ العُبودِيَّةِ له، فقال - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ

كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172).

وَمَدَحَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ نُوْحًا - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا - الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ

كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: 3).

وَأَثْنَى عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا - الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: 120-121).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حَاكِيًا عَنِ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا - الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ -: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: 19).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، - عَنْ آلِ دَاوُدَ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لَهُ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾

(سبأ: 13).

وَأَمْتَنَ اللَّهُ عَلَى الشَّاكِرِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: 53).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 145).

وَبَيَّنَ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْإِيْمَانِ وَالنُّعْمِ مُرْتَبِطَةٌ بِالشُّكْرِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

(إبراهيم: 7).

وَأخْبَرَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أَنَّ الْكُفْرَ ضِدُّ الشُّكْرِ، فَحَذَّرَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَذْكُرُوا لِي إِذْ كُرْتُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (البقرة: 152).

وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يُعَدُّبُ الشَّاكِرِينَ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ قَالَ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: 147).

وجعل الله النَّاسَ قِسْمَيْنِ، لا ثالثَ لهُمَا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: 3).

وذمَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - الْكَنُودَ الَّذِي لَا يَشْكُرُ النِّعَمَ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنْ الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات: 6).

وَالْكَنُودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمته: «هُوَ الَّذِي يُعَدُّو الْمَصَائِبَ، وَيُنْسَى النِّعَمَ»⁽¹⁾.

وَيَكْفِي فِي أَهْمِيَّةِ الشُّكْرِ، وَعَظِيمِ شَأْنِهِ أَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ - جَلَّ شَأْنُهُ - الشُّكُورُ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: 147).

وَأَهْمِيَّةِ الشُّكْرِ، وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ حَرَصَ إِبْلِيسُ - لَعْنَهُ اللهُ - عَلَى قَطْعِ النَّاسِ عَنْهُ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْهُ: ﴿ثُمَّ لَا يَمْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 17).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أودِعَ مَقَامِي هَذَا، أَذَكِّرْكُمْ بِقَوْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: 12).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قَلْبًا شَاكِرًا، وَبَدَنًا صَابِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

(1) «عُدَّة الصَّابِرِينَ» لابنِ الْقَيْمِ (ص 124).

حُسنُ الخاتمة (*)

23

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي فَسَّأَلَكُمْ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يُطِيعُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ.

وَحُسْنُ الْخَاتِمَةِ هُوَ: أَنْ يُوفَّقَ الْعَبْدُ قَبْلَ مَوْتِهِ لِلإِتِّعَادِ عَمَّا يُغْضِبُ اللَّهَ

- سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَالإِقْبَالُ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ،

ثُمَّ يَكُونُ مَوْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْحَسَنَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مَا جَاءَ فِي

«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ

(*) انظر «أحكام الجنائز» للألباني، و«علامات حُسن الخاتمة وسوء الخاتمة» للشَّانِعِ.

(1) «صحيح»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (2142)، وصحَّحه الألبانيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1741).

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ». فُقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: «يُوقِفُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ». أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ عِلَامَاتٌ مِنْهَا مَا يَعْرِفُهُ الْعَبْدُ الْمُحْتَضِرُ عِنْدَ احْتِضَارِهِ، وَمِنْهَا مَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ.

أَمَّا الْعِلَامَاتُ الَّتِي تَظْهَرُ لِلْعَبْدِ مِنَ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ فَهِيَ:

مَا يُبَشِّرُ بِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ مِنْ رِضَا اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَاسْتِحْقَاقِ كِرَامَتِهِ تَفْضُلًا مِنْهُ. قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أَيُّ: اعْتَرَفُوا وَنَطَقُوا، وَرَضُوا بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، ﴿اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الْكِرَامِ، أَيُّ: يَتَكَرَّرُ نَزْوُهُمْ عَلَيْهِمْ مُبَشِّرِينَ لَهُمْ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ، ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ عَلَى مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِكُمْ، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ عَلَى مَا مَضَى، فَفَنَوْا عَنْهُمْ الْمَكْرُوهَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلَ، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فَإِنَّهَا قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ وَثَبَّتَتْ، وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ مَفْعُولًا⁽¹⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكْرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بَشُرَ

(1) «تفسير السَّعْدِيِّ» (ص 748).

(2) رواه البخاري (6507)، ومسلم (2684)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

قال النووي رحمته: «معنى الحديث: أن الكراهة المُعْتَبَرَةَ هي التي تكون عند النزاع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه، وما أُعِدَّ لَهُ وَيُكشَفُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

أيها الناس، تلك ما يعرفه العبدُ المُخْتَضِرُ عند احتضاره من علامات حُسنِ الخاتمة. وأما علامات حُسنِ الخاتمة التي تظهر للناس فهي كثيرة، ونحن نُوردُ بعضاً منها: - فَمِنْ علامات حُسنِ الخاتمة النطقُ بالشهادة عند الموت.

ففي «مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني في «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلِمِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

- وَمِنْ علامات حُسنِ الخاتمة - أيها الناس - الموتُ بِرِشْحِ الْجَبِينِ (أي: يكون على جبينه عرقٌ عند الموت).

ففي «مسند أحمد»، و«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصْبِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ».

(1) «شرح النووي على صحيح مسلم» (تحت حديث 2683).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (5/ 229)، وحسَّنه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (2278).

(3) «صحيح»: أخرجه أحمد (3575)، والتِّرْمِذِيُّ (2/ 128)، وصحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز»

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أَوْ نَهَارَهَا.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاسْتِشْهَادُ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ، أَوْ مَوْتُهُ بِمَرَضِ الطَّاعُونِ، أَوْ بَدَاءِ الْبَطْنِ: كَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِهِ، أَوْ مَوْتُهُ غَرَقًا.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟». قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قال: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي - إِذَا - لَقِيلُ». قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟. قال: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتُ بِسَبَبِ الْهَدْمِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - وَهُوَ خَاصٌّ بِالنِّسَاءِ - مَوْتُ الْمَرَأَةِ فِي نِفَاسِهَا بِسَبَبِ وِلْدَانِهَا، أَوْ هِيَ حَامِلٌ بِهِ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (6582)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5773).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1915).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2829)، وَمُسْلِمٌ (1914).

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصَّامتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عادَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، قال: فما تَحَوَّرَ لَهُ عَن فِرَاشِهِ، فقال: «أَتَدْرِي مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي؟». قالوا: قَتَلَ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ. قال: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي - إِذَا - لَقِيلُ، قَتَلَ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونَ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعَاءَ شَهَادَةٌ (يَجْرُهَا وَلَدُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ)». يَعْنِي: بِحَبْلِ الْمَشِيمَةِ الَّذِي يُقَطَّعُ عَنْهُ.

- وَمِنْ عِلْمِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتِ بِالْحَرْقِ، وَذَاتِ الْجَنْبِ، وَذَاتِ الْجَنْبِ: هُوَ وَرَمٌ حَارٌّ فِي الْعِشَاءِ الْمُسْتَبْتِنِ لِلْأَضْلَاعِ.

ففي «مسند أحمد»، و«سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعِ شَهِيدَةٍ».

- وَمِنْ عِلْمِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ.

ففي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «صحیح أبي داود»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

(1) «صحیح»: أخرجه أحمد (4/201)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 53).

(2) «صحیح»: أخرجه أحمد (4465)، وأبو داود (3111) وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 55).

(3) «صحیح»: أخرجه أبو داود (4772)، وصححه الألباني في «صحیح أبي داود» (3993).

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتُ رِبَاطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَوْتُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيحٍ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا - دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا - دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا - دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه مسلم (1913).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (5/391).

الخطبة الثانية - سوء الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن حسن الخاتمة، والآن حديثي معكم عن سوء الخاتمة.

أيها الناس، الخاتمة السيئة تكون بسبب دسيئة باطنة للعبد، لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الحفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة كما قال الحافظ ابن رجب رحمته (1).

لهذا جاء في «صحيح البخاري» (2) من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالخواتيم».

وفي «صحيح مسلم» (3) من حديث أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة، فيختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة».

أيها الناس، الخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق كما قال ابن رجب رحمته، فعلينا أن نتقي الذنوب فإنها وراء كل خاتمة سيئة.

(1) «جامع العلوم والحكم» (1/ 172 - 173).

(2) رواه البخاري (6493)، (6607).

(3) رواه مسلم (339)، (392).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: «إِنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ وَالشَّهَوَاتِ تَحْدُلُ صَاحِبَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، مَعَ خُذْلَانِ الشَّيْطَانِ لَهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْخُذْلَانُ مَعَ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، فَيَقَعُ فِي سُوءِ الْخَاتِمَةِ».

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 29).
- وَمِنْ عَلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشُّكُّ وَالْجُحُودُ الَّذِي تُسَبِّهُهُ الْبُدْعَةُ كَمَنْ يَعْتَقِدُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ أَعْمَالِهِ خِلَافَ الْحَقِّ إِمَّا تَقْلِيدًا، أَوْ بِرَأْيِهِ الْفَاسِدِ.
هَذَا يَجِبُ الْإِبْتِعَادُ عَنْ أَصْحَابِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَأَخْذُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَنْ أَهْلِهَا وَمَنْ كُتِبَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرَةِ كـ «الطَّحَاوِيَّةِ» لِأَبِي جَعْفَرِ الطَّحَاوِيِّ وَ«الْوَاسِطِيَّةِ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ. وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلنَّجْدِيِّ مَعَ شُرُوحِهِ وَأَحْسَنَ شَرْحٍ لَهُ «فَتْحُ الْمَجِيدِ» وَ«الْقَوْلُ الْمُفِيدُ».

مَعَ الْإِبْتِعَادِ عَنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالزَّيْغِ وَالْفِرْقِ الْهَالِكَةِ.

- وَمِنْ عَلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ التَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ.

فَيَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ فَلَسْنَا أَعَزَّ عَلَى اللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْرَابِيِّ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

- وَمِنْ عَلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ طَوْلُ الْأَمَلِ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو لِتَرْكِ الْعَمَلِ وَالنَّبِيِّ ﷺ

يُحْتَنَى عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

(1) رواه مسلم (2702).

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادرُوا بالأعمالِ فتناً كقطع الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمناً، ويصبحُ كافرًا يبيعُ أحدهم دينه بعرضٍ من الدنيا قليلٍ».

- ومن أسبابِ سوءِ الخاتمةِ - أيها الناس - حُبُّ المعصيةِ وإلفها واعتيادها فمن اعتاد ذلك فالخاتمةُ السيئةُ منه قريبٌ إن لم ينزعْ ويدركه اللهُ قبلَ موتهِ.

ويا اللهُ كم هي الشواهدُ اليوميةُ التي تدلُّ على الخاتمةِ السيئةِ لمن أدمنوا المعاصي وقد ذكّر من ذلك ابنُ القيم رحمته في «الجواب الكافي» ومما قاله إن أحدَ الناس قيلَ له وهو في سياقِ الموتِ: قل لا إلهَ إلا اللهُ، فقال: وما يُعني عني وما أعرفُ أني صليتُ لله صلاةً؟! ولم يقلها.

وقال رحمته عن رجلٍ عرفَ بحبهٍ للأغاني وترديدِها، فلما حضرتهُ الوفاةُ قيلَ له: قل لا إلهَ إلا اللهُ، فجعلَ يهذي بالغناءِ ويقولُ: تاتنا تبتنا... حتى قضى، ولم ينطقْ بالتوحيدِ.

ونقل ابنُ رجبٍ رحمته في كتابه «جامعُ العلوم والحكم»⁽²⁾ عن أحدِ العلماءِ، وهو عبدُ العزيزِ بنِ أبي روادٍ أنه قال: حضرتُ رجلاً عندَ الموتِ يُلقنُ لا إلهَ إلا اللهُ، فقال في آخرِ ما قال: هو كافرٌ بما تقولُ. وماتَ على ذلك، قال: فسألتُ عنه، فإذا هو مُدمنٌ خمرٍ، فكانَ عبدُ العزيزِ يقولُ: «اتقوا الذنوبَ فهي التي أوقعتهُ».

أيها الناس، الحديثُ عن سوءِ الخاتمةِ ذو شجونٍ ولعلَّ ما تقدّمَ فيه الكفايةُ إن شاء اللهُ.

اللهم اجعل خيراً أعمالنا خواتمهُ وخيراً أعمالنا أواخرها وخيراً أيامنا يومَ نلقاك.

(1) رواه مسلم (118).

(2) «جامع العلوم والحكم» (2/173).

محاسن العفو

24

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ «مَحَاسِنِ الْعَفْوِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَيْسَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ لِإِخْتِلَافِ مَعَادِنِهِمْ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«النَّاسُ مَعَادِنٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَسَلِمَ خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ ذَلِكُمْ بَيْنَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَمْ لَأَقَى مِنَ الْأَذَى، وَالطَّرْدِ وَالرَّجْمِ لَكِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى امْتِنَالِ أَمْرِ

اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَنَعَلَى - لَهُ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199).

(1) رواه البخاري (3383)، ومسلم (2378).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَحَاسِنَ الْعَفْوِ لَا تَكَادُ تُحْصَرُ وَسَوْفَ اقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ طَرَفٍ مِنْهَا؛
لِأَنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى التَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ.

ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ».

وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي الْعَفْوِ رِضَا الرَّحْمَنِ وَإِرْغَامَ الشَّيْطَانِ وَالْحُصُولَ عَلَى الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

- فَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ صِفَةِ الْمُتَمَتِّينَ وَأَخْلَاقِ الْمُحْسِنِينَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٧﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (آل عمران: 133-134).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِنَيْلِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلِعَفْوُوا وَيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(النور: 22).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله: «فَإِنَّ الْجُزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ الْمَذْنِبِ إِلَيْكَ
نَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَصْفَحُ نَصْفَحُ عَنْكَ»⁽²⁾.

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ.

(1) رواه مسلم (2812).

(2) «المصباح المنير» (745).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٦) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَزُغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ (فصلت: 34-36).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جَاءَتِ النَّتِيجَةُ بِ(إِذَا الْفُجَائِيَّةُ)؛ لِأَنَّ (إِذَا الْفُجَائِيَّةَ) تَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ الْفَوْرِيِّ فِي نَتِيجَتِهَا: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُوقَفُ بِذَلِكَ، وَقَالَ: ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾»⁽¹⁾.

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِلرَّفْعَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ خَلْقِهِ.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ». وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ». وَمِنْهَا: «قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ»: «مَشْهُدُ الْعَفْوِ، وَالصَّفْحِ، وَالْحِلْمِ فَإِنَّهُ؛ مَتَى شَهِدَ ذَلِكَ، وَفَضَّلَهُ، وَحَلَاوَتَهُ، وَعِزَّتَهُ لَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ إِلَّا لِعَشَى فِي بَصِيرَتِهِ؛ فَإِنَّهُ «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»....، وَعُلِمَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْوُجُودِ، وَمَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلًّا»⁽⁴⁾.

(1) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (26).

(2) رواه مسلم (2588).

(3) «حسن»: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (86/50 - موارد) وحسنه الألباني في «الصحيحه» (3350).

(4) «مدارج السالكين» (260/2).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِزْهَمُوا تُرْهَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ».

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرِحُ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً، فَيَتَصَدَّقُ بِهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصَدَّقَ».

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (المجادلة: 2).

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ».

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ صِفَةٌ لِصِفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (4/ 365) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (483).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ» (380)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (482).

(3) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (5/ 316)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2273).

(4) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1/ 438) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1638).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: «لَا فَظًا، وَلَا غَلِيظًا، وَلَا سَخَابًا بِالْأَسْوَاقِ (أَي: لَا يَرْفَعُ صَوْتُهُ بِالْأَسْوَاقِ) وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، بَلْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَتَّقِمَ اللَّهُ بِهَا».

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِكَسْبِ الْقُلُوبِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿فِيمَا رَحِمْتُمْ مِنْ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوَ كُنْتُمْ فَعَلًا غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: 159).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 263).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أَي: مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَدُعَاءٍ لِسُلَيْمٍ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أَي: عَفْوٌ وَغَفْرٌ عَنْ ظُلْمٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (6929) - واللفظ له -، ومسلم (1792).

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (2/ 614) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2458).

(3) رواه البخاري (6786).

(4) «المصباح المنير» (150).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ سَارَعَ إِلَى الْعَفْوِ أَدْرَكَتْهُ مَغْفِرَةٌ اللَّهُ لَهُ وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ.

ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حدیثِ أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ: يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.» وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - إصلاح ذات البين :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ عُنْوَانُ الْإِيمَانِ، وَمَنْعُ الْأَمَانِ وَمَقْتَدِرُ الرَّاحَةِ حَثَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وَرَغَبَ فِيهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي سُنَّتِهِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال: 1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: 10).

﴿ ١٠ ﴾ (الحجرات: 10).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 114).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي الصُّلْحِ خَيْرٌ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالْقَلَاقِلِ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ مِنَ
الْبَاغِيِ وَالتَّدَابِيرِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ وَالشَّقَاقِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

(النساء: 128).

وَهَا هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَحْتُّ عَلَى الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ
سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ تَرَجَّمَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَابِ
فَضْلِ الْإِصْلَاحِ وَالْعَدْلِ.

وَقَارَنَ بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِي شَأْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ
بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - طَائِفَةٌ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَتَفَوَّقُ بِعَمَلِهَا عَلَى
الصَّائِمِ الْمُتَنَقِّلِ وَالْقَائِمِ الْمُتَنَقِّلِ.

(1) رواه البخاريُّ (2707)، ومسلم (1009).

(2) رواه البخاريُّ (2704).

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - نَهَى مَنْ أَقْسَمَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْإِصْلَاحِ عَنِ الْمُضِيِّ فِي يَمِينِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 224).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِحُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفَعُهُ (أَيُّ يَطْلُبُ مِنْهُ الرَّفْقَ) فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: «أَيُّنَ الْمُتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ». قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ، أَيُّ قَدْ خَفَّفْتُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِيخْتَرَ مَا شَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هَا هُوَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُرْشِدُنَا إِلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ إِيَّهَا - وَاللَّهِ - أَقَلُّ مُؤَنَّةً وَأَعْظَمُ أَجْرًا.

فَقَدْ أَخْرَجَ الأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّ مَوْضِعَهَا؟ تُصَلِّحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ يُحِبُّ مَوْضِعَهَا».

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (6/ 444 - 445) وَأَبُو دَاوُدَ (4919)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2509) وَالبخاريُّ فِي «الأَدَبِ» (391) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2640).

(2) رَوَاهُ البخاريُّ (2706)، وَمُسْلِمٌ (1558).

(3) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ الأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» (ص 50)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2644).

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي «الْمُتَّخَبِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِعِزِّهِ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ رَغِبَ فِي أَجْرِ الصُّلْحِ وَإِنَّ أَجْرَهُ لَعَظِيمٌ، وَمَنْ رَغِبَ فِي ثَوَابِهِ وَإِنَّ ثَوَابَهُ لَجَزِيلٌ فَعَلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَأْمُرَ بِالْعَفْوِ وَيُبَيِّنَ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ بَيْنَ يَدَيْ صُلْحِهِ وَيُحِثَّ عَلَيْهِ وَهَكَذَا كَانَ مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ بِالْعَفْوِ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَعَاَفَوْا الْخُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ».

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلَحَ ذَاتَ بَيْنِنَا، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِإِزْغَامِ الشَّيْطَانِ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ فَإِنَّهُ مَا فَتَى يَتَحَرَّشُ بَيْنَنَا غَيْرَ يَأْسٍ مِنَّا، اللَّهُمَّ أَيُّسُهُ مِنْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي «الْمُتَّخَبِ» (2/43)، وَالْبَزَارَ (2059) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2639).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4497)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (3774).

(3) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4376)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (3680).

فضيلة الصدق

25

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الصِّدْقِ.

وَالصِّدْقُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْفَضِيلَةُ الْجَامِعَةُ وَالرَّجُلُ الصَّادِقُ مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ مَحْبُوبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبَرٍّ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثٌ لَا تُحْطِيءُ الصَّادِقَ: الْحَلَاوَةُ، وَالْمَلَاحَةُ، وَالْهَيْبَةُ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ كَيْفَ لَا تُحِبُّهُ قُلُوبُ النَّاسِ.

فَالصِّدْقُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرُهُ عَظِيمٌ فَهُوَ مَحَلٌّ لِلْجِزَاءِ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة: 119).

وَذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي مَقَامِ الشَّاءِ وَمِمَّا هُمْ مِنَ
الْأَجْرِ الْعَظِيمِ. فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ (الأحزاب: 35).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (محمد: 21).
أَيُّ لَوْ عَامَلُوا اللَّهَ بِالصِّدْقِ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَقْوَامَهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ
كَذَّبُوا اللَّهَ فَكَانَ شَرًّا لَهُمْ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ مُطْلَبٍ.
فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى
يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».
وَأَخْبَرَ ﷺ - أَيضًا - أَنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ.

فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ
حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعُ
مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيْبَةٌ».

وَمَعْنَى طُمَأْنِينَةٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ لَيْسَ فِيهِ قَلْقٌ أَوْ شَكٌّ فَلَا يَنْدُمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ
أَبَدًا فَالطُّمَأْنِينَةُ سَاكِنَةٌ قَلْبُهُ وَالسَّكِينَةُ تَنْزَلُ عَلَيْهِ وَالْيَقِينُ يُلَازِمُهُ فَلَا يَتَأَسَّفُ عَلَى شَيْءٍ
حَصَلَ أَوْ يَحْصُلُ؛ لِأَنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ وَالصَّادِقُونَ يُنَجِّيهِمُ اللَّهُ بِصِدْقِهِمْ.

(1) رواه البخاري (6094)، ومسلم (2607).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2518) وروى النسائي في شطره الأول (5714) وصحَّحه الألباني
في «صحيح الجامع» (3378).

وَهَكَذَا الْأَنْبِيَاءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ ضَمَنْ مَا بُعِثُوا بِهِ أَمْرُهُمُ النَّاسَ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ.
فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ
فِي قِصَّةِ هِرْقَلٍ، قَالَ هِرْقَلُ: «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ:
يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا
بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ».

وَقَدْ حَثَّنَا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَقِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى
الْجَنَّةِ، وَذَكَرَ لَنَا أَرْبَعَ مَنْ جَمَعَهَا فَقَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لغيره كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ،
فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ وَصَدَقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ
فِي طَعْمَةٍ».

وَضَمَنْ لَنَا الْجَنَّةَ إِنْ ضَمِنَّا لَهُ سِتًّا مِنْ أَنْفُسِنَا وَمِنْهَا الصَّدَقُ.

فَفِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لغيره، قَالَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا
اتَّمَنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ».
وَأَخْبَرَ أَنَّ الصَّدَقَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ فِي الْأَرْزَاقِ.

(1) رواه البخاري (2681)، ومسلم (1773).

(2) «صحيح»: رواه أحمد (177/2) وقال الألباني في «صحيح الترهيب» (2929) صحيح لغيره.

(3) «صحيح»: رواه الحاكم (359/4) وقال الألباني في «صحيح الترهيب» (2925) صحيح لغيره.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».

وَهَذَا كَانَ الصَّدَقُ مَنجَاةً وَالصَّادِقُ تَصَحُّبُهُ السَّلَامَةُ وَلَا بُدَّ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ وَفِيهِ: «فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْجَانِي اللَّهُ بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ».

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الَّذِي تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِيهِ... ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مِنْ تَوْبَتِهِ إِلَّا يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ كَذِبٍ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّدَقِ - فَكَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الصَّدَقِ حَتَّى أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْزَلَ فِيهِ وَفِي صَاحِبِيهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

أَيُّهَا النَّاسُ، فَذَقْنَا أَحَدَ الْعُلَمَاءِ: «حَقِيقَةُ الصَّدَقِ أَنْ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنَجِّيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ»⁽³⁾.

وَهَذَا مَا يَظْهَرُ لِلْعَرِّ مِنْ بَنِي آدَمَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَكِنَّ الصَّدَقَ مَنجَاةً عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَنَا بِقِصَّةِ كَعْبٍ وَصَاحِبِيهِ أُسْوَةٌ؛ لِأَنَّ الصَّدَقَ مِنْ أُصُولِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَفَرَّقُ عَنْهَا غَيْرُهَا.

(1) رواه البخاري (2114)، ومسلم (1532).

(2) رواه البخاري (4418)، ومسلم (2769).

(3) «مدارج السالكين» (2/290).

قَالَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ رحمته: «وَأَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الصِّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ؛ فَمِنَ الصِّدْقِ يَنْشَعِبُ الصَّبْرُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالزُّهْدُ، وَالرِّضَى، وَالْأَنَسُ. وَعَنِ الْإِخْلَاصِ يَنْشَعِبُ الْيَقِينُ، وَالْخَوْفُ، وَالْمَحَبَّةُ، وَالْإِجْلَالُ، وَالْحَيَاءُ، وَالتَّعْظِيمُ. فَالصِّدْقُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ؛ صِدْقُ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ تَحْقِيقًا، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ، وَصِدْقُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانٍ رحمته: «إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - فَضَّلَ اللِّسَانَ عَلَى سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ بِأَنَّهُ أَنْطَقَهُ - مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ - بِتَوْحِيدِهِ، فَلَا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يُعَوِّدَ آلَةَ خَلَقَهَا اللَّهُ لِلنُّطْقِ بِتَوْحِيدِهِ بِالْكَذِبِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُدَاوِمَةُ بِرِعَايَتِهِ بِلُزُومِ الصِّدْقِ، وَمَا يُعَوِّدُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي دَارِيهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ يَقْتَضِي مَا عُودَ، إِنْ صَدَقًا فَصِدْقًا، وَإِنْ كَذَبًا فَكَذِبًا»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - التحذير من الكذب :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ فَضِيلَةِ الصِّدْقِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ.

(1) «هداية المسترشدين» (170).

(2) «روضة العقلاء» (51).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مِنْ شَكٍّ أَنْ الْكَذِبَ مِنْ مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُزَيَّرَهُ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ عَنْهُ بَلْ وَمِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ مُهِينَا عَنِ الْإِتِّصَافِ بِأَوْصَافِهِمْ لَيْسَلَمَ لَنَا دِينُنَا. فَالْكَذِبُ مُجَانِبٌ لِلْإِيْمَانِ تَوَاعَدَ اللَّهُ صَاحِبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الجنائفة: 7).
 وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: 105).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا اتُّمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِنَ خَانَ».
 وَالْكَذِبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَسَاسُ الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَذِبَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَاعَدَهُ بِأَنَّهُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا.

(1) رواه البخاريُّ (34) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومسلم (58).

(2) رواه البخاريُّ (33)، ومسلم (59).

(3) رواه البخاريُّ (9064)، ومسلم (2607).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جُنْدَبِ الطَّوِيلِ بَيَانٌ فِي عُقُوبَةِ مَنْ يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الرَّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمِمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهِهِ فَيَسْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، حَتَّى يُصْبِحَ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى».

وَفِي نَهَايَةِ الْحَدِيثِ بَيَانُ الذَّنْبِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ الرَّجُلُ، وَفِيهِ: «فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ».

وَفِي رِوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ⁽²⁾: «فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَالْكَذَّابُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يُعْرِفُ مِنْ وَجْهِهِ يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمُتَفَرِّسُونَ بَلْ قَدْ يَعْرِفُ ذَلِكَ ضِعَافُ الْإِيمَانِ.

أَلَيْسَ قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْكَذِبُ رَيْبَةٌ»⁽³⁾. أَيُّ تَشْكَ فِيهِ وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ نَفْسُكَ، وَعُلَمَاءُ التَّرْبِيَةِ كَمَا يُسَمُّونَهُمْ أَيُّومَ عُلَمَاءِ النَّفْسِ يَقُولُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ الْكَذِبَةَ تَتَسَّرَعُ دَقَّةُ قَلْبِهِ وَكَذَلِكَ أَنْفَاسُهُ وَتَرَى الْحُمْرَةَ فِي خَدِّهِ وَتَحْمَلُتُ عَيْنَاهُ وَكَفَى بِهَذَا دَلِيلٌ، حَتَّى بَعْضُ الْكُفْرَةِ يَعْرِفُونَ وَجْهَ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ.

(1) رواه البخاري (7047)، ومسلم (2275).

(2) رواه البخاري (1386).

(3) تقدم تخرجه.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»، و«ابْنِ مَاجَهَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَكُنْتُ فِيْمَنْ انْجَفَلَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ». وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَانَ حَيْثُ كَانَ كَافِرًا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَذَّابَ يَفْضَحُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، الْكَذِبُ لَا يَصْلُحُ فِي جِدِّ وَلَا هَزْلِ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، و«التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيَلُ لَّهُ، وَيَلُ لَّهُ».

وَمِنَ الْكَذِبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَنْقُلَ أَحَدُنَا كَلَامَ غَيْرِهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ، وَنَاقِلُ الْكَذِبِ كَذَّابٌ وَلَا شَكَّ وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ. فَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي مُقَدِّمَةِ «صَحِيحِهِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمُرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُودَّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ أَنَّ الْكَذِبَ كَانَ أَبْغَضَ خُلُقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (5/451)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2487)، وَابْنُ مَاجَهَ (1334)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (569).

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/5)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2315) وَأَبُو دَاوُدَ (4990) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1885).

(3) مُسْلِمُ (المقدمة 5).

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْهِيْبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي أَبْغَضُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ، مَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَيَخْرُجُ مِنْ قَلْبِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ تَوْبَةً».

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ وَالشُّقَاقِ وَسَيِّئِ الْأَخْلَاقِ، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُبَلِّغُنَا حُبَّكَ.



(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه أحمد، وصححه الألباني في «صَحِيحِ التَّرْهِيْبِ» (2941).

التواضع

26

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَسَدٍ مَخْطُوعٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ التَّوَّاضِعِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْإِنْسَانَ وَكَرَّمَهُ وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، وَأَلْبَسَهُ حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَزَيَّنَهُ بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ وَذَلِكَ تَتَمِيمًا لِتَكْرِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ.

وَالتَّوَّاضِعُ أَحَدُ تِلْكَ الْفَضَائِلِ.

وَالَّذِينَ نَبَذُوا هَذَا الْخُلُقَ الْعَظِيمَ إِنَّمَا هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُعْتَدُونَ عَلَى مَقَامِ الْاُلُوْهِِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ وَالْعِظَمَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا يَنَازِعُهُ فِيهَا مُنَازِعٌ إِلَّا كَبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ.

ففي «صحيح مسلم»، و«سنن ابن ماجه»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري. من نازعني واحداً منهما القيتُهُ في جهنم».

أيها الناس، لقد حسنا الله - سبحانه وتعالى - على مكارم الأخلاق وחדّرنا من الكبر.

فقال - سبحانه -: ﴿ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: 215).

وجعل الجنة للذين لا يريدون تكبراً في الأرض. فقال - سبحانه -: ﴿ تِلْكَ الْأَرْضُ

الْآخِرَةُ بَجَعَلْنَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (القصص: 83).

ووصف عباده المتقين بأنهم يمشون في الأرض متواضعين غير متكبرين فقال:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: 63).

قال ابن سعدي رحمته: «ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل

النعوت، فوصفهم بأنهم يمشون على الأرض هوناً، أي ساكنين متواضعين لله

وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده»⁽²⁾.

وقال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان: 18).

ومعنى الآية - أيها الناس - أي: «لا تتكبر، فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم إذا

كلموك». كما قال ابن عباس رضي الله عنهما⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2620)، وابن ماجه (4174) واللفظ له.

(2) «تفسير السعدي» (586).

(3) «فتح القدير» للشوكاني (301/4).

وَالتَّوَّاضِعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَامَةٌ حُبِّ اللَّهِ لِلْعَبْدِ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: «هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْكَمَلِ، أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ مُتَوَاضِعًا لِأَخِيهِ وَوَلِيِّهِ، مُتَعَزِّزًا عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْفَقِيهُ السَّمْرَقَنْدِيُّ رحمته: «اعْلَمْ أَنَّ الْكِبَرَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكُفَّارِ وَالْفِرَاعِنَةِ، وَالتَّوَّاضِعُ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَصَفَ الْكُفَّارَ بِالْكَبْرِ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات: 35)».

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ - ﴿وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَمَنْ عِندَهُمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِئِينَ﴾ (العنكبوت: 39).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر: 76).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: 23).

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّوَّاضِعِ فَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: 63).

يَعْنِي مُتَوَاضِعِينَ وَمَدَحَهُمْ بِتَوَاضِعِهِمْ وَأَمَرَ نَبِيَّهُ بِالتَّوَّاضِعِ فَقَالَ: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: 88).

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 73).

وَقَالَ: ﴿ وَكُفُضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: 215).
 وَمَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُلُقِهِ فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: 4).
 وَكَانَ خُلُقُهُ التَّوَاضُعَ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ كَانَ يَرَكِبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ
 الْمَمْلُوكِ، فَتَبَّتْ أَنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَ الصَّالِحُونَ مِنْ قَبْلُ أَخْلَاقَهُمُ
 التَّوَاضُعُ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ ﷺ⁽¹⁾.
 أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ حَشَّنَا نَبِينَا ﷺ عَلَى التَّوَاضُعِ وَرَغَبْنَا فِيهِ وَبَيَّنَّ لَنَا أَنَّهُ سَبَبٌ
 لِلرَّفْعَةِ وَالْعِزَّةِ، وَطَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ
 عَلَى أَحَدٍ».

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا
 نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».
 قَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ الرِّفْعَةَ فَلْيَتَوَاضَعْ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَا تَقَعُ إِلَّا
 بِقَدْرِ النُّزُولِ، أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمَاءَ لَمَّا نَزَلَ إِلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ صَعَدَ إِلَى أَعْلَاهَا، فَكَأَنَّ
 سَائِلًا سَأَلَهُ: مَا صَعَدَ بِكَ هُنَا - أَغْنَى فِي رَأْسِ الشَّجَرَةِ وَأَنْتَ تَحْتَ أَصْلِهَا؟! فَكَأَنَّ
 لِسَانَ حَالِهِ يَقُولُ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ»⁽⁴⁾.

(1) «تنبية الغافلين» (97).

(2) رواه مسلم (2865).

(3) رواه مسلم (2588).

(4) المدخل لابن الحاج (2/122).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ».

وَمَعْنَى بَطَرُ الْحَقِّ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرْفَعًا وَتَجَبُّرًا وَتِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا فَأَعْرِفُوهُمْ. وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيضًا - مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ يَعْمَطُونَ النَّاسَ وَمَعْنَى غَمَطِ النَّاسِ أَيِ احْتِقَارِهِمْ. فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ تَعْرِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَبَرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: «مِنَ التَّوَاضُعِ مَا وَضِعَ».

وَالْحِكْمَةُ وَضِعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: 269).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْمَهَانَةِ أَنَّ التَّوَاضُعَ يَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا وَعُيُوبِ عَمَلِهَا وَأَفَاتِهِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ خُلُقٌ هُوَ التَّوَاضُعُ وَهُوَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَخَفْضُ جَنَاحِ الذُّلِّ وَالرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضْلًا وَلَا يَرَى لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًّا بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ وَالْحُقُوقَ لَهُمْ قَبْلَهُ، وَهَذَا خُلُقٌ إِنَّمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَنْ يُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُفَرِّقُهُ.

(1) رواه مسلم (91).

وَأَمَّا الْمَهَانَةُ فَهِيَ الدَّنَاءَةُ وَالْحِسَّةُ وَبَذْلُ النَّفْسِ أَوْ ابْتِدَاؤها فِي نَيْلِ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضَعْفٌ لَا تَوَاضُعٌ طَالِبُ كُلِّ حَظٍّ لِمَنْ يَرْجُو نَيْلَ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضَعْفٌ لَا تَوَاضُعٌ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ التَّوَاضُعَ وَيَبْغِضُ الضَّعْفَ وَالْمَهَانَةَ. كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته (1).
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - صُورٌ مِنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ ﷺ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ التَّوَاضُعِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ صُورٍ مِنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ ﷺ .

أَيُّهَا النَّاسُ، نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - اخْتَارَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، وَأَكْرَمَهُ بِالرِّسَالَةِ وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْيِ، وَجَبَلَهُ عَلَى حَمِيدِ الْخِلَالِ، وَفَطَرَهُ عَلَى كَرِيمِ الْخِصَالِ.

وَأَتْنَى عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الشَّأْنِ فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (الْقَلَمُ: 4).
وَأَمَرْنَا بِالتَّأْسِيِّ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴾ (الأحزاب: 21).

(1) انظر «الروح» لابن القيم (211).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَدَّبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ وَرَبَّاهُ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَّتَهُ، فَكَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، كَمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ (1).

وَمِنْ تَرْبِيَةِ اللَّهِ لَهُ أَنْ أَمَرَهُ بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: 88).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 215).

أَيُّهَا النَّاسُ، لِنَقْفٍ قَلِيلًا أَمَامَ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِنَبْدَأُ بِأَكْلِهِ وَجُلُوسِهِ.

فَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

وَنَظْرَةٌ إِلَى بَيْتِهِ يَجْلِي لَنَا تَوَاضُعُهُ وَجَمِيلُ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَهَا هُوَ الْأَسْوَدُ يَسْأَلُ أُمَّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (3) مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ».

- وَهَلْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ؟

يُحَدِّثُنَا بِذَلِكَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (4) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَرَكَبَهُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ.

- وَهَلْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَلِّمُ عَلَى الصَّبِيَّانِ؟

(1) رواه مسلم (746).

(2) «صَحِيحٌ»: شرح السنه للبعوي (13 / 248)، وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (544).

(3) «رواه البخاري» (6039).

(4) «رواه البخاري» (5964).

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ».

- وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وسلم يُخَالِطُ الصَّبِيَّانَ؟

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِيُخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾.

- وَهَلْ صَحَّ أَنَّ الْأُمَّةَ مِنَ الْإِمَاءِ لَتَأْخُذَ بِيَدِهِ حَيْثُ شَاءَتْ؟

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ قَالَ: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَنْطَلِقُ حَيْثُ شَاءَتْ».

فَأَيُّ تَوَاضَعٍ هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - ؟ فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ بِمِثْلِ تَوَاضَعِهِ بِأَبِي هُوَ وَ أُمِّي صلى الله عليه وسلم؟!.

أَتَأْخُذُ الْأُمَّةُ مِنَ الْإِمَاءِ بِيَدِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ فَتَنْطَلِقُ حَيْثُ شَاءَتْ، فَلَا يَأْنِفُ وَلَا يَتَأَفَّفُ وَلَا يَتَضَجَّرُ وَلَا يَتَبَرَّمُ، يَرْكَبُ نَاقَةً لَهُ فَيَأْتِي أَعْرَابِيًّا عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَيَسْبِقُهَا فَيَسْتَقُ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ».

وَيُعَلِّقُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رضي الله عنه عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: «فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَثِّ عَلَى عَدَمِ التَّرْفُعِ، وَالْحَثِّ عَلَى التَّوَاضَعِ وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ أُمُورَ الدُّنْيَا نَاقِصَةٌ غَيْرُ كَامِلَةٌ».

(1) «رواه البخاري» (6247)، واللفظُ لَهُ، ومسلم (2168).

(2) «رواه البخاري» (6129)، ومسلم (2150).

(3) «رواه البخاري» (6072).

(4) «رواه البخاري» (6501).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رحمته: «فِيهِ هَوَانُ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى تَرْكِ الْمُبَاهَاةِ
وَالْمُفَاخِرَةِ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَانَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ فِي مَحَلِّ الضَّعَةِ فَحَقُّ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ
يَزْهَدَ فِيهِ وَيُقَلِّلَ مُنَافَسَتَهُ فِي طَلْبِهِ»⁽¹⁾.

وَيَأْتِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ فَلَمَّا رَأَى هَيْبَتَهُ أُرْعَدَتْ فَرَائِضُهُ فَيَعْرِفُ ذَلِكَ فِيهِ فَيَقُولُ
لَهُ كَمَا فِي «مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ
حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «هُوَ نَعْلِيكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ
مِنْ قُرَيْشٍ، كَأَنَّكَ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذُو شُجُونٍ وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ
كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ. رَزَقَنَا اللَّهُ حُسْنَ اتِّبَاعِهِ، وَالْإِتْسَاءَ بِهِ وَالْإِهْتِدَاءَ بِهِدِيهِ.



(1) «الفتح» (11 / 349).

(2) «صحيح»: أخرجه الحاكم (2 / 466) وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1876).

الحسد

27

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي نَسَّءَ لُونِ بِهِ وَأَلَزَمَهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الْحَسَدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَسَدُ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا الْحَسَدُ؟ الْحَسَدُ مَنْبَعُ الشُّرُورِ الْعَظِيمَةِ وَمِفْتَاحُ

الْعَوَاقِبِ الْوَحِيمَةِ.

وَيَعْرِفُ بِإِنَّهُ كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ وَحُبُّ زَوَالِهَا عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، هَذَا هُوَ تَعْرِيفُهُ وَهُوَ

خُلِقَ قَبِيحٌ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ.

بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْتَمُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرٍ يُؤْتِيهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: 109).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُحَذِّرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ، وَيُعَلِّمُهُمْ بَعْدَاوَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَمَا هُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ مِنْ
الْحَسَدِ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِفَضْلِهِمْ وَفَضْلِ نَبِيِّهِمْ».

فَوَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ يَعْنِي:
«مِنْ بَعْدِ مَا أَضَاءَ لَهُمُ الْحَقُّ لَمْ يَجْهَلُوا مِنْهُ شَيْئًا وَلَكِنَّ الْحَسَدَ حَمَلَهُمْ عَلَى الْجُحُودِ
فَعَيَّرَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ وَلَا مَهْمُ أَشَدَّ الْمَلَامَةِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 54).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَعْنِي ذَلِكَ حَسَدُهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ
الْعَظِيمَةِ وَمَنْعُهُمْ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ حَسَدُهُمْ لَهُ لِكَوْنِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَلَيْسَ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، كَمَا اتَّصَفَ الْيَهُودُ بِالْحَسَدِ فَهَوَ - أَيُّضًا - صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَنَافِقِينَ؛
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ
تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُخِيطٌ ﴾ (آل عمران: 120).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَسْتَكْبِرُونَ وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (التوبة: 50).

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 184).

(2) «المرجع السابق» (2/ 194).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ لَكِنَّ الْكَرِيمَ يُخْفِيهِ وَاللَّيْمَ يُبْدِيهِ.
 قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: هَلْ يَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟
 قَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ!

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَنَعْلَى - رحمته: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقْصُصُ رُبَّ بَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
 لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ (يوسف: 4-5).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته: «لَمَّا تَمَكَّنَ الْحَسَدُ فِي قُلُوبِ إِخْوَةِ يُوسُفَ أَرَى الْمَظْلُومَ
 مَا لِلظَّالِمِ فِي مِرَاةٍ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ، فَتَلَطَّفُوا بِخِدَاعٍ: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا﴾
 وَشَوَّقُوا يُوسُفَ إِلَى رِيَاضٍ: ﴿يَرْزُقُ وَيَلْعَبُ﴾ فَلَمَّا أَصْحَرُوا وَأَظْهَرُوا الْمَمْتَةَ لَهُ،
 وَرَمَوْا بِسَهْمِ الْعُدْوَانِ مَقْتَلَهُ وَأَغْبَاشَ غِيَابَةِ الْجُبِّ: ﴿لَا نَقُولُ لِيُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾
 وَبَعْدَ ذَلِكَ وَصَلَ بِهِمُ الْحَسَدُ إِلَى أَنْ يُلْقُوهُ فِي الْجُبِّ وَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَهُ بَعْضُ
 السَّيَّارَةِ ثُمَّ كَانَ مَالُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَلِكِ بِمَصْرَ، ثُمَّ نَشَأَ وَتَرَعَرَ عَ، وَفَتِنَتْ بِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ،
 وَأَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْ سُوءِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ ثُمَّ سُجِنَ ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ
 الْمَلِكُ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: 54)»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَسَدُ مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَّمِ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.
 فَقَدْ أَخْرَجَ «الْعِرَاقِيُّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَّمِ». قَالُوا: وَمَا دَاءُ الْأُمَّمِ؟ قَالَ: «الْأَشْرُ وَالْبَطْرُ
 وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاعُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ ثُمَّ الْهَرْجُ»⁽²⁾.

(1) «المدهش» (ص 80).

(2) «صحيح»: «المغني عن حمل الأسفار» (2/ 863).

فَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَسَدَ وَاقِعٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا هُوَ فِي الْأُمَّمِ
السَّابِقَةِ كَمَا دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى عَاقِبَةِ الْحَسَدِ وَأَنَّ عَاقِبَتَهُ تَوُّلٌ إِلَى الْبَغْيِ ثُمَّ الْهَرْجُ أَيُّ:
الظُّلْمُ ثُمَّ الْقَتْلُ.

فَالظُّلْمُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ نَظِيرٌ مِمَّا حَصَلَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَالْقَتْلُ نَظِيرٌ
مِمَّا حَصَلَ لِابْنِ آدَمَ مِنْ أَحِيهِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿ وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ
قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ لَئِن
بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ
بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ المائدة: 27-30 ﴾.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُبَيَّنًا عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ
وَالظُّلْمِ فِي خَبَرِ ابْنِ آدَمَ لِصُلْبِهِ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ وَهُمَا قَائِلٌ وَهَابِيلُ كَيْفَ عَدَا
أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَتَلَهُ بَغْيًا عَلَيْهِ وَحَسَدًا لَهُ فِيمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَتَقَبَّلَ الْقُرْبَانَ
الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمَّا كَانَتْ عَاقِبَةُ الْحَسَدِ وَبَيْلَةٌ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالتَّعَوُّذِ
مِنَ الْحَاسِدِ إِذَا حَسَدَ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (الفلق: 1-5).
وَحَذَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَسَدِ.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 50).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تناجسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا». أيها الناس، لا يزال الإنسان بخير ما لم يحسد.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب» من حديث ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»⁽²⁾.

وأفضل الناس من كان خاليا من الحسد.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو النقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد».

أيها الناس، ليس من خلق المؤمن أن يجمع بين الإيثار والحسد.

ففي «سنن النسائي» و«الإحسان لابن حبان» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجتمعان في قلب عبد: الإيثار والحسد».

(1) رواه البخاري (6066)، ومسلم (2563).

(2) «حسن»: أخرجه الطبراني في «الكبير» (8/8157)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (2887).

(3) «صحيح»: أخرجه ابن ماجه (4216)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2889).

(4) «حسن»: أخرجه النسائي (3111)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (2886).

أَيُّهَا النَّاسُ، التَّنَافُسُ إِذَا لَمْ يَصْحَبْهُ تَقْوَى اللَّهِ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْحَسَدِ، فَالْمُنَافَسَةُ طَلَبُ الشَّبْهِ بِالْأَفْضَلِ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ وَالْحَسَدُ مَضْرُوفٌ إِلَى الضَّرَرِ، فَالْمُنَافَسَةُ إِذَا صَحِبَهَا تَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَى اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِالْأَخْيَارِ الْأَفْضَلِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسٌ وَالرُّومُ أَيْ قَوْمٌ أَنْتُمْ؟».

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ».

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٍ رحمته الله: «قَوْلُهُ: «تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ» أَصْلُ التَّنَافُسِ التَّسَابِقُ إِلَى الشَّيْءِ أَيُّهُمْ يَأْخُذُهُ أَوْلَا وَكَانَهُ كَثْرَةُ الرَّغْبَةِ فِي الشَّيْءِ هُوَ أَوَّلُ بَابِ التَّحَاسُدِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ الْحَسَدِ الْمُحْمُودِ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ مِثْلَ عَمَلِ أَخِيهِ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى أَخِيهِ فَهَذِهِ يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ الْغِبْطَةَ.

قَالَ الْكَفَوِيُّ رحمته الله: «الْغِبْطَةُ: تَمَنِّي الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الَّذِي لِعَيْبِهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ إِذْهَابِ مَا لِعَيْبِهِ، أَمَّا الْحَسَدُ فَهُوَ إِرَادَةُ زَوَالِ نِعْمَةِ الْغَيْرِ ثُمَّ إِنَّ الْغِبْطَةَ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ وَالْحَسَدُ صِفَةُ الْمُنَافِقِ»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2962).

(2) إكمال المعلم (8/513).

(3) «الكليات» (242).

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْحَسَدِ سَمَاءُ الْعُلَمَاءِ الْعَبْطَةِ وَقَدْ سَمَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَسَدًا.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرَ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أُوتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ هَذَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا لَيْتَنِي أُوتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ هَذَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلِمْتُمْ الْحَسَدَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ هُوَ الَّذِي سَمَاهُ الْعُلَمَاءُ الْعَبْطَةَ. وَهُوَ أَنْ يُحِبَّ مِثْلَ حَالِ الْغَيْرِ وَيَكْرَهُ أَنْ يُفْضَلَ عَلَيْهِ فَهَذَا مُحْمُودٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ زَوَالَ ذَلِكَ الْخَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ وَلَا يَتَمَنَّى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَمَتَى أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَقَامَ فِي نَفْسِهِ حُبُّ زَوَالَ ذَلِكَ الْخَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ أَوْ تَمَنَّى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ فَهُوَ الْحَسَدُ الْمَذْمُومُ الَّذِي نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (5025)، ومسلم (816).

(2) رواه البخاري (5026).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - عِلاجُ الْحَسَدِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْحَسَدِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ عِلاجِ الْحَسَدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عِلاجُ الْحَسَدِ مِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَاسِدِ وَمِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُحْسُودِ.

فِعلاجُ الْمَحْسُودِ مَا يَأْتِي:

1- الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَتَجْرِيدُ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاءَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى: 30).

2- التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِ:

والتَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ كَمَا فِي سُورَةِ الْفَلَقِ، وَيَحْسُنُ قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَاتِ الثَّلَاثِ (الإِخْلَاصِ، وَالْفَلَقِ، وَالنَّاسِ) دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ وَحِينَ نُصْبِحُ وَحِينَ نُمَسِّي وَإِذَا أُوِينَا إِلَى فِرَاشِنَا وَإِلَى هَذَا أَرشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ يَشْتَرِكُ مَعَ الْعَيْنِ فِي الْأَثَرِ حَيْثُ يُسَبِّبَانِ ضَرَرًا لِلْمَعِينِ وَالْمُحْسُودِ وَيَخْتَلِفَانِ فِي الْمُصْدَرِ، فَمُصْدَرُ الْحَسَدِ تَحْرِيقُ الْقَلْبِ وَاسْتِكْثَارُ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُحْسُودِ، وَتَمَّتِي زَوَالُهَا عَنْهُ، وَأَمَّا الْعَائِنُ فَمُصْدَرُهُ انْقِدَاحُ نَظَرَةِ الْعَيْنِ لِدَا قَدْ يُصِيبُ مَنْ لَا يَحْسُدُهُ.

3- التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ حَسْبُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَكَافِي مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: 3).

4- تَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 2).

أَيُّهَا النَّاسُ، ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ عِلَاجِ الْمَحْسُودِ، وَأَمَّا عِلَاجُ الْحَسَدِ فَالْحَدِيثُ عَنْهُ دُو شُجُونٍ فَمِنْهُ: تَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَلْيَسْتَعْمِلْ مَعَهُ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى فَيَكْرَهُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ.

- وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الِاسْتِسْلَامُ لِلْمَقْدُورِ وَالرِّضَى بِالْقَضَاءِ وَلَا يَرَى أَحَدٌ أَنْ يُعَالَبَ قَضَاءَ اللَّهِ فَيَرْجِعَ مَغْلُوبًا. فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ - تَعَالَى - لَمْ يَسْخَطْهُ أَحَدٌ وَمَنْ قَنِعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ».

- وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ذِكْرُ الْمَوْتِ.

فَقَدْ قَالَ أَبُو الدُّرْدَاءِ رضي عنه: «مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذَكَرَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلَّ فَرَحُهُ وَقَلَّ حَسَدُهُ».

- وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَعْلَمَ الْحَاسِدُ أَنَّهُ يَجْلِبُ لِنَفْسِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْكَرْبَ فَتَرْكُ الْحَسَدِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ.

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: «الْحَسَدُ دَاءُ الْجَسَدِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ وَقْتَ سُرُورِكَ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحُسُودِ نَفْسٍ دَائِمٌ وَهَمٌّ لَازِمٌ وَقَلْبٌ هَائِمٌ».

وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنَ الْحَسَدِ، وَنَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ.

التَّحْذِيرُ مِنَ الْبُخْلِ

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُوا

اللَّهِ الَّذِي نَسَاءَ لُونِ بَدَىٰ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (ص) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَنِ «التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْبُخْلَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْمُجْتَمَعِ بَلْ هُوَ الدَّاءُ الدَّائِي.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَّارِيُّ رحمته فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحْحَهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «الرَّوْضِ النَّضِيرِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، جُبِلَتِ النَّفُوسُ عَلَى بُغْضِ الْبَخِيلِ؛ لِأَنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بِعِيدٍ مِنْ خَلْقِهِ
بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِلْبُخْلِ مَسَاوِيٌّ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ سَوْفَ اقْتَصِرُ بِذِكْرِ طَرَفٍ مِنْهَا، فَمِنْهَا:
1- أَنَّ الْبَخِيلَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَبْخُلُهُ يُحَافِظُ عَلَى مَالِهِ وَهُوَ إِنَّمَا يُحْرِمُ نَفْسَهُ ثَوَابَ اللَّهِ. أَلَمْ
يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا لِلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنَا وَتَنَفَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا
يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ سَأَلْتُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَنُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَذَا تَنْفَقُوا هَذَا تَدْعُونَ
لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد: 36-38).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: «يَقُولُ تَعَالَى تَحْقِيرًا لِأَمْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينًا لِشَأْنِهَا: ﴿ إِنَّمَا لِلدُّنْيَا
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ أَيُّ حَاصِلَهَا ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهَذَا قَالَ: ﴿ وَإِنْ
تَوَمَّنَا وَتَنَفَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ أَيُّ هُوَ عَنِّي عَنْكُمْ لَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا وَإِنَّمَا
فَرَضَ عَلَيْكُمْ الصَّدَقَاتِ مَوَاسَاةً لِإِخْوَانِكُمُ الْفُقَرَاءِ لِيَعُودَ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَيَرْجِعَ
ثَوَابُهُ إِلَيْكُمْ ثُمَّ قَالَ - جَلَّ جَلَالُهُ - : ﴿ إِنَّمَا يَسْأَلُكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا ﴾ أَيُّ: يُجَوِّجُكُمْ
تَبَخَّلُوا ﴿ وَنُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ﴾».

قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ فِي إِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ إِخْرَاجِ الْأَصْغَانِ، وَصَدَقَ
قَتَادَةُ فَإِنَّ الْمَالَ مَحْبُوبٌ وَلَا يُصْرَفُ إِلَّا فِيهَا هُوَ أَحَبُّ إِلَى الشَّخْصِ مِنْهُ وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:
﴿ هَذَا تَنْفَقُوا هَذَا تَدْعُونَ لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴾ أَيُّ لَا يُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ.
﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا نَقَصَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَإِنَّمَا يَعُودُ وَبَالَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ»⁽¹⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (7/216).

2- أَنَّ الْبَخِيلَ يُجَازَى بِعَمَلِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا شَكَّ أَنَّ الْبَخِيلَ يُجَازَى بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ كَمَا

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَنَسِيرُهُ لِعَمْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ ﴾ (الليل: 8-11).

فَالْآيَاتُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَضَمَّنَتْ الْوَعِيدَ بِالْتَّعْسِيرِ لِمَنْ بَخَلَ بِإِلَهٍ وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَكَذَّبَ بِالْجُزْءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: « ﴿ فَسَنَسِيرُهُ لِعَمْرَى ﴾ أَيُّ: لَطَرِيقِ الشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَىٰ مَرَّةً وَنَدَّرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأنعام: 110).

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخُذْلَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مُّقَدَّرٍ⁽¹⁾.

3- أَنَّ جَمْعَ الْمَالِ مَعَ الْبُخْلِ وَبَالَ عَلَى صَاحِبِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ جَمْعَهُ الْمَالِ مَعَ الْبُخْلِ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُ بَلْ هُوَ مَضْرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاةٍ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ وَبَرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (آل عمران: 180).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ

(1) المرجع السابق (8/261).

(2) رواه البخاري (1403).

يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقِيهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنهَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

4- أَنْ الْمَلَائِكَةَ يَدْعُونَ عَلَى الْمُؤْمِسِكِ بِالتَّلْفِ .

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَاقِبَةِ الْعَاجِلَةَ لِلْبَخِيلِ إِلَّا دُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ بِتَلْفِ أَمْوَالِهِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ كِفَايَةٌ فِي ارْتِدَاعِهِ فَكَيْفَ وَقَدْ جَمَعَ الْبُخْلُ آفَاتٍ كَثِيرَةً تَفُوقُ الْحُصْرَ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُؤْمِسِكًا تَلْفًا» .

أَيُّهَا النَّاسُ، الدُّعَاءُ بِالتَّلْفِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ . فَقَدْ يَكُونُ أَصْلُ الْمَالِ أَوْ عَيْنُهُ مَوْجُودًا، لَكِنْ لَا بَرَكَهَ لَهُ، وَقَدْ تَتَلَفُ نَفْسُ صَاحِبِ الْمَالِ، وَالْمُرَادُ بِهِ فَوَاتُ أَعْمَالِ الْبِرِّ بِالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِهَا كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمته اللہ علیہ⁽²⁾ .

5- إِنْ مَنَعَ الْعَبْدُ الْحَقَّ الْوَاجِبَ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ مَنَعَ الْعَبْدُ الْحَقَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ كَالزَّكَاةِ أَوْ النِّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ لِلزَّوْجَاتِ أَوْ الْأَقَارِبِ، أَوْ النِّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا وَجِبَتْ فَهُوَ مِمَّنْ يَشْمَلُهُمْ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

(1) رواه البخاري (1442)، ومسلم (1010) .

(2) «فتح الباري» (3/305) .

أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ يَوْمَ يُخَمَّنُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَرَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ ﴿ (التوبة: 34-35).

6- إِنَّ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي يُعْرَفُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حَمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زُبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالخَائِنُ الَّذِي لَا يُخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُجَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكُذْبَ وَالسُّنْظِيرَ وَالْفَحَّاشَ».

فَقَوْلُهُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زُبْرَ لَهُ أَيُّ لَا عَقْلَ لَهُ بِزُبْرِهِ وَيَمْنَعُهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي، وَأَمَّا السُّنْظِيرُ فَهُوَ السَّيِّئُ الْخُلُقِ.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ كُلَّ جَعظري جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعْفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ».

7- أَنَّ الْبُخْلَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّ الْبُخْلَ قَدْ يَوْضَعُ فِي الْقُلُوبِ حَتَّى لَا يَجِدَ الْعَبْدَ لَهُ فَكَأَنَّ.

(1) رواه مسلم (2865).

(2) «صَحِيحٌ»: أخرجه أحمد (142)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1741).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان، وينقص العمل ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج». قالوا: يا رسول الله أيها هو؟ قال: «القتل القتل».

والشح - أيها الناس - هو البخل بأداء الحقوق.

قال الحافظ ابن حجر رحمته: «قوله: «يلقي الشح» فالمراد إلقاءه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد أصل الشح لأنه لم يزل موجوداً»⁽²⁾.

أيها الناس، من محاسن ديننا الحنيف أنه حث على الكرم بل أنه كره لأهله الإحصاء في الانفاق على الغير وندب إلى الانفاق بغير حساب.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أسماء رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك».

قال الحافظ ابن حجر رحمته: «الإحصاء معرفة قدر الشيء وزناً أو عدداً وهو من باب المقابلة، والمعنى النهي عن منع الصدقة خشية النفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع البركة، لأن الله يثب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (7061)، ومسلم (157).

(2) «فتح الباري» (17/13).

(3) رواه البخاري (1433)، ومسلم (1028).

(4) «فتح الباري» (300/3).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّ هُنَاكَ مَنْ يَطُنُّ أَيُّ أَحَاطِبُ أَهْلَ الدُّنُورِ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، كَلَّا فَخَطَّابِي إِنَّمَا هُوَ لِلْجَمِيعِ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَهِيجٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومُ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِنَّ أَبْخَلَ الْبُخْلِ الْبُخْلُ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَامٌ يَبْخُلُ أَحَدُنَا عَلَى نَفْسِهِ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَإِظْهَارُ النِّعْمَةِ هُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّحَدُّثِ بِهَا وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا نِعْمَةٌ رَبِّكَ فَنَحْثُهَا﴾ (الضحى: 11).

فَإِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نُظْهِرَ أَثَرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ فِي طَعَامِنَا وَشَرَابِنَا وَمَلْبَسِنَا وَمَرْكَبِنَا وَمَسْكِنِنَا.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالنَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَوْبٍ دُونَ، فَقَالَ: «أَلَيْكَ مَالٌ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟». قَالَ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْحَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرِ أَثَرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ».

(1) رواه البخاري (1419)، ومسلم (1032).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4063)، وابن ماجه (3573)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3428).

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَّهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾
 مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ
 يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ».
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - جود النبي صلى الله عليه وسلم وبعده عن البخل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى
 الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ. أَمَا بَعْدُ،
 أَيُّهَا النَّاسُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
 عَنْ جُودِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَسَخَاؤِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْبُخْلِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، «نَبِينَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم هُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ، وَأَعْلَاهَا رُتْبَةً،
 وَأَجَلُّهَا قَدْرًا، وَأَحْسَنُهَا خُلُقًا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - اخْتَارَهُ اللَّهُ عَلَى
 عِلْمٍ، وَأَكْرَمَهُ بِالرَّسَالَةِ وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْيِ. جَبَلَهُ عَلَى حَمِيدِ الْخِلَالِ، وَفَطَرَهُ عَلَى كَرِيمِ
 الْخِصَالِ، ثُمَّ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَرَبَّاهُ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَّتَهُ، فَكَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ كَمَا قَالَتْ
 عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ»⁽²⁾⁽³⁾.

وَهُوَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِالتَّأْسِي بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2819) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1887).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (746).

(3) انظُرْ «سُوءَ الْخُلُقِ» لِلْحَمْدِ (167).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾ (الأحزاب: 21).

فَهَذِهِ الْآيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تُؤَكِّدُ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْإِقْتِدَاءَ بِهِ وَاعْتِبَارَ ذَلِكَ
الْأَصْلِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْهُ لِتَصْحِيحِ أَخْلَاقِنَا وَتَقْوِيمِ سُلُوكِنَا⁽¹⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَالَوْا بِنَا لِنَقِفَ قَلِيلًا عَلَى شَيْءٍ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ فَقَدْ كَانَ ﷺ كَمَا
يَصِفُهُ خَادِمُهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «أَحْسَنُ النَّاسِ وَأَجْوَدُ النَّاسِ وَأَشْجَعُ النَّاسِ». وَالْحَدِيثُ
فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» - أَيضًا - مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «مَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ
عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا»⁽³⁾.

مَا قَالَ لَا - قَطُّ - إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ ... لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعْمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَالَوْا نَنْظُرْ إِلَى عَطَائِهِ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَبُعْدِهِ عَنِ الْبُخْلِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ
مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ، مَغْلَقَتْ
النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطُرُّوهُ إِلَى سُمُومَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:

(1) انظر «الأخلاق بين الطبع والتطبع» لراقمه.

(2) رواه البخاريُّ (2820)، ومسلم (2307).

(3) رواه البخاريُّ (6034)، ومسلم (2311).

(4) رواه البخاريُّ (2821).

«أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العِصاة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجِدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جبَانًا».

وفي «صحيح مسلم» عن أنسٍ رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنما بين جبلين فأعطاه إياه» (1).

قال النووي رحمته الله: «أي كثيرةٌ كأنها تملأ ما بين الجبلين».

إِيهِ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ ... وَمِنْهُ وَإِلَّا فَالْمُؤْمَلُ خَائِبُ
وَفِيهِ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مَضِيعُ ... وَعَنْهُ وَإِلَّا فَالْمُحَدَّثُ كَاذِبُ

أيها الناس، لعل في هذا القدر كفاية لمن كان له قلبٌ فاللهم إنا نسألك من خير ما سألك به نبيك محمد، ونستعيذك من شر ما استعاذك به نبيك محمد، اللهم إنه كان يستعيذك من البخل ونحن نستعيذك مما استعاذك به، اللهم إنا نعوذ بك من الجبن ونعوذ بك من البخل، ونعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر، ونعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر.

أيها الناس، صلُّوا وسلِّموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(الأحزاب: 56).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلَّى عليَّ وأحدة صلَّى اللهُ عليه عشرًا» (2).

(1) رواه مسلم (2312).

(2) رواه مسلم (408).

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «المُشْكَاةِ» مِنْ حَدِيثِ
عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ
يُصَلِّ عَلَيَّ»⁽¹⁾.

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ».



(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه الترمذي (3795) وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (933).

قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ

29

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي فَسَّأَلَكُمْ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا - عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ - أَنَّ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لِأَدَلَّةٍ مِنْهَا:

- قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ

لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: 65)، فَالْعَبْدُ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

- وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ (الكهف: 65).

فَالرَّحْمَةُ هِيَ النُّبُوَّةُ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: 32).

- وَالْعِلْمُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.
هُوَ عِلْمُ الْوَحْيِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113).

- وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ (يوسف: 68).
وَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْكِتَابُ - أَيُّ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالسُّنَّةِ وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

أَمَّا لِمَاذَا سُمِّيَ الْخَضِرُ بِهَذَا الْأِسْمِ فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فُرُوقٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ مِنْ خَلْفِهِ خَضِرَاءَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، دَعُونِي أَحَلِّقُ بِكُمْ فِي رِيَاضِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَيْثُ النَّبَعُ الصَّافِي وَالْمُورِدُ الْعَذْبُ حَيْثُ يَنْهَلُ مِنْهُمَا كُلُّ وَارِدٍ فَنَأْخُذُ مَا صَفَى وَنَتْرُكُ مَا كَدَرَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَّا سَبَبُ اجْتِمَاعِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى وَكَلِيمِهِ بَعْدَ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ الْخَضِرِ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَيُحَدِّثُنَا عَنْ تَفَاصِيلِ هَذَا اللَّقَاءِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ

(1) رواه البخاريُّ (3402).

(2) رواه البخاريُّ (3400)، ومسلم (2380).

تَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذَا أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

فَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى سَبَبِ اجْتِمَاعِ مُوسَى الْكَلِيمِ بِنَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا صَرَّحَ الْحَدِيثُ بِاسْمِ نَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ وَأَنَّهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهَا يَأْتِي مَزِيدٌ بَيَانٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ - أَيضًا - مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ «وَهُوَ الثَّوْرِيُّ» قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبُكَائِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرٌ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ رحمته الله عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَاتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيُّ رَبِّي وَمَنْ لِي بِهِ» وَرَبُّهَا قَالَ سُفْيَانُ: أَيُّ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ - قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكَتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدَ الْحُوتَ فَهُوَ تَمَّ وَرَبُّهَا قَالَ: فَهُوَ تَمَّهُ.

وَأَخَذَ حُوتًا، وَجَعَلَهُ فِي مِكَتَلٍ وَأَنْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَى الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَزِيَهُ السَّاءَ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ

(1) رواه البخاري (340)، ومسلم (2380).

فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلَ الطَّاقِ، فَاَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتَيْهِمَا وَيَوْمِهَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذَا أَوْينَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، رَجَعَا يَقْصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجَّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَأَنْتَ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتَكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا، قَالَ: هَلْ اتَّبَعْتُكَ؟ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٢٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٢٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٢٩﴾ فَاَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَفَرَ فِي الْبَحْرِ نَفْرَةً أَوْ نَفْرَتَيْنِ، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمَنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَفَزَعَ لَوْحًا. قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمِدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا، أَوْ مَا سَفِيَانُ بِأَصْبَعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:

﴿ أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٦﴾ ۞ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَن نَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٨﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ۖ ، مَائِلًا ، أَوْ مَا بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقِ ، فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلَّا مَرَّةً . قَالَ : قَوْمٌ أَنْبَأَهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدَتْ إِلَى حَائِطِهِمْ ، لَوْ شِئْتَ لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَدْيَانَ سَأَيْتُكَ بِنَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرِهِمَا » .
قَالَ سُفْيَانُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرِهِمَا » .

أَيُّهَا النَّاسُ ، تِلْكَ أَحَادِيثُ صِحَاحُ نَفْصَلٍ مَا أَجْمَلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ ﷺ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : 44) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ زَعَمَ أَقْوَامٌ أَنَّ الْخَضِرَ ﷺ لَا يَزَالُ حَيًّا وَهَذَا الْقَوْلُ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء : 34) .

فَقَوْلُهُ : ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ تَعْمُّ كُلَّ الْبَشَرِ ، وَالْخَضِرُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى .
وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ » .

(1) رواه مسلم (1763) .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَوْتِ الْخَضِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ فِيهَا بِالْحَدِيثِ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِّنْ عَلَيْهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا فِي الْأَرْضِ لَمَا تَأَخَّرَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْمَذْكُورَةِ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِنْهُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَلَنْصَرَهُ وَلَقَاتَلَ مَعَهُ لِأَنَّهُ ﷺ مَبْعُوثٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَلْ لَجْمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ.

وَحَتَّى لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَتْبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ - أَيُّ مُوسَى - خَيْرٌ مِنَ الْخَضِرِ عليه السلام وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْعَلِيلِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يُشَاهِدُهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ فِي الْوَاقِعِ أحيانًا مِنَ التَّبَجُّحِ بِرُؤْيَةِ الْخَضِرِ إِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ لِيَلْبَسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَيَسْتَحِيلَ أَنْ يَتِمَثَلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته: «وَلَمْ يَذْكَرْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَأَى الْخَضِرَ وَلَا أَنَّهُ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا أَعْلَمَ وَأَجَلَّ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَلْبَسَ

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4348)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2366)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (15223) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاءِ».

الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَبَسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارَ يَتَمَثَّلُ لِأَحَدِهِمْ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: أَنَا الْخَضِرُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»⁽¹⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ الله.

الخطبة الثانية - قصة موسى والخضر :

الحمد لله القائل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾

(يوسف: 3).

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْقَائِلِ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِيٍّ رحمته الله : «أُوتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَمَّا فَصَّلْتَهُ السُّنَّةُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى الْكَلِيمِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ الْخَضِرِ عليه السلام فَالْيُكْمَ مَا حَكَاهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا نَعْدَا نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنْ أَذْكَرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَايَتُنْهُ رَحْمَةً مِنَّا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُوَلِّينِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا

(1) «مجموع الفتاوى» (18/27).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (17306) وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (3804).

لَمْ يُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي
عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُفُوسِنَا لَقَدْ
جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ
أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي
عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَن يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيكَ بِأَوْبِلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ
صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَضَبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا
خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا فَآرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ
تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴿الكهف: 60-82﴾.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا
تُبَلِّغُنَا جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا،
وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا
مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.



قصة يونس عليه السلام

30

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ لَكُمُ زَوْجَهَا مِنْ نَفْسِكُمْ وَسَاءَ وَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لَوْ نَبَى وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسُوفُهَا إِلَيْكُمْ امْتِسَالًا لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

(هود: 120).

نَسُوقُهَا لِتَثْبِيتِ الْفُؤَادِ كَمَا نَسُوقُهَا لِلِاتِّعَازِ وَالِإِعْتِبَارِ: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قِصَّتِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: 111).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - نَبِيَّ يُونُسَ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بَلْ فِي كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ بِاسْمِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٣٦) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْكَلْبِ الْمَشْهُونِ ﴿١٣٥﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَاقَةَ آلِ أَوْزَيْرٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَمَتَّنَا عَلَيْهِمْ فَأَمْتَنَّا أَلَيْسَ لَنَا بِمَلَكٍ مِّنْ عِندِنَا يُرِيبُهُ ﴾ (الصافات: 139-148).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُظًا فَلَمَّا أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَرَمِ ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: 87-88).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الثُّمُودِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن نَّدَرَكُوهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القلم: 48-50).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُكْرًا ﴾ (النساء: 163).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، - ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخَرِيِّ فِي الْحَيَوتِ الدُّنْيَا وَمَعَنَّا إِلَى حِينٍ ﴾ (يونس: 98).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّمَا هِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَبِيِّ كَرِيمٍ إِنَّهُ يُونُسُ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِنَّهُ ذُو النُّونِ وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الْإِسْمُ (ذُو النُّونِ) لِإِلْتِقَامِ الْحُوتِ لَهُ، وَالنُّونُ هُوَ الْحُوتُ فَهُوَ صَاحِبُ الْحُوتِ.

إِنَّهُ يُونُسُ بْنُ مَتَّى كَمَا نَسَبَهُ نَبِينَا ﷺ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

(1) رواه البخاري (3413)، ومسلم (2376).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللَّهُ بِالتَّائِسِي بِهِمْ
وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمُوثًا وَكَانُوا قَوْمًا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ اللَّهُ بِتِلْكَ الْأُمَّةِ أَدْحَاقًا وَلِيَتَّبِعَهَا أَتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّاءٌ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فِيهِدْهُمْ أَمْتًا ﴿(الأنعام: 86-90)﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ إِلَى أَهْلِ بِلْدَةِ يُقَالُ
لَهَا «نَيْنَوَى» كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ السَّنَدُ إِلَى قِتَادَةَ وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ وَ«نَيْنَوَى»
مِنْ أَرْضِ الْمُوصِلِ بِالْعِرَاقِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَحَدَّرَهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ
كُفْرِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَحَدَّرَهُمْ مِنْ مَعْبَةِ عِصْيَانِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى أَمْرِهِ
وَخَالَفُوهُ وَعَصَوْهُ، فَغَضِبَ مِنْهُمْ وَتَعَجَّلَ وَخَرَجَ مِنْ بِلَادِهِمْ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ
بِالْخُرُوجِ وَكَانَ هَذَا عَنِ اجْتِهَادِ مِنْهُ ﷺ لِصَنِيعِ قَوْمِهِ الَّذِي صَنَعُوهُ مِنَ التَّكْذِيبِ،
وَلَيْسَ فِيهِ تَعَمُّدٌ مُخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَعَمُّدُ الْعِصْيَانِ أَبَدًا، فَالْأَنْبِيَاءُ صَفْوَةٌ وَخَيْرَةٌ
خَلَقَ اللَّهُ.

فَالِي أَيَّنَ ذَهَبَ لَقَدْ تَرَكَ لَهُمْ بِلَادَهُمْ وَاتَّجَهَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَنْ يُعَاتَبَ
عَلَى هَذَا الضَّجْرِ وَالْغَضَبِ وَالْعَجَلَةِ فِي الْخُرُوجِ.

كَمَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿وَإِذَا التُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى
فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ (الأنبياء: 87).

أَمَّا قَوْمُهُ فَمَاذَا صَنَعُوا بَعْدَ خُرُوجِهِ ﷺ؟

إِنَّهُمْ فَكَّرُوا فِيمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ رَبِّهِمْ ﷺ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لَا يَكْذِبُونَ، فَمِنْ ثَمَّ آيَقَنُوا بِنَزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مُؤْمِنِينَ فَفَعَلَهُمْ إِيْمَانُهُمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (يونس: 98).

وَهَكَذَا الْإِيْمَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَنْفَعُ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ غَايَةَ النِّفْعِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴾ (النساء: 147).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ اتَّجَهَ يُونُسَ ﷺ إِلَى سَفِينَةٍ وَاسْتَوْقَفَهَا وَرَكِبَهَا كَيْ يُسَافِرَ بَعِيدًا عَنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ عَادُوهُ وَكَانَتِ السَّفِينَةُ مَلِيئَةً بِالرُّكَّابِ وَالْأَمْتِعَةِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (الصفات: 140).

وَمَعْنَى ﴿ أَتَى ﴾ أَي فَرَ، وَمَعْنَى ﴿ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ أَي السَّفِينَةُ الْكَبِيرَةُ الْمُمْتَلِئَةُ. فَلَعِبَتِ الْأَمْوَاجُ بِالسَّفِينَةِ وَخَشَى أَهْلُهَا الْغَرَقَ، فَبَدَأُوا يَتَخَفَفُونَ مِنَ الْأَحْمَالِ الَّتِي مَعَهُمْ بِالْقَائِيهَا فِي الْيَمِّ مَتَاعًا تَلَوْ مَتَاعَ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ فَشَرَعُوا فِي التَّخْفِيفِ مِنَ الْأَشْخَاصِ حَتَّى تَسَلَّمَ لَهُمْ سَفِينَتُهُمْ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَسْتَهْمُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ لِمَعْرِفَةِ مَنْ يُلْقَى، فَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَى يُونُسَ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (الصفات: 141).

وَمَعْنَى ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ أَي قَارَعَ أَجْرَى الْقُرْعَةَ وَمَعْنَى ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أَي الْمَغْلُوبِينَ (الَّذِينَ وَقَعَتْ عَلَيْهِمُ الْقُرْعَةُ).

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَلْقَى يُونُسَ ﷺ فِي الْيَمِّ، وَاللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ - لَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سَخَّرَ لِيُونُسَ ﷺ حُوتًا عَظِيمًا

جَاءَ يَشْقُ الْبَحْرِ، فَابْتَلَعَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَتَنَاوَلْهُ أَسْنَانُهُ بِأَذَى لِأَمْرِ يُرِيدُهُ اللَّهُ وَلَا مَرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ مَاذَا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَقَدْ اتَّجَهَ الْحُوتُ وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَطْنِهِ إِلَى قَاعِ الْبَحَارِ، فَهَنَّاكَ تَرَكَمَتْ عَلَى يُونُسَ ظُلُمَاتٌ: ظُلْمَةٌ بَطْنِ الْحُوتِ، وَظُلْمَةٌ قَاعِ الْبَحْرِ، وَظُلُمَاتُ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، فَضَلًّا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ كَرْبٍ وَهَمٍّ وَنَكْدٍ وَغَمٍّ لِكُونِهِ ذَهَبٌ مُغَاضِبًا وَخَرَجَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ بِالْخُرُوجِ وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ الْحَرَكَةَ فَبَدَأَ يَتَحَرَّكَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ قَالَ مُنَادِيًّا فِي الظُّلُمَاتِ ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ قَالَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا وَفَرَجَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَكَشَفَ كَرْبَهُ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ جَبْرٍ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَكْثَرَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّسْبِيحِ فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ كَمَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات: 143-144).

وَهَكَذَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَقْتَطُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَبْأَسُونَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ عَلِمُوا عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنَّهُ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ وَعَلِمُوا أَنَّ رَحْمَةَ

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3752)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2785).

الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَعَلِمُوا أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - كَانَ لِلأَوَّابِينَ غُفُورًا.

وَهَكَذَا فَعَلَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذِ اسْتَعْفَرَ وَهَلَّلَ وَوَحَّدَ وَأَخْلَصَ فِي الدُّعَاءِ لِلَّهِ وَاللَّهُ جُيِبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ، سَبَّحَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاعْتَرَفَ بِالذَّنْبِ، وَنَادَى رَبَّهُ مُوَحَّدًا: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِأَنْ اتَّجَهَ الحُوتُ إِلَى جَانِبِ البَرِّ فَقَذَفَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَبَذَهُ - أَيَّ طَرَحَهُ - بِالْعَرَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥) وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَتَأَمَّنُوا فَمْتَغْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨) (الصفات: 145-148).

وَمَعْنَى ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ أَيُّ: السَّاحِلِ، وَمَعْنَى ﴿سَقِيمٌ﴾ أَيُّ: مَرِيضٌ، وَالْيَقْطِينُ هُوَ القَرَعُ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَهُ - أَيضًا - جَمْهُورُ المُفَسِّرِينَ، وَمِنْ المُنَاسَبَاتِ هُنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحِبُّ الدُّبَابَ الَّذِي هُوَ القَرَعُ. كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِهِمْ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ أَنَّهُا (أَيُّ شَجَرَةُ اليَقْطِينِ) تُضِلُّهُ بِظِلِّهَا الظَّلِيلِ؛ لِأَنَّهَا بَارِدَةٌ الظَّلَالِ وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا ذُبَابٌ وَلَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهَا، وَلِأَنَّهَا مِنْ أَسْرَعِ الأشْجَارِ نَبَاتًا وَامْتِدَادًا.

(1) رواه البخاري (5433)، ومسلم (2041).

أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ أَنَّهُ لَمْ يُنْبَذْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ،
وَلَكِنْ نُبِذَ وَهُوَ سَقِيمٌ كَمَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿تَوَلَّأَ أَنْ تَذَرَكُمُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لِنُبَذَ بِالْعَرَاءِ
وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (القلم: 49).

وَأَنعَمَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ثَانِيَةً بِأَنْ أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ فَأَمَّنُوا وَصَدَّقُوا كَمَا قَالَ
اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٧) فَتَمَنَّوْا فَتَمَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿
(الصفات: 147-148).

فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَعَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ .
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - مِنْ فَوَائِدِ قِصَّةِ يُونُسَ ﷺ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ ﷺ .
وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فَوَائِدِ قِصَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ . فَمِنْ فَوَائِدِ
قِصَّةِ يُونُسَ ﷺ مَا يَأْتِي:

1- الْإِنْسَانُ جُبِلَ عَلَى الْخَطَا

أَيُّهَا النَّاسُ، أَوَّلَ الدَّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ جُبِلَ عَلَى الْخَطَا حَتَّى أَهَلَ
الْفَضْلَ وَالْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ».

2- لَمْ يَنْجُ مِنَ الذُّنُوبِ أَحَدٌ حَتَّى أَهْلَ الصَّلَاحِ

كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَكَوَيُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾
(النحل: 61).

فَادَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَكَذَّأَ زَوْجَتَهُ وَلَكِنَّهُمَا أَقْرَأَ بِالذَّنْبِ وَعَاتَرَ فَا بِهِ وَأَقْلَعَا عَنْهُ، فَقَالَا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٢٣)
(الأعراف: 16).

وَعَاتَبَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾
(عبس: 1-2).

وَأَصْحَابُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَرَ مِنْ بَعْضِهِمُ الَّذِي صَدَرَ يَوْمَ أُحُدٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: 155).

3- عَدَمُ الْيَأْسِ مِنَ التَّوْبَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، وَمِنَ الدَّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَمُ الْيَأْسِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ.

(1) رواه مسلم (2749).

فِيؤُسُّ عَلَيْهِ **﴿ أَحَاطَتْ بِهِ ثَلَاثُ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فَأَرْسَلَ الْأَمَلَ مِنْ هُنَاكَ مُدَوِّيًّا: ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾** (الأنبياء: 87).

فَإِذَا كَانَتْ التَّيَّجَةُ: **﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْنَاهُ مِنَ الْعَرِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾** (الأنبياء: 88).

4- الثَّقَّةُ بِنَصْرِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَثِقَ بِنَصْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ: **﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْنَاهُ مِنَ الْعَرِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾** (الأنبياء: 88).

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مِنْ ذِكْرٍ، وَأَحَقُّ مِنْ عُبْدٍ، وَأَنْصُرَ مَنْ ابْتُغِيَ وَأَرَأْفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجُودُ مَنْ سُئِلَ، أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ.



الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي سَأَلَكُمْ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

﴿يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ قِصَّةِ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، فِيمَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ الدُّرُوسُ وَالْعِظَاتُ وَالْعِبَرُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(يوسف: 111).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنِثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: 120).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي قِصَّةِ الْغُلَامِ وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ زَادُ لِلْعَرَبَاءِ وَأَيُّ زَادٍ وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ قِصَصِ الْمَاضِينَ مَوْعِظَةً وَذِكْرًا.

وَأَمَرَ رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ وَحْيَ رَبِّهِ وَأَنْ يَقْصَّ عَلَى الْخَلْقِ آيَاتِهِ قَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبَكَ لِغَيْرِكَ لَعَلَّكَ تَكْفُرُونَ﴾ (الأعراف: 176).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَيْكُمْ الْقِصَّةَ كَمَا جَاءَتْ بِهَا السُّنَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَعَدَّ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ.

(1) رواه مسلم (3005).

فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَاتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَا هُنَاكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ أَمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟
قَالَ: رَبِّي.

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!

قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.

فَأَخَذَهُ الْمَلِكُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟!
فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فِدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فِدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فِدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِنَا شِئْتِ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْسِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قَرْقُورٍ (أَيِ السَّفِينَةِ الصَّغِيرَةِ) فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاذْكَفَاتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ يَمِشِي إِلَى الْمَلِكِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ بِهِ. قَالَ:

وَمَا هُوَ؟.

قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلِبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْعُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْعُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، فَآتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ - وَاللَّهِ - نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السُّكَّكِ فُخِدَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيْرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْعُلَامُ: يَا أُمَّهُ اضْبِرِّي؛ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.

وَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا أَخْرَجَهُ «الإمام مسلم» فَقَدْ أَخْرَجَهُ «الترمذي» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صحيح الترمذي» بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ: «وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْعُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَتِهِ»، قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسَبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمِئِذٍ

مُسْلِمِينَ، وَفِيهِ: «أَنَّ الدَّابَّةَ الَّتِي حَبَسَتْ النَّاسَ كَانَتْ أَسَدًا وَأَنَّ الْغَلَامَ دُفِنَ - قَالَ -
فَيَذْكُرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ هَوَيْلُهُ وَأُصْبِعُهُ عَلَى صَدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا
حِينَ قُتِلَ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ قِصَّةُ الْغَلَامِ الْمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ كَمَا فَصَّلْتَ ذَلِكَ
السُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ وَفِيهَا فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ.

فَمِنْ فَوَائِدِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْعَمَ عَلَى الْغَلَامِ بِنِعْمٍ كَثِيرَةٍ،
وَمِنْهَا إِكْرَامُهُ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ، وَنُصْرَتِهِ لَهُ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ قَالَ فِيهَا: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا
شِئْتَ، إِلَّا وَكَفَاهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَوَقَاهُ شَرَّ أَعْدَائِهِ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ يَكْفِي اللَّهُ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِّبِّكَ مِنْ دُونِهِ﴾
(الزمر: 36).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِاللَّهِ صَنَعَ بِهَا - سُبْحَانَهُ، - الْأَعْجَابَ، فَمِنْ
الَّذِي دَعَاهُ وَلَمْ يُجِبْهُ؟ وَمَنْ الَّذِي سَأَلَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ؟ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْفِي الشُّوْءَ﴾ (النمل: 62).

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، - : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60).

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ
وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3578)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2661).

فَهَذَا الرَّاهِبُ يَقُولُ لِلْعَلَامِ: «أَيُّ بَنِي، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى» فَهَلْ كَانَ الرَّاهِبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنَّهَا الْمَعْرِفَةُ بِسُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَالْعِلْمُ بِمَا حَدَّثَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِ قَالِكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف: 7).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، - : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: 2).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، - : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت: 2).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، - : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ وَتَدْرِكُونَ ﴾ (الفرقان: 20).

وَلَقَدْ أُوذِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتْفَهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِطَرْفِ رِدَائِهِ، وَالْتَقَى عَلَى ظَهْرِهِ سَلَّةَ الْجُزُورِ، وَهُوَ سَاجِدٌ أَمَامَ الْكَعْبَةِ، وَحُوصِرَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَجَرِحَ وَجْهَهُ الشَّرِيفُ وَأَغْمَى عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقِيلَ عَنْهُ: سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَجُنُونٌ، كَمَا أُوذِيَ ﷺ فِي شَخْصِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ - رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - .

وَمَنْ تَتَبَعَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَعِيسَى لَوَجَدَ أَنَّ الْإِتِّبَاءَ سِمَةً مُلَازِمَةً لَهُمْ قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (إبراهيم: 13).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (يس: 30).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ (٥٢)

أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات: 52-53).

وَكَانَ لِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ كَصَاحِبِ يَسَ وَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ
وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ حَظُّهُمْ وَنَصِيبُهُمْ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَمَلَ لِهَذَا الدِّينِ مَسْتُوْلِيَةٌ الْجَمِيعِ.

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - غُلَامٌ أَيْ طِفْلٌ صَغِيرٌ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَةٍ يُرِيدُ إِيْصَالَهَا إِلَى
النَّاسِ حَتَّى وَإِنْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ نَفْسَهُ فَلَا بَأْسَ بِبَدْلِهَا رَحِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَالْنَفْسُ إِلَى
مَوْتٍ وَالسَّالِ إِلَى قُوْتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: 185).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - الْغُلَامُ الْمُؤْمِنُ وَأَصْحَابُ الْأَخْدُودِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَمَّا فَصَّلْتَهُ السُّنَّةُ مِنْ قِصَّةِ الْغُلَامِ
الْمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ.

وَالآنَ سَأَلْتِي عَلَى مَسَامِعِكُمْ سُورَةَ الْبُرُوجِ وَهِيَ تَوْطِئَةٌ بَيْنَ يَدَيْ السُّورَةِ.

أَقُولُ إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ
إِيْدَاءِ الْكُفَّارِ وَهِيَ - أَيُّضًا - تَسْلِيَةٌ لِاتِّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَأَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ سَائِرَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا كَذَلِكَ ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ قَدَرٌ مَقْدُورٌ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴿بَلْ هُوَ قَوْلٌ أَنْجِيدُ ﴿١١﴾ فِي تَوْجِ مَحْفُوظٍ﴾.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ﴿٢﴾ وَسَاحِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنَّا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَوْلٌ أَنْجِيدُ ﴿١١﴾ فِي تَوْجِ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ (البروج: 1-22).

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْكَفَرَةِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِكَ، وَيَكْذِبُونَ رُسُلَكَ وَيَقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بَسْوَءٍ فَأَشْغَلَهُ بِنَفْسِهِ وَرَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ.



أبو بكر الصديق رضي الله عنه

32

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحْمَٰنَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ حَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَالْحَدِيثِ عَنِ الصِّدِّيقِ يَجْلُو وَيَطِيبُ فَهُوَ سَيِّدُ الصِّدِّيقِينَ، وَخَيْرُ الصَّالِحِينَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَشْرَفُهُمْ، لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ، وَلَمْ يَسْجُدْ لِصَنْمٍ - قَطُّ - فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَمَا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَصَدَّقَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ وَسُمِّيَ الصِّدِّيقُ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أنسٍ رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكرٍ وعمرٌ وعثمانُ فرجفَ بهم فقال: «أثبْتُ أحدُ، فإنَّ عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان». فالصديقُ هو أبو بكرٌ والشهيدان عمرٌ وعثمانُ.

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رضي عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكرٍ صدقٌ وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ فما أودِي بعدها».

أيها الناس، إن للصديق فضائلَ جمَّةً فلا عجبَ فقد كان صدرًا مُعظَّمًا، ورئيسًا في فُرَيْشٍ مُكرَّمًا سمحَ الخُلُقِ مِنَ الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ.

فَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث عمرو بن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسلِ فَأَتَيْتَهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا. وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي

(1) رواه البخاريُّ (3675).

(2) رواه البخاريُّ (3661).

(3) رواه البخاريُّ (3662)، ومسلم (2384).

(4) «صحيح»: أخرجه أحمد (1629)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (4650).

الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ
شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ».

وَالْعَاشِرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رحمته الله رَاوِيَ الْحَدِيثَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَنْزِلَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رحمتهما الله فِي الْجَنَّةِ لَعَالِيَةٌ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾
مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رحمته الله عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ
الْعُلَى لَيُرَوْنَ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا».

بَلْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رحمته الله قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، إِذْ طَلَعَ أَبُو
بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنَ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ: لَا تُخْبِرُهُمَا».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رحمته الله أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَقَالَ: «أَنْتَ عَتِيقُ
اللَّهِ مِنَ النَّارِ». فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ: عَتِيقًا.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3920)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2892).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3927)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2897).

(3) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3942)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2905).

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ الصَّحَابَةِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عِبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ». قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيْرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ بَابٌ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صُحْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ وَقَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثَ نِجْمَاتٍ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَكْفِيكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ (التوبة: 40).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةِ عَشَرَ دَرَاهِمًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمُ، قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ فَأَحْيَيْنَا، أَوْ سَرِينَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ فَرَمَيْتُ بِبَصْرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلِّ فَاوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بِقِيَّةِ ظِلِّ لَهَا فَسَوَّيْتُه، ثُمَّ فَرَشْتُ

(1) رواه البخاري (3654)، ومسلم (2382).

(2) أخرجه البخاري (3652)، وأخرجه مسلم (2009) بنحوه.

لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي: هَلْ أَرَى فِي الطَّلَبِ أَحَدًا؟ فَإِذَا أَنَا بِرَاعِيٍ عَنَّمِ يَسُوقُ عَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ - يَا غَلَامٌ -، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ فُرَيْشٍ سَمَاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ صَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفِيهِ فَقَالَ: هَكَذَا، صَرَبَ إِحْدَى كَفِيهِ بِالْأُخْرَى فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ أَنْ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَلَى». فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاتْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دِفَاعُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ

(1) رواه البخاريُّ (3653)، ومسلم (2381).

(2) رواه البخاريُّ (3856).

فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَاقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿أَنْفَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: 28) .

وَهَذِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِشَارَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ فِي «الصَّحِيحِينَ» (1) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ - يَعْنِي الْجَنَّةِ - يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (2) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (3666)، ومسلم (1027).

(2) رواه مسلم (1028).

الخطبة الثانية - أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد - أيها الناس - الحديث عن أبي بكر الصديق ذو شجون فقد طبقت محاسنه الدنيا وسارت بذكره الركبان في الآفاق ما حملت الأبل رجلاً - بعد الأنبياء والمرسلين - خيراً منه.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «من رأى الليلة رؤيا؟».

فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميراناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر بعمر، ووزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان.

وها هو عمر - أيها الناس - يسابق أبا بكر فهل سوف يسبقه في هذه الجولة ولندع الحديث لعمر رضي الله عنه يحدثنا.

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن، حسن الألباني في «المشكاة»⁽²⁾ من حديث عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال فحئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(1) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4634)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3875).

(2) «حسن»: أخرجه الترمذي (3939) وحسنه الألباني في «المشكاة» (6021).

«مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». قُلْتُ: مِثْلُهُ. وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فِي أَكْثَرِ مَنْ حَدِيثٍ وَسَادَّكَرُ طَرَفًا مِنْهَا فَإِنَّ قَوْمًا يَدَّعُونَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ لِغَيْرِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرْهَانٌ وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ.

لَا تَذْكُرُ الْكُتُبَ السَّوَالِفُ قَبْلَهُ ... طَلَعَ الصَّبَاحُ فَأَطْفَيْ الْقِنْدِيلَا

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّأَ مُتَمَنَّئٌ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ - كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ - قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رضي الله عنه: «وَالْأَسْتِدْلَالُ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، لَكِنْ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ لَا التَّصْرِيحِ»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2387).

(2) رواه البخاري (3659)، ومسلم (2386).

(3) «فتح الباري» (13 / 345).

وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ لِأَعْظَمِ دَلِيلٍ وَأَبْلَغِ إِشَارَةٍ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْ إِنَّكَ نَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ قَوْمٌ يَدَّعُونَ التَّشْيِيعَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيَنَالُونَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهَذَا ظُلْمٌ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّ الَّذِي زَكَاهُمْ وَعَدَّهُمْ هُوَ خَالَفَهُمْ ثُمَّ نَبِيَّهُمْ ثُمَّ هَا هِيَ شَهَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي (أَيُّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ): أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ.

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ.

(1) رواه البخاريُّ (679)، ومسلم (418).

(2) رواه البخاريُّ (3671).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُودَعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ حَيْثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكرٍ وعمر».

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيكَ اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا هُمَا فِيكَ احْشُرْنَا مَعَهُمْ.



(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3924)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2895).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

33

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (آل عمران: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَسَدٍ مَخْطُومٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا عُمَرُ إِنَّهُ الْفَارُوقُ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانَتْ أَوَّلُ شُعَاعَةٍ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ لَأَمَسَتْ قَلْبَهُ هِيَ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ.

فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بَأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3946)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (6036).

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «مَوْرِدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِعِغْرِهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ لِلْأَلْبَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «اللَّهُمَّ! أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً».

وَبَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَسْلَمَ عُمَرُ فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»⁽²⁾ وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَنُصَلِّيَ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ وَتَرَكُونَا، فَصَلَّيْنَا وَطُفْنَا⁽³⁾. وَقَالَ - أَيْضًا - كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتَحًا، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْرًا، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً⁽⁴⁾. وَقَالَ - أَيْضًا - إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلَا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»⁽⁵⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ ذُو شُجُونٍ أَمَّا كَيْفَ كَانَ وَاقِعُ إِسْلَامِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُحَدِّثُنَا ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ كَمَا فِي «مَوَارِدِ الظَّمَانِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «التَّعْلِيقَاتِ الْحَسَانِ» قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ أَفْشَى لِلْحَدِيثِ؟ قَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْجُمَحِيِّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا (مَعَهُ) أَتْبَعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا جَمِيلُ! إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ كَلِمَةً، حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَادَى أُنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ، وَآمَنْتُ بِاللَّهِ،

(1) «صحيح لغيره»: أخرجه ابن حبان في «موارد الظمان» وقال الألباني في «الصحيح» (3225): «صحيح لغيره».

(2) رواه البخاري (3684).

(3) «حسن»: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (1/344).

(4) الشيخان برواية البلاذري (141).

(5) «موقوف صحيح»: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (1/340).

وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤْسِهِمْ (أَيُّ اسْتَوَتْ)، حَتَّى فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ، (فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ)، فَقَالَ (عُمَرُ): أَفَعَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ؛ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا (لَنَا) أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ (عَلَيْهِ)؛ إِذَا جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَرِيرٍ، وَقَمِيصٌ مُوشَى فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ. قَالَ: فَمَهْ؟ امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَتَقْتَضُونَ أَنَّ بَنِي عَدِي تُسَلِّمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟ قَالَ: فَكَاثَنَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ! مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: يَا بَنِي! ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَاثِلٍ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، دُونَكُمْ فَضَائِلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهِيَ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ.
فَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مُحَدِّثٌ مُلْهَمٌ صَادِقُ الظَّنِّ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ». وَمِنْ فَضْلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ - قَطُّ - فَقَالُوا فِيهِ، وَقَالَ عُمَرُ - أَوْ قَالَ ابْنُ الْخَطَّابِ فِيهِ - شَكَّ خَارِجَةٌ - إِلَّا نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ».

(1) «حَسَنٌ»: «موارد الظمان» (2181)، وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان» (6840).

(2) رواه البخاري (3689).

(3) «صَحِيحٌ»: أخرجه الترمذي (3947)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2908).

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُوَافَقَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَيَّ أَنْ النَّاسَ إِذَا قَالُوا فِي أَمْرٍ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ إِلَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْتَهُمْ مَا اللَّهُ غَيْرُ قُلُوا اللَّهُ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا تَوَقَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفِنَهُ فِيهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِتَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: إِنَّمَا خَيْرَنِي - أَوْ أَخْبَرَنِي اللَّهُ - فَقَالَ: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فَقَالَ: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ». وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَا سَلَكَ طَرِيقًا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ.

(1) رواه البخاري (402).

(2) رواه البخاري (4672)، ومسلم (2400).

(3) رواه مسلم (2399).

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا (أَيَّ طَرِيقًا) - قَطُّ - إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

وَمِنْ فَصَائِلِ عُمَرَ رضي الله عنه - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ شَيَاطِينَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ تَفْرُّ مِنْهُ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ».

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ سَالِمًا، أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتَ نَذَرْتَ فَاضْرِبِي وَإِلَّا فَلَا». فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ. ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَالْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، إِنْ كُنْتَ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ فَلَمَّا دَخَلَتْ أَنْتَ يَا عُمَرُ الْقَتِ الدُّفَّ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (3683)، ومسلم (2396).

(2) «صَحِيحٌ»: أخرجه الترمذي (3956)، وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (6039).

(3) «صَحِيحٌ»: أخرجه الترمذي (3955)، وصحَّحه الألباني في «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2913).

الخطبة الثانية - عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - الحديث عن عمر وفضائله بحاجة إلى سفر من الأسفار فلا يزال الشريط طويلاً والسجل حافلاً.
فمن فضائله أنه عبقرى هذه الأمة.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قلب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت (أي صارت) غرباً (أي دنواً عظيماً) فلم أر عبقرياً يقري فزيه (أي لم أر عبقرياً ينزع نزع عمر) حتى روى الناس وضرّبوا بعطن».

ومن فضائله - أيها الناس - أن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة». ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة».

(1) رواه البخاري (3682)، ومسلم (2393).

(2) رواه البخاري (3693)، ومسلم (2403).

فَفَتَحَتْ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: «اِفْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ». فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبِ قَصْرِ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرِ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا». فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَعَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرِ مَرْبَعٍ مُشْرِفٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرِ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: أَنَا قُرَيْشِي! لِمَنْ هَذَا الْقَصْرِ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدًا! لِمَنْ هَذَا الْقَصْرِ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَّا عَلِمَ عُمَرُ فَيُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ - يَعْنِي اللَّبْنَ - حَتَّى أَنْظَرُ إِلَى الرَّيِّ يَخْرُجُ مِنْ ظِفْرِي - أَوْ فِي أَظْفَرِي - ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ».

(1) رواه البخاري (3680)، ومسلم (2395).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3954)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2912).

(3) رواه البخاري (3681)، ومسلم (2391).

قالوا: فما أولته يا رسول الله قال: «العلم».

أما دينُ عمرَ - أيها الناس - فيخبرنا النبي ﷺ - أيضًا - كما في «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عرَضوا عليَّ وعليهم قمصٌ فمنها ما يبلغُ الثديَّ ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك، وعرَضَ عليَّ عمرٌ وعليه قميصٌ اجتره».

قالوا: فما أولته يا رسول الله قال: «الدين».

تلك - أيها الناس - بعضُ فضائلِ عمرَ فهل يسوغُ بعدَ ذلك أن يأتي أناسٌ بعده وإلى يومنا هذا وهم يطعنون في هذا الجبلِ الشامخِ وهم يعلمون أن الذي زكى عمرَ هو رسولُه ﷺ فالطعنُ فيه طعنٌ في تزكيةِ رسولِ الله ﷺ والطعنُ في رسولِ الله ﷺ طعنٌ في الدين، وأشدُّ الناسِ طعنًا في هذا الجبلِ من يزعمون التشيعَ لآلِ البيتِ ولعلي بنِ أبي طالبٍ فهل بلعهم تزكيةُ علي بنِ أبي طالبٍ لعمر بنِ الخطابِ - رضي الله عن الجميع -.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «إني لواقفٌ في قومٍ فدعوا الله لعمر بنِ الخطابِ - وقد وُضعَ على سريره - إذا رجلٌ من خلفي قد وُضعَ مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك لاني كنت كثيرًا ما كنت أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكرٍ وعمرُ، وفعلتُ وأبو بكرٍ وعمرُ، وانطلقتُ وأبو بكرٍ وعمرُ، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معها، فالتفتُ فإذا علي بنُ أبي طالبٍ».

(1) أخرجه البخاري (3691)، ومسلم (2390).

(2) رواه البخاري (3677)، ومسلم (2389).

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ تَرْكِيئَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَالطَّعْنُ فِي تَرْكِيئَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَعْنٌ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَفْسَهُ وَهَكَذَا جَرَّهُمْ طَعْنُهُمْ فِي الْفَارُوقِ إِلَى الطَّعْنِ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَى الطَّعْنِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ - أَيْضًا - عَدُوٌّ عُمَرَ وَشَهِدَ لَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أودِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكَرُكُمْ بِقَوْلِ ابْنِ سِيرِينَ كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، «صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ»⁽¹⁾ قَالَ ﷺ: «مَا أَظُنُّ أَنَّ رَجُلًا يَتَّقِصُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ».

أَيُّهَا النَّاسُ - اعْلَمُوا أَنَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ الْفَضَائِلِ الْغَزِيرَةِ مَا لَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ لِذِكْرِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا هَذِهِ الْفَضِيلَةُ الَّتِي رَوَاهَا التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي، لَكَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». لَكَفَاهُ بِذَلِكَ فَخْرًا فَكَيْفَ وَفَضَائِلُهُ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.
رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.



(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3950)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (204/3).

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3951)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (327).

المفرد

الصفحة

الموضوع

5 - - - - - المقدمة

التوحيد

7 - - - - - (1) - الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ وَخَطَرُهُ.

16 - - - - - (2) - التَّائِبُ وَالرَّقَى.

25 - - - - - (3) - ضَعْفُ الْإِيمَانِ وَعِلَاجُهُ.

الأحكام

35 - - - - - (4) - ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ.

46 - - - - - (5) - مِنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ.

54 - - - - - (6) - الاستخارة وفوائدها.

الأدب

61 - - - - - (7) - أُسُسُ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ.

71 - - - - - (8) - صَلَاحُ الْأَوْلَادِ وَالنَّهْيُ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِم.

80 - - - - - (9) - تَعْلِيمُ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدِ ثُمَّ الْقُرْآنَ وَأَمْرُهُم بِالصَّلَاةِ.

90 - - - - - (10) - وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

- الموضوع الصفحة
- (11) - النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهِ. ----- 100
- (12) - وفاة النَّبِيِّ ﷺ. ----- 110

الرفائق

- (13) - التَّقْوَى وَصِفَةُ الْمُتَّقِينَ. ----- 118
- (14) - صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ. ----- 127
- (15) - مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ. ----- 136
- (16) - وَصْفُ الْحُورِ الْعِينِ. ----- 148
- (17) - ذِكْرُ اللَّهِ عِبَادَةَ الْكَائِنَاتِ. ----- 156
- (18) - الاستغفار وفوائده. ----- 166
- (19) - الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَالسَّبِيلُ إِلَيْهِ. ----- 174
- (20) - الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ. ----- 183
- (21) - وَسْوَسةُ الشَّيَاطِينِ وَالتَّحْصِينَاتُ الْإِيمَانِيَّةُ. ----- 192
- (22) - شُكْرُ النِّعَمِ وَأَهْمِيَّتُهُ. ----- 202
- (23) - حُسْنُ الْخَاتِمَةِ وَسُوءُ الْخَاتِمَةِ. ----- 211

الأخلاق

- (24) - محاسنُ العَفْوِ وإصلاحُ ذاتِ الْبَيْنِ. ----- 220

- الموضوع الصفحة
- (25) - فضیلة الصدق والتّحذیر من الكذب. ----- 229
- (26) - التّواضع وصور من حیاته ﷺ. ----- 238
- (27) - الحسد وعلاجه. ----- 247
- (28) - التّحذیر من البخل وصور من جود النّبی ﷺ. ----- 256

قصص وعبر

- (29) - قصّة موسى والخضر. ----- 267
- (30) - قصّة یونس. ----- 275
- (31) - الغلام المؤمن. ----- 284
- (32) - أبو بكر الصّدیق. ----- 292
- (33) - عمر بن الخطّاب. ----- 302
- الفهرس. ----- 311



الصَّحِيحُ مِنْ الْأَثَرِ فِي

حِطِّ الْأَطْبَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر ج ٢

إعداد الشيخ: فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٦١٥٥.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٢٠.

القياس: ٢٤×١٧.

محمفوظة
جميع الحقوق

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠١٩

الجزء الثالث

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

الإدارة

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

المبيعات

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

٠٠-٠٠٠٠

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ فِي

خَطِّ الْأَمَلِيِّ

الجزء الثالث

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن حمزة قاتر الحاشري

عفا الله عنه

دار الأمانة
الرياض ٥٤٥٧٦٩

دار القسمة
نكس: ٥٤٥٧٦٩ ت: ٥٢٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قُدْوَةِ الدَّاعِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الْهُدَاةِ وَالْمُهْتَدِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِي «الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ» وَتَلَاهُ
الثَّانِي نَالَا إِعْجَابَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاسْتِحْسَانِهِمْ، وَرَغِبَ إِلَيَّ بَعْضُهُمْ أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي
إِخْرَاجِ مِثْلِ هَذِهِ الْخُطْبِ، فَلَمْ أَخْتَلِقِ الْعِلَلَ، فَحَسْبِي أَنْ أَكْتُبَ مَا أَعْتَقَدُ أَنَّهُ يُفَرِّغُنِي
إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ أَعْرِضَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِيَنْظُرُوا هَلْ فِيهِ مَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ
فَأُطْرِحَهُ، وَمَا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَأَنْشُرُهُ.

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ، لَكِنِّي - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَا أَتَكَلَّفُ مَا لَا أَحْسِنُهُ، وَاللَّهُ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا.

قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿لِيُفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطَّلَاقُ: 7).

وَهَذِهِ السُّلْسِلَةُ إِنَّمَا هِيَ امْتِدَادٌ لِسَابِقَتِهَا مِنْ حَيْثُ اعْتِمَادُهَا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
فَلَا تَصْلُحُ التَّرَكِيَةُ الْحَقَّةُ إِلَّا بِهِمَا بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البَقَرَةُ: 129).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾
يَعْنِي: السُّنَّةَ، قَالَهُ الْحَسَنُ⁽¹⁾.

(1) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (1 / 444).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 231).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ذَلِكَ يُعِظُ بِهِ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: 232).

فالموفق من وفقه الله إلى سلوك طريقة الرُّسُل - صلوات الله وسلامه عليهم - في دعوتهم.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151).

فموعظة الناس بالكتاب والسنة من المطالب العالية، والمقاصد السامية، وكلما عظم المطلوب وشرف، كثرت العوارض والموانع دونه، كما قيل: «كلما كان الفعل أنفع للعبد، وأحب إلى الله - تعالى -، كان اعتراض الشيطان له أكثر».

فحريُّ بطالب العلم أن يعظ الناس بالكتاب والسنة، فإنه لا يعدل عنهما إلى الحكايات والقصص إلا من قلَّ حظُّه من التوفيق.

اللَّهُمَّ: «يا وليَّ الإسلام وأهله، ثبتني به حتى ألقاك»⁽¹⁾.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وآله، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كَسَبُهُ

رَبِّي جَبْرَائِيلَ بْنَ حَبْرَةَ قَائِدَ رِطَابِ سُرِّي

(1) دَعَاءُ نَبِيِّ صَحِيحٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (653)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»

(4 / 438) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

عِظْمَةُ اللَّهِ

1

الخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبُوتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عِظْمَةِ اللَّهِ».

الْعِظْمَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،

وَالْعَظِيمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الْبَقَرَةُ : 255).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الْوَاقِعَاتُ : 96 ، الْحَقْلَةُ : 52).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الْحَقْلَةُ : 33).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِيهِ: «فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي، وَكِبْرِيائِي، وَعَظَمَتِي، وَجِبْرِيائِي، لَا أُخْرِجَنَّ مَنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ...».

قَالَ قَوَامُ السُّنَّةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»⁽⁴⁾:

«الْعَظَمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، لَا يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - خَلَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَظَمَةً يُعْظَمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْظَمُ الْمَالُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْظَمُ لِفَضْلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْظَمُ لِعِلْمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْظَمُ لِسُلْطَانِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْظَمُ لِحَاثِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُعْظَمُ لِمَعْنَى دُونَ مَعْنَى، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُعْظَمُ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ تَعْظِيمَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَأَهَمُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ لَا يُعْظَمُ اللَّهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نُوحٍ: 13). أَيُّ: مَا لَكُمْ لَا تُعْظَمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ.

(1) رواه البخاري (7510)، ومسلم (326 / 193).

(2) أي: لأنفضلنا عليهم بإخراجهم من النار من غير شفاعتي.

(3) رواه البخاري (7431)، ومسلم (2730).

(4) (41 / 1).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ نَبِيْنَا - ﷺ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - .
 فَنَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى
 النَّبِيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ
 وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ.
 فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - نَعَجْبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصَدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
 حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزُّمَرُ: 67).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ
 ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ:
 ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ وَيَحْرُكُهَا، يُقْبَلُ
 بِهَا وَيُدْبِرُ، يُمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ، فَارْجَفَ
 بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْمِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيْحَرْنَ بِهِ .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ:
 «يَقْبُضُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا
 الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ؟» .

(1) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (72 / 2)، وابن أبي عاصم في «السنن» (1 / 240 / 546)، وصححه الألباني في «الصحيحين» (12 / 29).

(3) رواه البخاري (7382)، ومسلم (2787).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ تَأَمَّلَ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ أَوْجُهَ الْعِظَمَةِ لِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -؛ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ آيَةٍ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «لِيَهْنَنَّ لَكَ - يَا أَبَا الْمُنْذِرِ - الْعِلْمُ».

وَالْكَرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بَعْدَ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «كِتَابِ الْعَرْشِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعَةُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَآةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَآةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ». أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْحَلْقَةُ؟ إِنَّهَا الشَّيْءُ الْمُسْتَدِيرُ: كَحَلْقَةِ الْحَاتِمِ وَنَحْوِهِ.

وَالْكَرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «مُخْتَصَرُ الْعُلُوِّ»⁽³⁾ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: «الْكَرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ إِلَّا لِلَّهِ».

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (1460)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (2/ 460).

(2) «صحيح» أخرجه ابن أبي شيبة في «كتاب العرش» (1/ 114)، وصحَّحه الألباني في «الصحيح» (109).

(3) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدركه» (2/ 282)، وابن خزيمة في التوحيد (1/ 249) وقال

الذهبي في «العلو» رجاله ثقات. انظر «مختصر العلو» للألباني (102).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ عَظَمَةَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تَتَجَلَّى فِي خَلْقِهِ؛ لِأَنَّ عَظَمَةَ المَخْلُوقِ تُدُلُّ عَلَى كَمَالِ الخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ»، وَاللَّفْظُ لَهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ [أَي: أَنْ كَثُرَتْ مَا فِيهَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ قَدْ أَنْقَلَهَا حَتَّى أَطَّتْ] وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

قَالَتْ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَأَنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأُفُقَ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِيهِ إِلَى عَانِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ».

(1) «صحیح» أخرجه أحمد (5/ 173)، وابن ماجه (2312) واللفظ له وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (2169).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

(4) «صحیح» أخرجه أبو داود (4727)، وصححه الألباني في «صحیح الجامع» (854).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَبَّادُ - حَفَظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَيُّ: فَإِذَا كَانَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ فَكَيْفَ بَقِيَّةَ جِسْمِهِ؟ أَيُّ فَهُوَ عَلَى ضَخَامَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا وَقَدَّرَهَا إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -⁽¹⁾.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُشْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽³⁾: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عِظْمٍ جُثَّةٍ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَخَرَقْتَاهَا وَخَرَجْتَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. «وَعُنُقُهُ مُشْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيَجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عِظْمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظْمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظْمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجُرْأَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشُؤُهَا كَمَالُ الْجُهْلِ بِاللَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ وَفِيهِ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيْلُ، قِيلَ:

(1) شرح سنن أبي داود للعباد (27 / 195).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1 / 231).

(3) (1 / 493).

(4) رواه البخاري (7515) عن أبي هريرة، ومسلم (162) عن أنس واللفظ له.

وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - ﷺ - قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفَتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدُ ظَهْرِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ».

قَوْلُهُ: لَا يَعُودُونَ أَي يَأْتِي مَلَائِكَةٌ غَيْرُهُمْ. قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - ⁽¹⁾.

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِمَا تَحَمَّلُهُ الْعُقُولُ، وَإِلَّا فَعِظَمَةُ اللَّهِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُحِيطُ بِهَا عَقْلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ أَمَامَكُمْ نَافِذَةٌ وَاسِعَةٌ سِعَةِ الْكُونِ كُلِّهِ، إِعْجَازٌ بَاهِرٌ، وَآيَاتٌ كَرِيمَةٌ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ^(٦) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ^(٧) بَصْرَةً وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ^(٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ^(٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْمٌ نَضِيدٌ ^(١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿ (فَتْحٌ : 6-11).

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَدُورَانِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَتَقَلَّبَانِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ (التَّحْتَاكُ : 29).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿ ^(١١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿ (الْبَقَرَةُ : 71، 72).

(1) شرح النووي على مسلم (2/ 225).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَاذَا نَفَعَلُ لَوْ لَمْ تَطَّلِعِ الشَّمْسُ؟ مَاذَا نَفَعَلُ إِذَا لَمْ يَغِبِ الْقَمَرُ؟ أَوْ مَاذَا نَفَعَلُ إِذَا لَمْ يَطَّلِعِ الْقَمَرُ؟ كَيْفَ نَعِيشُ؟ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يُونُسَ : 5).

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى تَكْوِينِ أَنْفُسِكُمْ، وَتَرَكَيبِ أَجْسَامِكُمْ، مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَهُ فِي هَذَا التَّرْكَيبِ الدَّقِيقِ، وَهَذَا النِّظَامِ الْعَجِيبِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذَّالِيَّاتِ : 21).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَظَمَةُ اللَّهِ تَتَجَلَّى فِي النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، فِي الْفَاكِهَةِ وَالشَّمْرِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ عَظَمَةَ اللَّهِ حَقَّ التَّأَمُّلِ قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَظَمَتُهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَضَعَتْ مَشَاعِرُهُ لِسُلْطَانِ اللَّهِ».

وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - ثَمَارُ تَعْظِيمِ اللَّهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -
وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَسَادَّكَرُ طَرَفًا مِنْهَا:

فَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ؛ الإِقْرَارُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَالْخُضُوعُ لِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي
عِبَادَتِهِ، وَعَدَمُ الإِشْرَاقِ مَعَهُ غَيْرَهُ.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ زِيَادَةُ الإِيْمَانِ؛ لِأَنَّ الإِيْمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ،
وَمَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ مَعَهُ تَابِعٌ لِلْمَعْرِفَةِ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -
فِي الْقَلْبِ وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَشَدَّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا.

فَالْمَلَائِكَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا كَانُوا مِنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِاللَّهِ عَظْمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ
فَعَبَدُوهُ سُبْحَانَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١٩)

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ (الْأَنْبِيَاءُ : 19، 20).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فِي وَصْفِهِمْ: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
مُشْفِقُونَ ﴿ (الْأَنْبِيَاءُ : 27، 28).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النَّحْلُ : 50).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن نبي الله - ﷺ - قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ أُنِيَ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا - أَي خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَانَهُ - أَي الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنْ تِلْكَ الثُّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَتَى امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِعِظَمَةِ اللَّهِ يَجْعَلُ الْمُسْلِمَ هَادِيَّ الْبَالِ سَاكِنَ النَّفْسِ، فَلَا يُجْزئُهُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ ظَالِمٍ نَهَايَةٌ فَمَهْمَا طَفَوْا وَبَغَوْا فَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغْلَبُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدْبِحُونَ بِآبَاءِهِمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ﴾ (القصص: 4).

فَمَاذَا كَانَتِ السَّيِّجَةُ؟

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ، فَبَدَنْتَهُمْ فِي آيَمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (الذاريات: 40).

وَمِنْ تِلْكَ الثُّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ مَعْرِفَتَنَا بِعِظَمَةِ اللَّهِ تُورِثُ الْقَلْبَ الشُّعُورَ الْحَيَّ بِمَعْنِيَّتِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَالَّتِي تَفِيضُ السَّكِينَةَ فِي الْمِحْنِ وَالْبَصِيرَةَ فِي الْفِتَنِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (الشعراء: 61).

أَي: أَنَّ الْبَحْرَ أَمَامَهُمْ وَالْعُدُوَّ خَلْفَهُمْ فَأَيْنَ الْمَفْرُ؟

فِيرُدُّ عَلَيْهِمْ مُوسَى - ﷺ - بِاسْتِشْعَارِ لِعِظَمَةِ اللَّهِ وَثِقَةِ كَامِلَةٍ بِمَوْعُودِهِ وَإِيمَانِ بِمَعْنِيَّتِهِ لَهُ: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: 62).

(1) رواه البخاري (4424).

فَمَاذَا كَانَتِ التَّيْبِجَةُ؟

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ (الشُّعْرَاءُ : 63-66).

وَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَصَاحِبُهُ إِلَى الْغَارِ وَاقْتَرَبَ الْأَعْدَاءُ حَتَّى كَانُوا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ شَاهِرِينَ سِيُوفَهُمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِكُلِّ ثِقَةٍ: «مَا ظَنَنْكَ - يَا أَبَا بَكْرٍ يَا ثَنِينَ اللَّهُ تَالِيَهُمَا!»

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ شَهِدَ قَلْبُهُ عَظَمَةَ اللَّهِ وَكِبْرِيَاءَهُ عَلِمَ شَأْنَ مَخْذِيرِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَلَا يَتَعَرَّضُ لِسَخَطِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَحْذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (الْعَنْبَرِيَّةُ : 30).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «أَيُّ: فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِسَخَطِهِ بِارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ فَيُعَاقِبَكُمْ عَلَى ذَلِكَ»⁽²⁾.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَرَحُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ، وَطُمَأْنِينَتُهُ؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ التَّعْظِيمَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ، وَتِلْكَ هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَالَّتِي مَنْ دَخَلَهَا دَخَلَ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَامْتِثَالُ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، وَتَعْظِيمُ شَعَائِرِهِ.

(1) رواه البخاري (3653)، ومسلم (2381).

(2) تفسير ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (128).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ. ﴾
(الْبَلَدِ: 30).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾
(الْبَلَدِ: 32).

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَصَفَهُ بِمَا
يَسْتَحِقُّ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَأَقْرَبَ بِأَفْعَالِهِ، وَنَسَبَ النِّعَمَ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (الْبَلَدِ: 53).

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ خَافَ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ
الْمَعْرِفَةَ تُوقِعُهُ عَلَى صِفَاتِ جَلَالِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ
وَعَلَبَهُ، وَالَّذِي لَا يُطَاقُ انْتِقَامُهُ، مُذِلُّ الْجَبَابِرَةِ قَاصِمُ ظُهُورِ الْمُلُوكِ وَالْأَكَاسِرَةِ
وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الْقَوِيُّ الَّذِي تَتَصَاغَرُ كُلُّ قُوَّةٍ أَمَامَ قُوَّتِهِ، وَيَتَضَاعَلُ كُلُّ عَظِيمٍ أَمَامَ
ذِكْرِ عَظَمَتِهِ.

وَلِأَجْلِ شُهُودِ صِفَاتِ عَظَمَتِهِ وَجَلَّتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ لِمُجَرَّدِ ذِكْرِهِ قَالَ اللَّهُ
- سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الْأَنْعَامِ: 2).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
(الْبَلَدِ: 34، 35).

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِنْقِيَادَ لِحُكْمِكَ وَالتَّعَظِيمَ لِشَأْنِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِيئَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُّهْتَدِينَ.

الخوف من الله

2

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ» وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا الْخَوْفُ؟ إِنَّهُ مَقَامَاتٌ عَلِيًّا مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ وَلَا زِمَّ مِنْ لَوَازِمِهِ ⁽¹⁾ إِنَّهُ سَوَّطُ اللَّهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمَوَاطَبَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِيَنَالُوا بِهِمَا رُتْبَةَ الْقُرْبِ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - وَسِرَاجَ الْقُلُوبِ بِهِ يُبْصِرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

(1) انظر «فتح الباري» (11 / 313).

وَكُلُّ أَحَدٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا خَافَهُ الْعَبْدُ هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فَإِنَّهُ إِذَا خَافَهُ هَرَبَ إِلَيْهِ. وَمَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ (1).

وَحُكْمُ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ آثِمٌ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

فَمَنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ:

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ (التَّحْوِيلَاتُ : 175).

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ : « وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوبُ الْخَوْفِ

مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، فَعَلَى قَدْرِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ » (2).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُوا ﴾ (الْمَائِدَةُ : 44).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ : « أَمَرَ اللَّهُ بِخَشْيَتِهِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ كُلِّ

خَيْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَخْشِ اللَّهَ لَمْ يَنْكَفَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ » (3).

وَالْحَشْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ، فَهِيَ أَحْصَسُ مِنَ الْخَوْفِ وَلَا تَكُونُ

إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(قَطْطٌ : 28). فَهَذَا خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

- ﷺ - : «... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ».

(1) انظر «بصائر ذوي التمييز» (2 / 577).

(2) تفسير ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (ص 157).

(3) المرجع السابق (ص 233).

فَخَوْفُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيْهَا النَّاسُ - خَوْفًا مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ. فَعَلَيْهِ نَقُولُ: الْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْحَشْيَةُ. فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْهَرَبِ وَصَاحِبُ الْحَشْيَةِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ.

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الْحَشْيَةُ خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يُحْشَى وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ، فَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَمْ لَا، فَهَذَا خَوْفٌ. وَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ، فَهَذِهِ خَشْيَةٌ». وَلِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ مَنَافِعٌ وَمَسَارٌّ وَفَوَائِدٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَسَوْفَ أَذْكَرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ.

فَمِنْ الْفَوَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَوْفِ - أَيْهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - جَعَلَهُ شَرْطًا لِحُصُولِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التَّحْوِيلَاتُ: 175).

قَالَ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «لَا تَخَافُوا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظَمَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، مَا أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفْرِ، وَلَكِنْ خَافُونِي وَاتَّقُونِي أَنْ تَعْصُونِي، وَتُخَالِفُوا أَمْرِي فَتَهْلِكُوا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»⁽¹⁾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيْهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ التَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿ (إِبْرَاهِيمُ: 13، 14).

(1) تفسير الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - (4/ 184).

وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِحْلَاصِ فِيهِ .
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُكُمْ حِزًّا وَلَا نُشْكُرُكُمْ ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ
 رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ۝ ﴾ (الْأَنْعَامُ : 9، 10) .

فَمَنْ أَجَلَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ نَطْعُمُ الْمِسْكِينِ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ۝ ﴾
 أَيُّ أَنَّهُ يَوْمٌ طَوِيلٌ عَبُوسٌ شَدِيدٌ هَوْلُهُ عَظِيمٌ أَمْرُهُ، تَعَبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ شِدَّةِ
 الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تَرَاهَا وَيَطُولُ بَلَاءُ أَهْلِهِ وَيَشْتَدُّ؛ إِنَّهُ يَوْمٌ عَصِيبٌ !..

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
 بِالْعُدْوَى وَالْأَصَالِ ۝ رِجَالٌ لَا لُئِيمِهِمْ يَخِذُّهُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
 نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ ﴾ (التَّوْبَةُ : 36، 37) .

فَالْخَوْفُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى الْعَمَلِ فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ التِّجَارَةُ وَلَا
 الْمَالُ وَلَا الْمَادَّةُ وَلَا الْإِغْرَاءَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا
 بِالصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ؛ لِأَنَّهُمْ ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ ﴾
 أَيُّ: تَضَطَّرَبُ، وَتَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفَظَاعَتِهِ فَهَمَّ - أَيُّهَا
 النَّاسُ - يُرِيدُونَ النَّجَاةَ وَيَحْذَرُونَ الْهَلَاكَ، وَيَخَافُونَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ،
 يَخَافُونَ أَنْ يُؤْتُوا كُتُبَهُمْ بِشِمَاهِمُ، كَذَلِكَ يَعْمَلُونَ .

فَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَمْعُ الشَّهَوَاتِ وَيَكْدُرُ اللَّذَاتِ، فَتَصِيرُ
 الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةُ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً مُكْدَرَةً .

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ تَكْدِيرَ اللَّذَائِدِ الْمُبَاحَةِ،
 فَالرَّسُولُ - ﷺ - «اسْتَمْتَعَ بِمُبَاحَاتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِمَامُ الْخَائِفِينَ وَهُوَ الْقَائِلُ كَمَا
 فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ

- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءِ وَالطَّيْبِ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽¹⁾.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ الْخُوفَ مِنَ اللَّهِ يُكَدِّرُ الذَّاتِ الْمُحَرَّمَاتِ بِتَذَكُّرِ عَذَابِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ لِمَنْ وَقَعَ فِيهَا فَالزَّانِي - أَيُّهَا النَّاسُ - لَوْ تَذَكَّرَ عَذَابَ اللَّهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ تَكَدَّرَتْ لِدُنَّتِهِ بَلْ لَوْ تَذَكَّرَ - فَقَطُ - مَا يَنْتَظِرُهُ فِي قَبْرِهِ لَتَكَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْمُحَرَّمَاتُ، وَكَذَلِكَ قَاتِلُ النَّفْسِ وَشَارِبُ الْخَمْرِ وَالسَّارِقُ وَمَنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَمَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ لَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَبْرِهِمْ وَيَوْمِ حَشْرِهِمْ لَذَاقُوا مَرَارَةَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلْخَائِفِ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيُّ مَنْزِلَةٍ. فَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَرْضَى عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البَيِّنَاتُ : 8).

أَيُّ أَنَّ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ خَافَ اللَّهَ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لَهُ جَنَّتَانِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (التَّحْرِيمُ : 46).

أَيُّ أَنَّ الَّذِي خَافَ رَبَّهُ فَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، لَهُ جَنَّتَانِ.

أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْجَنَّتَانِ؟ إِنَّهُمَا جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آبِيَّتُهُمَا وَحَلِيَّتُهُمَا وَبُنْيَانُهُمَا وَمَا

فِيهَا. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - تِلْكَ الْجَنَّتَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (التَّحْرِيمُ : 48).

(1) «صحیح» أخرجه أحمد (11884)، والنسائي في «عشرة النساء» (3939)، وصححه الألباني في

«صحیح الجامع» (3124).

أَي ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النَّعِيمِ وَأَنْوَاعِهِ .
 وَوَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - تِلْكَ الْجَنَّتَيْنِ بِأَوْصَافٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ
 تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي ٱلْءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِي ٱلْءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾
 مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّيْنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ وَحَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِي ٱلْءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَةٌ
 ٱلْظَّرْفَ لَمْ يَطْمِئِنَّ ٱلْءَنسُ فَبَآئِهِمْ وَلَا جَأَنٌ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ٱلْءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾
 فَيَأْتِي ٱلْءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ ٱلْءَإِحْسَنِ إِلَّا ٱلْءِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ (التَّحْنُوتُ: 50-60).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ ٱلْحَنَافِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ - أَيُّهَا ٱلنَّاسُ - أَنَّ لَهُ مِنْ ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلْعَظِيمِ
 مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ . قَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - :
 ﴿ إِنَّمَا يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾
 تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ
 نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ (ٱلْبَقَرَةُ: 15-17).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ ٱلْحَنَافِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ - أَيُّهَا ٱلنَّاسُ - أَنْ يَكُونَ أَمِنًا فَلَا يَخَافُ أَبَدًا .
 فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَٱلْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ ٱلْإِيمَانِ» وَابْنُ ٱلْمُبَارَكِ
 فِي «ٱلزُّهْدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ ٱلْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ٱلْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
 - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ - ﷺ - قَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي ٱلْحَدِيثِ
 ٱلْقُدْسِيِّ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا هُوَ خَافَنِي فِي ٱلدُّنْيَا؛
 أَمَّتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي ٱلدُّنْيَا أَخَفْتُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ»⁽¹⁾.

(1) «حسن» أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (1 / 51) من حديث الحسن مرسل، وأخرجه ابن حبان

(2 / 406) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1 / 483)، من حديث أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - .

قال الدارقطني في «العلل» (8 / 38): إنها يعرف من حديث الحسن مرسلًا، وأخرجه الطبراني في

«مسند الشاميين» (1 / 266)، وأبو نعيم في «الحلية» (1 / 270) من حديث شداد بن أوس -

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4332).

وَمِنْ مَنزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ اللَّهِ كَمَا فِي
 «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :
 «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
 مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَنزِلَةِ الْخَائِفِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبِّهْ بِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

(التكوير: 17، 18).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) أخرجه البخاري (1423)، ومسلم (1031).

الخطبة الثانية - أسباب الخوف من الله :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن الخوف من الله، والآن حديثي معكم عن «أسباب الخوف من الله».

فمن أسباب الخوف من الله - أيها الناس - طلب العلم الشرعي.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فصل : 28).

«لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه، فذلك خص العلماء بالخشية»⁽¹⁾.

ومعلوم أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله - سبحانه وتعالى - وأشدهم خوفاً منه وطمعاً في رحمته⁽²⁾، وكذلك أهل العلم.

ومن الأسباب الجالبة للخوف من الله - أيها الناس - إجلال الله وتعظيمه فإن ذلك يقتضي الخوف والهيبه منه - سبحانه وتعالى - وهذا فائدة معرفة أسمائه وصفاته. فمن علم أن ربه متتقم شديد العقاب، متكبر، مهيم، على كل شيء قدير خافه ولاذ بجنايه.

لهذا كان أعظمهم له خوفاً وخشية أشدهم له تعظيماً.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1 / 1637).

(2) أضواء البيان (16 / 144).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
(التَّحْلُوكَ : 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ - أَي: إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا - أَي: خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ - أَي: الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَ نَبِيَّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصَدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَمِينِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾
سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿الْبُرُجُ : 67﴾.

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أُذِنَ لِي أَنْ

(1) رواه البخاري (4424).

(2) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (4727)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (854).

أَحَدَتْ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُشْنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽²⁾: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عِظْمِ جُنَّةِ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلَتْما إِلَيْهَا وَخَرَقَتْهَا وَخَرَجَتْما مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ. «وَعُنُقُهُ مُشْنَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيُرَدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيَجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عِظْمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظْمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظْمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجَرَاءُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنشُوءًا كَمَالِ الْجَهْلِ بِاللَّهِ. وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِيَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا».

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1 / 231).

(2) (1 / 493).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (5 / 173)، والترمذي (2312) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه

(14190) واللفظ له، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (2169).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
 وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم
 بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (الْمُنَافِقَاتُ : 33) .

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ
 الْعِظَامِ . قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكَبِيرِ ﴾ (الْمُنَافِقَاتُ : 35) .

فَهَذَا أَعْظَمُ إِذْذَارٍ كَبُرَتْ مُنْذِرَةٌ دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ أَعْظَمُ الدَّوَاهِي .
 قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « مَا أَنْذَرَتِ الْخَلَائِقُ بِشَيْءٍ قَطُّ أَخْضَعَ مِنْهَا » .
 وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ
 يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الْبَكْرَةُ : 28) .

وَمِنَ الْأُمُورِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ سِيرِ الْخَائِفِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ
 وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
 وَالبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ الَّذِينَ عَنْهُمْ ابْنُ الْمُبَارَكِ
 - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ :

- إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ○●○ فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
 أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا ○●○ وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
 لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ ○●○ أَنْبِئْ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ
 وَخَرَسٌ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتٍ ○●○ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِيَّتِهِمْ خُشُوعٌ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَسْأَلُ اللَّهَ الْخَشِيَّةَ، وَالْخَشْيَةَ هِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعِلْمٍ - كَمَا تَقَدَّمَ - فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقَوَاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ».

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ بِهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَسْتَعِيدُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يُحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

(1) «حسن» رواه الترمذي (3502)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1268).

(2) «صحيح» رواه أحمد (17861)، والنسائي (1306)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1301).

الرجاء

3

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبُوتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءِ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،

وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الرَّجَاءِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ الْخُوفُ مِنَ اللَّهِ هُوَ سَوَاطِئَ اللَّهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمُوَظَبَةِ عَلَى

الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّ «الرَّجَاءَ» كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «حَادٍ يَجْدُو بِهِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى

اللَّهِ، وَيَطِيبُ لَهُ الْمَسِيرَ، وَيَجْتُمُّ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُهُ عَلَى مَلَاذِمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ.

فَإِنَّ الْخُوفَ وَحْدَهُ لَا يَجْرِكُ الْعَبْدَ، وَإِنَّمَا يَجْرِكُهُ الْحُبُّ، وَيَزْعِجُهُ الْخُوفُ وَيَجْدُوهُ الرَّجَاءُ»⁽¹⁾.

(1) «مدارج السالكين» (2 / 241).

فَالْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَاَلْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَامْتَمَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّيْرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ، وَامْتَمَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَامْتَمَى فَقَدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عَرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، لَكِنَّ السَّلْفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصَّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يُقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ»⁽¹⁾.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ «التَّمَنِّي» يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَ«الرَّجَاءُ» يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ - «كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْذُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي - كَحَالِ مَنْ يَشْتَقُّ أَرْضَهُ وَيُفْلِحُهَا وَيَبْذُرُهَا، وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

هَذَا أَجْمَعَ الْعَارِضُونَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ وَرَدَ الرَّجَاءُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَسَادَّكَرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ. فَمِنْهَا:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ﴿الْإِنشَاءُ : 57﴾.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعِبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ»⁽³⁾.

(1) المرجع السابق (1 / 517).

(2) المرجع السابق (2 / 217 - 218).

(3) «مدارج السالكين» (2 / 35).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - مُخْبِرًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا ﴿﴾ (تَحْفَظُكَ: 44، 45).

فَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا حَسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - وَقَالَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ أَسْلَمْتُهُ إِلَى اللَّهِ لِيَعِصِمَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ كَانَ الْجَوَابُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا﴾ . وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الْبُرُجُ: 53).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحْمَةُ اللَّهِ - : «اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، مِنَ الشَّرِّ وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَيَاسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ كُلَّهَا، وَلَيْسَ الْخِطَابُ لِمَنْ عِنْدَهُمْ مَعَاصٍ قَلِيلَةٌ بَلْ لِمَنْ اسْرَفُوا وَكَثُرَتْ مَعَاصِيهِمْ. فَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ، وَالكَرِيمِ إِذَا أَمَرَ بِالرَّجَاءِ لَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا الْكَرَمُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا

(1) تفسير ابن سعدي (736).

(2) «حسن» أخرجه الترمذي (270/2)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4338).

ابن آدم! لو أنك أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لآتيتك بقرابها مغفرةً.

أيها الناس إن الله - سبحانه وتعالى - قد فتح لنا باباً عظيماً ألا وهو باب الرجاء. ففي الحديث - بشارَةٌ عظيمةٌ، وحلمٌ وكرمٌ عظيمٌ، ومالا يخفى من أنواع الفضل والإحسان، والرأفة والرحمة والامتنان.

والرجاء - أيها الناس - أساسه حسن الظن بالله - سبحانه وتعالى - ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : «يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا ذَكَرَنِي فَلْيُظَنِّ بِي عَبْدِي مَا شَاءَ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي أَيُّ قَادِرٍ عَلَى أَنْ أَعْمَلَ بِهِ مَا ظَنَّ أَنِّي عَامِلٌ بِهِ»⁽²⁾.

أيها الناس إنه متى عظم الرجاء بالله وأيقن أن الله - سبحانه وتعالى - سيغفر له وعظم ذلك في قلبه فقد حصل له مطلوبه؛ لأنه قام في قلبه إحسان الظن به وإعظام الرغبة إليه، والمراد بالظن هنا العلم بقوله تعالى: ﴿وَطَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ كما نبه على ذلك ابن أبي جمرة - رَحِمَهُ اللَّهُ -⁽³⁾.

أيها الناس إن أحاديث الرجاء أضعافُ أحاديث الخوفِ وما ذاك إلا لعظم أهميته؛ ولأن اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله كفرٌ بالله العظيم.

(1) «صحيح» رواه أحمد في المسند (491/3)، وابن حبان (634/633)، والحاكم في المستدرک (340/4) من حديث وائلة بن الأسقع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

وأخرجه - أيضاً - أحمد (2/315، 445)، والبخاري (7505)، ومسلم (7675)، والبعثي في شرح السنة (1225) وابن حبان (639) من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

(2) الفتوح (13/385).

(3) فيض القدير (4/642).

قَالَ الطَّيْبِيُّ قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحْمَةُ اللَّهِ - : «قَدْ تَبَعْتُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَوَجَدْتُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ أَوْعَافَ أَحَادِيثِ الْخَوْفِ مَعَ ظُهُورِ الرَّجَاءِ فِيهَا قُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ وَهُوَ سَبَقَتْ أَوْ غَلَبَتْ رَحْمَتِي عَلَى غَضَبِي لَكُنِيَ دَلِيلًا عَلَى تَرْجِيحِ الرَّجَاءِ وَيَعْضُدُهُ آيَةٌ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الْإِسْرَافَاتُ : 156). بل هو أمرٌ مشاهدٌ في عالم الوجودِ في غلبة آثارِ الرجاءِ على آثارِ الخوفِ»⁽¹⁾.

وها أنا - أيها الناس - أذكرُ بعضَ أحاديثِ الرجاءِ ترغيبًا للسائرينَ فففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديثِ عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أربعونَ خصلةً - أعلاهنَّ منحةُ العنزِ - ما منُ عاملٍ يعملُ بخصلةٍ منها رجاءً ثوابها وتصديقٍ موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»⁽³⁾.

والمنيحةُ - أيها الناس - هي أن الإنسانَ يكونُ عنده غنمٌ وفيها حليبٌ فيمنحُها لفقيرٍ يجلبُها ويستفيدُ منها فإذا انتهَى الحليبُ منها أرجعها لصاحبها.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيما يرويه عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَاذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ - ثُمَّ عَادَ فَاذْنَبَ. فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكَ».

(1) مرتاة المفاتيح (5 / 317).

(2) رواه البخاري (2631).

(3) رواه البخاري (2631).

(4) رواه البخاري (7 - 750)، ومسلم (2758) واللفظ له.

فهذا العبدُ - أيها الناسُ - علمَ بذنبه وعلمَ أنه معاقبٌ عليه من الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - إن شاء وعلمَ أن الله غفارُ الذنوبِ وقابلِ التَّوْبِ من عبادِهِ رجَعَ إلى الله رجاءِ رحمتهِ وخوفاً من عقابه كانَ ذلكَ سبباً في قبولِ توبتهِ بخلافِ مَنْ ظنَّ أن اللهَ تخفى عليه خافيةٌ فإنه كافرٌ بلا شكٍ فله ما أعظمَ الرجاء! وما أعظمَ نفعه! وما أحوجَ العبدَ إليه وإلى تعلُّمه وفهمه!

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». الْحَدِيثُ..

وفيه: «قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُتَأَسِّدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرَجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا..... الْحَدِيثُ».

أيها الناس أبشروا فرحمة الله واسعة كل شيء.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ لِلَّهِ مِائَةٌ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فَبِهَا يَتَعَاطُونَ وَبِهَا يَتَرَاخَمُونَ وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخْرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتَسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) رواه البخاري (7439)، ومسلم (183) واللفظ له.

(2) رواه البخاري (6000)، ومسلم (2752) واللفظ له.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنْ رَحِمْتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

وفي لفظ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فَكَأَكُ مِنَ النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذَنْبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (2194) واللفظ له، ومسلم (2751).

(2) رواه مسلم (2755).

(3) رواه مسلم (2767).

(4) رواه مسلم (26).

(5) رواه مسلم (2749).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الرَّجَاءِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَذْكَرُ لَكُمْ نَقْطَةً
مَهْمَةً وَهِيَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الطَّاعَةِ كَمَا قَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَامَةُ
صِحَّةِ الرَّجَاءِ حُسْنُ الطَّاعَةِ»⁽¹⁾.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَنْفَطِرَ رِجْلَاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ
لَكَ مِمَّا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟».

فَهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمْ يَزِدْ إِلَّا اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ
لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرَ.

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ
ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. فَقَالَ: «يَا مَعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا
حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ
يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تَبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا».

(1) «مدارج السالكين» (2/ 218).

(2) رواه البخاري (19)، ومسلم (81).

(3) رواه البخاري (2856) واللفظ له، ومسلم (30).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ قَالَ الْعُلَمَاءُ: «يُؤَخَذُ مَنْ مَنَعَ مَعَاذَ مَنْ تَبَشِيرِ النَّاسِ لِئَلَّا يَتَكَلَّمُوا أَنَّ أَحَادِيثَ الرَّحْصِ لَا تُشَاعُ فِي عَمُومِ النَّاسِ؛ لِئَلَّا يَقْصَرَ فَهْمُهُمْ عَنِ الْمُرَادِ بِهَا».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد سمعها معاذ فلم يزد إلا اجتهادا في العمل، وخشية لله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فأما مَنْ لم يبلغ منزلته فلا يأمن أن يقصر اتكالا على ظاهر الخبر».

أيها الناس قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بوصية رسول الله ﷺ قبل موته.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا يموتنَّ في حالٍ من الأحوال إلا في هذه الحالة وهو حسن الظن بالله - تعالى - بأن يظنَّ أنه يرحمه ويعفو عنه لأنه إذا احتضر لم يبقَ لخوفه معنًا بل يؤدِّي للقنوط»⁽²⁾.

فهذا - أيها الناس - الذي يجب أن يكون عليه العبد إذا جاءه الموت وانقطع العمل.

ففي سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽³⁾ من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟». قَالَ: «وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرْجُو اللهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ مِثْلُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ».

(1) رواه مسلم (2877)، وأبو داود (3113).

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير (2/977).

(3) «حسن» أخرجه الترمذي (983) وقال حديث حسن غريب وحسنه الألباني في «الصحيحه»

أَيُّهَا النَّاسُ هَكَذَا كَانَ حَالُ السَّلَفِ عِنْدَ الْمَوْتِ فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَأْمُرُ بِنَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ
أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِ آيَاتُ الرَّحْمَةِ⁽¹⁾ حَتَّى تَخْرُجَ رَوْحُهُ وَهُوَ مُحْسِنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُ
وَيَرْحَمُهُ وَيَسْتَقْبَلُهُ بِالْإِنْعَامِ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟!

إِذَا أَمْسَى فِرَاشِي مِنْ تَرَابٍ ○●○ وَصَرْتُ مَجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ

فَهُنُونِي أَحِبَائِي وَقَوْلُوا ○●○ لَكَ الْبَشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ

ها هنا وقفة مع الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فَعَنْ فَقِيرِ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى
الشَّافِعِيِّ أَعُوذُهُ فِي مَرَضٍ مَوْتَهُ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ:
أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا وَإِخْوَانِي مَفَارِقًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَلَا أُدْرِي أَرُوحِي
تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَأَهْنِيهَا أَمْ إِلَى النَّارِ فَأَعْزِيهَا؟ وَأَنْشَأُ يَقُولُ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ○●○ جَعَلْتُ الرَّجَاءَ مَنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَّرْتُهُ ○●○ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمًا⁽²⁾

«ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

(1) روي ذلك عن سليمان التيمي كما في السير (6/199)، وتهذيب الكمال (12/12).

(2) «دليل الفالحين» لابن علان (2/361).

شَطْرُ الْإِيمَانِ

4

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْوُضُوءِ».

وَالْوُضُوءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَفَضْلُهُ جَلِيلٌ.

فَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ شَطْرُ الْإِيمَانِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

(1) رواه مسلم (223).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكَمُ الرِّبَاطُ» .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاؤُهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» .

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» .
وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» .

(1) رواه مسلم (251).

(2) رواه مسلم (244).

(3) رواه مسلم (245).

(4) رواه مسلم (234).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ نُورٌ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ».

وَالْحِلْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ النُّورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَرَادَ بِالْحِلْيَةِ هَا هُنَا التَّحْجِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْنَهَايَةِ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ عَلَامَةٌ تَمَيِّزُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عِنْدَ وَرُودِ الْخَوْصِ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ لَكِنَّ الْوُضُوءَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ تِلْكَ الْفَضَائِلُ هُوَ الْوُضُوءُ الْحَسَنُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ». وَتَقَدَّمَ - أَيضًا - فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ».

وَهَا أَنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذْكَرُ لَكُمْ صِفَاتِ وَضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا هَدْيَ أَحْسَنُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ.

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النِّيَّةُ وَهِيَ أَنْ يَنْوِيَ الْوُضُوءَ بِقَلْبِهِ لِمَا فِي «الصحيحين»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(1) رواه مسلم (250).

(2) النهاية (1/345).

(3) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

(4) رواه البخاري (136)، ومسلم (246).

وَلَا يَنْطِقُ بِالنِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا، وَلِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِخْبَارِ بِمَا فِيهِ.

ثُمَّ التَّسْمِيَةُ بَعْدَهَا يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ لَمَّا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ».

ثُمَّ غَسَلَ الْوَجْهَ كُلَّهُ ثَلَاثًا مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرْضًا وَمِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَى أَسْفَلِ اللَّحْيَةِ طَوْلًا.

وَمِنْ الْوَجْهِ الْمَضْمُضَةُ وَهِيَ غَسْلُ الْفَمِ وَتَحْرِيكُ الْمَاءِ فِيهِ، وَالِاسْتِنْشَاقُ وَهُوَ إِبْصَالُ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْأَنْفِ وَجَذْبُهُ بِالنَّفْسِ إِلَى أَقْصَاهُ.

وَالِاسْتِنْشَاقُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَنْفِ بَعْدَ الْاسْتِنْشَاقِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرِطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَجْهَ بِمَا فِيهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة: 6).

فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِغَسْلِ الْوَجْهِ مُطْلَقًا وَفَسْرُهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِعْلِهِ وَتَعْلِيمِهِ فَمَضْمُضٌ وَاسْتِنْشَاقٌ فِي كُلِّ وُضُوءٍ تَوَضَّأَهُ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ) قَالَ: قِيلَ لَهُ: تَوَضَّأْنَا لَنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفَأْنَا مِنْهَا عَلَى يَدَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهُ، فَمَضْمَضَ وَاسْتِنْشَقَ مِنْ كَفِّ وَاحِدَةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ وَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ

(1) «حسن» أخرجه أبو داود (101)، وابن ماجه (398)، والتِّرْمِذِيُّ (25) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (81).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).

إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ رَأْسَهُ، فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ
وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ غَسْلُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى لِقَوْلِ اللَّهِ
- سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (الْمَائِدَةُ : 6).

﴿وَالْي﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْمِرْفَقَيْنِ فِي الْغُسْلِ وَيَجِبُ
- أَيضًا - إِدْخَالُ الْكَفَّيْنِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَغْفُلُ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرَطَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى - أَمَرَ بِغَسْلِ الْيَدَيْنِ
إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَفَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفَعْلِهِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضْدَيْنِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ
فِي السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ».

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَسْحُ الرَّأْسِ كُلِّهِ مِنْ مَقْدَمِهِ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْهُ الْأُذُنَانِ فَيُدْخَلُ
سَبَّاحَتَيْهِ فِي صِهَاخِيهِمَا، وَيَمْسَحُ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَهُمَا.

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ (الْمَائِدَةُ : 6).

وَالْبَاءُ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلْإِلْصَاقِ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ «أَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ».

وَيُؤَيِّدُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ (أَي قَدَحٍ مِنْ جِيدِ النَّحَاسِ)
فَتَوَضَّأَ فغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ بَدَأَ
بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

(1) رواه مسلم (246).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).

وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْأُذُنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ لَأَمْتَهُمَا مِنْهُ. ففِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَذَانُ مِنَ الرَّأْسِ».

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ الْعِنَايَةِ بِالْعَقَبَيْنِ.

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (الْمَائِدَةُ : 6).

بِنَصْبِ «أَرْجُلَكُمْ» عَطْفًا عَلَى الْمَغْسُولَاتِ.

﴿إِلَى﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْكَعْبَيْنِ فِي الْغَسْلِ وَلَا
يَجُوزُ أَنْ يُفْرَطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَفَسَّرَهُ
النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمِ فِيهِ قَوْلُهُ: «وَعَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى
أَشْرَعَ فِي السَّاقَيْنِ».

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - وَضُوءُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ صَلَّى
رَكَعَتَيْنِ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِإِنَاءٍ
فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، فَعَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ
(وَاسْتَنْشَر)، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ
وُضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (443)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (84).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (158)، وَمُسْلِمٌ (226).

الخطبة الثانية - ما ينقض الطهور :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الوضوء» والآن حديثي معكم عن نواقضه.

أيها الناس قبل أن أذكر نواقض الوضوء أذكركم بسننه.

فمن سنن الوضوء - أيها الناس - السواك فقد أخرج البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به وصححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله رضي الله عنه: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء».

ومن سنن الوضوء - أيها الناس - غسل الكفين في أول الوضوء.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عثمان رضي الله عنه في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم: «فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما».

إلا إذا كان مستيقظاً فإنه يجب غسلهما على الصحيح لما في «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده».

ومن سنن الوضوء - أيها الناس - غسل الأجزاء ثلاثاً عدا الرأس فيمسح مرة واحدة فقط.

(1) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به (4/158)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (5316).

(2) رواه البخاري (159)، ومسلم (226).

(3) رواه البخاري (162)، ومسلم (278).

لِحَدِيثِ حُمْرَانَ مَوْلَى عُمَرَ الْمُتَقَدِّمِ وَفِيهِ أَنَّهُ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ⁽¹⁾.

وَبُثِّتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً».

وَبُثِّتَ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ: «تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ».

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ مَرَّتَيْنِ وَالْبَعْضُ ثَلَاثًا لَمَّا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَسَلَ بَعْضَ أَعْضَائِهِ مَرَّتَيْنِ وَبَعْضَهَا ثَلَاثًا.

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَخْلِيلُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ لَمَّا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ لَقِيْطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَبَالَغْ فِي الْأَسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بَعْدَ الْوُضُوءِ لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁶⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه البخاري (156).

(3) رواه البخاري (157).

(4) رواه البخاري (185)، ومسلم (191).

(5) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (129).

(6) رواه البخاري (6433)، ومسلم (226).

فیسبغ، ثمَّ یقول: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شریک له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلاَّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». ومن سنن الوضوء صلاة ركعتين بعد الوضوء.

لما في «الصحیحین» من حدیث عثمان رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه.

أيها الناس بعد أن ذكرت بعض سنن الوضوء ها أنا أذكر لكم نواقض الوضوء. فمن نواقض الوضوء - أيها الناس - الخارج من السبيلين كالبول والغائط والريح لقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ (البقرة: 6).

ولما في «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حدیث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ». فقال رجل من حضر موت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: فساء أو ضراط.

ومن نواقض الوضوء - أيها الناس - المني والودي والمذي.

فقد أخرج «البيهقي»⁽²⁾ بسند صحيح إلى ابن عباس أنه قال: «المني، والودي، والمذي: أما المنى فيه الغسل، وأما المذي والودي ففيهما إسباغ الوضوء».

ومن نواقض الوضوء - أيها الناس - النوم المستغرق الذي ليس معه إدراك ولا سيباً إذا شك أن ریحاً خرج منه.

وكذا الجنون والإغماء وما أشبه ذلك من الأدوية المزيله للعقل.

(1) رواه البخاري (135) واللفظ له، ومسلم (225).

(2) «صحیح» أخرجه البيهقي (1/115).

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَسُّ الْفَرْجِ بِلَا حَائِلٍ .
 لَمَّا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ
 بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ» .
 وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَكْلُ لُحُومِ الْإِبِلِ .
 لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَتَوْضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا
 تَتَوَضَّأْ» . قَالَ: أَتَوْضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ» .
 اللَّهُمَّ فَفَهَّنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَكَ عَلَى بَصِيرَةٍ .
 اللَّهُمَّ وَفَقِّنَا لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ .

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (181)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (116) .

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (360) .

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

5

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ حَادِثَانِ مُتَلَازِمَتَانِ وَمْتَرَادِفَتَانِ ثَابِتَانِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فَلَقَدْ نَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى أَنَّ مَعْجَزَةَ الإِسْرَاءِ قَدْ تَمَّتْ لَيْلًا حِينَ تَمَّ انْتِقَالُ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ⁽¹⁾.

(1) انظر «نظرة النعيم» (1/ 247).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الأنزل: 1).

وَمَّا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ .

السَّبْحُ فِي اللُّغَةِ التَّبَاعُدُ وَالْمَعْنَى يَنْزِعُ اللَّهُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ وَيَعْظُمُهَا عَمَّا لَا يَنْبَغِي وَقَوْلُهُ: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أَيُّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ .

وَنِسْبَةُ النَّبِيِّ إِلَى رَبِّهِ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ غَايَةُ الشَّرَفِ لِلرُّسُولِ ﷺ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ كَثِيرٌ فَلَمْ يَخْصُصْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالذِّكْرِ؟ ذَلِكَ لِتَخْصِيصِهِ بِالشَّرَفِ الْعَظِيمِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْلًا﴾، إِنَّمَا قَالَ ﴿لَيْلًا﴾ مَعَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَأْكِيدَ تَقْلِيلِ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ لِحُرْمَتِهِ أَيُّ لِشَرَفِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بِأَحْكَامٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ .

وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، قِيلَ؛ لِأَنَّهُ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهَبَطُ الْمَلَائِكَةِ، لِذَلِكَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿١١﴾ .

أَيُّ إِلَى حَيْثُ وَجَّهَنِي رَبِّي أَيُّ إِلَى بَرِّ الشَّامِ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِيَّاهُ أَنَّ الشَّامَ مَهَبَطُ الرَّحْمَاتِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْوُجُحِيِّ يَكُونُ بِالشَّامِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا بِهَا .

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا﴾ أَيُّ مَا رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَهُوَ الْإِنْتِقَالُ بِالرُّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، لِتَصِلَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلِيَطَّلِعَ بِحَوَاسِهِ وَدُونَ شَكِّ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ (الجنَّة: 13-18).

ومما جاء في تفسير الآيات - أيها الناس - قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ . أي رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرة أخرى نازلاً إليه .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ . قال : رأى جبريل عليه السلام .

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستائة جناح .

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : فأين قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ . قالت : ذاك جبريل ، كان يأتيه في صورة الرجل ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته فسد الأفق .

وقوله تعالى : ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ .

هي شجرة عظيمة فوق السماء السابعة سُميت سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَيَنْزِلُ إِلَيْهَا مَا يَنْزِلُ مِنَ اللَّهِ - فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - جبريل في ذلك المكان .

وقوله تعالى : ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

أي الجنة الجامعة لكل نعيم ، وهذا دليل على أن الجنة فوق السماء السابعة .

(1) رواه مسلم (175).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ .

أَي يَغْشَاهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .
وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ . أَي: مَا زَاغَ يَمَنَّةٌ وَلَا يَسْرَةٌ عَنْ مَقْصُودِهِ. وَ
﴿وَمَا طَغَى﴾ أَي: مَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ. وَهُوَ كَمَا الْأَدَبِ مِنْهُ ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ .

أَي مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي رَأَاهَا ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ (1).
أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَدَّعَى بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَتْ رُؤْيَا مَنْامِيَّةً وَالَّذِي دَلَّ
عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ حَصَلَتْ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا عَيْنٍ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ يَقْظَةً لَا مَنْامًا» .
وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقْظَةِ
بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ بَعْدَ الْبَعْثِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ
وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ
عَنْ ذَلِكَ، إِذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَأْوِيلٍ» (2).

أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ مَا أَجْمَلَهُ الْقُرْآنُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ! وَقَدْ فَصَّلَتْهُ السُّنَّةُ أَعْظَمَ
التفصيلِ وَبَيَّنَّتْهُ أَحْسَنَ الْبَيَانِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ» (3) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ

(1) انظر «تفسير السَّعْدِي» (819) بتصرفٍ يسيرٍ.

(2) انظر «الفتح» (44 / 15) وزَادَ الْمَعَادِنُ (99 / 1) حَيْثُ نَصَّ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

(3) رواه البخاريُّ (3342، 1636، 349)، ومسلمٌ (163).

بطست من ذهب ممتليء حكمة وإيماناً فأفرغهُ في صدري ثم أطبقهُ ثم أخذ بيدي فعرَج بي إلى السماء الدنيا....».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربطُ به الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة.»

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعالي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى ابن زكريا - صلوات الله عليهما - ، فرحباً ودعوا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعالي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث

(1) رواه البخاري عن أبي هريرة (7515)، ومسلم (162) واللفظ له.

إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مُرْتَبِيًّا : 57).

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرْفُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمْرُهَا كَالْقَلَالِ، قَالَ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَيْلَةً.

فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟

قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: فَلَمْ أَزَالُ أُرَاجِعُ بِيَّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَبَيْنَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكُتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - عظمة الصلاة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «عِظْمَةِ الصَّلَاةِ».

وَالصَّلَاةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْرٌ جَلِيلٌ وَمَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهَا
وَعَلْوِ قَدْرِهَا أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَمْ يَفْرُضْهَا فِي الْأَرْضِ بِوَسْطَةِ جَبْرَيْلَ، وَإِنَّمَا
فَرَضَهَا بِدُونِ وَسْطَةِ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةُ فَرَضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ خَفَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
عَلَى عِبَادِهِ فَفَرَضَهَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَهِيَ خَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ وَخَمْسُ
فِي الْعَمَلِ.

جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «خَفَّفَ عَلَيْنَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ حَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ
وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَةُ الْعَلَامَةِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الإِرْوَاءِ» مِنْ حَدِيثِ
مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ
سِنَامِهِ الْجِهَادُ».

(1) رواه البخاري (7515).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽²⁾ من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله».

أيها الناس قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بأخر وصية أوصى بها النبي ﷺ أمته وهو يودع الدنيا.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان من آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصلاة وما ملكت أيمانكم». حتى جعل نبي الله ﷺ يجلسها في صدره وما يفيض بها لسانه.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم وفقنا لأداء الصلاة المكتوبة حيث ينادى لها على الوجه الذي يرضيك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

(1) رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (409/1)، وصححه الألباني بمجموع طرقه كما في «الصحيحة» (3/346).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (6/290)، وصححه الألباني في «الإرواء» (7/238).

الخشوع في الصلاة

6

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ مِنْهُ رِجْسًا مِنْ دُونِهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70-71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْخُشُوعُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَقَدْرُهُ جَلِيلٌ فَهُوَ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سَبِّحْنَاهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ (المؤمنون: 1-2).

أَيُّ خَائِفُونَ سَاكُونَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْخُشُوعُ هُوَ السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالتَّوَدُّةُ وَالتَّوَضُّعُ وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَمِرَاقِبَتُهُ»⁽¹⁾.

(1) تفسير ابن كثير (6/418).

ومحل الخشوع - أيها الناس - في القلب وثمرته على الجوارح.

دلَّ على ذلك ما جاء في سنن الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صححه الألبانيُّ في «صحيح الترمذيِّ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ».

فدلَّ هذا الدعاء على أَنَّ الخشوعَ محلُّ القلب وهو يزيد وينقص فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئاً كما في مسند أحمد بسندٍ حسنٍ حسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث عمارة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، تَسْعُهَا، ثَمَنُهَا، سُبْعُهَا، سَدْسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا».

فدلَّ الحديث - أيها الناس - على أَنَّ الأجر حاصلٌ بحسب الخشوع.

وحكم الخشوع - أيها الناس - أَنَّهُ وَجِبٌ عَلَى الصَّحِيحِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

وهذا يقتضي ذمَّ غير الخاشعين والذمُّ لا يكون إلا لترك واجبٍ أو فعلٍ محرَّم. وإن كان غير الخاشعين مذمومين دلَّ ذلك على وجوب الخشوع.

ويدلُّ على وجوب الخشوع فيها - أيضاً - قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الذین

هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ (المؤمنون: 1-2). إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠)

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (3729)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2769).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (4/321)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1626).

الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ (المؤمنون: 10-11). أَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -
أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرْتُهَا غَيْرُهُمْ⁽¹⁾.

ومما جاء في فضل الخشوع ووعيد من تركه - أَيُّهَا النَّاسُ - :

ما أخرجه أبو داود في سننه بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديثِ عبادة بن الصامتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :
«خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَاهُنَّ
لَوْ قَتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ،
فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديثِ عقبة بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :
«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مَقْبَلٌ عَلَيْهَا
بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : «جَمَعَ ﷺ بَهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاعَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ؛
لَأَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْأَعْضَاءِ وَالْخُشُوعَ فِي الْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ»⁽⁴⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ من حديثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَا مِنْ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا
وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) الفتاوى (22/553).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (425)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (3242).

(3) رواه مسلم (234).

(4) عون المعبود (1/198).

(5) رواه مسلم (228).

والخشوع في الصَّلَاة - أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبُهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحَةً لَهُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا جَاءَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطُّيْبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3/128)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (3124).

(2) انظُرْ «تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ» (5/456).

الخطبة الثانية - أسباب الخشوع :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «أَهْمِيَةِ الْخُشُوعِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْخُشُوعَ هُوَ السَّبَبُ الْأَهْمُّ لِقَبُولِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ
الدِّينِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، بَلْ إِنَّهُ لَيْسَهُلَّهَا وَيَجِبُّهَا إِلَى النُّفُوسِ.

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥).
«أَيُّ فَاتِنَتَا سَهْلَةٌ عَلَيْهِمْ خَفِيفَةٌ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ وَخَشْيَةَ اللَّهِ وَرَجَاءُ مَا عِنْدَهُ يُوجِبُ لَهُ
فَعْلَةً مَنشَرِحًا بِهَا صَدْرُهُ لَتَرْقِبِهِ لِلثَّوَابِ وَخَشْيَتِهِ مِنَ الْعِقَابِ، كَمَا أَنَّ الْخُشُوعَ هُوَ
الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ» (١).

وَلَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى الْخُشُوعِ الْحَقِيقِيِّ إِلَّا إِذَا أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

فَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ الصَّادِقُ بِمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْخُشُوعِ مِنْ
فَضْلِ عَظِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ الْإِحْسَاسِ بِالسُّكُونِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا
وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) تفسیر ابن سعدي (51).

(2) رواه مسلم (228).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاسْتِعْدَادُ لِلصَّلَاةِ وَيَحْضُلُ بِأُمُورٍ مِنْهَا التَّرْدِيدُ مَعَ الْمُؤَذِّنِ وَالْإِتْيَانُ بِالدُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ بَعْدَهُ، وَإِحْسَانُ الْوُضُوءِ وَالْإِعْتِنَاءُ بِالسُّوَاكِ وَأَخْذُ الزَّيْنَةِ بِاللِّبَاسِ الْحَسَنِ الطَّيِّبِ الرَّائِحَةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ بِنَبِيِّ آدَمَ خَدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿الْأَنْعَامُ: ٣١﴾.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصححة»⁽¹⁾ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ مَنْ تَزِينُ لَهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ إِلَى سِتْرَةٍ وَالدُّنُوبُ مِنْهَا فَذَلِكَ أَحْفَظُ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ مَرُورِ النَّاسِ وَلَيْلًا يَشْوَشُ عَلَى نَفْسِهِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسِنْدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديثِ سهيلِ بنِ أبي حثمةٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَصِلْ إِلَى سِتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنْ سِتْرَتِهِ لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

قالِ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْحِكْمَةُ مِنَ السُّتْرَةِ كَفُّ الْبَصَرِ عَمَّا وَرَاءَهُ وَمَنْعُ مَنْ يَجْتَازُ بِقُرْبِهِ وَتَمْنَعُ الشَّيْطَانَ الْمُرُورَ، وَالتَّعَرُّضُ لِإِفْسَادِ صَلَاتِهِ»⁽³⁾.
وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ.

ففي مستدرِكِ الحَاكِمِ بِسِنْدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَوَافِقُهُ الألبانيُّ في «صِفَةِ الصَّلَاةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى طَأْطَأَ رَأْسَهُ وَرَمَى بَبْصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (28/1)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «الصححة» (1369).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (692)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صحيح الجامع» (650).

(3) شَرَحَ النَّوَوِيُّ عَلَى مُسْلِمَ (216/4).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (479/1)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صِفَةِ الصَّلَاةِ» (ص 89).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الطُّمَأْنِينَةُ فِي الصَّلَاةِ فِي جَمِيعِ الْأَرْكَانِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَلَّمَ الْمَسِيءَ صَلَاتَهُ كَانَ يَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ رَكْنٍ: «حَتَّى تَطْمِئَنَ». كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثٍ

وَالطُّمَأْنِينَةُ: هِيَ السُّكُونُ بِقَدْرِ الذِّكْرِ الْوَاجِبِ، فَلَوْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَطْمِئَنَ⁽²⁾.
وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرَقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَذَكَرَ الْمُصَلِّيَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ.
فَفِي «مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» لِلدَّيْلَمِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحْرِيٌّ أَنْ يَحْسِنَ صَلَاتَهُ وَصَلَّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يَصَلِّيَ صَلَاةَ غَيْرِهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ وَتَحْسِينُ الصَّوْتِ بِهَا.
لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۗ﴾ (الْمُرْتَلِّكَ: 4).

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (757)، وَمُسْلِمٌ (392).

(2) انظُرْ «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَى الرَّوْضِ» (2/126)، وَ«الشَّرْحَ الْمَمْتَعُ» (3/421).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (11549)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (986).

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي «مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» (1/51) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1421).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (1/575) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (771).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَعْلَمَ الْمُصَلِّي أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُحِبُّهُ فِي صَلَاتِهِ.

ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ اللَّهُ مُجَدِّنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - حديثٌ عظيمٌ لو استحضره كلُّ مُصَلٍّ لِحَصَلِ لَهُ خُشُوعٌ بَالِغٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - . ولا شك أن المصلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ فليُنظِرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ؟

ففي مستدرك الحاكم بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألباني في «صحیح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّهَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فليُنظِرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فالعبدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَإِنْ عَجَزَ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيَذْكُرُهُ الضَّيْعَةَ وَالْأَوْلَادَ وَالْمَالَ وَالْعَقَارَ فَيَقُومُ مِنْ صَلَاتِهِ كَمَا دَخَلَ فِيهَا وَقَدْ عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلَّ نَظَرِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (395).

(2) «صحیح» أخرجهُ الحاكم في «مستدركه» (236/1)، وصحَّحه الألباني في «صحیح الجامع» (1538).

وَلَمَّا جَهَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ أَرشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعِلَاجِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاعَتِي يَلْبَسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ حَنْزُبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَانْقَلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْكُ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُقْبِلٌ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا التَفَتْ أَنْصَرَفَ عَنْهُ».

وَالْإِلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى قِسْمَيْنِ الْأَوَّلُ التَّفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ

- سُبْحَانَهُ، وَعَلَى -

وَالثَّانِي التَّفَاتُ الْبَصَرِ، وَكِلَاهُمَا مِنْهُي عَنْهُ وَيُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الْمَصَلِيِّ.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ».

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْخَاشِعِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خُشُوعَ الْقُلُوبِ وَخُضُوعَ الْجَوَارِحِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرَّهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

(1) رواه مسلم (2203).

(2) «حسن» رواه أبو داود (909)، وحسنه الألباني في «الترغيب» (360-361).

(3) رواه البخاري (751).

سُنَنُ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا

7

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأنفال: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «سُنَنِ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَكْثَرَ السُّنَنَ الْمَهْجُورَةَ الثَّابِتَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ

فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ!

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

(التغابن: 31).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ حَاكِمٌ عَلَى كُلِّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَيْسَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ. فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمَحْمُودِيَّ وَالِدِينَ النَّبَوِيِّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ...

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أَي: بِاتِّبَاعِكُمْ الرَّسُولَ يَحْصُلُ لَكُمْ هَذَا كُلُّهُ بِبَرَكَتِهِ سَفَارَتِهِ⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الْأَنْبِيَاءُ: 21).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلُ كَبِيرٍ فِي التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»⁽²⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مَوْدِعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ لَنَا؟

فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قَالَ الْعَلَامَةُ الْعَبَادُ حَفِظَهُ اللَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ بِحُصُولِ التَّفَرُّقِ وَكَثْرَتِهِ أَرشَدَ إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ وَذَلِكَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَخُلَفَاؤِهِ الرَّاشِدُونَ هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِلَافَتَهُمْ بِأَنَّهَا خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ.

(1) تفسیر ابن کثیر (1/ 319).

(2) تفسیر ابن کثیر (4/ 211).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4607)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (937).

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَوْدَ بَسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَفِينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمَلِكَ أَوْ مَلِكُهُ مِنْ يَسَاءٍ».

وَقَدْ انْتَهَتْ تِلْكَ الثَّلَاثُونَ بِمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ بِقَوْلِهِ: «فَعَلَيْكُمْ». وَهِيَ اسْمٌ فَعْلٍ أَمْرٌ ثُمَّ أُرْشِدَ إِلَى شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِقَوْلِهِ: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». وَالنَّوَاجِذُ هِيَ الْأَصْرَاسُ، وَذَلِكَ مُبَالِغَةٌ فِي شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا⁽²⁾.

أَرَأَيْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى أَيِّ مَدَى بَلَغَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ.

فَانْتَبَهُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلدُّخْلَاءِ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ الدِّينَ إِلَى قَشُورٍ وَلِبَابٍ فَيَصِفُونَ السُّنَنَ بِأَنَّهَا قَشُورٌ وَالْقَشُورُ كَمَا تَعْلَمُونَ يُرْمَى بِهَا مِثْلَ قَشْرِ الرَّمَّانِ وَلَيْسَ فِي دِينِ اللَّهِ شَيْءٌ يُرْمَى بِهِ بَلْ فِيهِ مُهِمٌّ وَأَهْمٌ وَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يُعْطَى كُلَّ حَقِّ حَقَّهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا أَجْرًا جَزِيلًا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4646)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (460).

(2) فَتْحُ الْقَوِيِّ الْمُتَيْنِ شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ لِلْعَبَادِ (83).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2674).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجورِهِمْ شَيْءٌ».

قال النووي رحمه الله: «فِيهِ الْحُثُّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ، وَسَنَّ السَّنَنِ الْمُسْتَحَبَاتِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ»⁽²⁾.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «السُّنَّةُ الَّتِي تَرَكْتُ، ثُمَّ فَعَلَهَا الْإِنْسَانُ فَأَحْيَاهَا، فَهَذَا يُقَالُ عَنْهُ أَسَنَّهَا، بِمَعْنَى أَحْيَاهَا، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَشْرَعْهَا مِنْ عِنْدِهِ»⁽³⁾.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - قَلَّةُ الْعُنَايَةِ بِالسُّوَاكِ وَالِاهْتِمَامِ بِهِ⁽⁴⁾ فَهَذَا السُّوَاكُ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا السُّوَاكُ؟! السُّوَاكُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّنْعَانِيُّ فِي «سُبُلِ السَّلَامِ»: قَالَ فِي «الْبَدْرِ الْمُنِيرِ»: ذُكِرَ فِي السُّوَاكِ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ حَدِيثٍ، فَوَاعَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يُهْمَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فَهَذِهِ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ⁽⁵⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا أَنَّ الْمَقَامَ لَا يَتَسَعُّ لِسَرْدِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ لِأَلْقِيَتْهَا عَلَى مَسَامِعِكُمْ! لَكِنْ يَكْفِي أَنْ أَسْمَعَكُمْ حَدِيثًا وَاحِدًا كَمَا قِيلَ يَكْفِي مِنَ الزَّادِ مَا يُبْلَغُ الْمَحَلَّ.

ففي «الصحيحين»⁽⁶⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أُشِقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».

(1) رواه مسلم (1017).

(2) فتاوى ابن عثيمين (360/7).

(3) انظر كتاب الوصية ببعض السنن المنسية لهيفاء بنت عبد الله الرشيد (ص 41)، وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة.

(4) «سبل السلام» (40/1).

(5) رواه البخاري (887)، ومسلم (252).

(2) شرح النووي على مسلم (4/113).

والسواك - أيها الناس - لا يُستحبُّ في أوقاتِ الصَّلَاةِ فَقَطْ بَلْ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «السَّوَاكُ مُسْتَحَبٌّ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَلَكِنْ فِي خَمْسَةِ أَوْقَاتٍ أَشَدُّ اسْتِحْبَابًا، إِحْدَاهُمَا: عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَالثَّانِي: عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَالثَّلَاثُ: عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالرَّابِعُ: عِنْدَ الْاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ، وَالخَامِسُ: عِنْدَ تَغْيِيرِ الْفَمِ. وَتَغْيِيرُهُ يَكُونُ بِأَشْيَاءَ: مِنْهَا الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ، وَمِنْهَا أَكْلُ مَالِهِ رَائِحَةً كَرِيهَةً، وَمِنْهَا طَوْلُ السَّكُوتِ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ الْكَلَامِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمُبَالِغَةُ فِي الْاسْتِنْشَاقِ عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَكَذَلِكَ التَّخْلِيلِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا».

فَفِي الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَلِيلٌ عَلَى التَّخْلِيلِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَالْمُبَالِغَةِ فِي الْاسْتِنْشَاقِ لغيرِ الصَّائِمِ لئَلَّا يَنْزِلَ إِلَى حَلْقِهِ مَا يُفْطَرُهُ.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُضُوءُ قَبْلَ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَدْنَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُسْلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ عَلَى فَرْجِهِ وَغَسَلَهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الْأَرْضَ فَدَلَّكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا، ثُمَّ

(1) شرح النووي على مسلم (2/146).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، والترمذي (38) وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وصححه

الألباني في «صحيح الجامع» (927).

(3) رواه البخاري (274)، ومسلم (317) واللفظ له.

تَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مَلَىءَ كَفَّهُ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنِ مَقَامِهِ ذَلِكَ فغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّافِلَةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ فِي السَّفَرِ وَلَوْ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ الْقِبْلَةِ.

وَفِي لَفْظِ «لِلْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ فَإِذَا أَرَادَ الْفَرِيضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

أَيُّهَا النَّاسُ هَا قَدْ تَيَسَّرَتْ لَنَا وَسَائِلُ السَّفَرِ الْمَرِيحَاتِ كَالسَّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ فَمَا أَجْمَلُ أَنْ نُطَبِّقَ السُّنَّةَ حَيْثُ تَوَجَّهْنَا فَإِذَا حَدَّثَ لَنَا حَدِيثٌ تَكُونُ خَاتِمَةً حَسَنَةً - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - رَدُّ الْمُصَلِّي السَّلَامَ بِالْإِشَارَةِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي لِحَاجَةٍ ثُمَّ أَدْرَكَتُهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيَّ.

(1) رواه البخاري (1093).

(2) رواه البخاري (1094).

(3) رواه البخاري (400).

(4) رواه البخاري (1217)، ومسلم (540).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَحْرِيمُ رَدِّ السَّلَامِ فِيهَا بِاللَّفْظِ، وَأَنَّهُ لَا تَضُرُّ الْإِشَارَةُ بَلْ يُسْتَحَبُّ رَدُّ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ»⁽¹⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ إِشَارَةً وَقَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: إِشَارَةً بِأَصْبِعِهِ».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ لِبَلَالٍ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ. قَالَ: يُشِيرُ بِيَدِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَكُنْ - أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَرُدُّ بِيَدِهِ وَلَا بِرَأْسِهِ وَلَا بِأَصْبَعِهِ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ إِشَارَةً».

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - مُتَابِعَةُ الْمُؤَدِّنِ وَالْمُقِيمِ وَقَوْلُ مِثْلَ مَا يَقُولُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَدِّنُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَدِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ

(1) شرح النووي على مسلم (3/31).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (925)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (858).

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (927)، والترمذي (368) وصححه الألباني في «الصحيح» (185).

(4) رواه البخاري (611)، ومسلم (383)، وأبو داود (522)، والترمذي (208)، وابن ماجه (820).

(5) رواه مسلم (385)، وأبو داود (527).

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ذَهَبَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ فِي الْإِقَامَةِ مُتَابَعَةُ الْمُقِيمِ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُقِيمُ كَمَا يُتَابَعُ فِي أَذَانِهِ.

قَالَ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ فِي الْإِقَامَةِ مِثْلَ مَا يَقُولُ»⁽¹⁾.

وَمِنَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَ الْأَذَانِ وَسؤالُ الْوَسِيلَةِ لَهُ وَقَوْلُ رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مِنْ صِلَى عَلِيِّ صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) «المغنى» (2/87).

(2) رواه مسلم (384)، وأبو داود (523)، والترمذي (3614).

(3) رواه البخاري (614)، وأبو داود (529)، والترمذي (211)، والنسائي (680)، وابن ماجه (722).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه مسلم (386)، وأحمد (1565)، وأبو داود (525)، والترمذي (210)، والنسائي (679)، وابن ماجه (721).

الخطبة الثانية - سنن شبه منسية :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سُنَنِ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ مَنْسِيَّةٍ.

فَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الْمَنْسِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّوَافِلِ فِي الْبَيْتِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ الرَّائِيَةِ مَعَ الْفَرَائِضِ وَالْمُطْلَقَةِ إِلَّا
فِي النَّوَافِلِ الَّتِي هِيَ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ الْعِيدُ وَالْكَسُوفُ وَالِاسْتِسْقَاءُ وَكَذَا
التَّرَاوِيحُ عَلَى الْأَصَحِّ فَإِنَّهَا مَشْرُوعَةٌ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَالِاسْتِسْقَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ
مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا حَتَّ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيْتِ لِكُونِهِ أَحْفَى وَأَبْعَدَ مِنَ
الرِّيَاءِ وَأَصْوَنَ مِنَ الْمُحِبَّاتِ، وَلِيَتَبَرَّكَ الْبَيْتُ بِذَلِكَ، وَتَنْزِلَ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَالْمَلَائِكَةُ
وَيَنْفَرُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (731)، ومسلم (781).

(2) شرح النووي على مسلم (3/328).

(3) رواه البخاري (432)، ومسلم (777).

(4) شرح النووي على مسلم (3/326، 327).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدَاءُ السُّنَّةِ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ» يَقُولُ ذَلِكَ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الصَّلَاةِ فِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ يُصَلِّي النَّافِلَةَ فِي بَيْتِهِ»⁽¹⁾.

ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْهُ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فَالزُّمُّوْهَا فَإِنَّهُ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «إِنَّمَا يَرْفَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ بِقَدْرِ تَمَسُّكِهِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ نَبِيِّكَ وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ.
اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا وَانْفَعْنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

(1) فَتَاوَى ابْنِ عُثَيْمِينَ (14/355، 356).

(2) رَأْدُ الْمَعَادِ (2/419).

القلب السليم

8

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسبة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجنحة: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْقَلْبِ السَّلِيمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ إِصْلَاحَ الْقُلُوبِ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، لِأَنَّ

الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾

(الأجنحة: 51).

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

(1) رواه مسلم (2564).

وَصَلَاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

وَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ».

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَصْلُ الْإِسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا»⁽³⁾.

وَالْقَلْبُ كَثِيرُ التَّقَلُّبِ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ بِمَا يُجْتَمِعُ لَهُ - يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلِيَانًا».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَبْلَغِهَا وَأَعْظَمِهَا تَقْرِيْبًا لِلْأَفْهَامِ»⁽⁵⁾.

(1) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (52)، وَمُسْلِمٌ (1599).

(2) «حَسَنٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (198/3) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2554).

(3) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» (511/1 - 512).

(4) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (4/6) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِطَرِيقِهِ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1772).

(5) «أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ» (295/1).

وقال الشاعر:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقْلِبِهِ ○●○ فَاخْذِرْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

وَيُصَوِّرُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ الْقَلْبَ كَرِيْشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ كَرِيْشَةٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُقِيمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِيَطْنِ».

وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِهَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ عُرْضَةً لِلْفِتَنِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نَكَتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيضَاءٌ، حَتَّى تَعُوْدَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا (أَيُّ: كَالْإِنَاءِ مَكْبُوبًا مِنْ كُوسًا) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَضَ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ».

فَالْقَلْبُ السَّلَامُ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

(الشُّعْرَاءُ: 88-89).

وَلِلْقَلْبِ السَّلِيمِ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا.

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (4/419)، وَابْنُ مَاجَةَ (88) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (71).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (144).

فَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ سَالِمًا مِنْ مَحَبَّةِ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ سَلَامَتُهُ مِنَ الشَّرِكِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، وَمِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، وَمِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي - كِبَائِرِهَا وَصَغَائِرِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، كَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَالغِلِّ وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ⁽¹⁾.

فَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مُخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَادِقُونَ اللِّسَانَ نَعْرِفُهُ، فَمَا مُخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّفِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الْقَلْبُ أَحَبُّ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ وَأَكْثَرُهَا خَيْرًا، تَتَّبِعُ مِنْهُ عِيُونَ الْخَيْرِ، وَتَنْفَجِرُ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْبِرِّ، وَمَبَارُ اللَّهِ وَنِعْمُهُ تَغْشَاهُ عَلَى الدَّوَامِ»⁽³⁾.

وَمِنْ عِلَامَةِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَرْتَحِلَ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يَنْزِلَ بِالْآخِرَةِ، وَيَجَلَّ فِيهَا حَتَّى يَبْقَى كَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا جَاءَ إِلَى هَذَا الدَّارِ غَرِيبًا يَأْخُذُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيَعُودُ إِلَى وَطَنِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَضْرِبُ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَى اللَّهِ وَيُحِبَّتْ إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّقَ بِهِ تَعَلُّقَ الْمَحَبِّ الْمَضْطَرِّ إِلَى مَحْبُوبِهِ، الَّذِي لَا حَيَاةَ لَهُ

(1) شرح حديث شداد بن أوس (ص 14) لابن رجب رحمه الله.

(2) «صحيح» رواه ابن ماجه (4216)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (3397).

(3) «طريق المجرئين» (ص 606).

(4) رواه البخاري (6416).

وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُورَ إِلَّا بِرِضَاهُ وَقُرْبِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ فَبِهِ يَطْمَئِنُّ، وَإِلَيْهِ يَسْكُنُ وَإِلَيْهِ يَأْوِي، وَبِهِ يَفْرَحُ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَبِهِ يَثِقُ وَإِيَّاهُ يَرْجُو، وَلَهُ يَخَافُ⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيَالَهُ مِنْ قَلْبٍ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!، وَمِنْ قُرْبِهِ مَا أَخْطَاهُ!»⁽²⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ نَالَ غِذَاءَهُ وَدَوَاءَهُ، وَشِفَاءَهُ، وَنُورَهُ وَقُوَّتَهُ، وَلَذَّتَّهُ وَنَعِيمَهُ مَا هُوَ أَجْلٌ أَنْوَاعِ النِّعَمِ، وَأَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْظَمُ اللَّذَاتِ».

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (التَّوْبَةُ: 97)⁽³⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَفْتَرُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَلَا يَسْأَمُ مِنْ خِدْمَتِهِ، وَلَا يَأْنَسُ بغيرِهِ إِلَّا بِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُهُ بِهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقَبَائِحُ نَفَرَ مِنْهَا بِطَبْعِهِ، وَأَبْغَضَهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا⁽⁴⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ إِذَا فَاتَتْهُ طَاعَةٌ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَجَدَ لِفَوَاتِهَا أَلَمًا أَعْظَمَ مِنْ تَأَلُّمِ الْحَرِيصِ بِفَوَاتِ مَالِهِ»⁽⁵⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَشْتَأِقُ لِطَاعَةِ رَبِّهِ كَمَا يَشْتَأِقُ الْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

(1) انظر «إصلاح القلوب» لعبد الهادي بن حسن وهبي (ص 24) وقد استفدت منه في إعداد هذه

الخطبة - جزاه الله خيرا - .

(2) «طريق الهجرتين» (379).

(3) «مفتاح دار السعادة» (182/1).

(4) «موارد الأمان» (ص 55).

(5) «إغاثة اللهفان» (ص 79).

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ ذَهَبَ عَنْهُ هُمُّهُ
وَعَمُّهُ بِالدُّنْيَا.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ»⁽¹⁾ عَنْ
سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأْتَهُمْ عَابُوا
عَلَيْهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِهَا».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ هُمُّهُ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ فِي
اللَّهِ - تَعَالَى - فَيَصْبِحُ وَيَمْسِي وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ رِضَا رَبِّهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ أَشْحَ بوقته من أن يذهب
ضائعًا لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تَقْطَعُهُ عَنِ الْخَالِقِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ
أَعْظَمَ مِنْ اهْتِمَامِهِ بِالْعَمَلِ فَيَكُونُ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ابْتِغَاءً وَجِهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى فَيَقُومُ
بِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ قَدْ حَقَّقَ فِيهَا الْمَتَابَعَةَ وَالْإِقْتِدَاءَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ
يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ ﴿ وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَاءًا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (الْمُنُورُ: 60).

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (4985) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاتِ» (278/1).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6412).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3175)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (787/3).

قَالَتْ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقُ، وَلَكِنَّهُمْ
الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يَتَقَبَلَ مِنْهُمْ أَوْلَاكَ الَّذِينَ
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

فهذه - أيها النَّاسُ - عَلامَاتُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ فَلَهُ النَّعِيمُ الْمَقِيمُ وَالْعَيْشُ السَّلِيمُ فِي
جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشُّعْرَاءُ : 88-89).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِن مِّنْ شَيْعَةٍ إِلَّا بَرَّهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

(الصَّافَّاتُ : 83-84).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - صورٌ مشرقةٌ لأصحابِ القلوبِ السليمةِ :

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَعَلَامَتِهِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ «صُورٍ مُشْرِقَةٍ لِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ».

فَمِنْ تِلْكَ الصُّورِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِبْلِهِ فَجَاءَهُ ابْنُهُ عَمْرٌ فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَتَزَلَّ، فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتِ فِي إِبْلِكَ وَعَنْمِكَ وَتَرَكْتِ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمَلِكَ بَيْنَهُمْ؟

فَضْرَبُ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: أُسْكُتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخَفِيُّ: مَعْنَاهُ الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ، وَالِاشْتِغَالُ بِأُمُورِ نَفْسِهِ»⁽²⁾.

فَتَأْمَلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - كَيْفَ أَنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لَا يُحِبُّ الظُّهُورَ وَلَا يَتَصَدَّرُ لشيءٍ؛ لِأَنَّ أَهَمَّ مَا عِنْدَهُ هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ وَرِضَا اللَّهِ عَنْهُ.

وهكذا أصحابُ رسولِ الله لا يُجِبُونَ أَنْ يُشَارَ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْبَنَانِ أَوْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ عَنْهُمْ لِسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2965).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (18/1001-1002).

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽¹⁾ عن علي بن أرطاة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكّي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا أعلمون.

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عمرو بن ميمون الطويل (لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال: وددت أن ذلك كفافا لا علي ولا لي فلما أدبر إذ إزاره يمس الأرض قال: رُدُّوا علي الغلام، قال: ابن أخي! ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

فَعَمْرُ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لَمْ يَتْرِكِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، امْتِثَالًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَوْعَى الْإِيمَانِ».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَلْبِ إِنْكَارٌ مَا يَكْرَهُهُ (الله) وَيُبْغِضُهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيمَانٌ»⁽⁴⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنِيفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ): أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

(1) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (761) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (589).

(2) رواه البخاري (3700) في حديث طويل.

(3) رواه مسلم (49).

(4) «الاستقامة» (36/2).

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ - وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عَثَانُ - قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ قَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرُ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ.

قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غِبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

فَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكُونُ فِي غِبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

وَغِبْرَاءُ النَّاسِ هُمْ ضِعْفَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَأَخْلَاطُهُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ وَهَذَا مِنْ إِثَارِ الْخُمُولِ وَكُنْتُمْ حَالِهِ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾.

اللَّهُمَّ تَوْلْنَا بِلَطْفِكَ وَمَنْ عَلَيْنَا بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ طَاهِرَةٍ خَاشِعَةٍ لَيْتَةٍ رَقِيقَةٍ نَقِيَّةٍ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3671).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (77/16 - 78).

الفرج بعد الشدة

9

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحِيمَةُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْفَرْجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَخْلُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَالْاِخْتِبَارِ إِلَّا مَا فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِي أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَمُرُّوا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا يَكُونُ﴾ (الْحَجُّ: 2-1).

﴿الْحَجُّ: 2-1﴾ (الْحَجُّ: 2-1).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ تَرَكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بِمَجْرَدِ النَّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَوْلُهُمْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمُ اللَّهُ وَيَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيمَانِهِمْ، بِالْهَجْرَةِ وَالتَّكْلِيفِ الدِّيْنِيِّ الْأُخْرَى، وَالْجِهَادِ وَالْمَصَائِبِ؟

كَلَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ قُوَّةٌ زِيدَ لَهُ فِي الْبَلَاءِ».

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَنَا وَسُنَّةٌ اللَّهِ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (الْحُكُورَاتُ : 2).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَنْ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - اِمْتَحَنَ الْمُؤْمِنِينَ السَّالِفِينَ وَعَرَّضَهُمْ لِلْفِتَنِ وَالْإِخْتِبَارِ، وَغَايَتُهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ هِيَ أَنْ يَمْحَصَّهُمْ فَيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَى الْإِيْمَانِ، مِمَّنْ هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ وَيُجَازَى كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الْبَلَاءُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ الشَّدَّةَ يَعْقُبُهَا فَرَجٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الْقَلَاةُ : 7).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ مِنْ بَعْدِ الشَّدَّةِ رَخَاءً وَمِنْ بَعْدِ الضِّيقِ فَرَجًا فَالْدُّنْيَا لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (371/2) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) انظُرْ «أَيْسَرَ التَّفَاسِيرِ» لِأَسْعَدِ حَوْمَدَ (3224/1).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ (الشَّارِحُ : 5-6).

وَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - : إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَيْنِ .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ الشَّدَّةَ بِالْفَرَجِ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرْمِثِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (الْبَقَرَةُ : 155-157).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَعَعُوا لَكُمْ فَأَخْسَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ شُؤٌّ ﴿١٧٤﴾﴾ (الْعَنْعَبَرَاتُ : 173-174).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهْ

اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴿٤٥﴾﴾ (الْعَنْعَبَرَاتُ : 44-45).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

أَمْرِنَا وَتُبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْفُجُورِ الْكٰفِرِينَ ﴿١٥٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمُ اللَّهُ تَوَابٌ دُنْيَا وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ (الْعَنْعَبَرَاتُ : 147-148).

أَيُّهَا النَّاسُ كَمْ لِتَفْرِيجِ الْكَرْبِ بَعْدَ الشَّدَّةِ مِنْ صُورٍ مَّبْتُوثَةٍ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

وَسَوْفَ أَذْكَرُ طَرَفًا مِنْهَا .

فَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ تَفْرِيجُ اللَّهِ كَرْبَ نَبِيِّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ

﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾

وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (الْحُرَّتِيُّ : 41-44).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِيحُ اللَّهِ كَرَبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التَّوْبَةِ: 40).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ تَفْرِيحُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : كَرَبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي أُمَّتِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَعْتُكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إِبْرَاهِيمَ: 36).

وَقَالَ عَيْسَى ﷺ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغَفَّرْتُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الْمَائِدَةِ: 118).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي». وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : يَا جَبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلِّهُ مَا يُبْكِيكَ؟

فَأَتَاهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ: يَا جَبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ. وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ تَفْرِيحُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - كَرَبَ رَسُولِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (202).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصِلِي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيَكُمُ يَجِيءُ بِسَلَى جَدُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهَا عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟

فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أَغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيَمِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ.

ثم سمي: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ يَا جَهْلِي، وَعَلَيْكَ بَعْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَالِيدُ بْنُ عَتَبَةَ، وَأَمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيظٍ» وعد السابع فلم نحفظه.

قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَعَى فِي الْقَلْبِ قَلْبِي بِدَرٍ.

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشُّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِجُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - كَرَبَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي سنن أبي داود بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» والوادعي في «الجامع الصحيح»⁽²⁾ من حديث عبد الله الهوزاني قال: لقيتُ بلالاً مؤذناً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَلْبٍ، فَقُلْتُ: يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (240)، وَمُسْلِمٌ (1794).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3055)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (2628)، وَالْوَادِعِيُّ

فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» (95/4).

قال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله حتى توفي رسول الله ﷺ، وكان إذا أتاه الإنسان مسلماً فرآه عارياً يأمرني فأنتقل فأستقرض، فاشترى له البردة فأكسوه وأطعمه حتى اعترضني رجُل من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعة فلا تستقرض من أحدٍ إلا مني، ففعلت فلما أن كان ذات يوم توضأت ثم قمت لإذنين بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار، فلما أن رأيته قال: يا حبشي، قلت: يا لباه، فتجهمني وقال لي قولاً غليظاً، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قال: قلت: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع فأخذك بالذي عليك، فأردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، حتى إذا صليت العتمة رجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فأستأذنت عليه فأذن لي، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي إن المشرك الذي كنت أتدين منه قال لي: كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي فأذن لي أن أبق إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني، فخرجت حتى إذا أتيت منزلي فجعلت سيفي وجراي ونعلي ومجني عند رأسي، حتى إذا نشق عمود الصبح الأول، أردت أن أنطلق فإذا إنسان يسعى يدعو: يا بلال، أجب رسول الله ﷺ، فانطلقت حتى أتته فإذا أربع ركائب منأخات عليهن أحمالهن، فأستأذنت فقال لي رسول الله ﷺ: «أبشر فقد جاءك الله بقضائك» ثم قال: «ألم تر الركائب المناخات الأربع؟». فقلت: بلى، فقال: «إن لك رقابهن وما عليهن، فإن عليهن كسوة وطعاماً أهداهن إلي عظيم، فذك فاقبضهن واقض دينك». ففعلت فذكر الحديث، ثم انطلقت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد، فسلمت عليه فقال: «ما فعل ما قبلك؟»، قلت: قد قضى الله كل شيء كان على رسول الله، فلم يبق شيء، قال: «أفضل شيء؟» قلت: نعم، قال: «انظر أن تريحني منه فإني لست بداخل على أحدٍ من

أهلي؛ حتى تُرِيحني منه» فلمَّا صلى رسول الله ﷺ العتمة دعاني، فقال: «ما فعل الذي قبلك؟» قال: قلت: هو معي، لم يأتنا أحدٌ فبات رسول الله ﷺ في المسجد، وقصى الحديث حتى إذا صلى العتمة - يعني من الغد - دعاني قال: «ما فعل الذي قبلك؟» قال: قلت: قد أراحك الله منه يا رسول الله، فكبرَ وحمدَ الله شفقا من أن يدركه الموتُ وعنده ذلك، ثم أتبعته حتى إذا جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة، حتى أتى مبيته؛ فهذا الذي سألتني عنه.

أيها الناس تلك الصور ما هي إلا قطرة من مطرة وإلا فالصور بحاجة إلى أن أقوم فيكم مقامَي العمر كله وقد يأتي الموت قبل أن أنتهي منه.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَمْ قَصَّ - سُبْحَانَهُ - قَصَصَ تَفْرِيجِ كُرْبَاتِ أَنْبِيَائِهِ عِنْدَ تَنَاهِي الكُرُوبِ كِإِنجَاءِ نوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ، وَإِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ، وَفِدَائِهِ لَوْلَدِهِ الَّذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ، وَإِنجَاءِ موسى مِنَ اليَمِّ، وَإِغْرَاقِ عَدُوِّهِمْ، وَقِصَّةِ أَيُّوبَ، وَيُونُسَ، وَقِصَصِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ أَعْدَائِهِ، وَإِنجَائِهِ مِنْهُمْ كَقِصَّتِهِ فِي الغَارِ، وَيَوْمَ بدرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ وَيَوْمَ الأَحْزَابِ وَيَوْمَ حنينٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

- يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجٌ ○●○ أبشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارَجَ اللهُ
 اليأسَ يَقْطَعُ أحيانا بصاحبِهِ ○●○ لا تَيَأَسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
 اللهُ يُحَدِّثُ بعد العُسْرِ ميسرةً ○●○ لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ الصَّانِعَ اللهُ
 إذا بُلِيَتْ فثقَ باللهِ وارضَ بِهِ ○●○ إنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوى هو اللهُ
 واللهِ مالِكٌ غيرُ اللهُ من أحدٍ ○●○ فحيك اللهُ في كلِّ لك اللهُ

وأستغفر الله.

(1) «جامع العلوم والحكم» (186).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - أسبابُ الفرجِ بعدَ الشِّدَّةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْفَرْجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «أَسْبَابِ الْفَرْجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدْ وَعَدَ بِالْفَرْجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ وَبِالْيُسْرِ مَعَ
الْعُسْرِ وَبَعْدَهُ فَلَا يَتَنَافَى ذَلِكَ مَعَ الْأَخْذِ بِالسَّبَبِ الَّتِي نَرْجُو بِهَا تَعْجِيلَ الْيُسْرِ بَعْدَ
الْعُسْرِ، وَالْفَرْجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَفِي أَسْمَاءٍ رَزَقَهُنَّ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾
(الذَّالِقَاتِ: 22). وَمَعَ ذَلِكَ نَأْخُذُ بِأَسْبَابِ الرِّزْقِ وَكَذَلِكَ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ الَّتِي نَرْجُو بِهَا
دُخُولَ الْجَنَّةِ

بَلْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هُود: 6).

وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَازِلِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾
(الْمَلَكِ: 15)⁽¹⁾.

فَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرْجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقْوَى اللَّهِ - عِزٌّ وَجَلٌّ - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾
(الزَّلَاطِقِ: 2-3).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَمْرُهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَا عَنْهُ، يَجْعَلُ لَهُ مِنْ
أَمْرِهِ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، أَيُّ مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِأَلِيهِ»⁽²⁾.

(1) انظر «الفرج بعد الشدة» لأحمد فريد (ص 37).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/146).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق : 4).
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ: يُسَهِّلُ أَمْرَهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرْجًا
ومُخْرَجًا عَاجِلًا»⁽¹⁾.

ومن أسبابِ الفَرَجِ بعدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّعَرُّفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ.
ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «زِلَالِ الْجَنَّةِ»⁽²⁾ من حديثِ
ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ
كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدُهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ
مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُحْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ،
وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَوْلُهُ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ»
لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعْرِفَةِ الْمَعْرِفَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي هِيَ الْإِقْرَارُ وَالتَّصَدِيقُ وَالإِيْمَانُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ
الْمَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي مِيلَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالانْقِطَاعَ إِلَيْهِ، وَالأُنْسَ
بِهِ وَالطَّمَأِينَةَ بِذِكْرِهِ، وَالحِيَاءَ مِنْهُ، وَالهَيْبَةَ لَهُ»⁽³⁾.

ومن أسبابِ الفَرَجِ بعدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ.
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق : 3).
قال ابن عَجِبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ يَكُلُّ أَمْرَهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ بِغَيْرٍ وَلَا تَدْبِيرٍ نَفْسٍ
﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. كَافِيهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ»⁽⁴⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (8/146).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (84/2) وصححه الألباني في «المشكاة» (5302).

(3) «جامع العلوم والحكم» (179).

(4) «البحر المديد» (8/99).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمُتَقَدِّمِ: «وَمِنْ لَطَائِفِ
أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرْجِ بِالْكَرْبِ وَالْيُسْرِ بِالْعُسْرِ أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى،
وَحَصَلَ لِلْعَبْدِ الْيَأْسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ، وَهَذَا هُوَ
حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطَلَّبُ بِهَا الْحَوَائِجُ فَإِنَّ اللَّهَ
يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ مَعَ الْاضْطِرَارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (الْبَنَاتُكَ : 62).

وَالْمُضْطَرُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَنْ نَزَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ مِنْ شِدَائِدِ الزَّمَانِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «صَمِنَ اللَّهُ إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ،
وَالسَّبَبُ أَنَّ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ بِاللَّجَأِ، مَنشَأً عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَقَطَعَ الْقَلْبَ عَمَّنْ سِوَاهُ»⁽²⁾.
اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي دِينِنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَاحًا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «جامع العلوم والحكم» (187).

(2) «تفسير القرطبي» (222/13).

الاعتداء في الدعاء

10

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الدُّعَاءُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ لَا بَلَّ هُوَ الْعِبَادَةُ لِمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ النِّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠)

(التَّغْوِيَاتُ : 60).

(1) انظر «الاعتداء في الدعاء» لهيثم حيدر فقد استفدتُ منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيراً.

قال الشوكاني رحمه الله: «دلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة فإنه - سُبْحَنَهُ، وَنَعَلَى - أمر عبادة أن يدعو ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؟ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب استكبار ولا أفصح من هذا الاستكبار».

أيها الناس لما كان الدعاء بهذه المنزلة العظيمة حرص الشيطان الرجيم على إفساده إما بالزيادة فيه أو النقص منه فإنه توعد بالقعود للمسلم في طريق الحق كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَنَعَلَى - حاكياً عنه: ﴿فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ (الأنعام: 16).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَنَعَلَى - حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ (النساء: 118).

ولم يكن الله ليسلط علينا الشيطان لولا أننا أطعناه واستجبنا له كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَنَعَلَى - : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سجدة: 20).

والمعنى - أيها الناس - لقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم وأتهم سيطيغونه في معصيته الله، فصدق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإتهم ثبتوا على طاعة الله⁽¹⁾.

أيها الناس من مصائد الشيطان التي ينصبها للناس الاعتداء في الدعاء إما بتجاوز الحد أو الغلو فيه.

كما قال أحد السلف: «ما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفریطٍ أو تقصيرٍ وإما إلى مجاوزةٍ وغلوٍ، ولا يبالي الشيطان بأيهما ظفر»⁽²⁾.

أيها الناس لقد أمرنا الله - سُبْحَنَهُ، وَنَعَلَى - بالدعاء وأخبرنا أنه لا يحب المعتدين فيه.

(1) «التفسير الميسر» (396/7).

(2) انظر «الاعتداء في الدعاء» (ص 5).

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: 55).

قال القرطبي رحمه الله: «وَأَمَّا قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * . معناه: إِنَّ رَبَّكُمْ لَا يُحِبُّ مَنْ اعْتَدَى فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي دُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ»⁽¹⁾.
وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُّورِ وَالِدُّعَاءِ.

ففي سنن أبي داودَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي نُعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْفَلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا. فَقَالَ: أَيُّ بُنْيَ سَلَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُّورِ وَالِدُّعَاءِ».

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽³⁾ عَنْ مَوْلَى لَسْعَدٍ أَنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَإِسْتَبْرَقَهَا وَنَحْوًا مِنْ هَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسِلَاسِهَا وَأَعْلَالِهَا، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَتَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ كَثِيرٍ. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ. وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * ، وَإِنَّ حَسْبَكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ». والاعتداء في الدعاء - أيها الناس - يمنع من الإجابة والقبول.

(1) «تفسير الطبري» (الأعراف: 55).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (86) وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (2396).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (172/1) وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (3671).

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحیح الأدب المفرد»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يدعو، ليس بإثم ولا بقطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يُعجل له دعوته، وإما أن يذخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها». قال: إذا نُكثِر، قال: «الله أكثر».

قال القرطبي رحمه الله تعليقا على الحديث: «وحدث أبي سعيد الخدري وإن كان إذنا بالإجابة في إحدى ثلاث فقد ذلك على صحة اجتناب الاعتداء المانع من الإجابة حيث قال فيه: «ليس بإثم ولا بقطيعة رحم»⁽²⁾.

فمن صور الاعتداء في الدعاء أن يدعو المسلم بما ليس في الكتاب والسنة فيتحير ألفاظا مفكرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا ممول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء كما قال القرطبي رحمه الله⁽³⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة فإن الدعاء من أفضل العبادات، وقد نهانا الله عن الإعتداء فيه فينبغي لنا أن نتبع ما شرع وسن، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره الأحسن له أن لا يفوته الأكمل والأفضل وهي الأدعية النبوية، فإنها أكمل وأفضل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست

(1) «صحیح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (710)، و صححه الألباني في «صحیح الأدب المفرد» (550).

(2) «تفسير القرطبي» (البقرة: 186).

(3) «تفسير القرطبي» (الأعراف: 55).

كَذَلِكَ وَإِنْ قَالَهَا بَعْضُ الشُّيُوخِ، فَكَيْفَ وَقَدْ يَكُونُ فِي عَيْنِ الْأَدْعِيَةِ مَا هُوَ خَطَأٌ أَوْ إِثْمٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ؟!

وَمِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَيْبًا مَنْ يَتَّخِذُ حِزْبًا لَيْسَ بِمَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَدْعُ الْأَحْزَابَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ وَإِمَامُ الْخَلْقِ وَحِجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ⁽¹⁾. وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْخَلْقِ أَنْ يَدْعُوا بِالْأَدْعِيَةِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا رَيْبَ فِي فَضْلِهِ وَحُسْنِهِ، وَأَنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»⁽²⁾.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَذِنَ اللَّهُ فِي دُعَائِهِ وَعَلَّمَ الدُّعَاءَ فِي كِتَابِهِ لِخَلْقِهِ، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الدُّعَاءَ لِأُمَّتِهِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْعِلْمُ بِاللُّغَةِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْدِلَ عَنِ دُعَائِهِ ﷺ وَقَدْ احْتَالَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَمَيَّضَ لَهُمْ قَوْمٌ سُوءٍ يَخْتَرِعُونَ لَهُمْ أَدْعِيَةً يَشْتَغِلُونَ بِهَا عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَشَدُّ مَا فِي الْإِحَالَةِ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَيَقُولُونَ: دُعَاءُ نُوحٍ، دُعَاءُ يُونُسَ، دُعَاءُ أَبِي بَكْرٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، لَا تَشْتَغِلُوا مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا بِالصَّحِيحِ»⁽³⁾.

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِبْدَالُ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأْثُورٍ) بِغَيْرِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ،

(1) انظر «مجموع الفتاوى» (308/22).

(2) انظر «مجموع الفتاوى» (336/1).

(3) «الفتوحات الربانية» (17/1).

وَأَلْجَأَتْ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ
بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّ مُمَّتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ
مَا تَقُولُ». فَقُلْتُ أَسْتَدْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ»، وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ فَقُلْتُ: أَمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَقَالَ: «قُلْ:
أَمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ إِنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَيَنْبَغِي
فِيهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجُزْءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أُوحِيَ
إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ: حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحِكْمَةُ فِي رَدِّهِ عَلَى مَنْ قَالَ (الرَّسُولُ) بَدَلِ
(النَّبِيِّ) أَنَّ الْأَفْظَا الْأَذْكَارَ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَلَهَا خَصَائِصٌ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ فَتَجِبُ
الْمَحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ»⁽²⁾.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.
قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «التَّشْبِيهُ (أَيُّ تَشْبِيهِ جَابِرِ الدُّعَاءِ
بِالْقُرْآنِ فِي الْحِفْظِ وَالتَّعْلِيمِ) فِي تَحْفُظِ حُرُوفِهِ وَتَرْتِيبِ كَلِمَاتِهِ وَضَعِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ
مِنْهُ وَالدَّرْسِ لَهُ وَالمَحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْاِهْتِمَامِ بِهِ وَالتَّحْقِيقِ
لِبِرْكَتِهِ، وَالاِحْتِرَامِ لَهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا عُلِمَ بِالْوَحْيِ»⁽⁴⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (33/17).

(2) «فتح الباري» (112/11).

(3) رواه البخاري (1166).

(4) «فتح الباري» (1184/11).

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.
فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ
رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ (أَيُّ ضَعُفَ) فَصَارَ مِثْلَ الْفَرِيخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟!».

قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ
آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».
قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2688).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - أَسْبَابُ الضَّرْحِ بَعْدَ الشَّدَّةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الِإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «تَكْلُفِ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ».

وَالسَّجْعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْكَلَامُ الْمَسْتَوِي عَلَى نَسْتِي وَاحِدٍ كَقَوْلِ أَحَدِهِمُ اللَّهُمَّ
ارْحَمْنِي فَوْقَ الْأَرْضِ وَارْحَمْنِي تَحْتَ الْأَرْضِ وَارْحَمْنِي يَوْمَ الْعَرْضِ، وَهُوَ مَكْرُوهٌ فِي
الدُّعَاءِ إِنْ تَعَمَّدَهُ وَتَكَلَّفَهُ الدَّاعِي؛ لِأَنَّهُ يَشْغُلُ عَقْلَهُ، وَيَشْتَتُ قَلْبَهُ عَنِ الْخُشُوعِ
وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ.

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»⁽¹⁾ بَابُ: مَا يَكْرَهُ مِنَ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ ثُمَّ
أُورِدَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: فَانظُرِ السَّجْعَ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنِّي عَاهَدْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ: (وَانظُرِ السَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ) أَيُّ: لَا تَقْصِدْ
إِلَيْهِ، وَلَا تُشْغَلْ فَكُرِّكَ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْلُفِ الْمَانِعِ لِلْخُشُوعِ الْمَطْلُوبِ فِي الدُّعَاءِ
وَقَوْلُهُ: (لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ) أَيُّ: تَرَكَ السَّجْعَ.

ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الْمَكْرُوهُ مِنَ السَّجْعِ هُوَ الْمَتَكَلَّفُ؛ لِأَنَّهُ
لَا يُلَاتِمُ الضَّرَاعَةَ وَالذَّلَّةَ، وَإِلَّا ففِي الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ كَلِمَاتٌ مُتَوَازِنَةٌ لَكِنَّهَا
غَيْرٌ مَتَكَلَّفَةٌ»⁽²⁾.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6337).

(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (11/139).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ السَّجْعَ الْمَذْمُومَ فِي الدُّعَاءِ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الْحُشُوعَ وَالْخُضُوعَ وَالْإِخْلَاصَ، وَيُلْهِمِي عَنِ الصَّرَاعَةِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَفَرَاغِ الْقَلْبِ، فَأَمَّا مَا حَصَلَ بِلَا تَكْلُفٍ، وَلَا إِعْمَالٍ فِكْرٍ لِكَمَالِ الْفَصَاحَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَوْ كَانَ مُحْفُوظًا فَلَا بَأْسَ بِهِ، بَلْ هُوَ حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ يَقَعُ بِزِيَادَةِ الرَّفْعِ فَوْقَ الْحَاجَةِ أَوْ بِطَلَبِ مَا يَسْتَحِيلُ حُصُولُهُ شَرْعًا أَوْ بِطَلَبِ مَعْصِيَةٍ أَوْ يَدْعُو بِهَا لَمْ يُوَثِّرْ خُصُوصًا مَا وَرَدَتْ كَرَاهَتُهُ كَالسَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (41/17).

(2) «فتح الباري» (298/8).

(3) «صحيح» أخرجه ابن ماجه (3836)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (3102).

الاستقامة

11

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الاستقامة».

أَيُّهَا النَّاسُ - الاستقامة على أمرِ اللَّهِ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الْأَحْقَافُ : 13-14).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فُضِّلَاتُ : 30).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (هُودٌ : 112).

فَالْأَمْرُ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلنَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِاتِّبَاعِهِ ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾. أَيُّ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ؛ بَأَنْ تَابُوا مِنَ الشَّرِّكَ فَاْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَارُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ.

وَأَصْلُ الاسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْقَلْبِ - فَإِذَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ اسْتَقَامَتْ سَائِرُ الْجَوَارِحِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْفِهِ». فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ خَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلاً وَإِنَابَةً، اسْتَقَامَتْ بَعْدَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْجَوَارِحِ بَعْدَ الْقَلْبِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانُ فَتَقُولُ: أَتَقِيَ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ اللِّسَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَلْيَنْظُرْ أَحَدُنَا فِيمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَيُحَدِّثُ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ كَالْكَذِبِ، وَالغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّبِّ، وَالْبِدْءِ وَالْقَذْفِ، وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿١٨﴾ (فَتْحٌ: 18).

(1) «حسن» أخرجه أحمد (3/198)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (2841).

(2) «حسن» رواه أحمد (3/96)، والترمذي (2407)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (351).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ».

ومتى اسْتَقَامَتِ اللِّسَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ.
وَأَهَمُّ مَا فِي الْجَوَارِحِ الْعَيْنُ، فَإِنَّهَا أَسْرَعُ الْمَنَافِدِ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَقْصَرُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾﴾ (النُّور: 30-31).

فَغَضُّ الْبَصَرِ يَكُونُ بِالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ الْعَبْدُ نَظْرَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِالنَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُتَدَبِّرًا وَيَنْظُرَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ مُعْتَبِرًا.
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ اسْتِقَامَةُ الْأُذُنِ فَهِيَ مِنْ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ إِلَى الْقَلْبِ فَهِيَ بَابٌ مُفْتَوِّحٌ لِسَمَاعِ الْأَعْيَانِ الْمَعْرُوفَةِ وَالْمَعَارِيفِ الْفَاسِدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَحْرَمِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَالْعَبْدُ مَسْئُولٌ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الْأَنْزِيلُ: 36).

ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ اسْتِقَامَةِ بَاقِي الْجَوَارِحِ مِنَ الْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْبَطْنِ، وَالْفَرْجِ فَإِنَّ كَلَامًا مِنْهَا لَهُ أَثَرُهُ فِي اسْتِقَامَةِ الْقَلْبِ وَصَلَاحِهِ.

وَتَتَحَقَّقُ اسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِأُمُورٍ فَمِنْهَا:

- أداء الفرائض والواجبات وهي على مراتب:

1 - فَمِنْهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

(1) زَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (6477)، وَمُسْلِمٌ (2988).

فالتَّوْحِيدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَوْجِبُ الْوَجَبَاتِ، وَأَعْظُمُ الْحَسَنَاتِ، وَأَفْضَلُ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ تَحْقِيقُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ .

2- وَمِنْهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِيهِ قَرِينَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

3- وَمِنْهَا الزَّكَاةُ وَالصَّيَامُ وَالْحَجُّ وَذَلِكَ هُوَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ.

وَمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحُقُوقُ الْعِبَادِ كُلِّهَا تَدْخُلُ فِي الْفَرَائِضِ وَمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوَافِلُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا مِنْ كَمَالِ الْاِسْتِقَامَةِ. وَمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاِسْتِقَامَةُ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَامْتِنَالُ الْمَأْمُورَاتِ وَاتَّقَاءُ الشُّبُهَاتِ وَاجْتِنَابُ الذَّرَائِعِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَى الْحَرَامِ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ». وَمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الْأَنْحِرَافِ.

وَالْأَنْحِرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِلَى إِفْرَاطٍ أَوْ إِلَى تَقْرِيطٍ.

فَالْإِفْرَاطُ يَكُونُ بِتَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: 229).

وَالْتَقْرِيطُ يَكُونُ بِالْقُرْبِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي مَهَانَا اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: 187).

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (52)، وَمُسْلِمٌ (1599) وَاللَّفْظُ لَهُ.

فلا بُدَّ لِسَالِكِ الاستِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَقْصِدَ الطَّرِيقَ الوَسْطَ وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ.
 ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «تَحْقِيقِ الطَّحَاوِيَّةِ»⁽¹⁾ مِنْ
 حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ:
 «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ
 (مُتَفَرِّقَةٌ) عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأَنْجُزِيُّ: 153).
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (435/1)، وَصَحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص 587).

الخطبة الثانية - أسباب الاستقامة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، نَقَدَّمُ الْحَدِيثَ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الاستقامة» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «أسباب الاستقامة».

فَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْيَقِينُ بِوَعْدِ اللَّهِ لِأَنَّ الْإِنْحِرَافَ عَنِ
الْإِسْتِقَامَةِ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنِ ضَعْفِ الْيَقِينِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (البزوفه: 60).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعِلْمُ.

فَمَتَى عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِتِلْكَ الطَّاعَةِ وَرَغَّبَهُ فِيهَا وَرَتَّبَ عَلَيْهَا الْجَزَاءَ
الْحَسَنَ وَعَلِمَ عَاقِبَةَ الْمَعْصِيَةِ وَعَاقِبَةَ تَرْكِهَا كَانَ ذَلِكَ بَاعِثًا لَهُ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْخَيْرِ
وَالثَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الرُّقُوعَةُ الصَّالِحَةُ.

فَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ فَمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ فَلْيَبْدَأْ لَهُ مِنْ رُفَقَاءِ
صَالِحِينَ يَذْكُرُونَهُ إِذَا اعْوَجَّ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ أَوْ حَادَ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، ﴾ (الكهف: 28).

قَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ
أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ، أَيْ يَحْسِبَهَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ، لَا يُرِيدُونَ بِدَعَائِهِمْ إِلَّا رِضَاهُ - جَلَّ وَعَلَا»⁽¹⁾.

(1) «أضواء البيان» (136/19).

ومن أسباب الاستقامة - أيها الناس - الدعاء.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلِزُومِ طَرِيقِ الْاِسْتِقَامَةِ، لِأَنَّهُ بَدُونَ هِدَايَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَنَا لَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالغِنَى».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّادَاتِ، سَدَادَ السَّهْمِ».

وَفِي سُنَنِ أَلِيِّ دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ» فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3517)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (7987).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2721).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2725).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1522)، وَالنَّسَائِيُّ (1303) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ» (81969).

فَتَأْمَلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى عَظَمَةِ هَذَا الدُّعَاءِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَلَا حَوْلَ
لَنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.
اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

فَضْلُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

12

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغوية: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجتناب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْحَوْقَلَةَ» وَهِيَ قَوْلٌ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ هُنَا مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَائِدِ وَالشَّارِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَمِيقَةِ وَالِدَّلَالَاتِ الْمَفِيدَةِ مَا يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ وَيُقَوِّي الْيَقِينَ وَيَزِيدُ صِلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ⁽¹⁾.

وَمَعْنَاهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا ذَكَرَ - ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا حَوْلَ بِنَا عَلَى الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا بِاللَّهِ».

(1) انظر «الْحَوْقَلَةُ مَفْهُومُهَا وَدَلَالَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ» لِعَبْدِ الرَّزَاقِ الْبَدْرِي (ص 3).

وفضائلها - أيها الناس - لجمّة غزيرة.

فَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ مَا مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: «بِسَبْعٍ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَأَنْ أَوْجَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ جَفَانِي وَأَنْ أَكْثَرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمُرِّ الْحَقِّ وَأَنْ لَا تَأْخُذْنِي بِاللَّهِ لَوْمَةً لَأَيْمٍ، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ حَازِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا حَازِمُ أَكْثَرُ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَمِنْ فَضَائِلِهَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِفَضْلِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ قَالَ فِيهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁴⁾ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ:

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (333/2)، وَالتِّرْمِذِيُّ (280/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1214).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (159/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (199/1).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (323/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (7907).

(4) «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (418/5)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (116/2) صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

«مَنْ مَعَكَ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيْمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تَرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ.

ففي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكُمْ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَسَلِمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَةٌ اسْتِسْلَامٌ وَتَقْوِيضٌ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَاعْتِرَافٌ بِالِإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ، وَلَا رَادًّا لِأَمْرِهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الْكَنْزِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدَخَّرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ، كَمَا أَنَّ الْكَنْزَ أَنْفُسُ أَمْوَالِكُمْ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁴⁾ عَنْ فَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُجِدُّهُ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (21/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2614).

(2) شَرَحُ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (26/17).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (244/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1581).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (3581)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1582).

فَأَتَى عَلِيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ صَلَّيْتُ رُكْعَتَيْنِ. قَالَ: فَضْرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ».

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ بِحَيْثُ أَنَّهُ يُدْخَرُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَوْقِعَ الْكَنْزِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْكَانِزِ أَنْ يَعِدَّ كَنْزَهُ لِخَلَاصِهِ فِيمَا يَنْوِبُهُ وَالتَّمَتُّعِ بِهِ فِيمَا يُلَائِمُهُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَنَّهَا تُكْفِّرُ الذُّنُوبَ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6384)، وَمُسْلِمٌ (2704).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3825)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ» (1585).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (266/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1205).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (158/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5636).

رجلٌ يقولُ لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ وسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا كَفَرْتُ عَنْهُ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرُ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَنْ رَزَقَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ.

ففي سنن الترمذي وابن ماجه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث الأغرّ أبي مسلمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ الْحَمْدُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي».

ثُمَّ قَالَ الْأَغْرُ: شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ قُلْتُ: لِأَبِي جَعْفَرَ: مَاذَا قَالَ؟ قَالَ: «مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمَا حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

ففي سنن الترمذي والنسائي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (253/2)، وابن ماجه (3794)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (713).

(2) أخرجه الترمذي (3426)، والنسائي (26/6)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (1605).

مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ قَدْ هُدَيْتَ وَكُفِّيتَ وَوُقِّيتَ فَيَتَنَحَّى لَهُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِّي وَوُقِّي؟».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ خَيْرَهَا لِعَظِيمٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: علِّمني كلامًا أقوله. قال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله العزيز الحكيم». قال: فهو لاءٍ لربِّي فما لي. قال: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ بَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَدِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا سَبَبٌ فِي مَغْفَرَةِ الذُّنُوبِ.

(1) أخرجه مسلم (2696).

(2) أخرجه مسلم (385).

ففي سنن ابن ماجه بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبيه، ومن ليس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبيه».

وأخرج النسائي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المثلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت له ذنوبه أو خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر».

ومن فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله أنها من أحب الكلام إلى الله.

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽³⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله لا شريك له له المثلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله ويحمده».

وأستغفر الله.

(1) «حسن» أخرجه ابن ماجه (3285)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (6086).

(2) «صحيح» أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (471)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (3414).

(3) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (638)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب

المفرد» (ص 219).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - الْبُعْدُ الْعَقْدِيُّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ:

« لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ فَضْلِ « لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ » وَأَنَّهَا كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْنَوْا بِهَا وَأَنْ يُكْثِرُوا مِنْ
قَوْلِهَا، وَأَنْ يَعْمُرُوا أَوْقَاتَهُمْ بِكَثْرَةِ تَرْدَادِهَا لِعَظِيمِ فَضْلِهَا عِنْدَ اللَّهِ وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ الْبُعْدِ الْعَقْدِيِّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ « لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ».

فَمُقْتَضَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا،
وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ شَرٍّ، وَلَا قُوَّةٌ فِي جَلْبِ خَيْرٍ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فَلَا
تَحْوَلُ لِلْعَبْدِ مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَى طَاعَةٍ، وَلَا مِنْ مَرَضٍ إِلَى صِحَّةٍ، وَلَا مِنْ وَهْنٍ إِلَى قُوَّةٍ،
وَلَا مِنْ نَقْصَانٍ إِلَى كَمَالٍ وَزِيَادَةٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى الْقِيَامِ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهِ،
أَوْ تَحْقِيقِ هَدَفٍ مِنْ أَهْدَافِهِ أَوْ غَايَةٍ مِنْ غَايَاتِهِ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ
يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَازِمَةٌ الْأُمُورِ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، وَأُمُورُ الْخَلَائِقِ مَعْقُودَةٌ بِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ
يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ وَيَقْضِي فِيهَا بِمَا يُرِيدُ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ فَمَا شَاءَ
كَانَ كَمَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشَاءُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ،
وَلَا تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَلَهُ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَلَهُ
النِّعْمَةُ وَالْفَضْلُ وَلَهُ الشَّانُ الْحَسَنُ شَمَلَتْ قُدْرَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ .

قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يَسِينَ : 82) .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

بَعْدِهِ ﴾ (فَطَّلًا : 2) .

وبما أنَّ هذا الشأن العظيم لا ينبغي لغيره - سُبْحَانَهُ - فإنه من الوجوب الإسلام لألوهيته والاستسلام لعظمته، وتفويض الأمور كلها إليه، والتبرُّؤ من الحَوْل والقُوَّة إلا به، ولهذا تعبد الله عباده بذكره بهذه الكلمة العظيمة التي هي باب عظمة من أبواب الجنة وكنز من كنوزها.

فهي كلمة عظيمة تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أن كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تعني الإخلاص لله في العبادة، فلا تتحقق (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا بإخلاص العبادة كلها لله، ولا تتحقق (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) إلا بإخلاص الاستعانة كلها لله وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن وذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فالأول تبرُّؤ من الشرك، والثاني تبرُّؤ من الحَوْل والقُوَّة وتفويض إلى الله - عزَّ وجلَّ - والعبادة متعلقة بالوَهْيَةِ لله سبحانه، والاستعانة متعلقة برُبُوبِيَّتِهِ، العبادة غاية والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة إلا بهذه الوسيلة الاستعانة بالله الذي لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا به⁽¹⁾.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عَصَدْنَا وَنَصِيرُنَا بِكَ نَحْوُلُ وَبِكَ نَصُورُ وَبِكَ نَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

(1) انظر «الحوقلة مفهومها ودلالاتها العقديَّة» لعبد الرزاق البدر (11-12).

السَّعَادَةُ

13

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «السَّعَادَةِ».

السَّعَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا السَّعَادَةُ إِتْمَانُ الشُّعُورِ الْمُسْتَمِرِّ بِالْغِبْطَةِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالْأَرِيحَةِ وَالْبَهْجَةِ، فَهِيَ ضِدُّ الشَّقَاوَةِ.

وَالسَّعَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَيْسَتْ فِي الْمَالِ وَلَا فِي الْمُلْكِ وَلَا فِي الْاِسْتِمْتَاعِ بِمَا أُوْدَعِ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ، إِنَّهَا السَّعَادَةُ جَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ نَصِيبِ مَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (الْجَنَّاةُ : 97).

قَالَ الشَّنْقِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سِوَاءٍ أَكَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُقَسِّمُ لِنُحْيِيَّتِهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَيَجْزِيَنَّهُ أَجْرَهُ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ.

وقال: وفي الآية الكريمة قرينة تدلُّ على أنَّ المراد بالحياة الطيبة في الآية حيلته في الدنيا حياة طيبة وتلك القرينة هي أننا لو قدرنا أنَّ المراد بالحياة الطيبة حياته في الجنة في قوله ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ صار قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، تكررًا معه؛ لأنَّ تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم بخلاف ما لو قدرنا أنَّها في الحياة الدنيا؛ فإنه يصير المعنى: فلنُحْيِيَنَّهُ في الدنيا حياة طيبة ولنُجْزِيَنَّهُ في الآخرة بأحسن ما كان يعمل»⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: 123).

قال في نواذر الأصول: «تابع القرآن قد أُجِرَ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا، لِرَاحَةِ قَلْبِهِ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا وَظُلُمَاتِهَا، وَسِيرِهِ فِي الْأُمُورِ بِقَلْبِهِ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ وَاسِعُهُ وَبَدَنُهُ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مَيَسَّرَ عَلَيْهِ؛ لِظَمَانِ اللَّهِ وَاكْتِنَافِهِ لَهُ؛ وَكَذَا يُجَارُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي سُجُونِ النَّيْرَانِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ»⁽²⁾.

أيها الناس كما قضى الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ السَّعَادَةَ مِنْ نَصِيبِ مَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - جَعَلَ الشَّقَاوَةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُنَّةُ اللَّهِ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (طه: 124).

(1) «أضواء البيان» (17/222).

(2) «البحر المديد» لابن عجيبة (3/336).

أَيَّ عَيْشًا ضَيَّقًا؛ لِأَنَّ مَجَامِعَ هَمَّتِهِ، وَمَطَامِعَ نَظَرِهِ مَقْصُورَةٌ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُتَهَالِكٌ عَلَى ازْدِيَادِهَا خَائِفًا مِنْ انْتِقَاصِهَا، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ الطَّالِبِ لِلْآخِرَةِ، فَإِنَّ نَوْرَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ لَهُ الْقَنَاعَةَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْغِنَى وَسَبَبُ الرَّاحَةِ، فَيَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً⁽¹⁾.

فَتَبَيَّنَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يُحِبُّ لِدَاتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يُحِبُّ تَبَعًا لِمَحَبَّتِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاحْضِرْ أَنْ يَكُونَ هَمُّكَ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَذَا غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْحَالِ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ وَفِي نَعِيمٍ عَاجِلٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْوَاجِدِينَ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِتْمَمَ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا، وَقَالَ آخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا قَبْلَ لَهُ: وَمَا أَطْيَبَ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ»⁽²⁾.

وَلِلسَّعَادَةِ أَسْبَابٌ، فَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (التَّوْبَةُ: 97).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَى﴾ (طَبَّتْنَا: 123).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(1) «البحر المديد» لابن عجيبة (4/465).

(2) «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص 30).

فَالْمُؤْمِنُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ سَعِيدٌ؛ لِعِلْمِهِ بِشَأْنِ اللَّهِ لَا يَقْضِي قَضَاءً إِلَّا وَفِيهِ تَمَامُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ.

كما قال ابنُ ناصرِ الدِّينِ الدَّمَشْقِيُّ:

يَجْرِي الْقَضَاءُ وَفِيهِ الْخَيْرُ نَافِلَةٌ ○●○ لِمُؤْمِنٍ وَاثِقٍ بِاللَّهِ لَا لِأَهِي
إِنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَوْ نَابَهُ تَرْحٌ ○●○ فِي الْحَالَتَيْنِ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ؛ فَالْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ هُمُ السُّعْدَاءُ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ قَارُونَ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (الْقَصَصُ: 79-80).

فَتَأَمَّلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْمُتَهَالِكِينَ عَلَى الدُّنْيَا: ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعِزَّةُ وَتِلْكَ الْقَنَاعَةُ وَتِلْكَ الطُّمَأْنِينَةُ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا الْعُلَمَاءُ؛ فَمَنْ رَامَ السَّعَادَةَ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَأَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ لَهَا رَأْيِي عَيْنٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَحْشَوْنَهُ حَقَّ حَشْيَتِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِكْتِسَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرَّعْدُ: 28).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾

(جَلَّتْ: 124).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِصْرُ الْأَمَلِ وَعَدَمُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَاتِّخَاذُهَا مَعْبَرًا لَا مَقَرًّا.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

فَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ غَرِيبًا فَإِنَّهُ لَنْ يُنَازِعَ أَهْلَهَا وَلَنْ يُقَاتِلَهُمْ عَلَى حُطَامِهَا قَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ هُمُومِهَا وَأَكْدَارِهَا فَهُوَ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سَلَامَةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَتَى اضْطَرَّ لِلرَّدِّ عَلَى غَيْرِهِ كَانَ رُدُّهُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فُضِّلَتْ : 34-35).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَإِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَيْرٌ وَابْقَى﴾ (١٣٦) (طَلَّتْ : 136).

وَفِي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ⁽³⁾: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6416).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2963).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6125).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ اللِّسَانِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ.

فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَعَدَتْ نَفْسُهُ واطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَفَارَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ؛
ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَيُّهُنَّ فِي جَهَنَّمَ».

وفي رواية: «يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ.

وهذه الأعمال مُتَعَةٌ وَلَذَّةٌ وَسَعَادَةٌ يَجِدُهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا، فَضْلًا عَنِ الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ
بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ
وَالْمَلْهُوفَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْيَقِينُ بِأَنَّ سَعَادَةَ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْآخِرَةِ
لَا فِي الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَعَلَى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾﴾ (هُود: ١٠٨).

وَمَعْنَى غَيْرِ مَجْدُودٍ: أَيُّ غَيْرِ مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6478).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6018)، وَمُسْلِمٌ (47).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1445)، وَمُسْلِمٌ (1008).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

ومَّا جَاءَ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «ذَكَرُوا عَنِ ابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ شَارِحِ الْبُخَارِيِّ بِالْشَّرْحِ الَّذِي سَمَّاهُ «فَتْحُ الْبَارِي» وَكَانَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِمِصْرَ، أَنَّهُ مَارٌ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عَلَى عَرَبِيَّةٍ تَجْرُهُ الْبِعَالُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، مَرَّ بِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ سَمَّانٍ يَعْنِي يَبِيعُ السَّمْنَ وَالزَّيْتَ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الَّذِي يَبِيعُ السَّمْنَ وَالزَّيْتَ ثِيَابُهُ وَسِخَّةٌ وَحَالُهُ سَيِّئَةٌ فَأَوْقَفَ الْعَرَبَةَ وَقَالَ لابْنِ حَجَرَ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ يَقُولُ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» فَكَيْفَ أَنَا أَكُونُ بِهَذِهِ الْحَالِ وَأَنْتَ بِهَذِهِ الْحَالِ؟

فَقَالَ لَهُ ابْنُ حَجَرَ عَلَى الْبَدِيهَةِ: أَنَا بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَوْضِعَ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْيَهُودِيُّ: فَأَنْتَ فِي جَنَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَعَدَّ لَكَ مِنَ الْعَذَابِ إِنْ مِتَّ عَلَى الْكُفْرِ فَاقْتَنَعَ ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ وَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِهِ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ⁽³⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2956).

(2) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3017)، وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (3767) وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) تَفْسِيرُ ابْنِ عُثَيْمِينَ (2/30) تَفْسِيرُ سُورَةِ اللَّيْلِ.

الخطبة الثانية - موانع السعادة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثَ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «السَّعَادَةِ وَأَسْبَابِ الْحُصُولِ
عَلَيْهَا» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مَوَانِعِ السَّعَادَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ هُنَاكَ مَوَانِعٌ كَثِيرَةٌ لِلسَّعَادَةِ تَحُولُ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا⁽¹⁾.

فَمِنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْكُفْرُ بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الأنعام : 125).

فَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْكَافِرَ مِثْلَهُ فِي الضِّيْقِ وَالضَّنْكِ مِثْلُ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى
الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِذْ يَشْعُرُ بِضْيِيقٍ فِي التَّنَفُّسِ وَكُلَّمَا تَزَايَدَ صُعودُهُ تَزَايَدَ
شُعُورُهُ بِضْيِيقٍ فِي التَّنَفُّسِ، وَمَعْلُومٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ لَا
أُكْسِحِينَ فِيهَا فَهَكَذَا حَالُ الْكَافِرِ فِي ضْيِيقٍ وَكَرْبٍ وَهَمٍّ وَعَمٍّ.

وَمِنْ مَوَانِعِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ الشَّقَاءَ
وَالذُّلَّةَ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ - جَلَّ جلالُهُ - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ (النحل : 175).

وَأَصْلُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَا وَلَا
يَسْتَقِيمُ الْإِيْمَانُ إِلَّا بِالْخَوْفِ.

(1) انظر «السعادة بين الوهم والحقيقة» (ص 12) وقد استندت منه في إعداد هذه الخطبة جزى الله
مؤلفه خيرا.

والخوف - أيها الناس - ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول:** الخوف من الله - عز وجل - وهو أوجبها وأعظمها، وهذا صرفه لغير الله شرك فممن خاف من الأصنام والأوثان والأشجار وغيرها ويعتقد فيها أنها تضر أو تنفع فهذا من الشرك الأكبر.

- **والقسم الثاني:** خوف يحمل صاحبه على فعل معصية أو ترك واجب من خوف المخلوقين فهذا محرّم.

- **والقسم الثالث:** الخوف الطبيعي كخوفه من الحية والعقرب واللصوص فهذا الخوف جائز لا محذور فيه (1).

ومن موانع السعادة - أيها الناس - الغضب.

فمن تحكّم فيه غضبه لن يجد طعم السعادة ومن تحكّم في غضبه ساعده على مواجهة الصعاب والتغلب على العقبات.

وقد أثنى الله - سبحانه وتعالى - على الذين يتحكّمون بأنفسهم عند الغضب.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 134).

وقال الله - سبحانه وتعالى - في وصف عباده المؤمنين: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

(الشورى: 37).

كما بين النبي ﷺ أن قوة النفس ليست بالبطش وإنما بالتحكّم بها والأخذ

بزمَامِهَا فِي «الصَّحِيحِينَ» (2) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

(1) انظر «التعليقات البازية على كتاب التوحيد» (52/1).

(2) رواه البخاري (5763)، ومسلم (2609).

وفي «صحیح البخاری»⁽¹⁾ من حدیثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي». قَالَ: «لَا تَغْضَبْ».

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْشَأُ عَنِ الْغَضَبِ الْكِبْرُ؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ عِنْدَ مُخَالَفَةِ أَمْرٍ يُرِيدُهُ فَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلَى الْغَضَبِ، فَالَّذِي يَتَوَاضَعُ حَتَّى تَذَهَبَ عَنْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ الْغَضَبِ»⁽²⁾.

ومن موانع السَّعادة - أيها النَّاسُ - الظُّلمُ. فَإِنَّ الظُّلْمَ مَرَّتَعَهُ وَخَيْمٌ وَعَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ.

ففي «صحیح البخاری»⁽³⁾ من حدیثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحیح مُسلم»⁽⁴⁾ من حدیثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاحِشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً أَمَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ بِمَا يُوجِبُ تَأَلَّفَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا، وَمَهُوَ عَمَّا يُوجِبُ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا»⁽⁵⁾.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5765).

(2) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (520/10).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2447) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2578) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

(5) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (336/1).

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،
وَأَصْلِحْ آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً
لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ تَرْجُو فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

فضائل اليمن في الكتاب والسنة⁽¹⁾

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغوية: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجنحة: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «فضائل اليمن وأهلها».

أيها الناس إن لأهل اليمن منة على كثير من أهل بلاد الله فمنهم المجاهدون
والفاتحون ومنهم القادة المصلحون، ومنهم العلماء الربانيون، ومنهم الدعاة العالمون.

فمن حفظ الجميل - أيها الناس - أن نذكر ما جاء في فضل هذا البلد الطيب
الطيب أهلها في الكتاب وصحيح السنة.

فمن فضائل اليمن - أيها الناس - :

(1) انظر كتابنا «بلدة طيبة» فيه تفصيل ما أجمل هنا وهذه الخطبة منه.

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ (سُبْحَانَ: 15).

فَسَبَأٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْيَمَنِ سَمَّتِ الْيَمَنَ بِاسْمِهَا وَهِيَ «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ» وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ مِيزَاتِ كَلَامِ اللَّهِ الْخُلُودَ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ طَيِّبَةَ هَذَا الْبَلَدِ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَلِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَنَاقِبٌ.

فَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ بِأوصافٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الْمُنَافِقُونَ: 54).

وَهَذِهِ الْآيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» وَابْنَ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنَ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. أَوْ مَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى بِشَيْءٍ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: «هُمُ قَوْمٌ هَذَا».

وَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ (التَّوْبَةُ: 1-2).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (313/2)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (125/12)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (12193)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (371/17)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3368).

وهذه الآية - أيها الناس - نزلت في أهل اليمن.

فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» وتلميذه الإمام أحمد في مسنده من طريق عبد الرزاق بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أتاكم أهل اليمن؛ هم أرق قلوباً، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية».

وأخرج الطبراني في «الكبير» والنسائي في «الكبرى» والبخاري في «التاريخ» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فنزلت: ﴿إِذَا جَاءَ﴾ فقال: «هم أهل اليمن».

وأخرج ابن حبان في موارد بسند صحيح لغيره قاله الألباني في «التعليقات الحسان»⁽³⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ بالمدينة؛ إذ قال: «الله أكبر! الله أكبر! جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن، قوم نقيّة قلوبهم، لينة طباعهم الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية».

أيها الناس سنة النبي ﷺ حافلة بالثناء الحسن على أهل اليمن وذكر فضائلهم. فمن فضائل اليمن - أيها الناس - ما جاء في «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم أهل اليمن، أرق أفئدة وألين»

(1) «صحيح» أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (404/2)، وأحمد في «مسنده» (7709) من طريق عبد الرزاق - أيضاً -، وصححه الألباني في «الصحيح» (3369)

(2) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11903)، والنسائي في «الكبرى» (172/5)، والبخاري في «التاريخ» (195/3)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (3369).

(3) «صحيح لغيره» أخرجه ابن حبان في موارد (2299) وقال الألباني في «صحيح موارد الظمان» (1957) صحيح لغيره.

(4) رواه البخاري (4390)، ومسلم (52).

قُلُوبًا، الْإِيْمَانُ بِيَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْحَيْلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبْلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرْقُ أَفْعَدَةُ الْفِقْهِ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثُوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَبِعْتُمْ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ (أَيُّ اطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ) حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ (أَيُّ: حَتَّى يَسِيلَ عَلَيْهِمْ)» فَسُئِلَ عَنْ عَرَضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدُّ أَحَدُهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدَهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرَ مِنْ وَرَقٍ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ؛ مُجَازَاةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيْعِهِمْ، وَتَقْدِيمِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ»⁽³⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ انْقِيَادِهِمْ لِلْحَقِّ وَقَبُولُهُمْ لَهُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَرْنَا

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4390)، وَمُسْلِمٌ (52).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (3301).

(3) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (62/15، 63).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7418).

فَاعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «أَقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يُقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قَبِلْنَا.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ.
فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَيْةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ قُلُوبًا، وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً، وَأَنْجَعُ طَاعَةً».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا مُبَارَكَةٌ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: وَنَجِدْنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجِدِنَا، فَأَظْنُهُ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «هَنَّاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يُطْلَعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ رِجَالَ الْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ الرِّجَالِ.
فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزُضُ يَوْمًا خَيْلًا وَعِنْدَهُ عِيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ الْغَزَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْحَيْلِ مِنْكَ». فَقَالَ عِيْنَةُ: وَأَنَا أَفْرَسُ بِالرِّجَالِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَكَيْفَ ذَاكَ؟». قَالَ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، جَاعِلِينَ رِمَاحَهُمْ عَلَى

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/154) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1775): حَسَنٌ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1037).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945، 1946)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

مناسج خيولهم، لا بسوا البرود من أهل نجد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، بل خير الرجال رجال اليمن».

ومن فضائل أهل اليمن - أيها الناس - أنهم خيار من في الأرض.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ وحسنه الوادعي في «الجامع الصحيح» من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بطريق بين مكة والمدينة، فقال: «يوشك أن يطلع عليكم أهل اليمن؛ كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض». فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ قال في الثالثة كلمة ضعيفة: «إلا أنتم».

وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (16724)، وصححه الألباني في «الصحيح» (3437)، وحسنه شيخنا الوادعي في «الجامع الصحيح» (84/4).

الخطبة الثانية - فضائل بعض القبائل اليمانية :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن «فضائل اليمن وأهلها في الكتاب والسنة» والآن حديثي معكم عن «فضائل بعض القبائل اليمانية».

أيها الناس حديثي معكم عن فضائل القبائل اليمانية إنما هو من باب حفظ الجميل؛ فلها القدح المعلى في الجهاد كما لها الدور العظيم في الفتوح الإسلامية.

فمن فضائل القبائل اليمانية ما جاء في فضل همدان.

ففي سنن البيهقي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل خالدًا ومن كان معه إلا رجلاً ممن كان مع خالد أحب أن يبقى مع علي رضي الله عنه فليعقب معه.

قال البراء: فكنّت ممن عقب معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلّى بنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصدقنا صفاً واحداً ثم تقدّم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان السلام على همدان».

(1) «صحيح» أخرجه البيهقي (369/2) بإسناد صحيح على شرط البخاري، وأخرج البخاري صدر هذا الحديث في «صحيحه» (4349)، وصححه المنذري في «مختصر السنة» (86/4)، وابن الهمام في «فتح القدير» (425/1)، وصححه الألباني في «الإرواء» (474).

وَهَمْدَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ بَلْ إِنَّمَا لَتَشَكَّلُ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ سَكَانِ الْيَمَنِ الْيَوْمَ وَيَتَفَرَّغُ مِنْهَا حَاشِدٌ وَبَكِيلٌ.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حَمِيرٍ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ذِي مَخْبَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حَمِيرٍ فَتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ وَسِعُودُ إِلَيْهِمْ».

وَحَمِيرٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيْضًا - .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَشْعَرِيِّينَ.

فَفِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أُرْمِلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّخَعُ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي «تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لِهَذَا الْحَيِّ مِنَ النَّخَعِ، أَوْ قَالَ: يُثَنِّبُنِي عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَذْحَجٍ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (91/4)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2022).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2486)، وَمُسْلِمٌ (2500).

(3) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3826) وَقَالَ الْأَرْنَؤُوطُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (376/6) حَسَنٌ.

ما جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ عَبَسَةَ السَّلْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ: نَجْرَانُ، وَبَنُو تَعْلِبٍ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحَجٌ».

وَمَذْحَجٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتُشَكَّلُ قَرِيبًا مِنْ رُبْعِ سُكَّانِ الْيَمَنِ.

وَمِنْ فُضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَزْدِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعَمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَةٌ أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمَانُهُمْ، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ».

وَقَبِيلَةُ الْأَزْدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتَفَرَّعَ عَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ وَهُمْ الْأَنْصَارُ.

وَلَا يُوجَدُ قَبِيلَةٌ نَالَتْ مِنَ الشَّرْفِ الْعَظِيمِ، وَالثَّنَاءِ الْبَالِغِ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَمِنَ الرَّسُولِ ﷺ كَقَبِيلَةِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَتَسْمِيَّتُهُمْ فِي الْأَصْلِ: الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ الْأَنْصَارَ؛ لِئَنْصَرْتَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَالسَّيْفُوتُ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البقرة: 100).

وَقَدْ أَمْتَدَحَهُمُ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 9).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945) وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (351/2) وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1039).

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ سُوءًا فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ وَرَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ إِنَّكَ وَليُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3783)، وَمُسْلِمٌ (75).

الثَّبَاتُ عَلَى دِينِ اللَّهِ

15

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَةُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزَابُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الثَّبَاتُ هُوَ الْاسْتِقَامَةُ عَلَى الْجَادَّةِ وَلِزُومُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ غَيْرِ عَوَجٍ وَلَا انْحِرَافٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِ اللَّهِ هُوَ رَأْسُ الْمَالِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الْخَسَارَةَ وَهُوَ وَصِيَّةُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ.

قال يعقوبُ لَبْنِيهِ: ﴿يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

(الْبَصِيحُ: 132).

ولمَّا كَانَ الْمُسْلِمُ عُرْضَةً لِلإِبْتِلَاءِ وَالْمِحْنِ حَتَّى فِي إِيمَانِهِ .

كما في مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ» .

كَانَ لَزَامًا عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَكُمْ مَوَانِعَ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ ثُمَّ بَعْدَهُ نَذَرُ أَسْبَابَ الثَّبَاتِ . فَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَوْلُ الْأَمَلِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الْحَجَرِ: 16) .

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ لَنَا مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ حَيْثُ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالتَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّسْيَانُ لِلْآخِرَةِ وَالقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ .

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيَلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الْحَجَرِ: 3) .

وَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ دَعْوَاهُمْ يَعْشَوْنَ كَالْأَنْعَامِ وَلَا يَهْتَمُّوا بِغَيْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهَوَاتِ وَالتَّبَاهِي فِي زِينَةِ الدُّنْيَا مِنَ السَّكَنِ وَالمَرْكُوبِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

وَمَعْنَى ﴿ وَيَلْهَهُمُ الْأَمَلُ ﴾ : أَيُّ يَشْغَلُهُمْ طَوْلُ الْأَمَلِ وَالعُمُرِ عَنْ اسْتِقَامَةِ الْحَالِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالأَخْذِ بِطَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

وَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ التَّوَشُّعُ فِي الْمُبَاحَاتِ تَوْشُّعًا يُجْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْعِتْدَالِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (طَلْحَا: ٨١) .

(1) «صحيح» أخرجه الحاكم (4/1)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1590) .

فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَنَهَى عَنِ الطُّغْيَانِ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْبَطَالَةِ
وَالْكَسَلِ وَكُلِّ شَيْءٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ انْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ حَتَّى فِي الْمُبَاحَاتِ .
وَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْأَجْوَاءِ الْإِيمَانِيَّةِ .
فَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا أَنَّ النَّفْسَ إِذَا لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَالطَّاعَةِ
شَغَلَتْكَ بِالْمَعْصِيَةِ .

فَالْإِيمَانُ يَضْعُفُ وَيَضْمَحِلُّ إِذَا تَعَرَّضَ الْعَبْدُ لِأَجْوَاءِ الْإِبَاحِيَّةِ وَالْفُجُورِ وَالتَّبَرُّجِ
وَالسُّفُورِ أَوْ خَالَطَ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي أَسْوَاقِهِمْ وَأَطَالَ فِيهَا الْبَقَاءَ وَأَجَالَ فِيهَا النَّظَرَ
وَهَجَرَ الْجَمَاعَةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَاكْتَفَى بِالصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ .

لِذَلِكَ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا» .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْسَنُ الْبِقَاعِ إِلَى
اللَّهِ الْمَسَاجِدُ وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْأَسْوَاقُ» .

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ، وَسَاعِرْجُ بِكُمْ الْآنَ عَلَى وَسَائِلِ الثَّبَاتِ
عَلَى دِينِ اللَّهِ .

فَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ اللَّهِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ (الأنعام : 59) .

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (671) .

(2) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (18/4)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (78/1) حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الْبَيْعُ : 67).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - الالتزام بالدين.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴾ (النَّبَأُ : 66-68).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - المسارعات في الخيرات.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 133).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الْمُحْتَدِبِينَ : 21).

والمسارعات إلى الطاعة - أيها الناس - بحاجة إلى الاستمرار عليها.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ».

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - قراءة القرآن وتدبره والعمل به فهو من أعظم وسائل الثبات.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الْبُقُرَاتُ : 32).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الْحَافَاةُ : 102).

(1) رواه مسلم (783).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الشعور بالافتقار إلى تثبيت الله؛ لأنه من فقد الله ماذا وجد ومن وجد الله ماذا فقد؟

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَدَدْتَ تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۗ ﴾ (الأنزل: 74-75).
وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبُّوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ ﴾ (الأنزل: 12).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الإيمان بالله وصدق التوكل عليه والالتجاء إليه والشعور الدائم بمعيته والاعتقاد الجازم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك والإيمان باسماء الله وصفاته وتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له والبراءة من الشرك وأهله، والنفاق وأهله فذلك وغيره من الإيمان سبب عظيم من أسباب الثبات.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ ﴾ (إبراهيم: 27).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - قصر الأمل؛ لأنه كلما قصر الأمل جد العمل؛ لأن العبد يقدر أنه يموت اليوم فيستعد استعداد مسافر توشك الرحلة أن تفوته.
ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

(1) رواه البخاري (6416).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438).

ومن أسباب الثَّباتِ - أيُّهَا النَّاسُ - التَّعَلُّقُ بِالْمَسْجِدِ وَأَهْلِهِ .
ففي التَّعَلُّقِ بِالْمَسْجِدِ وَأَهْلِهِ مَا يُعِينُ عَلَى الثَّباتِ حَيْثُ الْمَحَافِظَةُ عَلَى صَلَاةِ
الْجَمَاعَةِ وَالصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ وَدَعَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَحِلْقُ الْعِلْمِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي وَصْفِ الْمُلَازِمِينَ لِلْمَسَاجِدِ الْمُنْشَغِلِينَ بِهَا عَنِ الدُّنْيَا:
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾
(الْبُنْيَانُ : 37-38) .

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا
نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» .
وَجَلِيسُ الصَّالِحِينَ يَنْدَرُجُ مَعَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَنْفَضُّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ إِكْرَامًا لَهُمْ،
وَلَوْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي أَصْلِ الذِّكْرِ

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضَلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا
مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -
وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ، فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يَسْأَلُونَكَ
وَيَكْبُرُونَكَ وَيَهْلِكُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ . قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونَني، قالوا: يَسْأَلُونَكَ
جَنَّتِكَ . قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي، قالوا: لَا أَيُّ رَبِّ . قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي، قالوا:

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438) .

(2) رواه البخاري (640) واللفظ له، ومسلم (2689) .

وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قال: وما يَسْتَجِيرُونَني. قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري، قالوا: لا قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قال: فيقول: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ ما سألوا وَأَجْرْتُهُمْ مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطاءٌ إنما جَلَسَ مَعَهُمْ، قال: فيقول: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْعُو لِمَنْ جَلَسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ لِلذِّكْرِ.

كما في «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ ما دامَ في مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ما لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَاللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ في رِباطٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطايا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِسْبَاغُ الوُضوءِ على المكارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلى المساجِدِ، وَاِنْتِظارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ فَذَلِكُمُ الرِّباطُ».

وَالرِّباطُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مِرابَطَةُ العَدُوِّ وَمِلازِمَتُهُمْ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رَوَاهُ البُخاريُّ (445)، ومُسلِمٌ (362).

(2) رَوَاهُ مُسلِمٌ (251).

الخطبة الثانية - من أسباب الثبات :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ لَا زِلْنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَ «أَسْبَابِ الثَّبَاتِ».

فمن أسباب الثبات - أَيُّهَا النَّاسُ - الرجوع إلى أهل العلم عند ورود الشبهات وحلول الفتن.

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النَّبَأَةُ : 83).

فهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - تأديب من الله لعباده وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو الخوف الذي فيه مضيئة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا في إشاعة الخبر بل يردونه إلى الرسول وإلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ أهل الرأي والعلم والنصح⁽¹⁾.

وذلك لأن أهل العلم يعرفون الفتن عند إقبالها والناس يعرفون الفتن عند إدارها.

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُخْبِرًا عن موقف عامة الناس من قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الْقَصَصُ : 79).

وقال في موقف أهل العلم من قارون: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴾ (الْقَصَصُ : 80).

(1) تفسير ابن سعد (190).

فيقول في الخامسة: رضى رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثالها، ولك ما أشتهت نفسك، ولدت عينك. فيقول: رضى، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يحطر على قلب بشر.

ومصادقه في كتاب الله - عز وجل - : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾

(التجنيد: 17).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - الدعاء.

فمن صفات عباد الله أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم على الطاعة.

قال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عنهم قولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن

لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (التجنيد: 8).

ولما كانت قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقيل له في ذلك؟ قال: «إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ».

والحديث أخرجه الترمذي في سننه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح

الجامع»⁽¹⁾ عن أم سلمة رضي الله عنها.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللهم ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (2792) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4801).

غزوة بدر

16

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَحْزَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «غَزْوَةِ بَدْرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرِ مَلْحَمَةٌ مِنْ مَلَا حِمِ الْإِسْلَامِ وَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِ الْجَلِيلَةِ الْعِظَامِ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ جُنْدَهُ وَنَصَرَ فِيهِ عَبْدَهُ وَأَدَّلَّ فِيهِ مَنْ عَادَاهُ، وَرَفَعَ الْمَنَارَ لِمَنْ وَالَاهُ، يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ.

يَوْمٌ خَاضَهُ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَبَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَهُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَنَادَى عَلَيْهِمْ مُنَادِي اللَّهِ: يَا أَهْلَ بَدْرِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ⁽¹⁾.

(1) انظر «غزوة بدر» للشنقيطي (ص 1).

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ (وَفِي لَفْظٍ: لَعَلَّ اللَّهُ) أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ بَلْتَعَةَ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهُ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ رَافِعَةَ بِنِ رَافِعِ الزَّرْقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - وَكَلِمَةً نَحْوَهَا». قَالَ: وَكَذَلِكَ مَا شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ».

وَكَانَتْ غَوْوَةً بَدْرٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

وَسَبَبُهَا مَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فَقْهِ السِّيَرَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُنْفَلِكُمْوهَا».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/295)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (6/521).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6279)، وَمُسْلِمٌ (2494).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3992).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3/396)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5227).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (5/261)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فَقْهِ السِّيَرَةِ» (ص 218).

ولم يعزم على أحد بالخروج فسار رسول الله ﷺ بالجيش فيه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً بفرسين وسبعين بعيراً يتعاقبونها وكان النبي ﷺ وعليّ ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً واحداً ودفع لواء القيادة لمصعب بن عمير وكان أبيضاً وقسم الجيش إلى كتيبتين كتيبة المهاجرين وأعطى علمها علي بن أبي طالب، وكتيبة الأنصار وأعطى علمها سعد بن معاذ، وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام وعلى الميسرة المقداد بن عمرو، وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة، وهو القائد الأعلى للجيش وعلم أبو سفيان بجواسيسه مسير عسكر المؤمنين فأرسل مضمم بن عمرو الغفاري إلى مكة، فصر بطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع أنفه وحول راحله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها العوث العوث. فتحفز الناس سراعاً وتجمع نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في مائة فرس وستائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها بقيادة أبي جهل وقد أفلت أبو سفيان بالبعير فسار باتجاه الساحل، وأرسل رسالة إلى جيش قريش وهم في الجحفة: إنكم خرجتم لتحرزوا غيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله فأرجعوا، فهم الجيش بالرجوع، عندها قام أبو جهل وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الحمر وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فرجعت بنو زهرة وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل، وقدّر الله - سبحانه وتعالى - تدبيره بنجاة أبي سفيان ومن معه ليحقق الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنْتَهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال: 7).

فسار الجيش من ألف مقاتل حتى نزل قريبا من بدر بالعدوة القصوى.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَاتَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : 42).

ولما تبين رسول الله ﷺ إفلات العير وأتاه خبر خروج قريش بسلاحها وقيانها وخمرها وجيش يفوق أصحابه عددا وعدة لم يبادره بهاله من مقام النبوة يأمر وينهى ينبغي المواجهة بل جمع من حوله من أنصار ومهاجرين يشاورهم - إعمالا لأمر الله - ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (التغوى : 159).

واتخذ النبي ﷺ عريشا على تل مرتفع في الشمال الشرقي لميدان القتال، ثم عبأ رسول الله ﷺ جيشه، ومشى في موضع المعركة وجعل يشير بيده: « هذا مضرع فلان غدا - إن شاء الله - وهذا مضرع فلان غدا إن شاء الله ». كما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مده يده فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم أت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: «يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ إِذْ

(1) رواه مسلم (1779).

(2) رواه مسلم (1763).

تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ (الأَنْفَالُ : 9).
فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ فخرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونُ الدُّبُرَ﴾ (الْفَتْهُوَابُ : 45).

وَبَدَأَتْ الْمَعْرَكَةُ بِالْمُبَارَزَةِ كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَقَدَّمَ - يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَيْبَعَةَ - وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى مَنْ يُبَارِزُ فَاثْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا أَرُونَا بَنِي عَمَّنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْرَةَ! قُمْ يَا عَلِيُّ! قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ!».

فَأَقْبَلَ حَمْرَةَ عَلَى عُتْبَةَ وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأُخِذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ، ثُمَّ مَلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ.
ثُمَّ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَقَدْ اخْتَلَطَتِ الصُّفُوفُ، وَتَلَاقَتِ السُّيُوفُ وَحَسَمَ أَمْرُ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ اللَّقَاءَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾﴾ (الْأَنْفَالُ : 12).

وَتَتَابَعُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ مَغْلَهَا فِي الْقَوْمِ حَتَّىٰ أَذَلَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ فَوَقَعُوا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3953).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (2392)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (417/7).

واستجاب الله دعاء نبيه كما جاء في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . «اللَّهُمَّ إِنَّمْ حِفَاةٌ فَاحْمِلُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّمْ عُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ». فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَانْقَلَبُوا حِينَ انْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِحِمْلٍ أَوْ حِمْلَيْنِ وَاکْتَسَوْا وَشَبِعُوا .
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

(1) «صَّحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (2747)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (4/3).

الخطبة الثانية - فوائد من غزوة بدر:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «غزوة بدر» والآن حديثي معكم عن «فوائد من تلك الغزوة».

فمن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الاستغاثة بالله سبب عظيم من أسباب النصر.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ

الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ (الأنفال: 9).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن نزول الملائكة للبشرى والطمأنينة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن

عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦﴾ (الأنفال: 126).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الماء والنعاس من جنود الله.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذِ يَعِشِيكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِّنْهُ وَنَزَلَتْ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ

يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ (الأنفال: 11).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - يدير المعركة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا

سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَاتَبَ اللَّهُ لَشِدِيدِ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ

فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ (الأنفال: 12-14).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي أخرج

رسوله ومن معه إلى المعركة ليحقق الحق ويبطل الباطل.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطْلَ الْبَاطِلِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٨﴾

(الأنفال: 5-8).

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا إِسْلَامَنَا ذَلِكَ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاهَدَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَقَّ الْجِهَادِ حَتَّى أَخْرَجَ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ.

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاهْدِنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا مُغَيِّرِينَ.

عُلُوُّ الْهَمَّةِ

17

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عُلُوِّ الْهَمَّةِ».

عُلُوُّ الْهَمَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - «هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَطَلْبُ الْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ، وَاسْتِحْقَاقُ مَا يَجُودُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ، وَالِاسْتِخْفَافُ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ، وَطَلْبُ الْغَايَاتِ، وَالتَّهَافُوتُ بِمَا يَمْلِكُهُ، وَبَدَلُ مَا يُمَكِّنُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ» كما قَالَ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ «تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ»⁽¹⁾.

(1) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (28).

وقال في «دُنُوِّ الهِمَّةِ»: «هو ضعفُ النَّفسِ عن طلبِ المراتبِ العاليةِ، وقصورُ الأملِ عن بلوغِ الغاياتِ، واستكثارُ اليَسِيرِ من الفضائلِ، واستِعْظَامُ القليلِ من العطايا والاعتدادُ بِهِ، والرِّضَى بأوساطِ الأمورِ وصِغارِها»⁽¹⁾.

وقال الحَضْرُ حُسين رَحْمَةُ اللَّهِ: «عُلُوُّ الهِمَّةِ: هو استِصْغَارُ ما دونَ النِّهايةِ من معالي الأمورِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الإِسْلَامُ دينُ العِزَّةِ والكَرَامَةِ، ودينُ السَّمَوِّ والارْتِفَاعِ، ودينُ الجِدِّ والاجْتِهَادِ، فليسَ دينَ ذِلَّةٍ وَمَسْكَنَةٍ، ولا دينَ كَسَلٍ وَخمولٍ ودَعَاةٍ. إِنَّه دينٌ يُحْضِرُ على عُلُوِّ الهِمَّةِ وَيُحْتِ المَسْلِمِينَ على التَّحَلِّيِ بِهَذَا الخُلُقِ⁽³⁾.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ في الكَبِيرِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ -تعالى- يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خَيْرٌ وأحبُّ إلى اللَّهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، إِحْرَاضٌ على ما يَنْفَعُكَ، واستِعْنُ بِاللَّهِ، ولا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا أو كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وما شاءَ فَعَلَ».

(1) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحِظ (34).

(2) «رسائلُ الإِصلاحِ» (57).

(3) انظر «الهمةُ العاليةُ» للحَمَد (119).

(4) «صحيحُ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ في «الكَبِيرِ» (2894)، وابنِ عَدِيٍّ في «الكاملِ» (879/3)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1886).

(5) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2664).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : «قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلِّ خيرٍ» والمرادُ بالقوةِ هنا عزيمةُ النفسِ والقرينةُ في أمورِ الآخرةِ فيكونُ صاحبُ هذا الوصفِ أكثرَ إقدامًا على العدوِّ في الجهادِ وأسرعَ خروجًا إليه وذهابًا في طلبِهِ وأشدَّ عزيمةً في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ والصبرِ على الأذى في كلِّ ذلكِ واحتمالِ المشاقِّ في ذاتِ الله تعالى وأرغبَ في الصومِ والصلاةِ والأذكارِ وسائرِ العباداتِ وأنشطَ طلبًا لها ومحافظَةً عليها ونحوِ ذلك»⁽¹⁾.

ومن اللطائفِ في علوِ الهمةِ - أيها الناسُ - ما جاء في «الصحيحين»⁽²⁾ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَحِبُّ العَطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ - تعالى - فحَقُّ على كُلِّ مسلمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُسَمِّتَهُ، أَمَا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هو من الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدِّهْ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ».

قال العلامةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ : «العطاسُ يدلُّ على النَّشاطِ والخِفَّةِ ولهذا تَجِدُ الإنسانَ إِذَا عَطَسَ نَشِطَ واللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُحِبُّ الإنسانَ النَّشِيطَ الجَادَّ. وفي «الصحيح» عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «المؤمنُ القويُّ أَحَبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضَّعِيفِ وفي كُلِّ خيرٍ» والعطاسُ يدلُّ على الخِفَّةِ والنشاطِ فلهذا كَانَ مَحْبُوبًا إلى اللهِ وَكَانَ مَشْرُوعًا لِلإنسانِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يَقُولَ الحَمْدُ لله؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ أُعْطِيهَا فَلْيَحْمِدِ اللهُ عَلَيْهَا فَيَقُولُ: «الحمدُ لله».

وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّهُ من الشَّيْطَانِ وَلهذا كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَكْرَهُهُ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ التَّثَاؤُبَ يدلُّ على الكَسَلِ»⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (215/16).

(2) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (6223) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2994).

(3) «شرح رياض الصالحين» (998/1).

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَحُثُّ عَلَى السُّمُوِّ وَالْأَرْتِفَاعِ حَتَّى فِي التَّسْمِيَةِ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَهَبٍ الْجُشَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ».

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا صَارَ الْحَارِثُ وَهَمَامٌ مِنْ أَصْدَقِ الْأَسْمَاءِ مِنْ أَجْلِ مُطَابَقَةِ الْأِسْمِ مَعْنَاهُ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لِيَتَكُنْ هَمَّتُكُمْ الْآخِرَةَ فَانْعِمُوا خَيْرٌ وَأَبْقَى.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا رَأَيْتَ نَبِيًّا وَمَلَكًا كَثِيرًا﴾ (الْأَنْتَكَ : 20).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَوْضِعْ سَوَاطِئَ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِغَدْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَصَّرَتْ بِهِ هِمَّتُهُ فَجَعَلَهَا فِي نَاقَةٍ بَرَحَلِهَا وَأَعَزَّ يَجْلِبُهَا أَهْلُهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَعْرَابِيُّ سَلْ حَاجَتَكَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4950)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (904).

(2) «شَرْحُ السُّنَنِ» لِلْبَغَوِيِّ (334/12).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6415)، وَمُسْلِمٌ (1881).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (7093)، وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (3458)، وَصَحَّحَهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (313).

ناقةً بِرَحْلِهَا، وَأَعْتَزَّ يَجْلِبُهَا أَهْلِي. قَالَهَا مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ فَأَصَلَّ الطَّرِيقَ، فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: نَحْنُ نُحَدِّثُكَ أَنَّ يُوسُفَ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوَاقِيقَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ، حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: وَأَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ قَالُوا: مَا تَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ إِلَّا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: دُلِّيْنِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَتْ، فَقِيلَ لَهُ: أَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَآتَتْ بُحَيْرَةً، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا نَضَّبُوهُ قَالَتْ: احْفَرُوا هَاهُنَا، فَلَمَّا حَفَرُوا إِذَا عِظَامُ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقْلَوْهَا مِنَ الْأَرْضِ، فَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلَ ضَوْءِ النَّهَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ طَلَبَ الْأَعْرَابِيُّ شَيْئًا مُحَرَّمًا أَمْ أَنَّهُ طَلَبَ شَيْئًا مِنْ صَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ وَمَعَ هَذَا وَجَّهَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَرْفَعِ مَقَامٍ وَأَسْمَى غَايَةٍ (1).
أَيُّهَا النَّاسُ عَظِيمُ الْهِمَّةِ يَشْتَدُّ حِرْصُهُ عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكَادَ يَشْعُرُ بِمَا يُلَاقِيهِ فِي طَرِيقِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (2) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (فِي يَوْمِ بَدْرٍ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ».
قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ». قَالَ: لَا وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ!، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا؟ قَالَ: «فَإِنَّكَ

(1) انظر «قصة عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» لِلْمَقْطَرِيِّ (95).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1901).

مِنْ أَهْلِهَا». وَقَالَ: فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ حَيْثُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى! أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَةً سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. وَأَسْتَغْفِرَ اللَّهُ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1902).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - عَلُوْهُمَةِ سَلْمَانَ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عَلُوْهُمَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنْ «عَلُوْهُمَةِ سَلْمَانَ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ».

يَقُولُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَبْنَاءِ مِلْتِهِ خَرَجَتْ مَعَهُمْ حَتَّى
قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: الْأَسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَرْغَبُ فِي هَذَا الدِّينِ،
وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ؛ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّيَ مَعَكَ.

قَالَ: فَادْخُلْ، فَادْخُلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ سُوءٍ؛ يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغَبُهُمْ
فِيهَا؛ فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ
مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لَمَّا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ
إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلًا سُوءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغَبُكُمْ
فِيهَا؛ فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا؛ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا. قَالُوا: وَمَا عَلِمُكَ
بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَدْلُكُمْ عَلَى كَنْزِهِ. قَالُوا: فَدَلَّنَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَرَيْتَهُمْ مَوْضِعَهُ،
قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا وَوَرِقًا، (أَي: فِضَّةً) قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا
قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ.

ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ. قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا
يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ أَرْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدَّابُ
لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرْتُهُ
الْوَفَاةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فَلَانُ! إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ، وَقَدْ

حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِي! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا ب (المَوْصِلِ) وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقُّ بِهِ.

قال: فلما مات وعُيِّب؛ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ (المَوْصِلِ)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحِقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمَّ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِي! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا ب (نَصِييِنَ) فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمَّ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ؛ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِي! وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا ب (عَمُورِيَّةَ)؛ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَاتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا. قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَعُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ (عَمُورِيَّةَ) وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقِمَّ عِنْدِي. فَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاکْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغَنِيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ؛ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِي! مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يُخْرِجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عِلَامَاتٌ لَا تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ،

ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مررتي نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتموها، وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل من اليهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرقتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان! قاتل الله بني قيلة؛ والله إنهم الآن لمجتمعون ب (قباء) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء (أي الرعدة) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عمك. قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أسئبت عمًا قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو ب (قباء)، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقرئته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا». وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً

وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثمّ جئتُ به فقلتُ: إني رأيتك لا تأكلُ الصدقةَ، وهذه هديّةٌ أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلتُ في نفسي: هاتان اثنتان، ثمّ جئتُ رسول الله ﷺ وهو ببيع الفرقد، قال: وقد تبع جنازةً من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالسٌ في أصحابه، فسلمتُ عليه، ثمّ استدرتُ أنظرُ إلى ظهره، هل أرى الخاتمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فلما رأني رسول الله ﷺ استدرته؛ عَرَفَ أَنِّي اسْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَصِفَايَ، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتمِ فعرفتهُ فانكبتُ عليه أُقبِّله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوّل». فقصصتُ عليه حديثي - كما حدثتُك يا ابن عباس! - قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمعَ ذلك أصحابه.

أيها الناس لقد ضربَ لنا الصحابيُّ الجليلُ سلمانُ الفارسيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المثلَ الأعلى في علوِّ الهمةِ في طلبِ الحقِّ حتّى وجدَهُ وإن كان قد قاسى الشدائدَ واحتمَلَ المتاعبَ فعظيمَ الهمةٍ يستهينُ بذلك كُلَّهُ، كما قال الأوّل:

تَهونُ علينا في المعالي نفوسُنَا ○●○ وَمَنْ يُحْطِبِ الحِسنَاءَ لم يَغْلُهُ المَهْرُ

وقال الآخرُ وهو البارودي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ تُكِنِ العِلْيَاءَ هِمَّةَ نَفْسِهِ ○●○ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ

اللَّهِمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّعَةِ والقِلَّةِ والذَّلَّةِ.

اللَّهِمَّ وَفَقْنَا لِمَعَالِي الأُمُورِ وَأَشْرَافِهَا والعَزِيمَةِ على الرُّشْدِ.

اللَّهِمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ من خَيْرِ ما سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ وَنَسْتَعِيدُ

بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ.

أَهْمِيَّةُ النَّصِيحَةِ

18

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْقَبَاتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءِ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَحْزَابِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «أهمية النصيحة».

أيها الناس النصيحة لبُ الدين وجوهرُ الإيمان.

وقد قال رسول الله ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قالوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (55).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا حديثٌ عظيمُ الشأنِ وعليه مدارُ الإسلامِ كما سنذكرُ في شرحه، وأمَّا ما قاله جماعاتٌ من العلماءِ أنه أحدُ أرباعِ الإسلامِ أي أحدُ الأحاديثِ الأربعةِ التي تَجْمَعُ أمورَ الإسلامِ فليس كما قالوه، بل المدارُ على هذا وحده»⁽¹⁾.

ومعنى النصيحةِ لله - أيها الناس - باتِّباعِ أمرِهِ والتَّسليمِ لَهُ في حُكْمِهِ.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ نُصْحِ النَّاصِحِ»⁽²⁾.

وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَإِكْرَامِ قَرَابَتِهِ وَالشَّفَقَةَ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَلِكِتَابِهِ، بِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَأْمُورَاتِهِ، وَتَحْيِينِ تَلَاوِيهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالطَّاعَةِ لِلْأَمْرَاءِ إِلَّا فِي مُحَرَّمٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ وَالتَّصَدِيقِ لِلْعُلَمَاءِ إِلَّا فِيمَا لَا يَهْدِي الْعِلْمُ إِلَيْهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَإِقَامَةِ حُرْمَتِهِمْ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ جَلْبًا وَنَفْعًا.

وَالنَّصِيحَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَرَضٌ كِفَايَةٌ.

قال ابن بطالٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالنَّصِيحَةُ فَرَضٌ يَجْزِيءُ فِيهِ مِنْ قَامَ بِهِ، وَيَسْقُطُ عَنِ الْبَاقِينَ»⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلنَّاصِحِ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَكْفِي أَنْ النَّصِيحَةَ وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (37/2).

(2) «شرح النووي على مسلم» (39/2).

(3) «شرح صحيح مسلم» (39/2).

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ يَنْقَوْمٍ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الأعراف: 61-62).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ هُودٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ يَنْقَوْمٍ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ (الأعراف: 67-68).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ صَالِحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ ﴿٧٦﴾﴾ (الأعراف: 79).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ شُعَيْبٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الأعراف: 93).

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقَوْمِهِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ النَّصِيحَةُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وللنصيحة - أيها الناس - أركان وشروط، وآداب. فأركان النصيحة ثلاثة وهي:

- 1- النَّاصِحُ وهو الذي ينصح غيره.
 - 2- الْمَنْصُوحُ وهو الذي ينصحه غيره.
 - 3- الْمَنْصُوحُ بِهِ وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح.
- وأما شروط النصيحة - أيها الناس - والتي لا بد أن تتوفر في الناصح والمنصوح فهي ما يأتي ذكرها:

أولاً - الإسلام: فالأصل في أن يكون مسلماً والمنصوح كذلك للحديث المتقدم «والنصح لكل مسلم».

لكن التقيّد للمسلم للأغلب وإلا فإنه يجوز بذل النصيحة للكافر ودعوته إلى الإسلام.

قال ابن حجر رحمه الله: «والتقيّد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب»⁽²⁾.

والشرط الثاني من شروط النصيحة - أيها الناس - البلوغ. فيشترط فيها أن يكونا بالغين؛ لأن البلوغ مناط التكليف، ومن لم يكن بالغاً فليس عليه تكليف.

(1) رواه البخاري (1401)، ومسلم (56).

(2) «فتح الباري» (140/1).

لما في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَفِيقَ».

والشرط الثالث من شروط النصيحة - أيها الناس - أن يكونا عاقلين؛ لأنَّ العقل مناط التكليف.

وقد رُفِعَ القلمُ عمَّنْ ليس بعاقِلٍ وفي الحديث: «وعن المجنون حتى يفيق». ويُشترطُ في الأمر الذي يُنصحُ به ما يأتي:

- أن يكون مما أمر به الله ورسوله ﷺ أو مما نهى الله ورسوله ﷺ عنه.

- وأن يكون مما اتفق أهل العلم على طلب فعله أو تركه.

وأستغفر الله.

(1) «صحیح» رواه أبو داود (4398)، وصححه الألباني في «الإرواء» (297).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - آدَابُ النَّصِيحَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «النَّصِيحَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «شَيْءٍ مِنْ آدَابِهَا».

فَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِخْلَاصُ؛ لِإِنَّ النَّصِيحَةَ عِبَادَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا
الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - وَعَمَلٌ صَالِحٌ يَرْجُو بِهِ ثَوَابَ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ
أَسَاسُ أَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

فَصَلَاحُ الْأَعْمَالِ وَفَسَادُهَا بِحَسَبِ صِلَاحِ النِّيَّاتِ وَفَسَادُهَا وَقَبُولُهَا وَعَدَمُهَا كَمَا
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ أَخَاهُ فَلْيَقْدِّمْ بَيْنَ يَدَيْهِ نِيَّةً حَسَنَةً يَجِدُ الْأَجْرَ يَطْلُبُهُ كَمَا يَطْلُبُ
السَّيْلَ الْحَدُورَةَ وَيَجِدُ لِنَصِيحَتِهِ رَوْحًا مِنَ التَّأْثِيرِ وَلَا بُدَّ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ، أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٦٤) (الْوَاقِعَاتُ: 64).

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّحَلِّيُّ بِالْعِلْمِ.
وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا أَنْ مَا يَنْصَحُ بِهِ أَخَاهُ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ أَوْ مِمَّا نَهَى اللَّهُ
عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَيَنْصَحُ بِحُدُودِ مَا يَعْلَمُهُ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ الْحِكْمَةِ.

(1) «جامع العلوم» (65/1).

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الْحَجَلَةُ : 125).

وَالْحِكْمَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ الْإِصَابَةُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ. وَالتَّاصِحُ الْحَكِيمُ يَسْتَعْمِلُ أَفْضَلَ الْكَلَامِ وَأَيِّنُهُ وَأَحْسَنَ الْأَوْقَاتِ وَأَنْسَبَهَا وَأَرْفَقَ الْأَسَالِبِ وَأَجْمَلَهَا، وَيُؤَثِّرُ الْإِشَارَةَ عَلَى الْعِبَارَةِ وَقَلِيلَ الْكَلَامِ عَلَى كَثِيرِهِ، وَالسَّرَّ عَلَى الْعَلَنِ فَإِنَّ السَّرَّ نَصِيحَةٌ وَالْجَهْرُ فَضِيحَةٌ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ التَّشْهِيرِ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ.

فَإِنَّ التَّشْهِيرَ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : « وَهَذَا دَاخِلٌ فِيهَا دَمَّةُ اللهِ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ فِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ وَدَاخِلٌ - أَيْضًا - فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ قَالَ عَنْهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي « الْمَشْكَاءِ »⁽¹⁾ حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ ».

وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ فِي الدِّينِ فَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَةِ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِالْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ فَيَجُوزُ بَيَانُ جَهْلِهِمْ وَإِظْهَارُ عُيُوبِهِمْ تَحْذِيرًا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ⁽²⁾.

(1) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (19791)، وَأَبُو دَاوُدَ (4480)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاءِ» (5044) حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) «الْفَرْقُ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص 8).

ومن آداب النصيحة - أيها الناس - أن تكون النصيحة في السرّ. فالنصيحة في السرّ أنفع وأبرك فلا يسلم المرء من حظّ نفسه إلا في لحظة خلوةٍ وصفاءٍ، وهذه اللحظة تكون عند المسارعة في السرّ وعندها تُؤتي النصيحة ثمرتها ولا يكون الناصح عوناً للشيطان على أخيه.

فإنّ الناصح في مالا يُعِينُ الشيطان على صاحبه، ويوقظ في نفسه مداخِلَ الشيطان، ويُغلق أبواب الخير، ولهذا حرص السلف على النصح في السرّ دون العلن. قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحدٍ وعظوه سرّاً». حتّى قال بعضهم: «من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنها وبخه»⁽¹⁾.

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: «المؤمن يُسترُ وينصح، والفاجر يُهتك ويُعير»⁽²⁾. ويُعقّب الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ على كلمة الفضيل بقوله: «فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح وهو أن النصح يقترب به السرّ والتعير يقترب به الإعلان»⁽³⁾. ومن آداب النصيحة - أيها الناس - أن تكون بلطفٍ ورفقٍ.

فكنّ - يا عبد الله لطيفاً رقيقاً في نُصْحِكَ لِأَخِيكَ؛ لأنّ قبول النصيحة كفتح الباب، والباب لا يفتح إلا بمفتاحٍ مناسبٍ.

فمن نصح أخاه بغلظةٍ وفضاضةٍ نفر منه ولم يفتح له قلبه.

وقد امتنَّ اللهُ - سبحانه وتعالى - على نبيه محمدٍ ﷺ بأنّ جبله على الرفق ومحبة الرفق، وأنّ جنبه الغلظة والفضاضة.

(1) «جامع العلوم» (77/1).

(2) «جامع العلوم» (77/1).

(3) «الفرق بين النصيحة والتعير» لابن رجب (ص 36).

فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 159).

وَقَدْ كَانَتْ سَيْرَتُهُ ﷺ حَافِلَةً بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْ مَلَكَهُ بَسَطَ سُلْطَانَهُ عَلَى الْقُلُوبِ.

وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالرَّفْقِ وَيُبَيِّنُ فَضْلَهُ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ ». وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الإِلْزَامِ.

فَلَا تُلْزِمُ أَخَاكَ بِقَبُولِ نَصِيحَتِكَ فَتَنْفَعُ النَّصِيحَ مَرَهُونَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (هُودٌ : 34).

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَلَا تَنْصَحْ عَلَى شَرْطِ الْقَبُولِ مِنْكَ، فَإِنْ تَعَدَّيْتَ هَذِهِ الْوُجُوهَ فَأَنْتَ ظَالِمٌ لَا نَاصِحٌ وَطَالِبٌ طَاعَةٍ وَمُلْكٍ، لَا مُؤَدِّيَ حَقِّ أَمَانَةٍ وَأُخُوَّةٍ، وَلَيْسَ هَذَا حُكْمَ الْعَقْلِ وَلَا حُكْمَ الصِّدَاقَةِ، لَكِنْ حُكْمُ الْأَمِيرِ مَعَ رَعِيَّتِهِ، وَالسَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ »⁽³⁾.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2593).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2594).

(3) «الْأَخْلَاقُ وَالسِّيَرُ» (44).

اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدُكَ بَنُو عبيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيْنَا حُكْمُكَ، عَدْلٍ
 فِيْنَا قَضَاؤُكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ
 عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ
 قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ غُومِنَا.

اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا، وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ

19

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغوية: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجناس: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «فَضْلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ صَلَاةُ الرَّحِمِ عِلْمٌ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ وَلَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَوْ جُمِعَتْ لَكَانَتْ سَفَرًا مِنَ الْأَسْفَارِ.

وَقَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ فَضْلَ صَلَاةِ الرَّحِمِ أَذْكَرُكُمْ بِحَدِّ الرَّحِمِ وَحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَحُكْمِهَا وَبِإِذَا تَكُونُ إِجْمَالًا.

فَأَمَّا حَدُّهَا فَالرَّحِمُ اسْمٌ شَامِلٌ لِكُلِّ الْأَقَارِبِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ الْمَحَارِمِ وَغَيْرِهِمْ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى قَصْرِ الرَّحِمِ عَلَى الْمَحَارِمِ، بَلْ وَمِنْهُمْ مَنْ

قَصَرَهَا عَلَى الْوَارِثِينَ مِنْهُمْ وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَرِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - وَالرَّاجِحُ الْأَوَّلُ.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُطْلَقُ عَلَى الْأَقَارِبِ وَهُمْ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخِرِ نَسَبٌ، سِوَاءٍ أَكَانَ يَرِثُهُ أُمٌّ لَّا، سِوَاءٍ أَكَانَ ذَا مَحْرَمٍ أُمَّ لَّا، وَقِيلَ هُمُ الْمُحَارِمُ فَقَطُّ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَّ يَسْتَلْزِمُ خُرُوجَ أَوْلَادِ الْأَعْمَامِ وَأَوْلَادِ الْأَخْوَالِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ».

وَحَقِيقَةُ الصَّلَةِ هِيَ الْعَطْفُ وَالرَّحْمَةُ.

وَأَمَّا حُكْمُهَا فَهِيَ وَاجِبَةٌ وَقَطِيعَتُهَا مُحَرَّمَةٌ، وَمِنَ الْكِبَائِرِ.

قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّفَقَتْ الْمِلَّةُ عَلَى أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ وَأَنَّ قَطِيعَتَهَا مُحَرَّمَةٌ».

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا خِلَافَ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ وَالْأَحَادِيثُ تَشْهَدُ لِهَذَا، وَلَكِنَّ الصَّلَةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ، وَأَذْنَاهَا تَرَكَ الْمَهَاجِرَةَ بِالْكَلامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ فَمِنْهَا وَاجِبٌ وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ. وَلَوْ وَصَلَ بَعْضَ الصَّلَةِ، وَلَمْ يَصِلْ غَايَتَهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا، وَلَوْ قَصَرَ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا»⁽¹⁾.

وتكونُ صِلَةُ الرَّحِمِ بِالْقَعْلِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ أَوْ بِالْتَّرْكِ وَهُوَ كَفُّ الْأَدَى.

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ عَلَى حَسَبِ حَالِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ، فَتَارَةٌ تَكُونُ بِالْمَالِ وَتَارَةٌ بِالْخِدْمَةِ، وَتَارَةٌ بِالزِّيَارَةِ وَالسَّلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»⁽²⁾.

(1) «شرحُ مُسْلِمٍ» (112/16).

(2) «شرحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (201/2).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ : «قَرَابَةُ الْإِنْسَانِ هُمْ مِنْ يَجْتَمِعُونَ بِالْأَبِ الرَّابِعِ فَمَا دُونَ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَتَفَاوَتُ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ، لِأَنَّ الْحُكْمَ إِذَا أَعْلَقَ فَهُوَ بِوَصْفِ قَوِيٍّ بِحَسَبِ قُوَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فَمَثَلًا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ الْخَالِ أَكْثَرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ أَوْلَادِ الْخَالِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ دُونَكُمْ بَعْضُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ.

فَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ أَنَّ اللَّهَ مَدَحَ الْوَاصِلِينَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ.

فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ (الرعد: 21).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَوْصَى بِذَوِي الْأَرْحَامِ خَيْرًا.

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾ (النَّبَأُ : 1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ

تَبْذِيرًا ﴿١٦﴾ (الْأَنْعَامُ : 26).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿١١﴾

(الْأَنْعَامُ : 75).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ أَوْلِ الدَّخِيلِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ

لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَرْبُ

(1) «تفسير القرآن» للعثيمين (194/2).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1396) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (13).

مَا لَهُ - يَعْنِي حَاجَةً لَهُ - تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِمُّ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وَمِنْ فَصَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ اللَّهِ لِلْوَاوِلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَنَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكَ لِكِ».

وَمِنْ فَصَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي زِيَادَةِ الْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَارِ. فَنَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِلَّةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرُنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ».

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - سَوْأَلٌ وَهُوَ: كَيْفَ يَطُولُ الْعُمُرُ وَالْعُمُرُ مُقَدَّرٌ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3830)، وَمُسْلِمٌ (2554).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2067)، وَمُسْلِمٌ (2557).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (374/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2965).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (159/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (519).

فالجوابُ عليه قال العلامةُ العبادُ - حفظه الله - : «اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدَّرَ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَقَدَّرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ فِعْلٍ يَحْضُلُ وَهُوَ الْبِرُّ وَصَلَةُ الرَّحِمِ يَعْنِي قَدَّرَ السَّبَبَ وَالْمَسَبَبَ فَالسَّبَبُ مُقَدَّرٌ وَالْمَسَبَبُ مُقَدَّرٌ»⁽¹⁾.

فلا تعارضُ - أيها الناس - بينَ هذه الأحاديثِ وبينَ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢)؛ لأنَّ هذه الزيادةُ وهي في حقيقتها بالنسبةِ إلى علمِ الملكِ الموكَّلِ بكتابه الأجلِ، وشقيَّ أم سعييدُ أمَّا الآيةُ فهذه بالنسبةِ إلى علمِ الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ، فعلمُ الله لا زيادةَ فيه ولا نقصانَ، ولكن يُوحى للملكِ بأنَّ عُمَرَ فلانٍ ستونَ سنةً وبسببِ صلتهِ لرحمه يبلغُ عُمُرُهُ ثمانينَ سنةً مثلاً، وهو الَّذي أشارَ إليه ربُّنا جلَّ في علاه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).
ومن فضائلِ صلةِ الرَّحِمِ - أيها الناس - أنَّها دَعْوَةُ النَّبِيِّ وَوَصِيئَةُ لِأُمَّتِهِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا سَأَلَ هِرْقُلُ أَبَا سُفْيَانَ - قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ وَكَانَ فِي تِجَارَةٍ فِي بِلَادِ الشَّامِ - عَنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِمَاذَا يَأْمُرُهُمْ؟ قَالَ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ»، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ.

وفي صحيحِ ابنِ جِبَّانَ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ «الصَّغِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: أَوْصَانِي أَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ

(1) «شرح سنن أبي داود» للعباد (74/8).

(2) رواه البخاري (7) واللفظ له، ومسلم (1773).

(3) «صحيح» رواه ابن جيبان في صحيحه (194/8)، والطبراني في «الصغير» (84/2)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2525).

دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالِدُنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أَكْثَرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ.

وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ تَتَضَاعَفُ أَجُورُهَا عَنْ غَيْرِهِ.

فَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمُسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيَجْزِيءُ عَنِّي مِنَ الصَّدَقَةِ التَّفَقُّةُ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَوَلِدَةً (أَيَّ أُمَّةً) فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ أَعْطَيْتُهَا أَخْوَالَهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِهَا».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (92/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (3752).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (14) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَمُسْلِمٌ (1000).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2592)، وَمُسْلِمٌ (999).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1461) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (998).

قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ (التغابن: 92). قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ . وإن أحب أموالي إليَّ بئرحاء، وإنه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. وما أجمل أن تكون الصدقة على ذي الرحم الكاشح الذي يضمن العداوة في كسحه أي باطنه.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح».

قال المناوي رحمه الله في «فيض القدير»: «يعني أفضل الصدقة على ذي الرحم المضمير العداوة في باطنه فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرحم غير الكاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعادها وعلى ذي الرحم المصافي أفضل أجراً منها على الأجنبي لأنه أولى الناس بالمعروف»⁽²⁾.

وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الكبير» (4/138)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (338/2).

(2) «فيض القدير» (2/49).

الخطبة الثانية - عُقُوبَةُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «فَضْلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

فَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ذَمَّ الْقَاتِعِينَ ذَمًّا شَدِيدًا فَقَالَ
- سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الرَّعَنَاءُ : 25).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا أَوْعَدَ اللَّهُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
وَقَاتَعَ الْأَرْحَامِ مِنَ الطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَالْحَتْمِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ دَاعِيَ الْحَقِّ
وَأَبْصَارِهِمْ عَنْ رُؤْيَا أَنْوَارِهِ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ (مُجْتَنَبَاتُ : 22-23).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا
كَمَا يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ لِلْقَاتِعِ فِي الدُّنْيَا
قَبْلَ الْآخِرَةِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5989)، وَمُسْلِمٌ (2555).

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي بكره رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدُر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

ومن عقوبة قطيعة الرحم - أيها الناس - أن أعمال ابن آدم تُعرض على الله - سبحانه وتعالى - كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم.

ففي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعمال بني آدم تُعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم».

ومن عقوبة قطيعة الرحم - أيها الناس - أنه لا يدخل الجنة في أول وهلة مع الداخلين.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع». قال سفيان: يعني قاطع رحم.

أي أنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين إن كان من الموحدين، ولكن بعد أن يطهره الله بالنار من تلك المخالفة؛ لأنه لا يبقى في النار من كان في قلبه ذرة من إيمان. ومن عقوبة قطيعة الرحم - أيها الناس - أن القاطع يسف المل وهو الرماد الحار.

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسئون إلي، وأحلم عليهم،

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (83/1)، وصححه الألباني في «الصحيح» (623/2).

(2) «حسن» أخرجه أحمد (4842)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (2538).

(3) رواه البخاري (5984)، ومسلم (2556).

(4) رواه مسلم (2558).

وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَأَنَّمَا تُطْعَمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهُهُ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَلْمِ بِمَا يَلْحَقُ أَكَلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلْمِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ بَعْضُ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَلَا يَجْعَلُ أَحَدُنَا صِلَتَهُ لِأَرْحَامِهِ صِلَةً مُكَافِيَةً لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ بِحَيْثُ إِنَّ وَصْلُوهُ وَصَلَهُمْ، وَإِنْ قَطَعُوهُ قَطَعَهُمْ وَهَذَا لَيْسَ بِوَاصِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ بَلِ الْوَاصِلُ مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ وَلَا يُبَالِي وَصْلُوهُ أَمْ لَا.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصَلَهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (التَّوْبَةُ: 90).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَجَنَّبْنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (115/16).

(2) رواه البخاري (5991).

آداب الجوار

20

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «آدَابِ الْجَوَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ حُسْنُ الْجَوَارِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَسُوءُهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ.

وَحَدُّ الْجَوَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَرْجِعُ إِلَى الْعُرْفِ فَقَدْ يَكُونُ السَّاكِنُ مَعَكَ فِي الْمَدِينَةِ

جَارًا كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: 60).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»⁽¹⁾ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَارِ. فَقَالَ: «أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنِ يَمِينِهِ، وَأَرْبَعِينَ عَنِ يَسَارِهِ».

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (109)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (ص 49).

والجيران - أيها الناس - ثلاثة:

جارٌ له ثلاثة حقوق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له حق واحد.

فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فهو الجار ذو القربى، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام.

وأما الجار الذي له حقان فجارك المسلم غير القريب، فله حقان حق الإسلام وحق الجوار.

وأما الجار الذي له حق واحد فهو الجار الكافر فله حق واحد حق الجوار فقط. وحق الجار - أيها الناس - لعظيم.

فيكفي أن الله - سبحانه وتعالى - أوصى عباده بالجار.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: 36).

قال ابن سعدٍ رحمه الله: « **﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾** أي: الجار لبقرى الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف، وكذلك **﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾** أي: الذي ليس له قرابة وكلما كان الجار أقرب باباً كان أكده حقاً فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أدبته بقول أو فعل»⁽¹⁾.

وأوصى الرسول ﷺ بالجار.

(1) «تفسير ابن سعدٍ» (1/177).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ».

وَمَعْنَى يُوصِينِي بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ بِالْإِعْتِنَاءِ بِهِ وَالْإِحْتِفَاءِ بِشَأْنِهِ وَعَدَمِ إِهْمَالِهِ أَوْ تَجَاهُلِهِ وَقَوْلُهُ: «حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ». أَيُّ يَجْعَلُ لَهُ مُشَارَكَةً فِي الْمَالِ بِفَرْضِ سَهْمٍ يُعْطَاهُ مَعَ الْأَقَارِبِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحِ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ».

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيْئِيُّ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الْجَارُ الشُّوْءُ، وَالْمَرْأَةُ الشُّوْءُ، وَالْمَرْكَبُ الشُّوْءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ».

فَالْجَارُ الصَّالِحُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَمَنْ رُزِقَ جَارًا صَالِحًا يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِدُّ خَيْرًا إِلَى خَيْرٍ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6014)، وَمُسْلِمٌ (2625) وَلَهَا اللَّفْظُ نَفْسُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (48).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ» (340/9)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»

(2576).

وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا لَجَارِهِ.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ».

ومعنى «خَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَكْثَرُهُمْ ثَوَابًا عِنْدَهُ.

ومعنى «خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ» أَيُّ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِ وَلَوْ بِالنَّصِيحَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يُجْمَلُ بِالْجَارِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى جَارِهِ بِإِصْطِلَاحِ ضُرُوبِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ كَالْهَدِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَتَفْقُدِ حَالِهِ، وَمَعَاوَنَتِهِ فِيمَا احتَاجَ إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حَسِيَّةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً⁽²⁾.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ. ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

ومعنى «أَكْثِرْ مَاءَهُ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ زِدْهَا مِنَ الْمَاءِ لِتَكْثُرَ وَتُوزَّعَ عَلَى جِيرَانِكَ.

ومعنى «فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» أَيُّ أَعْطِهِمْ مِنْهَا شَيْئًا بِوَجْهِ طَلْقٍ سَهْلٍ مُبْسِطٍ.

فَالْجَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَشْمُ رَائِحَةَ الطَّعَامِ فِي بَيْتِ جَارِهِ فَلَا أَفْضَعُ مِنْ مَنَعِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ، وَهُنَا فَائِدَةٌ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُهْدِيِّ لَجَارِهِ أَنْ يَحْتَقِرَ الْقَلِيلَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَمَا

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1944)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (4987).

(2) انظُرْ «الْفَتْحَ» (10/456).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2625).

في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم شيئاً من المعروف فإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طلق، وإذا اشتريت لحماً أو طبخت قدراً فأكثر مرقته واغرف منه لجارك».

ولا ينبغي للجار أن يحقر هديّة جاره ولو قلت فقد ورد النهي عن ذلك.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجاتها ولو فرسن شاة».

قال النووي رحمه الله: «هذا النهي عن الاحتقار نهى للمعطيّة ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجاتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بها تيسر وإن كان قليلاً كفرسن شاة وهو خير من العدم، وقد قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽³⁾ ، وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمر»⁽³⁾.

والجار القريب - أيها الناس - أولى بالإحسان ثم الأقرب فالأقرب.

لما في «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارتين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً».

أيها الناس إنّه يحسن بالمسلم أن يتفقّد جيرانه فقد يكون جاره مريضاً أو جائعاً أو محتاجاً وهو لا يعلم.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (1833)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7634).

(2) رواه البخاري (6017)، ومسلم (1030).

(3) «شرح النووي على مسلم» (119/7).

(4) رواه البخاري (2259).

فقد أخرج الطبراني بسندٍ صحيحٍ لغيره قاله الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ قال عنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ حسنٌ لغيره عن نافع عن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمانٌ أو قال: حينٌ - وما أحدٌ أحقُّ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحبُّ إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعتُ النبي ﷺ يقول: «كم من جارٍ متعلِّقٍ بجاره يومَ القيامة، يقول: ياربُّ! هذا أغلق بابهُ دُوني، فَمَنَعَ معروفه!».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح لغيره» أخرجه الطبراني في «الكبير» (154/12)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (149).

(2) «حسنٌ لغيره» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الألباني في «الصحيح» (2646) حسنٌ لغيره.

الخطبة الثانية - تحريم أذى الجار :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن «آداب الجوار» والآن حديثي معكم عن «تحریم أذى الجار».

أيها الناس أذى الجار كبيرة من كبائر الذنوب.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر: «الكبيرة الثانية والخمسون أذى الجار».

والله - سبحانه وتعالى - قد تكفل لمن اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر ويدخله الجنة

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: 31).

أيها الناس قد أقسم النبي ﷺ على نفي الإيثار - ثلاثاً - على من لا يأمن جاره بوائقه أي غوائله وشره أو ظلمه.

فقال كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي شريح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه».

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في معنى بوائقه: «يعني عذره وخيانتة وظلمه وعدوانه، فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن وإذا كان يفعل ذلك ويوقعه فعلاً فهو أشد. وفي هذا دليل على تحريم العدوان على الجار سواء أكان ذلك

(1) رواه البخاري (6016).

بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ أَمَّا بِالْقَوْلِ بَأَنَّ يَسْمَعُ مِنْهُ مَا يَزِعْجُهُ وَيُثْلِقُهُ كَالَّذِينَ يَفْتَحُونَ الرَّادِيَّ أَوْ التَّلْفِيزِيَّ أَوْ غَيْرَهُمَا مِمَّا يُسْمَعُ فَيَزِعْجُ الْجِيرَانَ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَهُ، حَتَّى وَلَوْ فَتَحَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهُوَ مِمَّا يُزِعْجُ الْجِيرَانَ بِصَوْتِهِ فَإِنَّهُ مُعْتَدٍ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَأَمَّا بِالْفِعْلِ فَيَكُونُ بِالِقَاءِ الْكِنَاسَةِ حَوْلَ بَابِهِ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَدَاخِلِ بَابِهِ أَوْ بِالِدَّقِّ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَبْصُرُهُ، وَمِنْ هَذَا - أَيْضًا - إِذَا كَانَ لَهُ نَخْلَةٌ أَوْ شَجَرَةٌ حَوْلَ جِدَارِ جَارِهِ فَكَانَ يَسْقِيهَا حَتَّى يُؤْذِيَ جَارَهُ بِهَذَا السَّقْيِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَوَائِقِ الْجَارِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ، إِذْ يُحْرَمُ عَلَى الْجَارِ أَنْ يُؤْذِيَ جَارَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ. فَإِنَّ فَعَلَ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مَتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي خَالَفَ بِهَا الْحَقَّ»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَيْقَمِهِ».

وَأَذِيَّةُ الْجَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَتَفَاوَتْ فَبَعْضُهَا أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ. وَأَعْظَمُ أَذِيَّةٍ تَنَالُ الْجَارَ هِيَ أَذِيَّتُهُ فِي أَهْلِهِ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ. ففِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذُّنُوبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَرْنِي حَلِيلَةَ جَارِكَ». وَمَنْ آذَى جَارَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَقَدْ اسْتَحَقَّ لَعْنَةَ النَّاسِ.

(1) شرح كتاب «الكبائر» للحافظ الذهبي شرح ابن عثيمين رحمه الله (ص 332).

(2) رواه مسلم (46).

(3) رواه البخاري (4477)، ومسلم (86).

ففي سنن أبي داود بسند حسن صحيح كما قال الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله يشكو جاره. فقال له صلى الله عليه وسلم: «أذهب فاصبر». فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال: «أذهب فاطرح متاعك في الطريق». ففعل، فجعل الناس يمرّون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه، فعَلَّ اللهُ به وفعلَ وبعضهم يدعون عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع فإنك لن ترى من شيئاً تكرهه.

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تكثرت من صلتها وصدققتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال صلى الله عليه وسلم: «هي في النار».

قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدققتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة».

أيها الناس من منّا يحب أن يكون جاره خصمه يوم القيامة.

ففي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽³⁾ من حديث عتبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول خصمين يوم القيامة جاران».

أيها الناس ليس حق الجار بكف الأذى عنه فحسب بل حقه كما يكون بكف الأذى عنه فيكون بالصبر على أذاه.

(1) «حسن صحيح» أخرجه أبو داود (5153)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (2559) حسن صحيح.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (440/2)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2560).

(3) «حسن» أخرجه أحمد (151/4)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (2557) حسن.

كما تقدّم في الحديث وفيه قال الرسول ﷺ للرجل الذي جاء يشكو إليه جاره: «أذهب فاصبر». قاله ثلاثاً.

وأجر الصبر على أذية الجار - أيها الناس - لعظيم.

وهو أن يكون الصابر على أذية الجار ممن يحبه الله.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽¹⁾ عَنْ مَطْرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ حَدِيثٌ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ، فَلَقَيْتُهُ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْكَ حَدِيثٌ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ. قَالَ: اللَّهُ أَبُوكَ قَدْ لَقَيْتَنِي، فَهَاتِ، فَهَاتِ، قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَكَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيَبْغَضُ ثَلَاثَةً». قَالَ: فَمَا أَخْلَانِي أَكْذَبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ؟ قَالَ: رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَنْتُمْ تَحْدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوضٌ﴾⁽²⁾. قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ رَجُلٌ سُوءٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى آذَاهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ.

أيها الناس من بلغه هذا الحديث عن الصادق المصدوق ممن أن يكون له جار يؤذيه فيصبر رجاء أن يكون ممن يحبه الله - تعالى - .

فعاقة الصبر الجميل جميل فهذا سهل بن عبد الله التستري رحمه الله كان له جار ذمي كما ذكر ذلك عنه الذهبي في «الكبائر» وكان قد انبثق من كنيفه (أي حمام بيته) إلى بيت في دار سهل بئق (والبئق هو اندفاع شيء من البالوعة) فكان سهل يصع كل

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (5/153)، وصححه الألباني في «صحيح التريغيب» (2569).

يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف (جاره) المجوسي ويطره بالليل حيث لا يراه فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقدر يسقط منه في الجفنة، فقال: ما هذا الذي أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمانٍ طويلٍ يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمانٍ طويلٍ وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله.

فَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَهْدِينَا وَإِيَّاكُمْ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنَا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ⁽¹⁾.

(1) انظر «شرح الكباير» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (ص 332 - 333).

الْأَمَانَةُ

21

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «الأمانة».

أيها الناس الأمانة من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (الْمُنُونُ : 8، الْمَعْلَجَاتُ : 32).

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: إذا اتُّمِنُوا لم يُخُونُوا، وإذا عَاهَدُوا لم يَغْدُرُوا وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين»⁽¹⁾.

أيها الناس الأمانة لا تقتصر على حفظ الودائع بل هي أعم من ذلك بكثير.

(1) «تفسير ابن كثير» (463/5).

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (النِّسَاءُ : 58).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «يُخْبِرُ اللهُ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... وَهُوَ يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَقُوقِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى عِبَادِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالنَّذْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُؤْتَمَنٌ عَلَيْهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ. وَمِنْ حَقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِطْلَاعِ بَيْنِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِأَدَائِهَا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أُخِذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (الْأَنْفَالُ : 27).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «وَالْحِيَانَةُ تَعُمُّ الذُّنُوبَ الصَّغَارَ وَالْكِبَارَ اللَّازِمَةَ وَالْمَتَعَدِّيَةَ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : (وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) الْأَمَانَةُ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اتَّمَنَ اللهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ. يَقُولُ : لَا تَخُونُوا : لَا تَنْقُضُوهَا. وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ : ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ . يَقُولُ : بَتَرِكِ سُنَّتِهِ وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ»⁽²⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَغَبَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي حِفْظِ الْأَمَانَةِ وَحَدَّرَ مِنْ إِضَاعَتِهَا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا:

ما جاء في «صحیح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: متى السَّاعَةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ ﷺ

(1) «تفسير ابن كثير» (2/232).

(2) «تفسير ابن كثير» (4/41).

(3) رواه البخاري (59).

يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ. قَالَ: «أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟». قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

وفي سنن الترمذي وأبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَحْنُ مِنْ خَانَكَ».

وأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ وَأَخْرُهَا الصَّلَاةُ».

كما أخبر ﷺ أن خيانة الأمانة صفة من صفات المنافقين.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمَنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ».

أيها الناس ما أكثر ميادين الأمانة فساقصِرْ حديثي معكم في هذه العجالة على أمانة التوظيف!

أيها الناس الأساس في اختيار كل موظف أو عامل أن يكون قوياً أميناً؛ لأنه بالقوة يستطيع القيام بالعمل المطلوب منه، وبالأمانة يؤديه على وجه تبرأ به ذمته.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (3535)، والترمذي (1246)، وصححه الألباني في «الصحيح» (424).

(2) «حسن» أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص 28)، والضياء في «المختارة» (495/1)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (319/4).

(3) رواه البخاري (33)، ومسلم (59).

وقد أخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عن إحدَى ابنتي صاحبِ مَدِينِ مَدِينِ قَالَتْ لِابْنِهَا
لَمَّا سَقَى لَهَا مُوسَى ﷺ: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَعِجْرُهُ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِنْ أَسْتَعِجْرَتِ الْقَوِيِّ الْأَمِينِ ﴿٢٦﴾﴾
(القصص: 26).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْعِفْرِيَّتِ مِنَ الْجِنِّ الَّذِي أَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ لِسُلَيْمَانَ
ﷺ بِالْإِتْيَانِ بَعْرَشِ بَلْقَيْسِ: ﴿قَالَ عِفْرِيَّتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا إِنِّي كَيْفَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ (النمل: 39).

والمعنى: أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ عَلَى حَمَلِهِ وَإِحْضَارِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مُتَوَاتِرِهِ.
وأخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ يُوسُفَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٥﴾﴾ (يوسف: 55).

والمعنى: أَنَّهُ خَازِنٌ أَمِينٌ ذُو عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَا يَتَوَلَّاهُ.
وَضُدُّ الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعَجْزُ وَالْحِيَانَةُ.
كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عمرو بن ميمون قال: قال عمر بن
الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَإِنْ أَصَابَتْ الْإِمْرَةَ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِهَ أَيُّكُمْ
مَا أَمْرٌ، فَإِنِّي لَمْ أَعِزُّهُ عَنِ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟

قال: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3700).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1825).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا ذرٍّ إِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحَبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمَلُ بِالْمَوْظَفِ أَنْ يُعَامَلَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ. ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

والمعنى - أَيُّهَا النَّاسُ - عَامِلِ النَّاسِ بِمِثْلِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ يُعَامِلُ غَيْرَهُ عَلَى خِلَافِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ من حديث المُعِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1826).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1844).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (13)، وَمُسْلِمٌ (45).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

والشاهد من الحديث - أيها الناس - في قوله ﷺ : «ومنعاً وهات». فإنه ذمّ الجموع المنوع الذي يأخذ ولا يعطي.

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - أولياء اليتامى بأنهم يخشون على ذريّاتهم الصغار لو تركوهم.

فقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: 9).

والمعنى - أيها الناس - كما أنهم يحبون أن يُحسنَ إلى ذريّتهم الضعاف من بعدهم، فإنّ عليهم أن يُحسنوا إلى اليتامى الذين لهم ولاية عليهم.

أيها الناس أنه يجمل بالموظف تقديم الأُسبِقِ فالأُسبِقِ من أصحاب الحاجات. فمن العدل والإنصاف - أيها الناس - ألا يُؤخّر الموظف مُتقدِّماً من أصحاب الحاجات ولو كان بغيضاً أو يُقدِّم مُتأخراً ولو كان قريباً بل يكون التقدّم عنده على حسب السبِق، وفي ذلك راحة للموظف وأصحاب الحاجات، وقد جاء في سنّة الرّسول ﷺ ما يدلُّ على ذلك.

ففي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحدّث القوم، جاءه أعرابيٌّ فقال: متى السّاعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكّره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتّى إذا قضى حديثه. قال: «أين أراه السائل عن السّاعة؟». قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضيّعت الأمانة فانتظر السّاعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسّدت الأمر إلى غير أهله فانتظر السّاعة».

(1) رواه البخاري (59).

وَالشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُجِبِ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاعِهِ مِنْ تَحْدِيثِ مَنْ سَبَّوهُ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ويؤخذُ مِنْهُ أَخْذُ الدُّرُوسِ عَلَى السَّبْقِ، وكذلك الفتاوى والحكومات ونحوها»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يُجِبُّ عَلَى كُلِّ مُوَظَّفٍ أَنْ يَشْغَلَ الْوَقْتَ الْمُخَصَّصَ لِلْعَمَلِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَخَذَ الْأَجْرَ فِي مُقَابِلِهِ، وَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَرْغَبُ فِي أَخْذِ أَجْرِهِ كَامِلًا وَلَا يُجِبُّ أَنْ يُنْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُنْخَسَ شَيْئًا مِنْ وَقْتِ الْعَمَلِ يَصْرِفُهُ فِي غَيْرِ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَقَدْ ذَمَّ اللهُ الْمُطَفِّفِينَ فِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ الَّذِينَ يَسْتَوْفُونَ حُقُوقَهُمْ وَيَبْخَسُونَ حُقُوقَ غَيْرِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ (المطففين: 1-6).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «الْفَتْحُ» (142/1).

الخطبة الثانية - من صفات الموظف :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الأمانة» والآن حديثي معكم عن «شيء من صفات الموظف».

أيها الناس إنه يجب على كل موظف أن يكون عفيفاً عزيز النفس غني القلب، بعيداً عن أكل أموال الناس بالباطل، مما تقدم له من رشوة ولو سمي هديّة؛ لأنه إذا أخذ أموال الناس بغير حقّ أكلها بالباطل.

وقد حذر النبي ﷺ العمال من أخذ شيء من المال ولو سمي هديّة.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللبنة على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعته فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي! أفلا تعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟!، والذي نفس محمد بيده! لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة بحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر». ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: «اللهم! هل بلغت؟ مرتين».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «لألفين أحدكم يميء يوم القيامة

(1) رواه البخاري (7174)، ومسلم (1822) واللفظ له.

(2) رواه البخاري (3073)، ومسلم (1831).

على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ هَا تُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاخٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ».

وَالرِّقَاعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْحَدِيثِ هِيَ الثِّيَابُ، وَالصَّامِتُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ.

وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَدَايَا الْعَمَلِ غُلُولٌ».

وَالْغُلُولُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْخِيَانَةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَعْمَالِ. وَالْمُرَادُ أَنْ هَدَايَا الْعَمَالِ مِنْ جُمْلَةِ الْغُلُولِ.

قَالَ الْعَبَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِهِ لِسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾: «لَا يَجُوزُ لِلْعَمَالِ وَلَا لِلْمُوظَّفِينَ قَبُولَ الْهَدَايَا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «هَدَايَا الْعَمَالِ غُلُولٌ» يَعْنِي: لَيْسَ لِلْمُوظَّفِ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّةً سِوَاءَ أَكَانَتْ مِنْ مُوظَّفٍ عِنْدَهُ، أَوْ مِنْ مُرَاجِعٍ مِنَ الْمُرَاجِعِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنَ الْخَارِجِ لِحَاجَاتِهِمْ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُهْدُوا لِلْمُوظَّفِينَ وَلَا يَجُوزُ لِلْمُوظَّفِينَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْغُلُولِ، كَمَا فِي قِصَّةِ ابْنِ اللَّتْبِيَّةِ الَّذِي جَاءَ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (23601)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (2622).

(2) «شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» لِلْعَبَادِ (270/5).

بِالصَّدَقَاتِ وَقَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ لِيَنْظُرَ هَلْ تَأْتِيهِ هَدِيَّةٌ؟». يَعْنِي مَا أُعْطِيَ الْهَدِيَّةَ إِلَّا بِسَبَبِ كَوْنِهِ عَامِلًا.

وَكذَلِكَ الْمُدْرَسُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الطُّلَّابِ لِاحْتِمَالِ الْمِيلِ إِلَيْهِ وَمَحَابَاتِهِ بِزِيَادَةِ دَرَجاتِهِ فَتَكُونُ الْهَدِيَّةُ سَبَبًا فِي ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ أَهْدَى لَهُ كِتَابًا وَقَبْلَهُ فَإِنَّهُ يُعْطِيهِ كِتَابًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَبذَلِكَ يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَوْظَفِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي إِيرَادَاتِ الدَّوْلَةِ أَنْ يُوْصَلُوا الْأَمْوَالَ إِلَيْهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ.

لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكْتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُوبًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فَقَوْلُهُ ﷺ: «فَكْتَمْنَا» أَي: أَخْفَى عَنَّا.

وَقَوْلُهُ: «مَخِيطًا» أَي: إِبْرَةٌ.

وَقَوْلُهُ: «فَمَا فَوْقَهُ» أَي: فَشَيْئًا يَكُونُ فَوْقَ الْمَخِيطِ فِي الصَّغَرِ أَوْ الْكِبَرِ.

فَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَسْوُوقٌ لِحَثِّ الْعَمَالِ عَلَى الْأَمَانَةِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْخِيَانَةِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُسَوِّغَ لِنَفْسِهِ أَخْذَ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ بِدَعْوَى أَنَّ الْفَسَادَ مُتَشَرُّهُ وَالرِّشْوَةَ ضَارِبَةٌ أَطْنَاهَا عِنْدَ الْكِبَارِ فَضْلًا عَنِ الصَّغَارِ فَإِنَّ هَذَا مِنْ مَغَالِطَةٍ

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1833).

(2) «مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ» (74/6).

النفسِ ومن تُلَيْسِ إِبْلِيسَ فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنْ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ اللَّهِ، وَكُونَ الدَّوْلَةَ لَا تَعْطِيهِ مَا يَكْفِيهِ فَلَا يُسَوِّغُ لِنَفْسِهِ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَسُدُّ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ عِيَالِهِ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَأْذَنْ لِلْمَوْظَفِ أَنْ يَأْخُذَ زِيَادَةً عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لَهُ مِنَ الدَّوْلَةِ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُوبٌ».

اللَّهُمَّ وَفَّقْ كُلَّ مَوْظَفٍ وَعَامِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى آدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (2943)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6023).

حَطَرُ الدِّيُونِ

22

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذات: 102).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النبتاء: 1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجذائ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «حَطَرِ الدِّيُونِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الدِّيُونُ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مَدِينٌ.

فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَسْتَدِينُ لِلْإِنْفَاقِ عَلَى عِيَالِهِ وَفِيمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَأْخُذُ ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ السَّدَادِ وَالْوَفَاءِ فَهُمْ دَاخِلُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي مِثْلِ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2387).

ومن النَّاسِ من يأخذُ أموالَ النَّاسِ وليسَ لَهُ نِيَّةٌ في رَدِّهَا فَهُمُ دَاخِلُونَ في مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَمْوَالِ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ فَمِنْهُمْ من يُفَرِّجُ كُرْبَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْهُمْ من يَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسِرِينَ وَيُحْسِنُ إِلَى الْمُؤَسِّرِينَ وَمِنْهُمْ من يُشَارِكُ في كَثِيرٍ من طُرُقِ الْحَيْرِ وَهَوْلَاءِ دَاخِلُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - في مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ نَفَسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ بَلْ عَدَّ نَبِيْنَا ﷺ مَخَافَةً.

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُخَيَّفُوا أَنْفُسَكُمْ». أَوْ قَالَ: «الْأَنْفُسُ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا تُخَيِّفُ أَنْفُسَنَا؟ قَالَ: «الَّذِينَ».

وَالَّذِينَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا يُكْفِّرُهُ حَتَّى الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2387).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(3) أَنْظَرَ كِتَابَ «الدَّرِّ الْمَكْنُونِ فِي أَحْكَامِ الدِّيُونِ» لِأَخِينَا عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْحَجُورِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ - (ص 5) وَقَدْ اسْتَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيرًا فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الْحُطَّةِ. جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا وَزَادَهُ عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَحًا.

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/154)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2420).

ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكرهم: «الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال». فقام رجل: يا رسول الله، أرايت إن قتلت في سبيل الله؛ تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نعم إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل، غير مدبر»، ثم قال ﷺ: «كيف قلت؟». قال: أرايت إن قتلت في سبيل الله؛ تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل، غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحیح ابن ماجه»⁽²⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو بريء من الكبر والغلول، والدين، دخل الجنة».

أيها الناس إنه لا بد من القصاص يوم القيامة من المظالم ومنها الديون.

ففي «صحیح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة».

وفي «صحیح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، فيأتي وقد شتم هذا،

(1) رواه مسلم (1885).

(2) «صحیح» أخرجه الترمذي (1572)، وصححه الألباني في «صحیح ابن ماجه» (2412).

(3) رواه البخاري (2440).

(4) رواه مسلم (2581).

وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح التَّريغِبِ وَالتَّرهِيْبِ»⁽²⁾ عن ميمون الكُرْدِيِّ عن أبيه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ لَا مَرَّةَ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَ حَتَّى بَلَغَ عَشْرَ مَرَارٍ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ مِنَ الْمَهْرِ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ خَدَعَهُ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ، فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّهِ؛ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ سَارِقٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَثْقَلَ الدُّيُونَ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُثْقَلَ كَاهِلُهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ فَكَمْ مِنْ تَاجِرٍ ضَاعَفَ دَخْلَهُ بِالذُّيُونِ وَعِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّيُونَ قَدْ تَقَوَّدُوا إِلَى مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنَ الدَّيْنِ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2582).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (1851)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّريغِبِ وَالتَّرهِيْبِ» (167/2).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ قَائِلٌ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

قال الحافظُ أَبُو حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المَهَلَّبُ: يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ سَدُّ الذَّرَائِعِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنَ الدَّيْنِ، لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْكُذْبِ فِي الْحَدِيثِ، وَالْحَلْفِ فِي الْوَعْدِ مَعَ مَالِصَاحِبِ الدَّيْنِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَالِ»⁽²⁾.

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديثِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ».

وَالضَّلَعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ: الثَّقَلُ أَي يُثْقَلُ حَتَّى يَمِيلَ صَاحِبُهُ عَنِ الْاِسْتِوَاءِ وَالاعْتِدَالِ، وَغَلْبَةُ الرَّجَالِ أَي شِدَّةُ تَسَلُّطِهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ تَرْكَ النَّبِيِّ الصَّلَاةَ عَلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ نُسِخَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرْتَى بِالرَّجُلِ الْمَتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنِ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟» فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ. وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ،

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2397)، وَمُسْلِمٌ (589).

(2) «الْفَتْحُ» (77/5).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2893).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2298)، وَمُسْلِمٌ (1619).

قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوِّفِيَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلِيَ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ».

قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُفْهِمِ»: «سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَيْتِ هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ أَوَّلًا، وَامْتِنَاعُهُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً إِشْعَارًا بِصُعُوبَةِ أَمْرِ الدَّيْنِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَمَّلَهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ وَأَنَّهُ إِذَا أَخَذَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَرَاحَى فِي أَدَائِهِ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ وَذَلِكَ لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّ الدَّيْنَ شَيْنٌ، الدَّيْنُ هُمُّ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ، وَإِخَافَةٌ لِلنَّفُوسِ بَلْ وَإِرْقَاقٌ لَهَا»⁽¹⁾.

وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ لِيَرْتَدَّ مَنْ يَتَسَاهَلُ فِي أَخْذِ الدَّيْنِ حَتَّى تَتَشَوَّشَ أَوْقَاتُهُمْ عِنْدَ الْمُطَالَبَةِ، وَكَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كِتَابَةِ الدَّيْنِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ فَلَا يَدْرِي أَحَدُنَا مَا يَعْرِضُ لَهُ. فَبِئْسَ مَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا حَقُّ أَمْرِيءِ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، يَبْتَئُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «الْمُفْهِمُ» (4/574).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1627).

الخطبة الثانية - فضل إنظار المعسر:

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «خَطَرِ الدُّيُونِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ فِي فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ مَا يَمْلَأُ الصَّدْرَ وَالنَّحْرَ فَمِنْهَا:

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 280).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً قَالَ: ثُمَّ يَنْدُبُ إِلَى الْوَضْعِ عَنْهُ، وَيَعِدُّهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ وَالْثَوَابِ الْجَزِيلِ، فَقَالَ: «وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أَي: وَأَنْ تَتْرُكُوا رَأْسَ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ وَتَضَعُوهُ عَلَى الْمَدِينِ»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن أبي قتادة، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيماً لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللهُ اللهُ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيَنْفَسْ عَنِ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي اليسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ».

(1) «تفسير ابن كثير» (717/1).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1563).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (3006).

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بَسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَأَنْظَرُهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاتَ رَجُلٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَبَايِعُ النَّاسَ فَاتَّجَوَّزُ عَنِ الْمُؤَسِّرِ، وَأُخَفِّفُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَعُفِّرَ لَهُ».

وفي رواية: «فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»⁽³⁾.

وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُحَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُؤَسِّرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِغُلَامَيْهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (2/359)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6106).

وَقَالَ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (3932) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2391)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (1560).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3451).

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1561).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2078)، وَمُسْلِمٌ (1562).

أيها الناس قبل أن أودّع مقامي هذا أذكركم بما جاء في سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي وائل عن علي رضي الله عنه أن مكاتباً جاءه، فقال: إني قد عجزت عن مكاتبتني فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيها رسول الله ﷺ: «لو كان عليك مثل جبل خيبر ديناً، أذاه الله عنك». قال: «قل: اللهم اغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك».

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يوفقنا وإياكم لما يحبّه ويرضاه وأن يغنيننا وإياكم بالحلال عن الحرام.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

(1) «حسن» أخرجه الترمذي (3563)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (2625).

عِزَّةُ النَّفْسِ

23

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبَاتُ: 102).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأُ: 1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلِيُّ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عِزَّةِ النَّفْسِ».

أَيُّهَا النَّاسُ عِزَّةُ النَّفْسِ تَعْنِي الِارْتِفَاعَ عَنِ مَوَاضِعِ الْمَهَانَةِ، وَيُقَابِلُهَا الضَّعْفُ وَهِيَ أَنْحِدَارُ النَّفْسِ فِي الْمَهَانَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ عَزِيزُ النَّفْسِ لَا يُرِيقُ مَاءَ وَجْهِهِ، وَلَا يَبْدُلُ عِرْضَهُ فِيهَا يَدْنُسُهُ، فَيَبْقَى مَوْفُورَ الْكِرَامَةِ، مُرْتَاحَ الضَّمِيرِ، مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، شَامِخَ الْعَرِينِ لَا يَسِيرُ إِلَّا وَفْقَ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ إِيَّانُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَبَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - عَلَى خُلُقِ الْعِزَّةِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وهو على المنبر، وهو يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ والتَّعَفُّفَ عن المسألة: «اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى، واليدُ العليا المنفقةُ والسفلى السائلةُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَتُطِيعُوا (وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً) وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيائِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوَاطِئَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ: «هَذَا حَمَلٌ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَعْظِيمِ الصَّبْرِ عَلَى مَضَضِ الْحَاجَاتِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ»⁽³⁾.

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَشْيِ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ لِئَلَّا تَصَدَّعَ قَنَاةُ الْعِزَّةِ بِسُؤَالِ النَّاسِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطْبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1429)، وَمُسْلِمٌ (1033) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1043).

(3) «دَلِيلُ الصَّالِحِينَ» (4/418).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1471)، وَأَخْرَجَهُ بَنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (1042).

كما نهى النبي ﷺ عما يَدُسُّ النفوسَ وَيُنزِلُهَا إِلَى حَضِيضِ الدَّرَكَاتِ فلم يُبِحْ سؤالَ الناسِ إلا عندَ ضُرُورَةٍ حَرِجَةٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ قُبَيْصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةً (أَي دِيَةً أَوْ غَرَامَةً) فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَكَ بِهَا». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قُبَيْصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حِمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ (أَي مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ): لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانٌ فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ يَا قُبَيْصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ سُؤَالِ النَّاسِ وَيَنَّ لَنَا أَنَّهُ مِنْ يَسْأَلِ النَّاسَ وَعِنْدَهُ قَدْرٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعْشِيهِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ نَارًا

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْبِرُ مِنَ النَّارِ».

قَالَ النَّبِيُّ وَهُوَ أَحَدُ رُؤَايِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ قَالَ: «قَدْرٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعْشِيهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ مَنَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَهْلِهِ أَوْ لِأَوْلَادِهِ أَوْ لِمَنْ يُعْزُّ عَلَيْهِ هَوَانُهُ وَذَلَّتْهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1044).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/180) بِسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6280).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ حَمِيمٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِنَ الْجَنَّةَ لِمَنْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَكَفَّلَ - أَيْ ضَمِنَ - لِي الْأَيَّامَ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَاتَّكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟».

فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.

فَهَذَا الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ جَمَعَ بَيْنَ عِزِّ الدُّنْيَا وَشَرَفِ الْآخِرَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَاءَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَهُوَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا مَتَطَّلِعٍ وَلَا سَائِلٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَتَّبِعَهُ نَفْسُهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ - وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ - فَخُذْهُ، وَمَا لَا تَتَّبِعُهُ نَفْسُكَ».

وَالْإِشْرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ التَّعَرُّضُ لِلشَّيْءِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ بِالْقَلْبِ

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: هُوَ أَنْ يَقُولَ مَعَ نَفْسِهِ يَبْعَثُ إِلَيَّ فُلَانٌ بِكَذَا!

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1474)، وَمُسْلِمٌ (1040).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (276/5)، وَأَبُو دَاوُدَ (1643)، وَالنَّسَائِيُّ (2591)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6603، 6604).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1473)، وَمُسْلِمٌ (1045).

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا مَضَى يُلْقِنُونَ طُلَّابَهُمْ حِفْظَ قَصِيدَةِ الْجُرْجَانِيِّ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي عِزَّةِ النَّفْسِ وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَبَقَتْ بِشَهْرَتِهَا الْآفَاقَ وَلَا بُدَّ أَنْ أُلْقِيَهَا عَلَى مَسَامِعِكُمْ لِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعَانٍ سَامِيَةٍ وَأَخْلَاقٍ رَائِدَةٍ.

- يقولون لي: فيك انقباض وإنما ○●○ رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
- أرى الناس من داناهم هان عندهم ○●○ ومن أكرمه عزة النفس أكرماً
- ولم أقض حق العلم إن كنت كلماً ○●○ بدا مطمع صيرته لي سلماً
- وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ○●○ عن الذل أعتد الصيانة مغنماً
- إذا قيل: هذا منهل قلت: قد أرى ○●○ ولكن نفس الحر تحتمل الظماً
- أنزها عن بعض ما لا يشينها ○●○ مخافة أقوال العدا: فيم أو لِمَا؟
- فأصبح عن عيب اللئيم مسلماً ○●○ وقد رحت في نفس الكريم معظماً
- وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت ○●○ أقلب كفي إثره متندماً
- ولكنه إن جاء عفوا قبلته ○●○ وإن مال لم أتبعه: هلاً وليتما
- وأقبض حظوي في حظوظ كثيرة ○●○ إذا لم أنلها وافر العرض مكرماً
- وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً ○●○ وأن أتلقى بالمدح مذمماً
- وكم طالب رقى بنعماء لم يصل ○●○ إليه، وإن كان الرئيس المعظماً
- وكم نعمة كانت على الحر نعمة ○●○ وكم مغنم يعتده الحر مغرماً
- ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ○●○ لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
- أشقى به غرساً وأجنيه ذلة؟! ○●○ إذا فاتبأع الجهل قد كان أحرماً
- وإني لراضٍ عن فتى متعفف ○●○ يروح ويفدو ليس يملك دزهما
- يبئت يراعي النجم من سوء حاله ○●○ ويصبح طلقاً ضاحكاً متبسماً

- ولا یسأل الثرین ما بأکفهم ○●○ ولو مات جوعاً عفاً وتکرماً
 فإن قلت زئد العلم کاب، فإنما ○●○ کباحین لم نحرس حماء وأظلمما
 ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ○●○ ولو عظموه فی النفوس لعظما
 ولكن أهائوه فهائوا ودنسوا ○●○ محیاه بالأطماع حتی تجهما!
 وما کل برق لاح لی یستفزنی ○●○ ولا کل من لاقیت أرضاه منعمما
 ولكن إذا ما أضطررتی الضر لم أبت ○●○ أقلب فکری منجدا ثم منهما
 إلى أن أرى ما لا أعص بذکره ○●○ إذا قلت: قد أسدی إلیّ وأنعماً⁽¹⁾

وأستغفر الله.

(1) أدب الدنيا والدين (83)، و«البدایة والنهایة» (355/11)، وخاص الخاص (228، 229).

الخطبة الثانية - الاستغناء عن الناس :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثَ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عِزَّةِ النَّفْسِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنْ «الاستغناء عن الناس».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَارْتَفَعَتْ نَفْسُهُ لَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِ وَمَنْ
كَسَبَهُ وَمَنْ هَانَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فَمِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عبد المطلب بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ
وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ».

وعلى هذا المنوال من العِزَّةِ سار الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ بِسِيرَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

فقد أَخْرَجَ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ
التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: أَذْلَنِي عَلَى بَعِيرٍ مِنْ
الْعَطَايَا أَسْتَحْمِلَ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قُلْتُ: نَعَمْ جَمَلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَادِنًا فِي يَوْمٍ حَارًّا غَسَلَ مَا تَحْتَ
إِزَارِهِ وَرَفَعِيهِ ثُمَّ أَعْطَاكَهُ فَشَرِبْتَهُ.

قَالَ: فَغَضِبْتُ وَقُلْتُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ لِمَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا لِي؟

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1072).

(2) «صَحِيحٌ» الْمَوْطَأُ (2/1001) الْحَدِيثُ (15)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1/198).

قال: إِنَّمَا الصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ يَغْسِلُونَهَا عَنْهُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ هُنَا مَدْرَسَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ من حديثِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضْرَاءُ حَلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. الْيَدُ الْعَالِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

قال حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا (أَيُّ لَا أَسْأَلُهُ مِنْ مَالِهِ) حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا.

فكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عَمْرٌ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ الرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَالْقَدَرُ مَحْسُومٌ فَطُوبَى لِمَنْ أَنْزَلَ حَاجَتَهُ بِالْغِنَى الْحَمِيدِ. ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنَى عَاجِلٍ». قال العَبَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - : «قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ» أَي: بَأَنْ يَمُوتَ لَهُ قَرِيبٌ لَهُ عِنْدَهُ مَالٌ فَيَرْتَهُ، فَيَصِيرَ إِلَيْهِ الْمَالُ مِنْ جِهَةٍ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1429)، وَمُسْلِمٌ (1033).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1645)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2787).

لم يفكّر فيها، ولم تَقَعْ لَهُ على بالٍ بَلْ ساقَهُ اللهُ إِلَيْهِ من حيثُ لم يَحْتَسِبْ، «أو بِغِنَى عاجلٍ» أي: بَأَن يَهَيِّءَ اللهُ لَهُ الحَيْرَ، وَيُهَيِّئَ لَهُ الأسبابَ الَّتِي تُوصِلُهُ إلى الغِنَى فيَحْصُلَ على الغِنَى»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا ما أَجْمَلَ القِنَاعَةَ ففِي التَّمَسُّكِ بِها صِيانَةُ النَّفْسِ.

ففي «صحيح مُسلم»⁽²⁾ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كِفَافًا وَفَنَعَهُ اللهُ بِما آتاهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذا اسْتَغْنَى النَّاسُ بِالنَّاسِ فَاسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِاللهِ فَمَنْ اسْتَغْنَى بِاللهِ عَنِ النَّاسِ أَغْنَاهُ اللهُ.

ففي «الصَّحيحينِ»⁽³⁾ من حديثِ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ ناسًا مِنَ الْأَنْصارِ سألُوا رسولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطاهُمْ ثُمَّ سألُوهُ فَأَعْطاهُمْ، حَتَّى نَفَذَ ما عِنْدَهُ، فقالَ: «ما يَكُنْ عِنْدِي من خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عِنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عِطاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

وفي «الصَّحيحينِ»⁽⁴⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنِ كَثْرَةِ العَرَضِ وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

قالَ السُّيوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قولُهُ: «ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» أَيُّ الغِنَى المَحْمُودُ العَظِيمُ النافعُ شَبَعُ النَّفْسِ وَقِلَّةُ حِرْصِها»⁽⁵⁾.

(1) «شرح سنن أبي داود» للعباد - حفظه الله - (74/9).

(2) رواه مسلم (1054).

(3) رواه البخاري (1469)، ومسلم (1053).

(4) رواه البخاري (6446)، ومسلم (1051).

(5) «الديباج على مسلم» للسُّيوطي (130/2).

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكَرُكُمْ بِوَصِيَّةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فقد أخرج الطَّبْرَانِيُّ في الأَوْسَطِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى⁽²⁾.

(1) «حَسَنٌ» أخرجهُ الطَّبْرَانِيُّ في «الأَوْسَطِ» (306/4)، وحَسَنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صحيح الجامع» (73).

(2) جاءَ ذَلِكَ في «صحيح مُسْلِمٍ» (2721) من حديث عبد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى».

مِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ (1)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَرَانِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأِ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «صفات المرأة المسلمة».

أيها الناس إن كان حديثنا تسمعه المرأة حيث كانت فنقول لها: «إِيَّاكَ أَعْنِي
وَأَسْمَعِي يَا جَارَةً» وإن كانت لا تسمع فهنا الأبُّ وهنا الأخُّ وهنا الزوجُ وهنا الابنُ
فليبلغ الشاهد الغائب.

(1) استفدت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «صفات المرأة المسلمة» لأم أسامة بنت علي العباسية

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

فَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ صَالِحَةً

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِنَفْسِهِنَّ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾
(النِّسَاءُ: 34).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا، الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مُخْلِصَةً وَصَادِقَةً مَعَ اللَّهِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الْأَعْرَافُ: 29).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يُنكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3461).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7447)، وَمُسْلِمٌ (1679).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1467).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1)، وَمُسْلِمٌ (1907).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَنْ تَسْتَحْضِرَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وَكُلِّ نَازِلَةٍ حَتَّى الشُّوْكَةُ تُصِيبُهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (التَّوْبَةِ: ٥١).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النَّجْمِ: ١١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ».

وَالْعَجْزُ وَالْكَيْسُ - أَيُّهَا النَّاسُ - ضِدَّانِ؛ فَشَاطُ النَّشِيطِ وَكَسَلُ الْكُسُولِ وَعَجْزُهُ كُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قَدَّرَ عَجْزُهُ وَالْكَيْسَ قَدْ قَدَّرَ كَيْسُهُ»^(٢).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ تَالِيَةً لِكِتَابِ اللَّهِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الْأَنْزِلَاتِ: 34).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً عَلَى طَلَبِ

الْعِلْمِ النَّافِعِ.

(١) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2655).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (205/16).

(٣) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7529)، وَمُسْلِمٌ (815).

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) ﴿الْمُحْتَسِبِينَ : ١١﴾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) ﴿طَلَبْنَا : ١١٤﴾.

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»^(١): «قوله: ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾. واضح الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الأزيد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقهاء».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون محافظة على صلاحها.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ﴿الْمُؤْتَمِنِينَ : 9-11﴾.

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون محافظة على أداء زكاة مالها.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١) ﴿الْأَحْزَابِ : 33﴾.

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - المحافظة على الأذكار.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالذَّكِرَاتِ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) ﴿الْأَحْزَابِ : 35﴾.

ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان، سبق المفردون». قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله، قال: «الذكارون الله كثيرا والذكارات».

(1) «فتح الباري» (1/187).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِكْرَامُ الضَّيْفِ .

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ» .

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُضْمُّ» أَوْ «يُضِيفُ هَذَا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِيبَانِي. فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ وَتَوَمِّي صِيبَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً. فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا وَأَصْبِحَتْ سِرَاجَهَا وَتَوَمَّتْ صِيبَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُ سِرَاجَهَا فَطَافَاتُهَا، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أَهْمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِنَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ» أَوْ «عَجَبًا فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ - فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الْحُجُرَاتُ: 9) .

أَيُّهَا النَّاسُ لَعَلَّكُمْ مُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا مِنَ الصَّحَابِيِّ وَمِنَ الصَّحَابِيَّةِ الَّذِينَ أَعْجَبَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ فِعَالِهِمَا فَالصَّحَابِيُّ هُوَ أَبُو طَلْحَةَ وَالصَّحَابِيَّةُ هِيَ أُمُّ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَاعَتُهَا لِرُؤُوسِهَا .

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَالَّذِينَ حَتَّتْ قَنِينَتَهُنَّ حَفِظَتْهُنَّ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(النِّسَاءُ: 34) .

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6136)، وَمُسْلِمٌ (47) .

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3798)، وَمُسْلِمٌ (2054) .

قال الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «**قَتِنَنْتُ**»، يَعْنِي: مُطِيعَاتُ اللهِ وَلَا زُوجِهِنَّ»⁽¹⁾.

وَأَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «تفسير الطَّبْرِيِّ» (6/691).

(2) «صحیح» أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ (4163)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (660).

الخطبة الثانية - من صفات المرأة المسلمة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا زَالَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ «صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْحَدِيثُ عَنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ ذُو شُجُونٍ؛ لِأَنَّهَا قَلْبُ الْأُسْرَةِ تَصْلُحُ الْأُسْرَةَ بِصَلَاحِهَا وَيُفْسِدُهَا تَفْسِدُ.

فَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حُسْنُ الْخُلُقِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ لِسَانِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِي الْآخِرِينَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (المخزومات: 12).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ لِسَانِهَا وَأَنْ لَا تَكُونَ لِعَانَةً وَلَا شَتَامَةً.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/250، 472)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1232).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (10)، وَمُسْلِمٌ (40).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ»

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَعْلَمَةً وَاعِظَةً.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) (البقرة: ١٧٦).

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مُرْنِ أَزْوَاجِكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي اسْتَحْيَيْتُهُمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ».

وَمَعْنَى قَوْلِهَا «يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ» أَي يَغْسِلُوا عَنْهُمْ أَثَرَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السُّؤَالُ عَنْ أُمُورِ دِينِهَا وَأَنْ لَا تَشْغَلَ نَفْسَهَا بِالسُّؤَالِ عَنِ الْمُؤْمِنَاتِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عَذَّبَ».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (304)، وَمُسْلِمٌ (80).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2598).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (19)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (42).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (103)، وَمُسْلِمٌ (2876).

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللهُ - تَعَالَى - ﴿سَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟
قالت: فقال: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ مِنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

فدَلَّ الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْحَافِظُ: «مَا كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ مِنَ الْحَرِصِ عَلَى تَفْهَمِ مَعَانِي الْحَدِيثِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتَضَجَّرُ مِنَ الْمُرَاجَعَةِ فِي الْعِلْمِ».

بَلْ إِنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَسْأَلْنَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ دَقَائِقِ الْأُمُورِ فَضْلًا عَنْ جَلِيلِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ». فَعَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي: وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَكُدهَا».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ الْاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يَرَحِمُ اللهُ نِسَاءَ الْمَهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ﴾. شَقَقْنَ مَرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

قال الحافظ رحمه الله: «قولها فاختمرن، أي: غطين وجوههن»⁽³⁾.

قال الشنقيطي رحمه الله: «هذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ﴾. يقتضي

(1) رواه البخاري (130)، ومسلم (313).

(2) رواه البخاري (4758)، (4759).

(3) «الفتح» (490/8).

سَتَرَ وَجُوهَهُنَّ وَأَتَّهْنَ شَقَقْنَ أَرْهَنَ، فَاخْتَمَرْنَ، أَي: سَتَرْنَ وَجُوهَهُنَّ بِهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ
اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. المقتضى سَتَرَ وَجُوهَهُنَّ»⁽¹⁾.

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» بسندٍ حسنٍ لغيره من حديثِ صَفِيَّةَ بِنْتِ
شَيْبَةَ قَالَتْ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَذَكَرْتُ قُرَيْشُ وَفَضْلَهُنَّ،
فَقَالَتْ: إِنَّ لِنِسَاءِ قُرَيْشٍ لَفَضْلًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ أَشَدَّ
تَصَدِيقًا بَكْتَابِ اللَّهِ، وَلَا إِيمَانًا بِالتَّنْزِيلِ لَقَدْ أَنْزَلْتُ سُورَةَ النُّورِ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ
جُيُوبِهِنَّ﴾. انْقَلَبَ رَجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى
امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ مَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا قَامَتْ إِلَى مِرْطَاحِ الْمَرْحَلِ
فَاعْتَجَزَتْ بِهِ تَصَدِيقًا وَإِيمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ فَأَصْبَحْنَ يُصَلِّينَ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ
الصُّبْحِ مَعْتَجِرَاتٍ كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِهِنَّ الْغُرَبَانَ⁽²⁾.

ومعنى «معتجرات» - أيها الناس - أي مختمرات كما تقدم في «صحیح البخاري».

أيها الناس ألا ما أشدَّ سرعة استجابة نساء الصحابة لأمر الله وأمر رسول
الله ﷺ.

ألا ما أشدَّ حرص الصحابة على تعليم أهلهم العلم.
دلَّ على ذلك قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: انْقَلَبَ رَجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أَنْزَلَ
إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ!
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

(1) «أضواء البيان» (6/594).

(2) «حسن لغيره» أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» (8/2575)، وفي سنده: مسلمُ بنُ خالدٍ الزنجيُّ،
لكنه متابعٌ، تابعه داودُ بنُ عبد الرحمن، ومُعَمَّرٌ، وإبراهيمُ بنُ مهاجرٍ بنحوه مُختصرًا، وأصلُ الحديثِ
في البخاريِّ (4759) بإفادَةِ «حجاب المرأة» (ص 43) للزَّاحيِّ.

من آدابِ النَّوْمِ

25

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «آدابِ النَّوْمِ».

أيها الناس النومُ آيةٌ من آياتِ اللهِ.

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ءِتَى

فِي ذَلِكَ لَأَيِّتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الزُّمَر: ١٢) ﴿الزُّمَر: 23﴾.

وَآيَاتُهُ - أيها الناس - هي حُجُجُهُ وبراهينه الدالَّةُ على قُدْرَتِهِ على البعثِ والجِزاءِ⁽¹⁾.

(1) انظر «أيسر التفاسير» للجزائري (169/4).

ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تتشرون فيه لطلب الرزق إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكير واعتبار⁽¹⁾.

قال القشيري رحمه الله: «غلبة النوم لصاحبه من غير اختيار، وانتباهه بلا اكتساب يدل على موته ثم بعثه في حال منامه يرى ما يسره وما يضره يدل على حاله في قبره، الله أعلم كيف حاله، أمره فيما يلقاه من خير وشر»⁽²⁾.

أيها الناس إن للنوم آداباً قل من يعمل بها وإن أخذ بعض الناس بعضه فقد ترك كثيراً منه والموفق من وفقه الله.

فمن تلك الآداب - أيها الناس - التبكير في النوم.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي برة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

والتبكير - أيها الناس - قد أصبح عند كثير من الناس سنة مهجورة وخاصة بعد ظهور التلفاز وقد علم الجميع أن الخير والبركة في الاتباع.

فها هو العلم الحديث يُثبت للجميع أن أفضل أوقات النوم ما كان بعد صلاة العشاء وأن الساعة من النوم في أول الليل تعادل ساعتين من آخره ولا تقوم مقامها ساعة من نوم النهار.

(1) انظر «التفسير الميسر» (206/7).

(2) انظر «البحر المديد» لابن عجيبة (512/5).

(3) رواه البخاري (568) واللفظ له، ومسلم (647) بنحوه.

وما الحكمة - أيها الناس - من التَّكْبِيرِ؟ أليس كلُّ مسلمٍ له موعدٌ معَ الرَّبِّ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مِنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ».

أليس من العارِ - أيها الناس - أن يَسْهَرَ أَحَدُنَا عَلَى التَّلْفَازِ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَنَامُ عَنْ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَرَبِّهَا نَامَ أَحَدُنَا فَلَمْ يَسْتَقِظْ إِلَّا فِي الْقَبْرِ كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِكَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ الْقِيَامِ لَطَلَبَ الْمَعَاشِ فَإِذَا أَمَامَكَ مَنْكَرٌ وَنَكِيرٌ بَعْدَ أَنْ تَضَمَّ ضَمَّةً لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَا يَضُرُّكَ لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ لِقَاءِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - فَإِنَّكَ إِنْ قُمْتَ قُمْتَ عَلَى خَيْرٍ وَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ حَسَنَةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَلَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُضُوءُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ جُنْبًا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَوَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1145)، وَمُسْلِمٌ (758).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (1344)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (19)، (600).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

قُل: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ».

وما يَصْرُك - يا عبدَ الله - أَنْ يَبِيَّتَ مَعَكَ مَلَكٌ يَسْتَغْفِرُ لَكَ بِسَبَبِ طَهَارَتِكَ فَذَلِكَ لَكَ.

ففي «مواردِ الظَّمَانِ» لابنِ حِبَّانٍ بسندٍ حَسَنٍ لغيرِهِ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا، بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا».

وَالشُّعَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَا يَلِي بَدَنَ الْإِنْسَانِ مِنْ ثَوْبٍ وَغَيْرِهِ.
وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوِثْرُ لِمَنْ خَشِيَ فَوَاتَهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرُكْعَتِي الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أُرْقُدَ.
وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِطْفَاءُ النَّارِ وَتَحْمِيرُ الْإِنَاءِ وَإِغْلَاقُ الْأَبْوَابِ.
ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَرُّوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَكَوْ بَعُودٍ تُعَرِّضُهُ عَلَيْهِ».

(1) «حَسَنٌ لغيرِهِ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «مُورِدِ الظَّمَانِ» (167)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» حَسَنٌ لغيرِهِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1178) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (721).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5624)، وَمُسْلِمٌ (2012).

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَقْضُ الْفِرَاشِ وَالتَّسْمِيَةُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ فَلْيَنْقُضْ بِهَا فِرَاشَهُ وَلْيُسَمِّ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ».

فهذا النَّقْضُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَكُونُ فِي أَوَّلِ النَّوْمِ لَكِنْ مَتَى نَامَ الرَّجُلُ ثُمَّ قَامَ لِحَاجَتِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْهُ مَرَّةً ثَانِيَةً وَهَكَذَا.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْقُضْهُ بِصَنْفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيُقِلْ، بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أُرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيُقِلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ».

وَصَنْفَةُ الْإِزَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ شَقُّهُ أَيَّ جَانِبٍ كَانَ.

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كِتَابَةُ الْوَصِيَّةِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَقُّ أَمْرِيءِ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ بَيْتٌ لِيَلْتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوْمُ عَلَى الشِّقِّ الْأَيْمَنِ وَوَضْعُ الْيَدِ تَحْتَ الْحَدِّ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6320)، وَمُسْلِمٌ (2714).

(2) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3401)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2707).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2738)، وَمُسْلِمٌ (1627).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْيَمَنِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَرَاهَةُ النَّوْمِ عَلَى الْبَطْنِ

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي فَرَكَظَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «يَا جُنَيْدُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضَجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ - تَعَالَى - فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ». أَيُّ نِدَامَةٌ.

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁵⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ قَالَ: قَالَ الشَّيْطَانُ إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَفْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6314).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3714)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (3001).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5059)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6477).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2311).

ومن آداب النوم - أيها الناس - قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والنفث بها. ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثاً.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «النفث هو النفخ مع ريق يسير ثم يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، يمسح بهما أي بيديه ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ومقدم جسده ثلاث مرات»⁽²⁾.

ومن آداب النوم - أيها الناس - أن يكبر الله أربعاً وثلاثين ويمسح الله ثلاثاً وثلاثين ويمحمد الله ثلاثاً وثلاثين.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها شكّت ما تلقى من أثر الرّحى فأتي النبي ﷺ بسبي فأنطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعاً وثلاثين وتُسبحان ثلاثاً وثلاثين وتُحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم».

(1) زواة البخاري (5017).

(2) «شرح رياض الصالحين» (1/1676).

(3) زواة البخاري (3705)، ومسلم (2727).

ووجه الخيرية في الحديث - أيها الناس - كما قال صاحب شرح مشكاة المصابيح
 إما أن يراد به أن يتعلق بالآخرة والخدم بالدينا والآخرة خير وأبقى.
 وإما أن يراد بالنسبة إلى ما طلبته بأن يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تقدر على
 الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه⁽¹⁾.
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «مرعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح» (8/263).

الخطبة الثانية - آداب الاستيقاظ من النوم :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «بعض آداب النوم» والآن حديثي معكم عن «شيء من آداب الاستيقاظ».

فمن آداب الاستيقاظ - أيها الناس - البدأ بالسؤال.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يشوئ فاه بالسؤال.

ومن آداب الاستيقاظ - أيها الناس - غسل اليدين قبل غمسيهما في إناء الوضوء.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده».

ومن آداب الاستيقاظ - أيها الناس - الاستئثار ثلاثاً.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه».

ومن آداب النوم - أيها الناس - ذكر الله والوضوء والصلاة.

(1) رواه البخاري (245)، ومسلم (255).

(2) رواه مسلم (278).

(3) رواه البخاري (3295)، ومسلم (238).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَائِمٌ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ «عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ» فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَأَصْبَحَ نَشِيطَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ».

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَ الْاِتِّبَاعِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1142)، وَمُسْلِمٌ (776).

الأخوة في الله

26

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَاتُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «الأخوة في الله».

أيها الناس الأخوة في الله نعمة كبيرة ومنه عظمة من الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 103).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ : 62 - 63).

وهذه الأخوة الحاصلة بين المؤمنين - أيها الناس - قائمة على الحب في الله الذي

هو أوثق عرى الإيمان.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحة»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله».

ولالأخوة في الله - أيها الناس - فضائل عظيمة.

فمن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المتحابين في الله يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - سبحانه وتعالى - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، (وذكر منهم) ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - أوجب محبته للمتحابين فيه.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين فيّ».

(1) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11537)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (998).

(2) رواه مسلم (2566).

(3) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

(4) «صحيح» أخرجه أحمد (233/5 - 247)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4331).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى مَدْرَجَتِهِ (أَيَّ عَلَى طَرِيقِهِ) مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُرَبُّهَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ - تعالى - قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ، كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ».

ومن فضائل الأخوة في الله - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمَّا سَبَبُ لِنَدْوَقِ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ.
ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

ومن فضائل الأخوة في الله - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ هُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ، يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي هُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2567).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (16)، وَمُسْلِمٌ (43).

(3) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/298)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (6164).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (5/239)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (4312).

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصميت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَوَعَلَى - حَقَّتْ (أَي: وَجِبَتْ) مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغِطُهُمُ النَّيُّونَ وَالصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المرء يُحشِرُ مع من أحبَّ.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: «مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟». قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «المرء مع من أحبَّ».

قال المباركفوري رحمه الله: «يعني من أحبَّ قومًا بالإخلاص يكون في زميرتهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم وربما تُؤدِّي تلك المحبة إلى موافقتهم وفيه حثُّ على محبة الصلحاء والأخيار رجاء اللحاق بهم والخلاص من النار»

أيها الناس تلك بعض فضائل الأخوة في الله وللاخوة حقوق لا يتسع الحديث عنها مقامنا هذا، ولكن نذكر بعضاً منها:

(1) «حسن» أخرجه أحمد (229/5)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4320).

(2) رواه البخاري (6388)، ومسلم (2953).

(3) رواه البخاري (5819)، ومسلم (2639).

فمن حقوق الأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - المُوَاسَاةُ. والمُوَاسَاةُ الحديثُ عنها ذو شُجُونٍ
وَحُلَاصَتِهَا أَنَّهَا تَنْفِيسُ الْأَخِ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَاتِ الدُّنْيَا.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِجَابَةُ الدَّاعِي، وَبَدْلُ
النَّصِيحَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَشُهُودُ الْجَنَازَةِ.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ
فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ
فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّوَدُّدُ وَالتَّعَاظُفُ وَالتَّرَاحُمُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاظِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا
اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّصْرَةُ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6011)، وَمُسْلِمٌ (2586) وَاللَّفْظُ لَهُ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُتَهَكُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُتَقَصُّ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُتَقَصُّ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، وَيُتَهَلُّ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُحِبَّ الْأَخُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَمَسَّ الْأَخُ أَخَاهُ بِسُوءٍ أَوْ يَنَالُهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ يَكْرَهُهُ أَوْ أَدَى يَلْحَقُ بِهِ

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَخَالِقَ الْأَخُ أَخَاهُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَبْدُلَ لَهُ الْمَعْرُوفَ، وَيَكْفَى عَنْهُ الْأَذَى وَيَلَاقِيَهُ بِوَجْهِ طَلْقٍ، يَقْبَلُ مِنْهُ إِحْسَانَهُ، وَيَعْفُو عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

(الأنعام: 199).

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4)، وَأَبُو دَاوُدَ (271/4)، وَحَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5690).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7)، وَمُسْلِمٌ (45).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

وفي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (5/153)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1373).

الخطبة الثانية - مفسدات الأخوة في الله :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الأخوة في الله وشيء من حقوقها» والآن حديثي معكم عن «مفسدات الأخوة» وهن كثيرات وسأقتصر في هذه العجالة على بعضها.

فمن مفسدات الأخوة في الله - أيها الناس - الطمع في الدنيا.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: 131).

فكم من أخوين كانا متحابين تغيرت نفوسهما بعدما تعرّضا للدنيا وتنافسوا في النيل منها ومع ازدياد التعلق بالدنيا يندثر الإيثار وتحل الأنانية.

ومن مفسدات الأخوة - أيها الناس - التفريط في الطاعة والوقوع في المعصية.

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما توادّ اثنان في الله فيفترق بينهما إلا بذنبٍ يُحدِثُهُ أَحَدُهُمَا».

ومن مفسدات الأخوة - أيها الناس - أن يغتاب الأخ أخاه أو يحقره أو يعيبه أو يسخر منه، أو ينزّهه بلقب سوءٍ أو ينم عنه حديثاً للإفساد.

(1) أخرجه أحمد (2/68)، والبخاري في «الأدب المفرد» (401)، وصححه الألباني في «الصحيح»

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ وَلَا جَنَسٌ وَلَا يَفْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (المحجرات: 12).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (المحجرات: 11).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ». ومن مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَحْسَدَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يظُنَّ بِهِ سُوءًا أَوْ يَغْضَبُهُ أَوْ يَتَجَسَّسَ عَلَيْهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ وَلَا جَنَسٌ وَلَا يَفْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». ومن مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَغْدَرَ الْأَخُ بِأَخِيهِ أَوْ يَحُونَهُ أَوْ يَكْذِبُهُ أَوْ يِمَاطِلُهُ فِي قِضَاءِ الدِّينِ

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: 1).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (البقرة: 177).

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2563).

ومن مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ عَفْوِ الْأَخِ عَنْ أَخِيهِ إِذَا أَخْطَأَ وَقَبُولِ عُدْرِهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣)

(الْمَائِدَةُ : 13).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلِعَفْوُوا وَلِيَصْفَحُوا لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

(التَّوْبَةُ : 22).

وفي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللَّهُ عَمْرَتَهُ».

ومعنى أقال: أي عفا عنه خطأً أو زلةً.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (3460)، وَابْنُ مَاجَةَ (2199)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»

(2954)، وَ«صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6071).

نِعْمَةُ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ

27

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «نِعْمَةِ الْجَوَالِ».

أيها الناس الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي خَلَقْنَا فَأَبْدَعَ مَا خَلَقَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِينَا الْعَقْلَ، فَمَا أَرَوْعَ مَا أَبْدَعَ فَسَبْحَانَ مَنْ خَلَقَ فَسَوَى وَقَدَّرَ فَهَدَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَسَخَّرَ لَهُ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الْبَقَرَةُ : 29).

و قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾

(الْمَائِدَةُ : 13).

ومن جليلِ حكمته وعظيمِ منته أنه - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
(العنكبوت: 5).

وركَّبَ فيه مِنْ وسائلِ المَعْرِفَةِ من عَقْلِ وِسْمَعٍ وِبَصَرٍ، وِغَرَسَ فيه جَبَلَةَ التَّرَقِّيِّ وِفَتْحَ لَهُ عوَالِمَ المُحَدَّثَاتِ وِالمُخْتَرَعَاتِ، فَتَطَوَّرَ الْإِنْسَانُ عِبْرَ الزَّمَنِ ... وَأَصْبَحَ يَتَحَكَّمُ فِي أَقْطَارِ الفَضَاءِ ... وَأَغْوَارِ الْأَرْضِ ... وَأَعْمَاقِ البَحَارِ ... وِفَتْحَ بِصِيرَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَن مُخْتَرَعٍ جَدِيدٍ ... فَفَقَزَ فَوْقَ المَسَافَاتِ ... وَتَخَطَّى الْأوطَانَ وِالقَارَاتِ وَنَصَبَ أَجْهَزَةَ الاتِّصَالِ ... فَجَمَعَ أَهْلَ الْأَرْضِ ... حَتَّى صَارَ مَنْ بَاقِصَاها يَتَحَدَّثُ مَعَ مَنْ بَادَنَاهَا ... ففِي كُلِّ جَيْبٍ أُذُنٌ وِاعِيَةٌ مُتَحَفِّزَةٌ لِلاِجَابَةِ عَن كُلِّ طَلَبٍ ... لا فَرْقَ عِنْدَها بَيْنَ البَعِيدِ وِالقَرِيبِ ... لا فَرْقَ عِنْدَها بَيْنَ المُسْتَقَرِّ فِي بَيْتِهِ ... وِالسَّائِرِ فِي الطَّرِيقِ ... لا فَرْقَ عِنْدَها بَيْنَ الرَّاکِبِ جَوَّ الفَضَاءِ ... وِالغَائِصِ فِي الْأَعْمَاقِ.

هَذِهِ نِعْمَةٌ مِّن نِّعَمِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - أَظْهَرَهَا لِلْإِنْسَانِ بِفَضْلِهِ، وَعَرَفَهُ لَهَا بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ ... إِنَّهُ الهَاتِفُ الْجَوَّالُ ... الَّذِي شَغَلَ دُنْيَا النَّاسِ وَمَلَأَ حَيَاتِهِمْ ... اقْتِنَاهُ الْغَنِيِّ وِالفَقِيرِ ... وِاسْتَعْمَلَهُ الْكَبِيرُ وِالصَّغِيرُ.

هُوَ مُنْحَةٌ مِّن اللَّهِ وَرَحْمَةٌ مِنْهُ ... لِإِنْسَانِ هَذَا الزَّمَانِ.

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِزَيْدِ بْنِ مَرْثَدَةَ﴾ (البقرة: 143).

وَهُوَ كَذَلِكَ نِعْمَةٌ مِّن نِّعَمِ اللَّهِ وَالَّذِي وَهَبْنَا كُلَّ فَضْلٍ وَخَيْرٍ.

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (التكوير: 53).

وقال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَإِن نَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ﴾ (التكوير: 18).

وقال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبَّاءَ إِذَا يَدْعُوهُمْ إِلَى نِعْمَتِهِ لَيَقْبَلْنَ﴾ (التكوير: 18).

عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ ظَهَرَتْ وَبَاطِنَةٌ ﴿الْقُرْآنُ: 20﴾.

فواجِبْنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى نِعْمِهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إِبْرَاهِيمَ : 7).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزُّنُورِ : 7).

وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا فِيمَا يُرِضِي اللَّهَ.

هذا الهاتِفُ سَهَّلَ لِلإِنْسَانِ الْكَثِيرِ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ وَأَعَانَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ مَوْلَاهُ، فَكَمْ مِنْ صَفْقَةٍ تِجَارِيَّةٍ أُبْرِمَتْ بِالْهَاتِفِ وَكَمْ مِنْ سَفَرٍ أُلْغِيَ لِعَدَمِ جَدْوَاهُ بِوِاسِطَةِ الْهَاتِفِ، وَكَمْ أَسْعَدَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ حِينَ وَصَلَهُمْ بِأَبْنَائِهِمْ رَغْمَ طُولِ الْمَسَافَاتِ ... وَهُوَ أَدَاةُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَهُوَ أَدَاةُ إِسْعَافٍ فِي الْحَوَادِثِ. وَأَدَاةُ نَجْدَةِ لِدْفَعِ الْكَوَارِثِ⁽¹⁾.

وَمِنْ كُفْرَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِخْدَامُهَا فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - مِنْ الْمُرَاسَلَاتِ وَالْمُعَاكَسَاتِ، وَالتَّنْسِيقِ بَيْنَ عِصَابَاتِ الإِجْرَامِ، وَالنَّهْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالصُّورِ الْمُحَرَّمَةِ وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَفِي حَالِ صَلَاتِهِمْ بِتِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَالرَّنَاتِ الْغَنَائِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ فَهَذَا مِنْ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، فَضْلاً أَنْ فِيهَا أَذِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّشْوِيشَ عَلَيْهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَسَلْباً لِحُشُوعِهِمْ وَإِهَانَةً لِبُيُوتِ اللَّهِ وَعَدَمَ الْمُبَالَغَةِ بِتَعْظِيمِهَا وَتَكْرِيمِهَا وَتَشْرِيفِهَا.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الْحَجَّ : ٢٣)

(الْحَجَّ : 32).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾

(الْحَجَّ : 30).

(1) انظُرْ «الجَوَّالُ أَفَاتُ وَأَدَابُ» لِعَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدَّبِ (ص 1).

أيها الناس أئبهُ من فوقِ هذا المنبرِ إلى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَطَّ العَذْرُ لِمَنْ نَسِيَ إِغْلَاقَ هَاتِفِهِ أَوْ وَضَعَهُ عَلَى الصَّامِتِ دَاخِلَ بُيُوتِ اللَّهِ فَالْإِنْسَانُ عُرْضَةٌ لِلخَطَا والنسيانِ فلا يُشَدِّدُ فِي النِّكَيرِ عَلَيْهِ وَالنَّظْرِ شَزْرًا إِلَيْهِ وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ حِينَمَا لَطَفَ بِالْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ أَنْ يُهْرَاقَ سَجْلٌ أَوْ ذَنْوبٌ مِنْ مَاءٍ عَلَى مَكَانِ بَوْلِهِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنْوبًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعَسِّرِينَ»⁽²⁾.

ومن كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِعْمَالُهُ لِلْمَعَاكِسَاتِ فَصَارَ دَمَارًا عَلَى صَاحِبِهِ فَكَمْ خَرَّبَ مِنْ أَسْرٍ وَكَمْ فَضَحَ مِنْ بُيُوتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١) ﴿النُّور: 19﴾.

ومن كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَبَادُلُ الصُّوَرِ الْمَحْرَمَاتِ، وَتَصْوِيرِ الْعَيْرِ فَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ فَسَدَتْ وَكَمْ مِنْ بُيُوتٍ قَدْ دُمِّرَتْ فَالْوَيْلُ لِهَوْلَاءِ الْمَرْوَجِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءَ مَا يَرْزُقُونَ﴾ (١٥) ﴿التَّحَلُّك: 25﴾.

ومن كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِاللِّسَانِ أَوْ الْمُرَاسَلَةِ أَوْ الْإِتِّصَالِ فِي سَاعَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ أَوْ إِزْعَاجِهِمْ بِأُسْلُوبٍ أَوْ بآخَرَ أَوْ بِإِرْسَالِ رِسَالَةٍ فِيهَا غَزْلٌ أَوْ كَلَامٌ قَبِيحٌ وَقَدْ يُرْفَقُهَا بِصُورٍ خَلِيعَةٍ أَوْ صُورَةٍ لِقَلْبٍ مَرْسُومٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2201).

(2) انظُرْ «الْجَوَالِ آدَابُ وَتَنْبِيهَاتٌ» لِلْحَمِيدِ (ص 1-2).

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب : 58).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - استخدامُهُ وقتَ قيادَةِ السَّياراتِ قَرِيبًا يأخذهُ الحديثُ والانسجامُ معَ المتحدِّثِ معه فلا يَنْتَبِهُ إلى ما يَعْرضُ لَهُ أثناءَ سَيْرِهِ في طريقِهِ وقد لا يَنْتَبِهُ إِلَّا بعدَ أن يَقَعَ الفأسُ على الرأسِ.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : 29).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - استخدامُهُ لَسَماعِ الأغانِي معَ وضوحِ حرْمَتِهِ.

قال الحسنُ رَحِمَهُ اللهُ : «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بغيرِ عِلْمٍ ﴾ . في الغناءِ والمزاميرِ»⁽¹⁾.

وفي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمذي»⁽²⁾ من حديثِ عِمْرانِ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «في هذه الأمةِ حَسَفٌ وَمَسَخٌ وَقَذْفٌ».

قال رجلٌ من المسلمين: يا رسول الله متى ذلك؟

قال: «إذا ظهرت القيانُ والمعازفُ وشربت الخُمورُ».

ويَدْخُلُ في ذلكِ استعمالُ نَعَماتِ موسيقىةِ في الجِوَالِ.

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - تصويرُ ذواتِ الأزواجِ من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طَيْرٍ أو غيرِ ذلكِ والأدلةُ قد جاءتْ تمنعُ التَّصويرَ عُمومًا.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/344).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (2212)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (2185).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتَعَذَّبُهُ فِي جَهَنَّمَ».

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ وَاضِحَةٌ وَضَوْحُ الشَّمْسِ وَبَعْضُ النَّاسِ يُؤَوَّلُ الْأَحَادِيثَ وَيَحْمِلُهَا عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهَا وَيَقُولُ ذَلِكَ كَذَا وَذَلِكَ كَذَا.

وَقَدْ سَأَلْتُ اللَّجْنَةَ الدَّائِمَةَ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ السُّؤَالَ الْآتِي: هَلْ التَّصْوِيرُ الَّذِي تُسْتَحْدَمُ فِيهِ كَامِيرَا الْفِيدْيُو يَقَعُ حُكْمُهُ تَحْتَ التَّصْوِيرِ الْفُوتُغْرَافِيِّ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ حُكْمُ التَّصْوِيرِ بِالْفِيدْيُو حُكْمُ التَّصْوِيرِ الْفُوتُغْرَافِيِّ فِي الْمَنْعِ وَالتَّحْرِيمِ لِعُمُومِ الْأَدِلَّةِ⁽³⁾.

وَتَشَدُّ الْحُرْمَةُ إِذَا قَامَ الرَّجُلُ بِتَّصْوِيرِ مَحَارِمِهِ أَوْ زَوْجَتِهِ فِي هَذِهِ الْهَوَاتِفِ وَهَذَا خَطَأٌ وَخَطَرٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ الْهَاتِفَ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِلضِّيَاعِ وَقَدْ يَنْسَاهُ فِي بَيْتٍ مَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا عَهْدَ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ!

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2225)، وَمُسْلِمٌ (2110).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5951)، وَمُسْلِمٌ (2108).

(3) فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ تَحْتَ رَقْمِ (16205).

الخطبة الثانية - آداب استعمال الجوال :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن «نعمة الجوال» والآن حديثي معكم عن «آداب استعمال الجوال».

فمن آداب استعمال الهاتف المحمول - أيها الناس - التأكد من الرقم المطلوب حتى لا يطلب رقماً خاطئاً، فلا يُزعج مريضاً.. ولا يُوفِّظ نائماً ولا يفاجيء آمناً. وكذلك التأكد من صحّة الرقم حتى لا يُرسل رسالة لمن لا يقصد إرسالها إليه فيقع في الحرج.

فإذا كان الرقم خاطئاً فلا يعجل في إغلاق الهاتف المحمول لئلا يساء الظن وإنما يعتذر اعتذاراً بالغاً ويعد المتصل به أن ذلك لن يتكرّر منه. ويكون ذلك بكلمات طيِّبات وأسلوب حسن، ويُرسل رسالة لمن وقعت الرسالة في رقبه بطريقة الخطأ.

فإذا بدأ بالكلام جعل أوّل كلمة ينطق بها السلام عليكم وهي تحية الله لأهل الإيمان. قال الله - سبحانه وتعالى - في أوّل لقاء بالمؤمنين في الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأجناب: 44). وهي تحية الملائكة لأهل النعيم

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزُّمَر: 73). وهي تحية المؤمنين في الجنة فيما بينهم.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١) دعوتهم فيها سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام ﴿١﴾

(يونس: 9-10).

فأوّل كلام المسلم مع المسلم «السّلام عليكم» والبعض اعتادوا أن تكون التحيّة بينهم كلمة «ألو» وأصل هذه الكلمة إنجليزية ومعناها «مرحباً»، وإذا ختم كلامه قال «مع السّلام» أو «باي باي» وهذا خطأ وفي شرعنا وأديننا الذي أدبنا الله به غنى عن ذلك.

والله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾

(البقرة: 61).

وَالَّذِي يَبْدَأُ السّلامَ الْمُتَّصِلَ لِأَنَّهُ كَالْقَارِعِ لِلْبَابِ فَيُجِيبُ الْمُتَّصِلَ بِهِ بِمِثْلِهِ وَأَحْسَنَ لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(النساء: 86).

ثُمَّ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ بِذِكْرِ اسْمِهِ أَوْ لِقَبِهِ لِلْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَظَلَّ الْمُتَّصِلُ عَلَيْهِ فِي حَيْرَةٍ مَعَ مَنْ يَتَكَلَّمُ وَمَنْ يُرِيدُ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اخْتِصَارُ الْكَلَامِ بِمَا يَكْفِي الْحَاجَةَ دُونَ إِسْرَافٍ وَلَا تَبْذِيرٍ فِي الْمَالِ وَالْوَقْتِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَعْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6412).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2417)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1933).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة».

فإذا وجد امرأة على الخط تأدب معها واختصر الكلام وعليها أن تكلمه بحشمة ووقار دون الخروج عن موضوع المكالمة

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: 32).

ومن آداب استعمال الهاتف المحمول - أيها الناس - عدم تسجيل المكالمات أو وضع الجوال على مكبر الصوت دون علم الآخر لأن ذلك ضرب من الخيانة أو نوع من النميمية.

ومن آداب استعمال الجوال - أيها الناس - عدم التماذي في الاتصال إذا لم يرد عليك فبعض الناس إذا لم ترد عليه كرر الاتصال عدة مرات مما يسبب الإزعاج والإيذاء للآخرين.

كما أن تجاهل المتصل للمتصل به ويتكرر ذلك منه في أوقات متفرقات دون داع يدعو إليه دليل على سوء الأخلاق وانحطاطها بل إنه ليني جسوراً من الوحشة وسوء الظن وقيام لسوق العداوة.

ومن آداب استعمال الهاتف المحمول - أيها الناس - أنه أداة صدق فلا يصح لمسلم أن يكذب على مسلم فإن كان يتكلم من مكان فلا يجوز له أن يكذب أو يدلس على متحدته بأنه في مكان آخر.

(1) رواه البخاري (2950).

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ التَّوَاضُّعِ .
وَمِنْ التَّوَاضُّعِ حُسْنُ الْمُخَاطَبَةِ مَعَ الْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ وَلِيْنُ الْكَلَامِ ، وَسَهْوَلَةُ الْأَلْفَافِ
وَاخْتِيَارُ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ فِي الْكَلَامِ .

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَتَّصِلَ فِي أَوْقَاتِ
الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتِ الْأَكْلِ وَأَوْقَاتِ النَّوْمِ وَأَوْقَاتِ الْعَمَلِ أَوْ الْاجْتِمَاعِ أَوْ الدُّرُوسِ
كَمَا عَلَى الْمُتَّصِلِ أَنْ لَا يُسِيءَ الظَّنَّ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَأَنْ يَلْتَمِسَ لَهُ الْعُذْرَ فِي
عَدَمِ الرَّدِّ .

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ وَاجْعَلْنَا
مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .

أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجناب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ صَحَابِيَّةِ جَلِيلَةٍ وَمُرَبِّيَّةِ فَاضِلَةٍ
إِنَّهَا أُمُّ سُلَيْمٍ وَأَسْمُهَا الْغَمِيضَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ حَرَامٍ، أُخْتُ الصَّحَابِيِّ
الْجَلِيلِ حَرَامِ بْنِ مِلْحَانَ، وَأُمُّ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، تَزَوَّجَتْ قَبْلَ
الْإِسْلَامِ بِمَالِكِ بْنِ النَّضْرِ النُّجَارِيِّ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَنْسًا فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ كَانَتْ
مِنَ السَّابِقِينَ.

فقد أخرج الطيالسي والسياق له ومن طريق البيهقي، وابن حبان وأحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الجنائز»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - يحرم الخمر فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة، فخطب أم سليم، فكلّمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة! ما مثلك يرُدُّ، ولكنك امرؤ كافر، وأنا مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك!

فقال: ما ذاك دهرِكِ قالت: وما دهرِي؟ قال: الصفراء والبيضاء! - أي الذهب والفضة - قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الإسلام، (فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره)، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه»، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فترّوجها على ذلك.

قال ثابت (وهو البناني أحد رُواة الحديث عن أنس): فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أمّها رضيّت الإسلام مهراً. وفضائل أم سليم - أيها الناس - ما لا يحتملها مقامنا هذا. فمن فضائلها - أيها الناس - أن الرسول بشرها بالجنة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال».

(1) (صحيح) أخرجه الطيالسي (2056) واللفظ له، من طريق البيهقي (4/65-66)، وابن حبان (725)، وأحمد (3/105-106)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 38).

(2) رواه مسلم (2457).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ - أيضًا - من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْعُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

ومن فضائلِ أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَعَعَلَى - عَجِبَ مِنْ صَنِيعِهَا بِضَيْفِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاذْهَبِي بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي. قَالَ: فَعَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا جَاءَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».

وهذا الرَّجُلُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ أَبُو طَلْحَةَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ.

ومن فضائلِ أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَمَّا سَكَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ أَهَدَتْ لَهُ ابْنَهَا أَنْسًا لِيَخْدُمَهُ.

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2456).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4889)، وَمُسْلِمٌ (2054).

ففي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم سليم، فأتته بتمرٍ وسمنٍ، قال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائمٌ»، ثم قام إلى ناحية من البيت فصلّى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله، إن لي خويصة قال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخره ولا دنيا إلا دعا لي به قال: «اللهم ارزقهُ مالاً وولداً وبارك له»، فإني لمن أكثر الأنصار مالاً.

فانظروا - أيها الناس - الحصيصة العاقلة أم سليم أتت بولدها ليخدم رسول الله فخدمه لعشر سنين، وتخرج على يديه، فماذا تظنون أن يكون

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحیح مختصر الشرائل»⁽²⁾ عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء صنعت لم صنعت ولا لشيء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزا ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

فمن كان هذا النبي ﷺ أستاذه فكيف سيكون؟!

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - حرصها على العلم ولم يمنعها الحياء من سؤال رسول الله ﷺ حتى في أدق المسائل.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من

(1) رواه البخاري (1982)، ومسلم (2481).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (2015)، وصححه الألباني في «صحیح مختصر الشرائل المحمديّة» (296).

(3) رواه البخاري (130)، ومسلم (313).

الحقُّ هل على المرأة من عُسَلٍ إذا هي احتلمت؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء».

ومن فضائل أمِّ سُلَيْمٍ - أيها النَّاسُ - أنَّها شَهِدَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حُينًا وأُحدًا. ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُينٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَضْحَكُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْتُلْ مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ انْهَزْمُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1809).

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - صَلَابَةُ أُمِّ سُلَيْمٍ فِي دِينِهَا وَصَبْرُهَا⁽¹⁾ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «شَيْءٍ مِنْ مَنَاقِبِ أُمِّ سُلَيْمٍ»
وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «صَلَابَةِ أُمِّ سُلَيْمٍ فِي دِينِهَا وَصَبْرِهَا».

فَمِنْ صَلَابَتِهَا فِي دِينِهَا مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «بَايَعَنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْنَا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾. وَمَهَانَا عَنْ
النِّيَاحَةِ فَقَبِضَتْ امْرَأَةً مَنَا يَدَهَا فَقَالَتْ: فَلَانَةٌ أَسْعَدْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُجْزِيَهَا فَلَمْ يَقُلْ
شَيْئًا، فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ فَمَا وَفَتْ امْرَأَةً إِلَّا أُمُّ سُلَيْمٍ وَأُمُّ الْعَلَاءِ وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةٌ
مُعَاذٌ أَوْ ابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ وَامْرَأَةٌ مُعَاذٌ».

وَالشَّاهِدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا التَّرَمَّتْ وَوَفَّتْ لِمَا بَايَعْتَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ صَبْرِهَا، مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَاتَ
ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ، حَتَّى أَكُونَ
أَنَا أَحَدُهُ.

فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ
يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ (أَيُّ بَاعْتِبَارٍ مَا فَهِمَ هُوَ) وَلَكِنَّهَا كَانَتْ
تَقْصِدُ: هَدَأَتْ نَفْسُهُ وَاسْتَرَاحَ فِي الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(1) اسْتَفَدْتُ فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الْحُطْبَةِ مِنْ كِتَابِ «جَنَى اللَّبَابِ فِيهَا وَرَدَّ فِي الصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ» لِلزَّوْجَةِ
الْوَافِيَةِ أُمِّ الْفَضْلِ أُمِّ الرَّحْمَنِ بِنْتِ عَلِيِّ الْفَقِيهِ جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7215).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1301)، وَمُسْلِمٌ (2144/107) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمَا بَيْنَ الْمُعْكَوفَيْنِ لِلْبُخَارِيِّ.

قال: فجاء فقرّبت إليه عشاءً فأكل وشرب، فقال: ثمّ تصنّعت (أي تزيتت) له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها (أي: جامعها)، فلما رأت أنّه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أنّ قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أنّ يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك! قال: فعضب. وقال تركتني حتى تلطخت ثمّ أخبرتني بابني! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما».

قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي معه. وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفرٍ لا يطرفها طروقًا (أي: لا يدخلها ليلًا) فدنوا من المدينة فضرّ بها المخاض (أي: طلق الولادة)، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة: إنك تعلم - يا ربّ - أنّه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتسبت بما ترى.

قال: تقول أمّ سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد؛ فانطلق. فانطلقنا. قال: وضرّ بها المخاض حين قدما، فولدت غلامًا، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به إلى رسول الله ﷺ.

قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل أمّ سليم ولدت؟». قلت: نعم، فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعتُه في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت ثمّ قذفها في في الصبي، فجعل الصبي يتلمّظها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حُبِّ الأنصارِ التمر».

قال: فمسح وجهه وسمّاه عبد الله.

قال سُفيانُ: قال رجلٌ من الأنصارِ: فرأيتُ لهما تسعةَ أولادٍ كُلُّهم قد قرأ القرآنَ. يعني من أولادِ عبدِ الله المدعو له بالبركة الذي وُلِدَ من جماعِ تلكِ اللَّيلةِ التي ماتَ فيها أبو عميرٍ الذي كان النبيُّ ﷺ يداعبه قائلاً له: «يا أبا عميرٍ ما فعلَ النُّعيرُ». ففي «الصَّحيحينِ»⁽¹⁾ من حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ من أحسنِ النَّاسِ خُلُقًا، وكان لي أخٌ يُقال له أبو عميرٍ، وكان النبيُّ ﷺ إذا جاءَ يقولُ له: «يا أبا عميرٍ ما فعلَ النُّعيرُ».

والنُّعيرُ - أيُّها النَّاسُ - هو طائرٌ أحمرُّ المنقارِ يشبهُ العُصفورَ كان يلعبُ به فماتَ فحزنَ عليه، فكان رسولُ الله ﷺ يستقبلُهُ، ويقولُ له ذلكَ مازِحًا ومُداعبًا. أيُّها النَّاسُ قد دَلَّ الحديثُ على صبرِ أمِّ سُلَيْمٍ وعِظَمِ إيمانِها وكمالِ دينِها وعَقْلِها، فهيَ لم تجزَعْ ولم تهلِّعْ كعادةِ النساءِ عندَ المصائبِ، ولكنَّ تصبَّرتْ وتجلَّدتْ، فكانَ جزاؤها أن بَارَكَ اللهُ لها في ذُرِّيَّتها.

كما في مُسنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الوادِعيُّ في «الصَّحيحِ المُسنَدِ»⁽²⁾ عن رجلٍ من الصَّحابةِ من أهلِ الباديةِ قال: أخذَ بيدي رسولُ الله ﷺ فجعلَ يُعلِّمُني مما علَّمَهُ اللهُ - تبارَكَ وتعالى - ، وقال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - إِلَّا أعطاك اللهُ خيرًا منه».

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديثِ مناقِبُ لأمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: من عِظَمِ صبرِها وحُسنِ رضاها بقضاءِ اللهِ - تعالى - وجزالةِ عَقْلِها في إخفائها مَوْتَهُ على أبيه في أوَّلِ اللَّيْلِ؛ لِيَبِيَّتَ مُسْتَرِيحًا بلا حُزنٍ، ثُمَّ عَشَّتُهُ، وتَعَشَّتْ، ثُمَّ تَصَنَعَتْ لَهُ،

(1) رواه البخاري (6129)، ومسلم (2150).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (78/5)، وصحَّحَهُ شيخنا الوادِعيُّ في «الصَّحيحِ المُسنَدِ» (1489).

وَعَرَّضَتْ لَهُ بِإِصَابَتِهِ، فَأَصَابَهَا. وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ لِقَوْلِهَا: «هُوَ
 أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ» فَإِنَّهُ كَلَامٌ صَحِيحٌ مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ هَانَ مَرَضُهُ وَسَهَّلَ وَهُوَ
 فِي الْحَيَاةِ وَشَرَطُ الْمَعَارِيضِ الْمُبَاحَةَ أَلَّا يَضِيعَ بِهِ حَقُّ أَحَدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽¹⁾.
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَضَرَبَهَا لِمَثَلِ الْعَارِيَةِ دَلِيلٌ لِكَمَالِ عِلْمِهَا وَفَضْلِهَا، وَعِظَمِ إِيمَانِهَا
 وَطُمَأْنِينَتِهَا»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ ارْضَ عَن أُمِّ سُلَيْمٍ وَوَلَدِهَا أَنَسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَزَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ وَاجْمَعْ
 بَيْنَهُمْ مَعَ أَبِي عُمَيْرٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.
 اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا هُمْ فِيكَ أَحْشَرْنَا مَعَهُمْ.

(1) «شرح مسلم» (ص 1347).

(2) «شرح مسلم» (ص 1493).

سعيد بن المسيب (1)

29

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبُوتُ : 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأُ : 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْإِنشَاءُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عَالَمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدِ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِ إِنَّهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ تَلْمِذُ الصَّحَابَةِ وَوَلَدُ لِسْتَيْنِ مَضْتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَى عُمَرَ، وَسَمِعَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَأَبَا مُوسَى، وَسَعْدًا وَعَاتِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَخَلْقًا سِوَاهُمْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - .

(1) انظر «الطبقات» لابن سعد، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«البدایة والنہایة» لابن كثير، و«السیر» للذهبي.

وقال: وكان ممن برز في العلم والعمل.

أيها الناس لقد كان سعيداً من الممتحنين ائتمن فلم تأخذه في الله لومة لائم، صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة وكان كاسمه بالطاعات سعيداً، ومن المعاصي والجهالات بعيداً.

أيها الناس سأقتصر معكم على ذكر جوانب مشرقة من حياة هذا الإمام. فمن تلك الجوانب المشرقة في حياة سعيد بن المسيب - أيها الناس - حرصه على العلم فقد أنفق عمره في تحصيل العلم.

يقول عن نفسه: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد».

وفي كنف الصحابة أخذ ينهل من نبع العلم الصافي كما كان زواجه من ابنة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه المنحة الربانية التي هيأت له الفرصة لسماع مئات الأحاديث من ذاكرة الوحي حتى صار أثبت الناس وأعلمهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، كما كان مغرمًا بتتبع أقضية عمر وتعلمها حتى قيل له (راويّة عمر). وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرسل إليه يسأله عنها.

قال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب عن عمر حجة؟

قال: هو عندنا حجة قد رأى عمر وسمع منه إذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟!!

ومع طول المناظرة والجد والاجتهاد صار سعيد عالم أهل المدينة بلا مدافعة وإمام فقهاؤها السبعة الذين كانوا الواصل الحقيقي بين عصر الصحابة وعصور المذاهب الفقهية فيقول: «ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر مني».

وقال عنه قتادة: «ما أحد أعلم من سعيد بن المسيب».

وعن مكحولٍ قال: «طُفَّتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَمَا لَقِيتُ أَعْلَمَ مِنْ سَعِيدٍ».
 وسألَ رَجُلٌ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: أَسَأَلْتَ أَحَدًا غَيْرِي؟
 قَالَ: نَعَمْ، عُرْوَةَ وَفُلَانًا وَسَعِيدَ بْنَ الْمَسِيَّبِ.
 فَقَالَ: أَطَعْتَ ابْنَ الْمَسِيَّبِ فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا وَعَالِمُنَا.
 وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يُشْكِلُ عَلَيْهِ يَقُولُ: «سَلُّوا
 سَعِيدَ بْنَ الْمَسِيَّبِ فَإِنَّهُ كَانَ يُجْلِسُ الصَّالِحِينَ».
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «لَا أَعْلَمُ فِي التَّابِعِينَ أَوْسَعَ عِلْمًا مِنْهُ، وَإِذَا قَالَ سَعِيدٌ
 مَضَتْ السُّنَّةُ فَحَسْبُكَ بِهِ».

وقال أبو حاتم: «ليس في التابعين أنبل منه».

أَيُّهَا النَّاسُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ لَا نُغْفَلَ حَقِيقَةُ هَامَّةٍ هِيَ أَنْ الْعِلْمَ الَّذِي رَفَعَ سَعِيدَ بْنَ
 الْمَسِيَّبِ إِلَى سَمَاءِ الْمَجْدِ بَلْ وَرَفَعَ أَيَّ أُمَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّبَنَةُ الْأُولَى فِي صَرْحِ تَقَدُّمِنَا
 الْمُنْشُودِ؛ فَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الْمُسْتَقَى مِنْ رِيَاضِ الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ طَرِيقُنَا إِلَى
 إِمَامَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ!

وَاعْلَمُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ أَيَّ رُقِيٍّ بَدُونَ عِلْمٍ وَهَمٍّ وَسَرَابٍ ﴿كِرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ
 الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ .

وَمِنَ الْجَوَانِبِ الْمُشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِرْصُهُ عَلَى
 الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ

فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ فَلَمْ تَقْتَهُ صَلَاةٌ وَهَذَا رَفَعَهُ اللَّهُ وَبَارَكَ
 فِي عِلْمِهِ .

فَهَا هُوَ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: «مَا فَاتَنِي الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً» .

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلَأَ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً».

وقال: «مَا أَدْنَى الْمُؤَدَّنِ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ».

وعن مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ قَالَ: «إِنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَلْتَقِ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفَرَّغُوا مِنَ الصَّلَاةِ».

وعن بُرْدِ مَوْلَى ابْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: «مَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَسَعِيدُ فِي الْمَسْجِدِ».

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: «مَا دَخَلَ عَلَيَّ وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَهْبَتَهَا وَلَا دَخَلَ عَلَيَّ قِضَاءُ فَرَضٍ إِلَّا وَأَنَا إِلَيْهِ مُشْتَاقٌ».

وعن قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَا نَظَرْتُ فِي أَقْفَاءِ قَوْمٍ سَبَقُونِي بِالصَّلَاةِ مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً».

ومن الجوانبِ المَشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِرْصُهُ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ. فَمَا تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ مِنْذُ عَرَفَ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَقِبَ (رَاهِبَ قُرَيْشٍ).

وكان يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

فإذا دَخَلَ اللَّيْلُ خَاطَبَ نَفْسَهُ قَائِلًا: «قُومِي يَا مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَاللَّهِ لَأَدْعَنَّكَ تَرْحَفِينَ زَحْفَ الْبَعِيرِ».

فكان إذا أَصْبَحَ وَقَدَمَاهُ مُتَفَخَّتَانِ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: «بِذَا أَمَرْتُ وَلِذَا خُلِقْتُ».

وعن عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «صَلَّى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْغَدَاةَ بِوُضُوءِ الْعَتَمَةِ خَمْسِينَ سَنَةً».

ومن الجوانبِ المَشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا.

فقد كان يعيش من كسب يده له أربعمائة دينار يتجر بها في الزيت ويقول عن هذا المال: «اللهم إنك تعلم أنني لم أمسكه بخلاً ولا حرصاً عليه ولا محبةً للدنيا ونيل شهواتها وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم فيهم وأصل منه رحمي وأودّي منه الحقوق التي فيه وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار».

وكان من أروع الناس فيما يدخل بيته وبطنه.

فمن طلحة الخزاعي قال: «كان في رمضان يؤتى بالأشربة في مسجد النبي ﷺ فليس أحد يطمع أن يأتي سعيد بن المسيب بشراب فيشربه فإن أتى من منزله بشراب شربه وإن لم يؤت من منزله بشيء لم يشرب شيئاً حتى ينصرف».

ومن أقواله: «من استغنى بالله افتقر الناس إليه».

وقوله: «الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها».

وأستغفر الله.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - كَيْفَ زَوَّجَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ابْنَتَهُ؟⁽¹⁾ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَبَعْضٍ مِنَ
الْجَوَانِبِ الْمَشْرِقَةِ فِي حَيَاتِهِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ قِصَّةِ زَوْاجِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ
ابْنَتَهُ بِدِرْهَمَيْنِ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ تَزَوَّجَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بِابْنَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ صَهْرَهُ
وَكَانَ إِذَا رَأَاهُ قَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سَوْقِ الْجَنَّةِ».

وَقَدْ أَكْثَرَ عَنِ الرِّوَايَةِ عَنْهُ وَلَمْ نَبَعْ فِي الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ جَلَسَ لِلتَّدْرِيسِ وَتَتَلَمَّذَ
عَلَيْهِ كِبَارُ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَمِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدُ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ،
وَقَتَادَةُ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ تَلْمِيذٌ يُدْعَى كَثِيرُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ فَفَقَدَهُ أَيَّامًا
ثُمَّ جَاءَ وَلِنَدْعُهُ يَحْكِي لَنَا قِصَّتَهُ كَمَا جَاءَتْ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ وَحِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَسِيرِ
أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي وَدَاعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنْتُ أُجَالِسُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَفَقَدَنِي أَيَّامًا، فَلَمَّا
جِئْتُهُ قَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟

قُلْتُ: تُوَفِّيتُ أَهْلِي فَانْشَغَلْتُ بِهَا!

فَقَالَ: أَلَا أَخْبَرْتَنَا فَشَهَدْنَاهَا، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ فَقَالَ: هَلِ اسْتَحَدَّثْتَ امْرَأَةً؟

فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَمَنْ يُزَوِّجُنِي وَمَا أَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ؟

فَقَالَ: أَنَا.

(1) انظر الطباقات لابن سعد (5/138) وحلية الأولياء (2/16)، السير (4/217).

فقلتُ: أَوْ تَفْعَلُ؟

قال: نَعَمْ.

ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَّجَنِي عَلَى دِرْهَمَيْنِ أَوْ قَالَ: ثَلَاثَةِ.

قال: فقمْتُ وما أَدْرِي ما أَصْنَعُ مِنَ الْفَرَحِ، فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ مِمَّنْ أَخَذُ وَمِمَّنْ أَسْتَدِينُ، فَصَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، وَاسْتَرَحْتُ، وَكُنْتُ وَحْدِي صَائِمًا فَقَدَّمْتُ عَشَائِي أَفْطَرُ وَكَانَ خُبْزًا وَزَيْتًا، فإِذَا بَاتَ يَقْرَعُ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟

قال: سَعِيدٌ.

قال: فَفَكَّرْتُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ اسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا سَعِيدَ الْمَسِيْبِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ، فقمْتُ فَخَرَجْتُ فَإِذَا سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ الرَّجُوعُ عَنِ زَوْاجِي، فقلتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنْ أُرْسَلْتَ إِلَيَّ فَاتِيكَ؟

قال: لَا، أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى، فقال: إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا عَزَبًا لَا زَوْجَ لَكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ تَبِيَّتَ اللَّيْلَةَ وَحَدَكَ وَهَذِهِ امْرَأَتُكَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ مِنْ خَلْفِهِ فِي طُولِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَدَفَعَهَا بِالْبَابِ وَرَدَّ الْبَابَ، فَسَقَطَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيَاءِ، فَاسْتَوَثَقْتُ مِنَ الْبَابِ ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى الْقِصْعَةِ الَّتِي فِيهَا الزَّيْتُ وَالْحُبُّزُ فَوَضَعْتُهَا فِي ظِلِّ السَّرَاجِ لِكَيْلَا تَرَاهَا ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى السَّطْحِ فَنَادَيْتُ الْجِيرَانَ. فَجَاؤَنِي وَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ وَيَحْكُمُ زَوْجَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ ابْنَتُهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ جَاءَ بِهَا إِلَيَّ عَلَى عَفْلَةٍ، وَهِيَ فِي الدَّارِ، فَنَزَلُوا إِلَيْهَا فِي دَارِي فَبَلَغَ أُمِّي الْخَبْرَ فَجَاءَتْ وَقَالَتْ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ مَسَسْتُهَا قَبْلَ أَنْ أُصْلِحَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ - تَعْنِي تَزِينُهَا اسْتِعْدَادًا لِلدُّخُولِ بِهَا - قَالَ: فَأَقَمْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ دَخَلْتُ بِهَا فَإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَحْفَظِهِنَّ لِلْقُرَّانِ، وَأَعْلَمِهِنَّ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَعْرَفِهِنَّ بِحَقِّ الزَّوْجِ، وَمَكَّثْتُ شَهْرًا لَا يَأْتِينِي سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ وَلَا آتِيهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ قُرْبَ الشَّهْرِ أَتَيْتُ سَعِيدَ فِي حَلَقَتِهِ، فَسَلَّمْتُ

عليه فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، ولم يُكَلِّمْنِي حَتَّى تَقَوَّضَ - تَفَرَّقَ - المَجْلِسُ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي،
فَقَالَ: ما حَالُ ذلِكَ الإنسانِ؟

فقلتُ: خيراً يا أبا مُحَمَّدٍ على ما يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ العَدُوُّ، فأنصرفتُ إلى منزلي
فَوَجَّهَ لي بعشرين ألفِ دِرْهَمٍ».

قالَ عبدُ اللهِ بنُ سُلَيْمانَ: وكانتُ بنتُ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قدَ خطبَها عبدُ
المَلِكِ بنُ مَروانَ لابنِهِ الوليدِ حينَ ولاءِ العَهْدِ، فأبى سعيدُ أنَ يزوجَها وزوجَها
بأحدِ طُلابِهِ!

نور الدين محمود⁽¹⁾

30

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبُوتُ : 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسْبَانِ : 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنَ عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ قَائِدٍ مِنْ قَادَتِهِ الْعِظَامِ مِنْ أَهْلِ الْهِمَمِ الْقَوِيَّةِ وَالْعِزَائِمِ الْمَرْضِيَّةِ إِنَّهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقِيُّ الْمُلُوكِ وَلَيْثُ الْإِسْلَامِ كَمَا وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾.

وَقَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وُلِدَ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَنَشَأَ فِي كِفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ، وَالْمَوْصِلَ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ. تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ،

(1) انظر «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيرًا.

(2) «السِّيَرُ» (531/20).

والفُروسِيَّة، والرَّمِي، وكانَ شَهْمًا، شُجَاعًا، ذا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَقَصِدٍ صَالِحٍ، وَحُرْمَةٍ
وَإِفْرَةٍ، وَدِيَانَةٍ بَيِّنَةٍ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لِنُورِ الدِّينِ مِنَ الْمَنَاقِبِ الشَّيْءَ الْكَثِيرِ،
وَأَتَاهُ مِنْ مُهَيِّئَاتِ النُّبُوغِ، وَمُقَوِّمَاتِ الْأَلْمَعِيَّةِ مَا يَجْعَلُهُ يَتَبَوَّأُ مَكَانَةً عَالِيَةً وَمَنْزِلَةً سَامِيَةً
فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي انْتَصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ التَّقْوَى وَالصَّلَاحُ.
فَلَقَدْ كَانَ نُورُ الدِّينِ تَقِيًّا، صَالِحًا، وَرِعًا زَاهِدًا ذَا تَأَلُّهِ وَعِبَادَةٍ، وَأُورَادٍ، وَقِيَامٍ.
قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَحَدِّثًا عَنْ نُورِ الدِّينِ: «فَمِنْ ذَلِكَ زُهْدُهُ، وَعِبَادَتُهُ
وَعِلْمُهُ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَلْبَسُ وَلَا يَتَصَرَّفُ إِلَّا فِي الَّذِي يُحِبُّهُ مِنْ مُلْكٍ كَانَ لَهُ
قَدْ اشْتَرَاهُ مِنْ سَهْمٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَمِنَ الْأَمْوَالِ الْمُرْصَدَةِ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ شَكَتْ
إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مِنَ الصَّابِغَةِ، فَأَعْطَاهَا ثَلَاثَةَ دَكَكَيْنِ فِي حِمَصٍ، كَانَتْ لَهُ يُحْصَلُ لَهُ مِنْهَا فِي
السَّنَةِ نَحْوَ الْعَشْرِينَ دِينَارًا.

فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْهَا قَالَ: لَيْسَ لِي إِلَّا هَذَا، وَجَمِيعُ مَا بِيَدِي أَنَا فِيهِ خَازِنٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ،
وَلَا أُخَوِّضُ نَارَ جَهَنَّمَ لِأَجْلِكَ.

وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرًا بِاللَّيْلِ، وَلَهُ أُورَادٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ كَمَا قِيلَ:

جَمَعَ الشُّجَاعَةَ وَالْحُشُوعَ لِرَبِّهِ ○●○ مَا أَحْسَنَ الْمِحْرَابَ فِي الْمِحْرَابِ

وَكَذَلِكَ كَانَتْ زَوْجَتُهُ عِصْمَتُ الدِّينِ خَاتُونٌ تُكْثِرُ الْقِيَامَ فِي اللَّيْلِ.

فَأَلْبَسَ اللَّهُ هَاتِيكَ الْعِظَامَ وَإِنْ ○●○ بَلَيْنَ تَحْتَ الثَّرَى عَفْوًا وَعُفْرَانَا

(1) «البدائية والنهائية» (12/299).

سَقَى ثُرَى أَوْ دَعُوهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ ○●○ مَثْوَى قُبُورِهِمْ رَوْحًا وَرَيْحَانًا⁽¹⁾

وقال الذَّهَبِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كَانَ نَوْرُ الدِّينِ مَلِيحَ الحَطِّ، كَثِيرَ المَطَالَعَةِ، يُصَلِّي فِي جَمَاعَةٍ، وَيَصُومُ، وَيَتْلُو، وَيُسَبِّحُ، وَيَتَحَرَّى فِي القُوَّةِ، وَيَتَجَنَّبُ الكِبْرَ، وَيَتَشَبَّهُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ، ذَكَرَ هَذَا وَنَحْوَهُ الحَافِظُ ابنُ عَسَاكِرَ⁽²⁾».

وقال سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كَانَ لَهُ عَجَائِزٌ، فَكَانَ يَحِيْطُ الكَوَافِي، وَيَعْمَلُ السَّكَاكِرَ، فَيَبِعُهَا سِرًّا، وَيُفِطِرُ عَلَى ثَمَنِهَا⁽³⁾».

ومن تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - العَدْلُ. فَكَانَ مُتَحَرِّيًا للعَدْلِ فِي كَافَّةِ أُمُورِهِ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي العَدْلِ بَلْ إِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى المَلِكَ العَادِلَ.

قال ابنُ الأَثِيرِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَقَدْ طَبَقَ الأَرْضَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَقَدْ طَالَعَتْ سِيرَ المُلُوكِ المُتَقَدِّمِينَ فَلَمْ أَرْ بَعْدَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَحْسَنَ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرُّيًا مِنْهُ للعَدْلِ⁽⁴⁾».

وقال الذَّهَبِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «صَاحِبُ الشَّامِ المَلِكُ العَادِلُ نَوْرُ الدِّينِ⁽⁵⁾».

وقال: «وَكَانَ نَوْرُ الدِّينِ حَامِلَ رَايَتِي العَدْلِ وَالجِهَادِ قَلَّ أَنْ تَرَى العُيُونَ مِثْلَهُ⁽¹⁾».

(1) انظر «الكامل» لابن الأثير (6/125)، و«البدایة والنہایة» لابن كثير (12/300).

(2) «السیر» (20/533).

(3) «السیر» (20/537).

(4) «السیر» (20/538).

(5) «السیر» (20/531).

وقال ابن كثير رحمه الله: «وكان يقوم بأحكامه بالمعدلة الحسنة، وأتباع الشرع المطهر، ويعقد مجالس العدل، ويتولاها بنفسه، ويجمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتون من سائر المذاهب.

ويجلس يوم الثلاثاء في المسجد المعلق الذي بالكشك؛ ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل الذمة حتى يساويهم»⁽¹⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الغيرة الصادقة. فقد كان ذا غيرة صادقة على دين الله وعلى محارم المسلمين، فلقد تفتحت عيناه على أحوال المسلمين المتردية، وعلى هزائمهم المتلاحقة، وكان ذلك يؤلمه أشد الألم فكان قليل الابتسام فلما وعظه إمامه أن الابتسام من وصايا النبوة قال له نور الدين: لا تؤاخذني - أيها الشيخ - كيف أبتسم وآلاف المسلمات سبايا عند كفار لا يتقون ولا يرحمون؟ وكيف أبتسم والمسجد الأقصى يدنسُهُ العدو؟⁽²⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الهمة العالية. فقد كان رحمه الله ذا همة عالية، ونفس كبيرة طمّاحة.

لَهُ هِمَمٌ لَا مُتْمَهَى لِكِبَارِهَا ○●○ وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

فقد كانت كل أمنيته فتح بيت المقدس وتطهيرها من رجس الصليب. وما يذلل على علو همته أنه كان في حلب وقت تسلط الصليبيين وسيطرتهم على بيت المقدس أنه قام بعمل منبر عظيم وبالغ في تحسينه وإيقانه وقال: هذا عملنا؛ لينصب في بيت المقدس.

(1) «البدائية والنهائية» (12/299).

(2) انظر «أبطال ومواقف» (ص 434) بواسطة «الهمة العالية» (283).

وقد حَقَّقَ اللهُ لَهُ أُمْنِيَّتَهُ، فَفُتِحَتْ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ عَلَى يَدِ تَلْمِيذِهِ صَاحِحِ الدِّينِ
وُنُصِبَ فِيهَا الْمُنْبَرُ وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ رَحْمَةً اللهُ .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحْمَةً اللهُ : «إِنَّ نُورَ الدِّينِ مُحَمَّدًا كَانَ قَدْ عَمَلَ بِحَلَبَ مِنْبَرًا أَمَرَ
الصُّنَّاعَ بِالمَبَالِغَةِ فِي تَحْسِينِهِ وَإِتْقَانِهِ وَقَالَ: هَذَا عَمَلُنَا؛ لِيُنْصَبَ بِالبَيْتِ الْمُقَدَّسِ،
فَعَمَلُهُ النَّجَّارُونَ فِي عِدَّةِ سِنِينَ لَمْ يُعْمَلْ فِي الإِسْلَامِ مِثْلُهُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، فَحُمِلَ مِنْ
حَلَبَ، وَنُصِبَ بِالمُقَدَّسِ . وَكَانَ بَيْنَ عَمَلِ الْمُنْبَرِ وَحَمَلِهِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ
هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ نُورِ الدِّينِ وَحُسْنِ مَقَاصِدِهِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشَّجَاعَةُ .
قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحْمَةً اللهُ : «وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ فَالْيَهَا النَّهَائِيَّةُ وَكَانَ فِي الْحَرْبِ يَأْخُذُ
قَوْسِينَ وَتُرْكُشِينَ (أَي: جَعْبَةَ السَّهَامِ) لِيُقَاتِلَ بِهَا .

فَقَالَ الْقُطْبُ النَّيْسَابُورِيُّ الْفَقِيهُ: بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تُخَاطِرَ بِنَفْسِكَ وَبِالإِسْلَامِ؛ فَإِنْ
أُصِيبَتْ فِي المَعْرَكَةِ لَا يَبْقَى مِنَ المُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلا أَخَذَهُ السَّيْفُ .

فَقَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ: وَمَنْ مُحَمَّدٌ حَتَّى يُقَالَ هَذَا؟ مِنْ قَبْلِي حَفِظَ اللهُ البِلَادَ
وَالإِسْلَامَ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ»⁽²⁾.

وَقَالَ ابْنُ قَسِيمٍ يَصِفُ شَجَاعَتَهُ:

تَبْدُو الشَّجَاعَةَ فِي طَلَاقَةِ وَجْهِهِ ○●○ كَالرُّمْحِ دَلَّ عَلَى القَسَاوَةِ لِيُنْهَ
وَوَرَاءَ يُقْظَتُهُ أَنَاةٌ مُجْرِبٌ ○●○ اللهُ سَطْوَةٌ بِأَسِهِ وَسُكُونُهُ⁽³⁾

(1) «الكامل» لابن الأثير (9/184، 185).

(2) «الكامل» لابن الأثير (9/125).

(3) الرُّوضَتَيْنِ (1/57)، وانظر «الأدب العربي» (ص70).

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان بطلاً شجاعاً، وافر الهيبته، حسن الرمي، مليح الشكل، ذا تعبدٍ وخوفٍ وورعٍ، وكان يتعرّض للشهادة سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير»⁽¹⁾.

وقال: «قال ابن واصل: كان من أقوى الناس قلباً وبدناً، ولم ير على ظهر فرس أحد أشد منه، كأنها خلق عليه ليتحرك»⁽²⁾.

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان يقول: طالما تعرّضت للشهادة فلم أدركها. قلت - أي الذهبي - قد أدركها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: نور الدين الشهيد»⁽³⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الهيبته الوافرة والتواضع الجسم. فقد كان رحمه الله مهيباً وقوراً، وفي الوقت نفسه كان جمّ التواضع لطيف المعشر، وتلك هي أخلاق العظماء.

قال ابن الأثير رحمه الله: «وكان وقوراً مهيباً مع تواضعه وبالجملة فحسانته كثيرة، ومناقبه غزيرة لا يكتملها هذا الكتاب»⁽⁴⁾.

وقال الذهبي رحمه الله عن ابن عساكر: «وكان من رآه شاهد من جلال السلطنة وهيبته ما يبهره فإذا فاضه رأى من لطافته ما يحيرُه، حكى من صاحبه حضراً وسفراً أنه ما سمع منه كلمة فحشٍ في رضاه ولا في صجره»⁽⁵⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد كان مهيباً وقوراً شديد الهيبته في قلوب الأمراء لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه.

(1) «السيرة» (532/20).

(2) «السيرة» (537/20).

(3) «السيرة» (537/20).

(4) «الكامل» (126/9).

(5) «السيرة» (533/20).

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ يَجْلِسُ بِإِذْنِ سُوَيْ الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَأَمَّ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ، وَمَجْدُ الدِّينِ بْنِ الدَّايَةِ نَائِبُ حَلَبَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَكَابِرِ فَكَانُوا يَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَمَعَ هَذَا كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ أَوْ الْفُقَرَاءِ قَامَ لَهُ، وَمَشَى حُطْوَاتٍ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَجَادَتِهِ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ.

وَإِذَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مُسْتَكْرَمًا يَقُولُ: هَوْلَاءِ جُنْدُ اللَّهِ، وَبِدْعَائِهِمْ نُنْصِرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَلَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقٌّ أَضْعَافُ مَا أُعْطِيهِمْ، فَإِذَا رَضُوا بِيَعُضِ حَقِّهِمْ فَلَهُمُ الْمِنَّةُ عَلَيْنَا»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْحَرِصُ عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ. فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَنَشْرِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَظْهَرَ السُّنَّةَ وَأَمَاتَ الْبِدْعَةَ»⁽²⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ سَمِعَ عَلَيْهِ جُزْءَ حَدِيثٍ وَفِيهِ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ، فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَغْيِيرِ عَادَاتِ النَّاسِ لِمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ وَكَيْفَ كَانَ يَرِبُّهُ الْأَجْنَادُ وَالْأَمْرَاءُ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَلَا يَفْعَلُونَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ الْجُنْدَ بِأَنْ لَا يَحْمِلُوا السُّيُوفَ إِلَّا مُتَقَلِّدِيهَا ثُمَّ خَرَجَ هُوَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى الْمَوْكِبِ، وَهُوَ مُتَقَلِّدُ السَّيْفِ، وَجَمِيعُ الْجَيْشِ كَذَلِكَ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الْاِقْتِدَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽³⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ. فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

(1) «البدائية والنهائية» (302/12).

(2) «البدائية والنهائية» (299/12).

(3) «البدائية والنهائية» (302/12 - 303).

قال ابن الأثير رحمه الله: «وكان يُكْرَمُ العلماء، وأهل الدين، ويُعْظَمُهُمْ، وَيَقُومُ إليهم، وَيَجْلِسُ معهم، وَيَنْبَسِطُ معهم، ولا يَرُدُّ لهم قولاً، وَيُكَاتِبُهُمْ بِخَطِّ يَدِهِ»⁽¹⁾.

قال ابن عساكر رحمه الله: «رَوَى الحديث، وَأَسْمَعَهُ بِالْإِجَازَةِ»⁽²⁾.

وَأَمَّ جِهَادَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَكَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا لِذَلِكَ.

قال الموفق عبد اللطيف: «كَانَ نُورُ الدِّينِ لَمْ يَنْشَفْ لَهُ لَبْدٌ مِنَ الْجِهَادِ»⁽³⁾.

وقال ابن الأثير رحمه الله: «وَكَانَ قَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَبِالْيَمَنِ»⁽⁴⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أَقَامَ الْحُدُودَ، وَفَتَحَ الْحُصُونِ، وَكَسَرَ الْفِرْنَجَ مِرَارًا عَدِيدَةً وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعَاقِلَ كَثِيرَةً»⁽⁵⁾.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «جَاهَدَ وَانْتَزَعَ مِنَ الْكُفَّارِ نَيْفًا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً وَحِصْنًا، وَبَنَى بِالْمَوْصِلِ جَامِعًا غَرِمَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَتَرَكَ الْمَكُوسَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَبَعَثَ جُنُودًا فَفَتَحُوا مِصْرَ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّوَاضُعِ وَحُبِّ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، وَكَاتَبَنِي مِرَارًا، وَعَزَمَ عَلَيَّ فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَتَوُفِّيَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ»⁽⁶⁾.

قلت: قَدْ حَقَّقَ اللهُ لَهُ أَمْنِيَّتَهُ وَفُتِحَتْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ عَلَى يَدِ تَلْمِيذِهِ صَلَاحِ الدِّينِ الأيُّوبِيِّ رَحِمَ اللهُ الْجَمِيعَ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «الكامل» (125/9).

(2) «السَّيْرُ» (533/20).

(3) «السَّيْرُ» (534/20).

(4) «الكامل» (125/9).

(5) «البدائية والنهائية» (299/12).

(6) «السَّيْرُ» (536 - 535/20).

الخطبة الثانية - ما أكرم الله به نور الدين محمود :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن «سيرة نور الدين محمود رحمه الله» والآن حديثي معكم عن «بعض ما أكرمه الله به».

أيها الناس إن أعظم ما أكرم الله به نور الدين محمود تلك الرؤيا الظاهرة العظيمة إنه رأى في المنام رسول الله ﷺ في نومه وهو يُشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: أنجذني أنقذني من هذين، فاستيقظ فرحاً وصلّى ونام فرأى المنام بعينه فاستيقظ وصلّى ونام فرأه - أيضاً - مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم. وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له: وما فعودك اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت. فتجهز في بقيته ليئته وخرج على راحل خفيفة في عشرين نفراً وصحبته الوزير المذكور ومال كثيرة فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فاعتسل خارجها ودخل فصلّى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع. فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قد قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا من عندكم فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف إلى أن انفض الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة، قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئاً وهما صالحان غنيان يُكثران الصدقة على المحاويج، فأنشراح صدره وقال: عليّ بهما. فأتى بهما فرأهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله: «أنقذني من

هَذَيْنِ». فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ جِئْنَا حَاجِّينَ فَاخْتَرْنَا
 الْمَجَاوِرَةَ فِي هَذَا الْعَامِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَصْدُقَانِي، فَصَمَّمَا عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ:
 أَيْنَ مَنْزِلُهُمَا؟ فَأَخْبَرَ بِأَمْتَهُمَا فِي رِبَاطٍ بِقُرْبِ الْحُجْرَةِ فَأَمْسَكَهُمَا وَحَضَرَ إِلَى مَنْزِلِهِمَا فَرَأَى
 فِيهِ مَالًا كَثِيرًا وَخْتَمَتَيْنِ وَكُتُبًا فِي الرَّقَاتِقِ وَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ فَأَتَى عَلَيْهِمَا أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ وَقَالُوا: إِنَّهُمَا صَائِمَانِ الدَّهْرِ مُلَازِمَانِ لِلصَّلَاةِ فِي الرُّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ
 وَزِيَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَزِيَارَةَ الْبَيْعِ كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَزِيَارَةَ قُبَاءِ كُلِّ يَوْمٍ سَبْتًا وَلَا يَرُدَّانِ
 سَائِلًا قَطُّ بِحَيْثُ سَدَّا حُلَّةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذَا الْعَامِ الْمُجْدَبِ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: سَبْحَانَ
 اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهِرْ شَيْئًا مِمَّا رَأَاهُ. وَبَقِيَ السُّلْطَانُ يَطُوفُ فِي الْبَيْتِ بِنَفْسِهِ فَرَفَعَ حَصِيرًا فَرَأَى
 سِرْدَابًا مَحْفُورًا يَنْتَهِي إِلَى صَوْبِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ.

فَارْتَاعَ النَّاسُ لِذَلِكَ وَقَالَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَصْدُقَانِي حَالِكُمَا، وَضَرَبَهُمَا
 ضَرْبًا شَدِيدًا فَاعْتَرَفَا بِأَمْتَهُمَا نَضْرَانِيَانِ بَعَثَهُمَا النَّصَارَى فِي زِيِّ الْحُجَّاجِ الْمَغَارِبَةِ
 وَأَمُولُهُمَا بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ وَأَمْرُوهُمَا بِالتَّحْيِيلِ عَلَى شَيْءٍ عَظِيمٍ خَيْلَتُهُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
 وَتَوَهَّمُوا أَنْ يُمْكِنَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْجَنَابِ الشَّرِيفِ وَيَفْعَلُوا بِهِ مَا زَيْنَهُ
 لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي النَّقْلِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فَتَزَلَا فِي أَقْرَبِ رِبَاطٍ إِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَفَعَلَا
 مَا تَقَدَّمَ وَصَارَا يَخْفِرَانِ لَيْلًا وَلِكُلِّ مِنْهَا مِحْفَظَةٌ جَلَدٌ عَلَى زِيِّ الْمَغَارِبَةِ، وَالَّذِي يَجْتَمِعُ
 مِنَ التُّرَابِ يَجْعَلُهُ كُلُّ مِنْهَا فِي مِحْفَظَتِهِ وَيَجْرُجَانِ لِإِظْهَارِ زِيَارَةِ الْبَيْعِ فَيُلْقِيَانِهِ بَيْنَ
 الْقُبُورِ وَأَقَامَا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً فَلَمَّا قَرَّبَا مِنَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ أَرَعَدَتِ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ
 وَحَصَلَ رَجِيفٌ عَظِيمٌ بِحَيْثُ خُيِّلَ انْقِلَاعُ تِلْكَ الْجِبَالِ فَقَدِمَ السُّلْطَانُ صَبِيحَةَ تِلْكَ
 اللَّيْلَةِ وَاتَّفَقَ إِمْسَاكُهُمَا وَاعْتَرَفَهُمَا فَلَمَّا اعْتَرَفَا وَظَهَرَ حَالُهُمَا عَلَى يَدَيْهِ وَرَأَى تَاهِيلَ
 اللَّهِ لَهُ لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمَا فُقْتِلَا تَحْتَ الشُّبَّاكِ
 الَّذِي يَلِي الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ وَهُوَ مِمَّا يَلِي الْبَيْعِ ثُمَّ أَمَرَ بِاحْتِضَارِ رِصَاصٍ عَظِيمٍ وَحَفَرَ

خَنْدَقًا عَظِيمًا إِلَى الْمَاءِ حَوْلَ الْحَجْرَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّهَا وَأَذِيبَ ذَلِكَ الرَّصَاصُ وَمَلَأَ بِهِ
الْحَنْدَقَ فَصَارَ حَوْلَ الْحَجْرَةِ الشَّرِيفَةِ سُورًا رِصَاصًا إِلَى الْمَاءِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُلْكِهِ وَأَمَرَ
بِإِضْعَافِ النَّصَارَى وَأَمَرَ أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ كَافِرٌ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ
بِقَطْعِ الْمُكُوسِ جَمِيعِهَا⁽¹⁾.

والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ نَوْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ وَاعْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ اللَّهُمَّ انصُرْ دِينَكَ وَأَعْلِ كَلِمَتَكَ
وَأَجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِكَ وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.



(1) ذَكَرَهَا الْمَحْدِثُ حَمُودُ التُّوَيْجِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الرُّوَايَا» (ص 100-102).

وَذَكَرَ مَصَدَرَهَا هُنَاكَ عَنِ ابْنِ النَّجَّارِ فِي كِتَابِهِ «ذَيْلُ تَارِيخِ بَغْدَادَ» وَالْفَاسِي فِي كِتَابِهِ «الْعِقْدُ الثَّمِينُ فِي
تَارِيخِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ» وَابْنُ الْجَزْرِيِّ فِي كِتَابِهِ «إِتْحَافُ الْوَرَى بِأَخْبَارِ أُمَّ الْقُرَى» وَالسَّمْهُودِيُّ فِي كِتَابِهِ
«وَفَاءُ الْوَفَاءِ بِأَخْبَارِ دَارِ الْمُصْطَفَى».

القرآن

الصفحة	الموضوع
5	المُقدِّمَةُ
	- العَقِيدَةُ
7	1- عِظْمَةُ اللَّهِ.
15	- ثَمَارُ تَعْظِيمِ اللَّهِ.
19	2- الخَوْفُ مِنْ اللَّهِ.
26	- أسبابُ الخَوْفِ مِنْ اللَّهِ.
31	3- الرِّجَاءُ.
38	- وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ.
	- الرِّقَائِقُ
41	1- شَطْرُ الإِيْمَانِ.
47	- مَا يَنْقُضُ الطَّهْوَرَ.
51	2- الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ.
58	- عِظْمَةُ الصَّلَاةِ.
60	3- الخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ.
64	- أسبابُ الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.
69	4- سُنَنُ قَلِّ العَمَلِ بِهَا.
78	- سُنَنُ مَنَسِيَّةٍ.

الصفحة	الموضوع
80	5- القلبُ السَّلِيمُ.
87	- صورٌ مُشْرِقةٌ لأصحابِ القلبِ السَّلِيمِ.
90	6- الفرجُ بعدَ الشَّدَّةِ.
97	- أسبابُ الفرجِ بعدَ الشَّدَّةِ.
100	7- الاعتداءُ في الدُّعاءِ.
107	- تَكْلُفُ السَّجْعِ في الدُّعاءِ.
109	8- الاستِقامَةُ.
114	- أسبابُ الاستِقامَةِ.
117	9- فَضْلُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.
124	- البُعدُ العَقْدِيُّ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».
126	10- السَّعَادَةُ.
133	- موانعُ السَّعَادَةِ.
137	11- فضائلُ اليَمَنِ في الكتابِ والسُّنَةِ.
143	- فضائلُ بعضِ القبائلِ اليَمَانِيَّةِ.
147	12- الثَّبَاتُ على دينِ اللهِ.
154	- من أسبابِ الثَّبَاتِ.
157	13- غزوةُ بَدْرٍ.
163	- فوائِدُ من غَزْوَةِ بَدْرٍ.

الصفحة

الموضوع

- 1 - 165 علُوُّ الهِمَّةِ.
- 171 علُوُّ هِمَّةِ سلمانَ في البَحْثِ عن الحقِّ.
- 2 - 175 أَهْمِيَّةُ النَّصِيحَةِ.
- 180 آدابُ النَّصِيحَةِ.
- 3 - 185 فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ.
- 192 عُقُوبَةُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ.
- 4 - 195 آدابُ الجِوَارِ.
- 201 تحريمُ أذِيَّةِ الجَارِ.
- 5 - 206 الأمانةُ.
- 213 من صفاتِ الموظَّفِ.
- 6 - 217 خَطَرُ الدُّيُونِ.
- 223 فَضْلُ إِنظَارِ المُعْسِرِ.
- 7 - 226 عِزَّةُ النَّفْسِ.
- 232 الاستِغناءُ عَنِ النَّاسِ.
- 8 - 236 مِنْ صفاتِ المِراةِ المُسْلِمةِ.
- 9 - 246 من آدابِ النَّوْمِ.
- 254 آدابِ الاستِيقاظِ من النَّوْمِ.
- 10 - 256 الأخوةُ في اللهِ.
- 263 مُفسِداتُ الأُخُوَّةِ.

الصفحة	الموضوع
266	11- نِعْمَةُ الْجَوَالِ.
272	- آدابُ استعمالِ الْجَوَالِ.
	- قِصَصٌ وَعِبْرٌ
276	1- أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
281	- صَلَاةُ أُمِّ سُلَيْمٍ فِي دِينِهَا.
285	2- سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ.
290	- كَيْفَ زَوَّجَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ ابْنَتَهُ؟! -
293	3- نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ.
301	- مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ نَوْرَ الدِّينِ مُحَمَّدًا.

